٥٠ عاما من العواصف

ما رأيته قلته

أمين هويدى

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٥٧٨٦٠٨٣ - فاكس : ٥٧٨٦٨٣٣

إلى

زوجتي

وأولادي

وأحفادي

المحتويات

مقدمـة

فى إحدى ولايات الهند اختلف رجال الدين ورجال العلم عما إذا كانت الدنيا خالدة أبدية أم أنها غير أبدية ولها نهاية، فأراد « الراجا » أو الأمير أن يحسم الخلاف، فطلب من خادمه أن يأتيه بعدد من العميان ففعل ... طلب « الراجا » من العميان أن يلمس كل منهم طرفا من فيل وضعه أمامهم ... أحدهم لمس الرأس فقال إن الفيل يشبه قدرا، وقال الذى لمس الأذن إنه يشبه سلة، وقال الذى لمس الناب إنه يشبه محراثا، وقال الذى لمس الخرطوم إنه يشبه أنبوب ماء، وقال الذى لمس الجسم إنه يشبه جدارا، وقال الذى لمس الذيل إنه يشبه حبلا، وقال الذى لمس الشعر على طرف الذيل إنه يشبه فرشاة ... وعاد العميان إلى خلافهم وعلا صراخهم، وأخيرا تدخل « الراجا » الحكيم ليحسم الأمر بينهم فقال : « إن مغزى التجربة أن الناس يرون جانبا واحدا من كل موضوع ثم يختلفون لأنهم عميان، إذ يرى كل إنسان من الأحداث ما يهمه ويعمى عما يهم الآخرين، فالإنسان حتى إذا لم يكن أعمى بصر فهو أعمى بصيرة ».

كانت تجربة « الراجا » الهندى فى مؤخرة رأسى وأنا أسرد الأحداث التى واجهتنى فى طريق كفاحى الطويل والصعب، ذكرتها كما رأيتها وعشتها، وحينما وصلت إلى النهاية تساءلت: « ترى أى جزء من جسم الفيل تحسست ؟! » ولكن عزائى أننى لست أعمى البصر ولا أعمى البصيرة، ولذلك فإننى أدرك تماما أن أى جزء لمسته وتحسسته هو جزء من جسم فيل.

وأحب أن أؤكد أننى لم أؤرخ للفترة التى خضت فيها التجربة، بالرغم من أننى أحد صناع بعض أحداثها، فما رأيته قلته، وما سمعته رددته دون أى محاولة لتسييس الأحداث أو لىّ الحقائق أو تطويع ما جرى لأهداف شخصية. بل أحب أن أقرر أننى كنت عازفا عن تدوين هذه الأوراق، رغما عن إلحاح أسرتى الصغيرة وعلى رأسها السيدة حرمى التى حضرت وشهدت وسمعت كثيرا مما جرى، ورغم محاولات الأصدقاء ومن يهمهم الأمر. وأخيرا وحينما أذن الله عزمت وتوكلت، وأرجو أن أكون قد أديت الأمانة وكشفت عن جزء من الحقيقة التى أشعر أنها عانت مما زاد فى حيرة الناس وشكوكهم فيما جرى ... !!

عمر التجربة ٥٠ عاما ... نصف قرن جرت فيه مياه كثيرة وأحداث متعددة ومتنوعة، تعاملنا معها بوسائل مختلفة تتناسب مع الظروف والأحوال، تنقلنا معها من أيام كانت فيها المظاهرات سلاحا لمقاومة الاستعمار والطغيان، إلى مرحلة دخلنا فيها إلى دنيا العسكرية ليعاد تشكيلنا من جديد لنواجه التهديدات بالسلاح الذى أصبح فى يدنا، ثم كانت الغضبة الكبرى التى قادها عبد الناصر لمواجهة ثالوث التحكم المتمثل فى الملكية فيسقطها، والاستعمار فيزيله، والإقطاع فيفككه، ثم اقتحمنا مجال السياسة بالمفاهيم التى سادت فى تلك الفترة ودلفنا إلى شوارع الوحدة نحاول تحقيق الحلم الذى راود شباب تلك الأيام .... شاهدنا انتصارات كثيرة باهرة، وعاصرنا هزائم قاهرة ونحن نلبس الزى العسكرى تارة، ثم ونحن نلبس الزى المدنى تارة أخرى، ولم نشعر بفارق بين هذا وذاك، فالزى مجرد غطاء تحته مواطن له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات ... مارسنا السياسة المكشوفة ونحن فى السلك الدبلوماسى، وعملنا فى مجال السياسة التحتية ونحن فى ردهات المخابرات، وقاتلنا فى حروب عادلة من أجل مصر والعروبة ... كافحنا بالكلمة أحيانا، وبالطلقة أحيانا أخرى، وتعثرنا فى طريق السياسة الصعب الملىء بالحفر، ولكن لم تسقط الأعلام من يدنا ولم نهزم من داخلنا، وداومنا السير تحت أعلام الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة التى كنا نحملها مع عبد الناصر ... حتى السجون دخلناها وجربناها لأن الحصون لا تسقط إلا من داخلها، فالشروخ الداخلية هى التى تسمح بالاختراق الذى يؤدى إلى السقوط.

سنوات كفاحى طويلة ومجالاتها متعددة أقدمها صادقا فى كل كلمة دونتها، ولا أدعى أن لدىَّ من البصر والبصيرة لأمسك وحدى بفيل « الراجا »، ولكنى بالقطع تحسست جزءا كبيرا منه، فالحقيقة لا يملكها فرد واحد ولكن تملكها جماعة شرط أن يكون أفرادها صادقين.

مصر الجديدة: أول أكتوبر ٢٠٠٢

أمين هويدى

الفصل الأول

الشاب يشق طريقه

فى منزلنا الذى لا أذكر شيئا من معالمه فى بنى سويف شعرت فجأة باهتمام زائد من الأسرة بشخصى ... احترام زائد، حنان زائد، ثم بدلة جديدة وحذاء أسود برقبة ورباط وطربوش طويل ذو لون أحمر فاقع. وقيل لى إننى أستعد لدخول المدرسة الأولية ولذلك فلم أعد طفلا. فى اليوم المحدد للذهاب إلى المدرسة استيقظ والداى - رحمهما الله - فى ساعة مبكرة، ربما أكثر مما اعتادا عليه حينما يستيقظان لصلاة الفجر ... حمَّيانى وألبسانى الثياب الجديدة وأنا أكاد أطير من الفرح، وفى يد والدى اتجهنا إلى العالم المجهول بالنسبة لى وهو المدرسة الأولية. رحب بنا الناظر ترحيبا خاصا - فوالدى من رجال التعليم - وهم الوالد بالانصراف على وعد بالحضور عند الظهر للرجوع بى إلى المنزل. وهذا عكس ما كنت أتصوره؛ إذ كنت أعتقد أن والدى سيمكث معى فى المدرسة ولا يتركنى وحدى .. الوالدة فارقتها فى المنزل لأول مرة فى حياتى ثم يأتى الوالد ليفارقنى أيضا ويتركنى فى المدرسة مع هؤلاء الأغراب ... !! هذا كثير ولذلك انفجرت فى الصراخ واستمررت فى ذلك حتى غاب والدى عن ناظرى.

حاول الناظر إسكاتى دون جدوى، فلما نفد صبره نادى على « الفراش » وأمره أن يرمينى فى حجرة الفئران. ورمانى الفرَّاش فى حجرة نصف مظلمة وقفل الباب بالمفتاح ليتركنى وحيدا وأنا أصرخ. ولم أشعر بالفئران أو غيرها لأننى فقدت الوعى، علاوة على أنهم بعثروا ما تكون عندى من كرامة واحترام !!! وحينما فتحوا الباب رآنى والدى وأنا ممدد على الأرض، ولم أفهم ما قاله لهم ولا ما قالوه له ... كل ما وعيته أن الوالد نقلنى إلى المنزل فى « الحنطور » الوحيد بالبلدة. الطبيب قال إن الولد عنده

« صفرة »، وبدأت فى العلاج. كان هذا أول وآخر يوم لى فى المدارس ببنى سويف !!! التجربة لم تخلِّف عندى مرض الصفراء فقط، ولكن علاوة على ذلك خلفت عندى خوفا ورعبا من الفأر حتى الآن ... فأنا لا أخاف شيئا فى العالم إلا من الفأر ... ولذلك فحينما وجدتنى فى الزنزانة رقم ٨ فى سجن القلعة حينما زج السادات بى فى السجن، ضمن ما عرف بمجموعة ١٥ مايو ١٩٧١، كنت أرتعد من احتمال وجود الفئران فى الزنزانة، وكنت أراها تجرى فى سقف الزنزانة وهى كبيرة الحجم كالأرانب، إلا أن سقفا من السلك كان يحول دون المواجهة ... ماذا يحدث لو انقطع السلك وتساقطت الفئران ؟ احتمال أرقنى ودعوت الله ألا يحدث، واستجاب الله لدعائى حتى نقلت من سجن القلعة إلى السجن الحربى.

فى طنطا دخلت مدرسة « الست مباركة ». من هى الست مباركة ؟ لا أدرى. ولكن لابد أنها من « وليات الله الصالحات » مثل « السيد البدوى » الشهير الذى يقام له «مولد خاص » كل عام إحياء لذكراه. كان المعلم يعلمنا كل العلوم : قرآنا ودينا وحسابا وإملاء. معلم فصلى كان يستخدم مفتاح منزله الحديدى كبير الحجم كوسيلة حاسمة للتعليم. زرت المدرسة وأنا فى الوزارة ووجدتها كما هى .. لم يتغير فيها شىء. ولن أدهش إذا كانت باقية كما هى حتى الآن دون تغيير، إلا إذا كانت الأيام قد أسقطتها كما أسقطت كثيرا من التقاليد والعادات الأصيلة.

ولكن وبصراحة كان كتّاب « عمى الشيخ نصار » فى بلدتى - بجيرم مركز قويسنا بمحافظة المنوفية - أكثر جدوى فى التعليم. كان الشيخ يجلس على أريكة مرتفعة، وفى يده كرباج، يعلمنا الكتابة على لوح من الصفيح نكتب عليه بقلم « بسط » من الغاب وحبر لونه بنفسجى لا يزيله الماء من الأصابع أو الملابس. وكنا نقرأ عليه سورا مختارة من القرآن الكريم ويعلمنا الجمع والطرح، ولكنه لم يتطرق إلى الضرب والقسمة لأنى أظن أنه كان يجهلهما .. فكان يعلمنا ما لم نكن نعلم ويتجاهل أن يعلمنا ما لم يكن يعلم. كانت مصاريف الكتّاب عبارة عن عدد من البيض أو أقداح الأذرة والقمح، وربما زوج من الحمام الزغاليل أو فرخة.

تعليمى الحقيقى المنتظم بدأ فى مدرسة المساعى المشكورة الابتدائية بشبين الكوم عاصمة المنوفية حيث وعيت الحياة. كانت الجمعيات الخيرية الأهلية منتشرة حتى فى

الأقاليم، ومن بينها جمعية المساعى المشكورة بشبين الكوم. وكانت هذه الجمعيات خيرية بحق .. تقيم الجوامع والمدارس والمستشفيات ومكاتب تحفيظ القرآن ودور العجزة والمسنين، فكان بعض القادرين لا يكنزون الذهب والفضة بل يعطون غيرهم مما أفاء الله عليهم. كانت المدرسة الابتدائية كاملة بملاعبها ومطاعمها وأقسام تنمية المهارات، وكذلك المدرسة الثانوية، وكانت وقتئذ بين الحقول وبعيدة عن الأحياء السكنية... فصول متسعة لا يزيد عدد طلابها على ١٨ طالبا، مطاعم تعد وجبة غذاء كاملة لأن الدراسة كانت بنظام اليوم الكامل، معامل للطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى، مكتبة، ملاعب رياضية. كانت المدارس تلبى احتياجات العقل والجسم. أذكر اشتراكنا فى إضرابات ١٩٣٥، وأذكر هتافنا بدستور ١٩٢٣ وبالاستقلال التام أو الموت الزؤام ... ما هو دستور ١٩٢٣ ؟ كان أغلبنا لا يعرف. وما هو الموت الزؤام ؟ كلنا لا يعرف. وهل هناك موت زؤام وموت غير زؤام ؟ الموت واحد، ولكننا كنا نهتف كذلك يجمعنا شعور واحد هو كراهية الإنجليز لأنهم يحتلون بلادنا. كان مدرسونا يندسون بيننا لا لردعنا بل لتشجيعنا على الإضراب، بل وإمدادنا بالهتافات التى نرددها .. كنا جميعا فى قارب واحد ضد المحتل أو الحاكم غير العادل الذى لا يعطينا الدستور الذى لا نعرف عنه إلا القليل. وعلى ذكر القارب، كنا نسكن فى منزل على الضفة الشرقية لبحر شبين، وكنا نعبره إلى المدرسة فى البر الغربى بقارب يمتلكه « عمى أحمد » ... كان شيخا مسنا مريضا بشلل الأطفال يجر رجله اليسرى زاحفة على الأرض ... القارب كان سكنه نهارا وليلا، صيفا وشتاء. ونحن نعبر البحر كنا نهتف، وصاح الضباط على الضفة الغربية على المراكبى ليعود بنا إليهم لننال الجزاء. المراكبى أصر على أن يصل بالأمانة التى هى نحن إلى بر السلامة، ووصلنا ورجع ليسلم نفسه للضباط بعيونهم الحمراء. قبضوا على عمى أحمد - ونحن نشاهد ذلك من البر الشرقى – ثم ألقوا به فى عربة وأخذوه إلى القسم – قصصت القصة على والدى حينما عاد من المدرسة حيث كان يعمل مدرسا، وسألنى : ماذا فعلتم لعمك أحمد ؟ لا شيء كان الجواب. أعطانى الوالد بعض النقود، وأمرنى أن أذهب لزملائى فى القارب لنشترى خبزا وحلاوة طحينية لعمى أحمد ونزوره فى السجن. وفعلنا وبكى الرجل الكسيح حينما رآنا. المأمور أعجبته المشاعر، فأفرج عن عمى أحمد وعدنا به مسرورين

إلى داره .. إلى المركب. كنا جميعا يدا واحدة ضد المستعمر ... الطلبة والمدرسون والمراكبى ورجل الشرطة والآباء والأبناء. كنا نشترك بقروشنا القليلة ليذهب أحدنا بالدور إلى المحطة فى انتظار وصول جريدة «البلاغ» لعبد القادر حمزة، لشراء الجريدة قبل أن تنفد. كان عباس العقاد يكتب مقاله اليومى فى الجريدة، وكان قد تحدى الحكومة على إسقاطها قبل المقال الثلاثين وإلا لن يعاود الكتابة !!! كان المقال من نار وكنا نقرأ الجريدة بالدور ... وصل سعرها فى ذلك الوقت إلى خمسة قروش كانت تكفى العائلة لتناول وجبة كاملة ... خبز ولحم وخضار وأرز أو مكرونة وحلو. وسقطت الحكومة فعلا ولم يقصف العقاد قلمه ... كانوا صحفيين وكتابا من الوزن الثقيل، وكنا فى نفس الوقت جيلا يريد أن يعرف عن طريق الكلمة المكتوبة لأن وسائل المعرفة الأخرى لم تكن موجودة، وإن وجدت لم تكن متاحة !

كان بعض الزملاء من الطلبة متزوجين وكبارا فى السن ولهم شوارب وفوق ذلك يدخنون. ممارستهم التدخين كانت تتم سرا وفى أغلب الأحيان فى دورات المياه، وكان من المحظور على أمثالنا الاختلاط بهؤلاء. فى فترة الراحة بين الحصتين الرابعة والخامسة كنا نتناول الغداء فى المدرسة، ولكنى كنت ألاحظ أن بعضا من هؤلاء كان يقفز على سور المدرسة ويعود قبل بداية الحصة. لماذا ؟ لم أكن أدرى. ما الذى خلف السور ؟ كان عالما مجهولا بالنسبة لى، فأنا من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت. وصممت على أن أفعل مثل ما يفعله هؤلاء ... لابد أن أخوض التجربة. ووجد الشاب الصغير نفسه يخطط لمغامرة، ولم يكن يدرى أن حياته بعد ذلك ستكون مليئة بالمغامرات ... رأيت المسرح جيدا واخترت مكانا للعبور إلى المجهول. وفى ساعة الصفر « يوم ى » اقتربت بحذر من السور وتخطيته، ووجدتنى أقع على كتف أحد المارين فى ذلك الوقت ... نظرت إلى أسفل ونظر إلى أعلى فوجدتنى أركب على كتف مدرس التاريخ الطبيعى. فصعقت. نزلت ونظر لى وقال : « إخص !! ابن المدرس الأول يعمل كده ... !! » وتسلقت السور مرة أخرى لأعود من حيث أتيت. وكان جزائى شديدا من الوالد رحمه الله ... !! كان هذا ثمنا لدرس حافظت على تطبيقه طول حياتى ... أن أتجنب فعل الخطأ بقدر ما أستطيع لأن الإنسان خطّاء بطبعه.

وجاء وقت امتحان شهادة التوجيهية عام ١٩٣٨ وكنت فى قسم علمى. أنا فى مدرستى، بشبين الكوم الثانوية، ولكن الامتحان سيكون فى مدرسة طنطا الثانوية لأن

كل طلبة المدارس فى عواصم المديريات بوجه بحرى يتجمعون هناك. أول مرة أبقى فى طنطا أسبوعا كاملا بعيدا عن العائلة .. فى حجرة فى لوكاندة بين السيد البدوى وميدان الساعة ... شعرت برجولتى الكاملة وبالاستقلال. تركنى والدى بعد أن وضع كتاب الله فوق السرير حتى يحفظنى من المكاره وعاد إلى شبين الكوم. مرت الأيام إلى مساء الأربعاء .. لم أنم تلك الليلة دقيقة واحدة لأن يوم الخميس كان امتحان الكيمياء .. أربعة كتب كاملة حوالى ٢٠٠٠ صفحة أصغرها كتاب الكيمياء العضوية علىَّ أن أختبر فيها !!! وفوجئت أنه لا يوجد فى رأسى كلمة واحدة من مواضيع الكيمياء العضوية أو غير العضوية، ولكن بالرغم من ذلك كنت أشعر بسعادة لأننى سأعود إلى الأسرة ووالدتى تقدم لى أشهى الأطعمة. دخلت اللجنة المهيبة ووزعت أوراق الأسئلة وقرأتها ونمت .. وضعت يدى على ترابيزة الامتحان ووضعت رأسى على يدى ونمت. أيقظنى المراقب بعد ساعة وأحضر لى زجاجة « سباتس » باردة ... كان والدا قبل أن يكون مراقبا ... هكذا كانوا ... أوصانى أن أوزع الوقت المتبقى على الأسئلة ولا أترك سؤالا دون إجابة. واستمعت إلى رنين الجرس يعلن انتهاء الامتحان وكأنه صوت الموسيقى. وكان والدى بالباب .. وبعد وقت قصير ظننت أنه لن ينتهى كنت بين أحضان الوالدة. وأعلنت النتيجة فى الراديو الوحيد بقريتى وكان عند جدى. الراديو كبير الحجم وبطاريته الجافة كانت كبيرة وكنا ننقلها « بحمار » إلى قويسنا لشحنها. كنت من الناجحين بمجموع ٥٠٪ .. يعنى على « الحركرك ». لم أرسب قط ولكن كنت أنجح دائما بمجموع متواضع. حينما أسمع أحفادى الآن وهم يتحدثون عن مجاميع ٩٨٪ أو ١٠٥٪ أتعجب ...!! أحيانا لا يحصل الولد أو البنت منهم إلا على ٩٥٪ فأتظاهر بالغضب وأراهم يتبادلون الابتسام ... لماذا يبتسمون ؟ فيقول الولد للبنت أو البنت للولد: « تقول ولا أقول ؟ » ومن يقع الاختيار عليه ليقول يتحدث فى جد : « إننا نصر على الحصول على مجاميع قليلة حتى نصبح وزراء .. مش حضرتك بتقول لنا إنك كنت بتحصل على مجموع على الحركرك .. إلا يا جدى الحركرك معناها إيه ؟ !! »

وكانت أول سنة لنظام التوجيهية، وكانت أول سنة يلتحق فيها الطلبة بالجامعة بالمجموع يعنى « التنسيق ». وحدد مجموعى مصيرى فوجدتنى فى كلية الزراعة جامعة فؤاد الأول بالجيزة، وقد لاقى هذا ارتياحا كبيرا فى نفسى. كان من أساتذتى العظام

هناك الدكتور شبتاى للكيمياء بمعاملها الضخمة، والدكتور حنطور الذى تولى بعد ذلك شركات كفر الدوار الكيماوية، والدكتور رفعت للتاريخ الطبيعى. وكان تحت تصرف الكلية عزبة بحرية وأخرى قبلية، وكان يخصص لكل طالب حوض من الأرض يتولى الزراعة فيه بنفسه. كان بجوارى طالب أنيق مرفه، وسألنى فجأة : « دى جاموسة ولا بقرة ؟ » كان أول مرة فى حياته يرى هذه الحيوانات الغريبة !!! وعند التخرج أصبح معيدا فى قسم الحيوان. كانت لجان الطلبة الوفدية وحزب مصر الفتاة تتحرك. وكنت أميل للجان مصر الفتاة، ولكنى لم أشارك فى الاشتباكات اليدوية التى كانت تحدث بين الأعضاء؛ إذ كانت اهتماماتى متجهة إلى الكلية الحربية .. كنت أريد الالتحاق بها، فالحرب العالمية الثانية كانت قائمة وكانت روح الفداء تنادينا وكذلك الشريط الأحمر على البنطلون يزغلل عيوننا. ولكن حدث شيء مهم وضعنى أمام اختيار صعب ... فتحت الأبواب مرة أخرى للالتحاق بكليات الجامعة دون مجموع يقيد ذلك. وهنا أصر الوالد على أن ألتحق بكلية الطب، وسوف أصبح - كما كان يعتقد رحمه الله - جراحا كبيرا أحسن من على باشا إبراهيم ذلك الجراح البارع فى تلك الأيام.

وبدون تردد اخترت طريق الكلية الحربية، وعارض الوالد والوالدة تماما هذا الاختيار. قدمت أوراقى إلى الكلية الحربية سرا ولم أخطر أحدا بذلك. كنت أذهب للكشف الطبى من حلوان إلى كوبرى القبة بعد أن أحصل - بطرق خاصة - على تدعيم لميزانيتى المحدودة. وقبلت فى الكشف الطبى وكان مطلوبا لهذه الدفعة سبعون طالبا من آلاف المتقدمين. وأخبرت والدتى بنجاحى وأن عليها مكاشفة الوالد بهذا الخبر، وقد كان ونحن نتناول طعام الغداء. لم يعلق الرجل بشيء، فلم يبد ارتياحا أو غضبا، ولكنى فوجئت به يرتدى ملابسه بعد الغداء ويتأهب للخروج .. إلى أين أيها الرجل الطيب ؟ قال : « لأسعى عند من بيدهم الأمر حتى تهيأ الفرصة للنجاح فى كشف الهيئة ». كان كشف الهيئة هو كشف « الواسطة ». وكان « الواسطة » هو اللواء محمد فتوح باشا قائد الكلية الحربية فى أوائل عام ١٩٣٩. ونجحت فى الكشف ... الفضل فى ذلك إلى الله سبحانه وتعالى الذى هيأ، وإلى والدى الذى سعى وإلى اللواء فتوح باشا الذى نفذ إرادة الله رحمهما الله. فتوح باشا من بلدة « شمنديل » مركز قويسنا، يعنى من نفس المنطقة. منذ أسابيع سألت أحد شبان شمنديل عن أخبار من تبقى من عائلة محمد

فتوح باشا ؟ فكان رده : « ومن هو فتوح باشا ؟ » .. جيل لا يعرف إلا القليل عن بلده لأنه لا يعرف القليل أو الكثير عن قريته .. جيل تليفزيونى يعيش فى محطات الفضاء...!! حينما أصبحت وزيرا كنت أوزع محطات الكهرباء على قرى مركز قويسنا وكانت ٣٢ محطة، وكان معى أحمد سلطان المحافظ، وقسمنا القرى إلى مجموعات .. دخل أحدهم فجأة فى قاعة مجلس المدينة وقال لى : واحد اسمه محمد فتوح عاوز يقابلك. وقمت مسرعا لأستقبل الباشا، وأجلسته على الكرسى فى الصدارة. « قهوتك إيه يا باشا ؟ » قال : « لا أنا لن أشرب قهوتك .. بقى يصح يا أمين شمنديل تكون فى المجموعة الرابعة لإدخال الكهرباء ؟!!! » فقلت : « لا هذا لا يصح ستكون فى المجموعة الأولى ». فتساءل الحاضرون « كيف ؟ » فقلت : توضع شمنديل بلدة الباشا بدلا من بجيرم بلدتى. ورد الباشا « كده صح ». وقام دون أن يشرب القهوة وأوصلته إلى باب عربته .. لم ينس الباشا أبدا أنه كان قائدا ومديرا، ولم أنس أنا بدورى أننى كنت طالبا... كان هذا يحدث فى الأربعينيات.

وفى فبراير ١٩٣٩ أصبحت طالبا فى الكلية الحربية. وكان يوم التحاقى بالكلية مثيرا بحق.

حينما عرفت العنبر الذى سأقيم فيه ـ وكان بجوار « ميس الضباط » فى المبنى القديم للكلية أمام ضريح الزعيم عبد الناصر حاليا ـ ذهبت إلى والدى الذى كان فى الانتظار لأعطيه الشنطة وبها ملابسى المدنية، وكنت بالزى العسكرى : قميص خشن وشورت خشن أيضا وحذاء أسود ثقيل وقالشين لفقته على الشراب دون اتقان وطربوش .. أصبحت مهيئا للدخول فى ورشة صناعة الرجال، فالكلية هى التى تحول الرجل المدنى إلى رجل عسكرى : ضبط وربط، طاعة، اتقان، صدق ورجولة، شهامة ورأس مرفوعة، فهو درع لحماية الوطن، والدرع ذو صلابة تنكسر عليه النصال ولا ينكسر. حينما رأى والدى « الدرع الذى هو أنا » انتفض مذهولا وقال : « ارجع ثانى أعطيهم ملابسهم والبس ملابسنا .. لن تبقى هنا دقيقة واحدة وسوف تلتحق غدا بكلية الطب ». تم إقناعه بعد جهد، وانصرف على موعد لقاء بعد ٤٠ يوما يسمح بعدها بالزيارة حتى تقوم « الورشة » بواجباتها.

وتمشيت فى هدوء فى الردهة التى تكثر فيها الأعمدة .. يدى وراء ظهرى وأسير فى تكاسل أتطلع إلى ما حولى. وفجأة سمعت صوتا ينطلق كرصاصات المدفع، ولكنى لم

أعره أى اهتمام. واستأنفت سيرى فى طمأنينة إذ كنت مازلت ساذجا لم أعرف بعد ألاعيب الكلية. ولما زاد الصراخ نظرت إلى مصدره ووجدته أحد الضباط المعلمين فى الكلية، ودهشت حينما أيقنت أن الطلقات موجهة إلى شخصى !! سمعت المدفع أى الضابط يقول : « إنت يا بايظ ماشى بالخطوة المعتادة .. اجرى بالخطوة السريعة ». وبدون أن أسأل « المدفع » عن السبب ولا عن معنى البايظ جريت، ومن يومها وأنا أجرى بالخطوة السريعة !!! سألنى أحد الزملاء أخيرا : « إنت ملاحظ من يوم دخولنا الحربية بنجرى بالخطوة السريعة ؟! » أمنت على كلامه لأننى وقد تخطيت الثمانين عاما مازلت أجرى ولو قطعت أنفاسى ... !!

فى نفس هذا اليوم الأول أصدر « البروجى » أوامره بالغداء ... نافخ البروجى هذا يأمر الجميع بالتحرك أو التوقف ... كل نغمة تعبر عن أمر : نوبة صحيان فتصحو، نوبة جمع فتجمع، نوبة أكل فتأكل، نوبة نوم فتنام. وعليك أن تحفظ هذه النغمات فهى التى تحركك وأنت فى الكلية وبعد تخرجك منها. وجلست على مائدة الطعام المخصصة لجماعتى ... كان يومها يوم الأخضر !!! لأن الأكل بالألوان : أخضر يعنى ملوخية أو خبيزة أو مزيج منهما أو أى شىء لونه أخضر، أحمر كل خضار اختلط بالطماطم، أما الأصفر فهو العدس الشهير. مر الضابط النوبتجى وقال لماذا لم تأكل الأخضر ؟! فقلت: « أنا لا أحب الخضار عموما لأنى آكل الأرز أو المكرونة فقط ». فوجه الضابط حديثه إلى الزملاء فى تهكم واضح : « فيه واحد هنا لا يحب الخضار !!! » فضحك الجميع ولكن فى انضباط وبصوت غير مسموع. وأخذ الضابط الكبشة وملأ طبقى الكبير بالأخضر، وقال بلهجة آمرة : « كل ». فأكلت وهو واقف فى انتظار أن أزدرد كل الكمية وازدردتها. ومن يومها وأنا آكل كل شىء يقدم لى سواء كان أخضر أو أحمر أو أصفر.

تم كل ذلك فى ساعات قليلة. فى أول يوم فى الكلية الحربية بدأت الورشة فى صناعة الدرع دون ضياع للوقت. إعجابى بهذه الورشة ليس له حد، خاصة وقد عدت إليها فى أواسط الأربعينيات من القرن الماضى مدرسا. والحديث عنها لا ينتهى، ولكن لابد أن أتوقف عند بعض الوقفات ... فى أول رمضان بعد أن صرت طالبا فى الكلية قابلنى أحد الزملاء ونحن نعدو وقال: « أخوك فى انتظارك على السور ». وقابلته وكان

معه « لفة » وقال : « الوالدة أصرت أن ترسل لك الإفطار فى أول يوم رمضان ». وأخذت ما أعطانى وأصبحت فى ورطة، فأى نوع من المأكولات ممنوع إلا ما نأكله داخل الكلية. وأخذت طريقى إلى العنبر من طرق جانبية خوفا من ضبطى وأنا أحمل الممنوعات وألقيت بها فى دولابى. كانت خطتى دعوة زملائى فى العنبر على السحور. كان جاويش العنبر الطالب كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة بعد ذلك، وكان مشهورا « بالغلاسة ». فى السحور اعتذرنا جميعا، وبقى المدعوون فى انتظار الوليمة وقمت أنا بإحضار الأطباق من ميس الضباط وفرشنا البطاطين على الأرض. كان هناك الفراخ والحمام واللحم والمكرونة وصينية كبيرة من الكنافة، وبدأنا فى التهام الأكل. وفجأة صاح أحدهم « انتباه العنبر »، فانتفضنا واقفين انتباه .. البعض فى يده طبق ملىء بالأكل، البعض فى يده دبوس فرخة، البعض فى يده قطعة لحم. ونظر الضابط النوبتجى إلينا نظرة متوعدة وقال : « كل واحد يحمل طبقه وبه الأكل وينزل على ميس الطلبة». ومشينا فى طابور كل يحمل أكله فى صحنه والضابط وراءنا ونزلنا على السلم. ودخل الجميع إلى الميس لينالوا ما نالوه من سخرية أمام الزملاء إلا أنا .. رفضت أن أدخل بهذه الصورة المزرية وقلت للضابط : وقع أى جزاء دخلنى الزنزانة واحرمنى من الأجازة الأسبوعية، طوابير زيادة، ولكن أن أمثل أمام الزملاء هكذا فلا ». ولمحت نظرة رضاء فى عين الضابط وقال لى: «اطلع وانتظرنى على باب ميس الضباط». فهمت ما بين السطور، ودخلت على سريرى مباشرة وغطيت وجهى بالبطانية وأنا أظن أن هذا سوف يمنع الضابط من ملاحقتى. ولكن الضابط لم يلاحقنى إذ أعجب بموقف الطالب الذى سيصبح قائدا فى المستقبل، وقد قال لى ذلك حينما أصبحنا زملاء كضباط فى الجيش المصرى ونحن نستعيد ذكرياتنا الحلوة كما يحدث بين الأصدقاء.

كان مدرس الخيالة هو البطل أحمد عبد العزيز، وأتذكره وهو واقف فى « الخانة » التى نركب فيها الخيل بلباسه الكامل كأحد أبطال الإغريق. ركبت الحصان واكتشفت لأول وهلة أنه حصان شرس. وما إن بدأنا التدريبات إلا وقفز بى الحصان خارج الخانة، وأخذ يعدو إلى طريق الخليفة المأمون وأحمد عبد العزيز يصرخ « كن والحصان كتلة واحدة »، وحذرنى من الوقوع وإلا سأتحمل أشد العقاب. وقبضت على الحصان بركبتى ووجدتنى فى الشارع والحصان يعدو بى وسط المارة والعربات بمحاذاة ترام

«الوازيز » وهو الترام الأبيض الذى كان ينقل الركاب من ميدان العباسية إلى مصر الجديدة، وسمى « الوازيز » نسبة إلى الكلمة الإنجليزية « الواحات - Oases ». ووقف الحصان فجأة، ولأهدئه أعطيته بعض قطع السكر التى كنت أوفرها من نصيبى لإطعام الأحصنة. ورجعت بالحصان لأجد أحمد عبد العزيز فى انتظارى وهو فخور لأنى لم أقع... ما أصعب احتفاظ الإنسان بتوازنه وقت الأزمات حتى لا يقع، وإن حدث ووقع فعليه أن يقوم مرة أخرى ليواصل سيره إلى الهدف. وحمدت الله أننى لم أخيب أمر قائدى فلم أقع.

مدرس التاريخ العسكرى أستاذنا مصطفى يوسف - وكان من زملاء عبد الرحمن عزام وطلعت حرب وعزيز المصرى فى حروبهم فى تركيا وليبيا - كان يلقى علينا محاضرات عن مبادئ الحرب عند نابليون بونابرت، وفجأة سأله أحد الطلبة وكان معروفا عنه بعض التخلف فى الإدراك: « هوه نابليون كان بيعرف عربى ؟ » فرد عليه الأستاذ العظيم: « لا ولكن لأنك لا تعرف فرنسى فأنا أنقل إليك أفكاره باللغة التى تعرفها »، وحرمه من إجازته الأسبوعية لمدة شهر.

قلت هذا لأوضح بعض أساليب الورشة لصناعة الرجال، أقصد الدروع التى ستحافظ فى المستقبل على أمن الوطن والمواطن.

وتركنا الورشة بعد سبعة عشر شهرا فى منتصف عام ١٩٤٠ وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها، وأصبحت ضابطا برتبة الملازم ثان فى الكتيبة الرابعة المشاة وكانت فى أسوان. كانت الأسرة وقتها تمضى إجازة الصيف فى القرية، وتحركت من البلدة وجدى يصيح فى الجرن « ياولداه !!! أمين مسافر أسوان ياولاد »، وسكان البلدة متجمعون لتوديع الدرع وهو ذاهب إلى أبعد مكان يعرفونه.

وكانت محطة مصر غاصة بالمودعين من أقربائى وبلدياتى وأصدقاء والدى، وكنت بملابسى الرسمية أنتقل بين المودعين وكان البعض منهم يبكون للفراق ولأننى ذاهب إلى أسوان !!! كان ذلك فى أحد أيام يوليو ١٩٤٠. ووصلنا إلى أسوان وأصبحت قائدا لإحدى الفصائل فوق قمة الجبل المشرف على خزان أسوان، فكتيبتى مسئولة عن الدفاع عن الخزان. استقبلنى جاويش الفصيلة أبو الحسن وكانت شواربه منتصبة يحرص على دهانها « بالبوزماتيك »، وكان أنيقا بحق وكل ملابسه « مكوية بالنشاء ».

سكنى الجديد فى خيمة صغيرة وسط لهيب الجبل، وكان عفشى كله ما يقال عنه إنه «يحمل على ظهر نملة». وتقدم المراسلة العسكرى محمدى عبد الجليل يعاوننى ـ كان هناك نظام فى الجيش ألغته الثورة وهو تخصيص أحد العساكر ليكون فى خدمة الضابط، وكان هذا مهما جدا فى ذلك الوقت للظروف المعيشية القاسية التى يعيشها الضابط والجنود. فرش محمدى السرير السفرى وأحكم وضع الناموسية عليه ووضع الأرجل فى علب السردين والتونة الفارغة المملوءة بالمياه لأن المكان تكثر به العقارب والزواحف. فجأة التليفون يطلبنى، أقصد تليفون الميدان الذى يوصلنى بمركز رئاسة سريتى فى حديقة الخزان .. القائد يسألنى : « مين على التليفون ؟ » قلت : « أنا الملازم أمين حامد على هويدى قائد الفصيلة الثانية السرية الأولى الكتيبة الرابعة يا أفندم ». فرد علىَّ القائد وصوته مخمور « طظ » وضحك وتباسط معى، ثم بدأ فى إصدار التعليمات : « أنت قائد الداورية التى ستتحرك فى أول ضوء باكر للتبليغ عن أى تحركات معادية جوية أو برية تهدد الخزان »، وقفل السكة ... يا خبر أسود أصبح الموضوع جد فى جد .. داورية وعدو وتهديدات !!! من هو العدو ؟ لم يخبرنى. ما هو طريق الاقتراب ؟ التهديدات الجوية ؟ كيف أعرفها ؟ فتحت الشنطة ورجعت إلى محاضرات الكلية الحربية وقرأت كل ما ذكرته عن داوريات الاستطلاع وداوريات القتال ولكنها لم تفدنى فى الوقت الصعب الذى أنا فيه. كان الجاويش أبو الحسن يراقبنى وتقدم وقال : « بسيطة إن شاء الله ستكون الداورية جاهزة لتفتيش حضرتك وإعطاء الأوامر فى أول ضوء »، وأدى التحية وانصرف. تفتيش على ماذا ؟ أوامر عن أى شىء؟ لم تكن الصورة واضحة أمام الدرع. المسئولية أثقلت كتفى ولابد من حملها .. فبعد أن كنت مسئولا عن نفسى أصبحت مسئولا عن ٣٢ فردا هم مجموع الفصيلة. وتذكرت وأنا أدون ذلك حينما كلفت صلاح جاهين فى أواسط الستينيات بأن يمسك جماعة رسامى الكاريكاتير فى التنظيم الطليعى، إذ قال : « مش ممكن هوه أنا قادر أمسك نفسى لما أمسك جماعة » !!! وفى الصباح وجدت محمدى وقد جهز كل شىء: الحذاء ملمع وملابسى مكوية وأبريق المياه جاهز ليتولى صبه للوضوء. وخرجت لمقابلة أفراد الداورية .. فتشت وأمرت الجاويش بقيادة الجماعة إلى نقطة البداية. نزلنا الجبل إلى ميناء صغير بجوار الخزان وركبنا « اللنش » بنظام لاشك أنهم تمرنوا عليه من

قبل، وقفز أحد الجنود فى خبرة أكيدة خلف رشاش صغير مضاد للطائرات ليتصدى للطائرات المغيرة. ووصلنا إلى الشلال ورجعنا إلى قواعدنا سالمين ولم تحدث أى مواجهة. فى الميناء وجدنا الصيادين ومعهم أرزاقهم من الأسماك الحية واشتريت مقطفا كاملا من الأسماك بمبلغ خمسة قروش للفصيلة ولى. وهمس الجاويش أبو الحسن فى أذنى : « هذا كثير جدا كان يكفى قرشين صاغ » لأن السمك على الظهر ومن شدة الحرارة سيفسد. أشعلوا النار وشوينا الأسماك وهى تلعب وأكلنا « الجراية» وحمدنا الله.

بعد أسابيع وفى أغسطس ١٩٤٠ وصلنا منقباد بجوار أسيوط لتتجمع الكتيبة كوحدة واحدة ... طوابير الصباح وتمارين ضرب نار وإفطار القائد كل صباح خميس.. وهو تقليد جميل تتجمع فيه الكتيبة فى طابور الصباح والقائد راكب حصانه وبعد انتهاء الطابور يتجمع الضباط فى الميس لتناول الإفطار الفاخر لتنمية الروح الجماعية. وكل ضابط له حجرته. وكنا ندفع ١٥٠ قرشا لضابط الميس فى مقابل طعام الإفطار والغداء والعشاء. أهم حدث كان ميكنة الكتيبة تدريجيا ... كنت العضو الثالث فى لجنة بيع بغال الكتيبة فى أسيوط، وقد أحدث ذلك انقلابا فى الكتيبة فبدلا من الخيول أصبح الموجود عربات « الفارجو » والجيب واللوارى، وبدلا من مخازن العليقة والتبن أصبح هناك البنزين والزيوت، وبدلا من « السيّاس » أصبح يوجد السائقون والميكانيكية. ووصلت بعض الحمالات المدرعة وكنا نرسل بعضها إلى أسيوط لتحضر إلينا الفول والطعمية !!! سوء استخدام لعقليات ليست معتادة على ذلك، ولكن القليلين ـ وأنا واحد منهم ـ بدأوا يقرءون عن هذا التطور الخطير للجنرال فولر الإنجليزى وجوديريان الألمانى وبازل ليدلهارت الإنجليزى أيضا، وتأثير ذلك على خفة الحركة وطرق الاقتراب.

وتحركت الكتيبة بعد ذلك إلى وادى حلفا فى السودان فى أكتوبر عام ١٩٤٠ وكان الحكم الثنائى البريطانى المصرى مازال قائما ـ وهو النظام الذى زال بعد ثورة ١٩٥٢ حينما وافقت مصر على حق تقرير المصير للبلد الشقيق والذى اختار فيه الاستقلال. عدنا إلى أسوان بالقطار ثم أخذنا ٤ مراكب لنتجه جنوبا من الشلال إلى وادى حلفا فى النيل. لم يكن هناك السد العالى أو بحيرة ناصر اللتان أقامتهما الثورة ... مركب القيادة وبه الضباط ومركبان للجنود ومركب إعاشة به الأفران والدقيق والخراف

والأبقار والخضراوات. وكان المفروض أن نصل فى ثلاثة أيام وأربع ليال، وعملت حسابات الإعاشة على هذا الأساس. مركب أصيب بأحد الأعطال فقلَّت سرعة «الأرمادا» ولم تعمل القيادة حسابها فى توفير احتياط ـ الاحتياط من أهم مبادئ الحرب لاستخدامه دائما فى الظروف الحرجة، ولذلك فلا يجوز استخدامه إلا عند الضرورة وبتخطيط مسبق ومتقن. أرسلت القيادة تلغرافا إلى عمدة عنيبة لتوفير مواد الإعاشة المطلوبة وجهزها الرجل، كيف ؟ لا أدرى لأن القرية صغيرة جدا والطلبات ضخمة تكفى ١٠٠٠ رجل يأكلون الزلط. قبل وصولنا إلى وادى حلفا بليلة واحدة قام القائد بجمع الضباط وبدأ فى إلقاء تعليماته : « وادى حلفا يحكمها حاكم إنجليزى لن أزوره إلا إذا زارنى. الشارع الرئيسى الموصل من الميناء إلى إدارة ومنزل الحاكم ممنوع السير فيه Out of Bounds وهناك طرق جانبية أخرى للاستخدام العام، ولكنى قررت أن تنزل الحملة وكذلك السرايا وتسير فى هذا الشارع .. نحن ننزل وسط أهلنا وعلينا أن نراعى ذلك فى التعامل، وواجبنا هنا الدفاع عن البلدة وعن واحة سليمة ضد الطليان فهم على بعد مئات الكيلومترات من هنا »، وأخذ فى توزيع السرايا وكانت سريتى الثانية، ولحسن الحظ خارج البلدة فى منطقة « وابور الثلج ». حينما نزلنا من المراكب سرنا فى الشارع المنوع على أصوات موسيقى الكتيبة رافعين علم مصر وعلم الكتيبة، تجمع الأهالى يهتفون بحياة وادى النيل. لم يظهر الحاكم ولا جماعته وأصبح المحرم محللا بعد ذلك. كان قائد ثانى السرية الملازم أول أحمد اسماعيل على الذى قاد قواتنا المسلحة عام ١٩٧٣ فى العبور، وتزاملنا وتصادقنا منذ تلك الأيام رحمه الله، فقد كان ضابطا نادرا وكان هكذا من بدء معرفتى به وظل هكذا حتى اختاره الله إلى جواره.

منطقة وابور الثلج التى نزلنا بها كانت كالواحة الصغيرة وبها وابور الثلج وهذا فى حد ذاته نعمة من الله وسط الجو الحار والصحراء التى لا نهاية لها. وزرعنا المنطقة بكل أنواع الخضراوات لنكتفى اكتفاء ذاتيا من ناحية الأكل، وأقيم الفرن لخبز الدقيق لنأكل أفخر أنواع الخبز، ونصبنا الخيام فى نظام بديع. وأصبح المكان رائعا، وأصبح أكثر روعة حينما أقمنا سارية العلم وهو يرفرف فى البقعة الطاهرة ليل نهار. كنا نحيى العلم مرة فى الصباح ومرة عند الغروب.

قدت فصيلتى سيرا على الأقدام للمواقع التى اختيرت للدفاع على بعد ٢٠ كيلومترا من المعسكر. وبدأنا فى إعداد الموقع. قائد الكتيبة حول إعداد الموقع إلى مسابقة بين السرايا، وضغطت على الجنود لكى نفوز فى السباق. العسكرى أبو علامة كان جنديا شرسا أحمر اللون ذا أسنان ذهبية، من العساكر « الفاقدين » وهم الذين لا يحترمون القانون، ألقى « بالأزمة » معلنا سخطه وامتناعه عن العمل لأن الجو حار لا يطاق ولأنه تعب ... تمرد أبو علامة وخشيت أن يستشرى ذلك بين العساكر. ذهبت إليه وهو جالس والشرر يتطاير من عينه وقلت له : « لقد تعبت يا أبو علامة ولك حق فى الراحة وسأقوم بالعمل بدلا منك حتى تستريح ». وأمسكت « بالأزمة » وأخذت أحفر مع الباقين، والجنود ينظرون إلى قائدهم وهو يحفر معهم فى إعجاب واحترام وهم يغنون أغنية الصعيد المشهورة « سلم علىّ .. سلم علىّ». وفجأة قام أبو علامة وجذب « الأزمة » من يدى وهو يبكى وأخذ يحفر بجهد عشرة رجال ـ لابد من مشاركة القائد صغيرا أو كبيرا لرجاله فهو قائدهم وليس سيدهم ... القائد قدوة وإذا توافرت القدوة حقق الرجال المستحيل. أنهينا واجبنا وفزنا فى السباق وأخذنا طريقنا للعودة. وفى الطريق اشتريت خروفا بمبلغ ٨٠ قرشا، وذبحنا « وسلقنا » ووضعنا أكوام اللحم فوق الثريد والأرز وأكلنا وشربنا الشاى فى المعسكر وعلى ضوء القمر، ثم نمنا حتى الفجر وما بعد الفجر. ولم لا ننام ؟ فقد أدينا واجبنا، وفزنا فى السباق، وأكلنا ملء بطوننا، وأزلنا الخلافات. واجتزت واحدا من الاختبارات الصعبة فى قيادة الرجال، وعرفت وأيقنت أن القيادة فن أكثر منها علم ... العلم يصقلها ولكنه لا يصنعها.

وفى أواخر عام ١٩٤٠ وقع علىّ الاختيار لأن أحضر فرقة « هاون ٨١ ملليمترا » فى القاهرة لمدة شهرين، وفى نفس الوقت اختير أحمد إسماعيل لحضور فرقة تعليمية أخرى. وأخذ أحد الضباط يعلمنى ويدربنى على هذا المدفع حتى يكون للكتيبة فخر اجتيازى الفرقة التعليمية بامتياز. وفى ليلة السفر اتفقت مع أحمد إسماعيل أن نحضر غداءنا لرحلة السفر بالمركب إلى الشلال لأن سعر الوجبات مرتفع فى المركب وهذا خارج قدرتنا. وأخذت عربة السرية وذهبت لشراء بعض الطيور من القرية المجاورة حتى يقوم طباخ الكتيبة بإعداد اللازم ... واشتريت ما عثرت عليه، وفى رحلة العودة لم يكن فى الفضاء الشاسع إلا حمار ضال ولكنى قتلته بالعربة، وأخذ الأهالى بعد أن

رأوا ما تم وهم عن بعد فى التجمع والاحتجاج .. حكم كبيرهم بأن أدفع الدية وهى ثمن الحمار وقدرها خمسون قرشا، ودفعت المطلوب وعدت من حيث أتيت .. فكان أول ما قتلته فى حياتى العسكرية حمارا. وغادرنا وادى حلفا فى صباح اليوم التالى ولم أكن أعلم أننى لن أعود إليها، ولم أكن أعلم أن البلدة الصغيرة كانت ستغرق بعد ربع قرن.. لقد أغرقتها المياه التى تجمعت أمام السد العالى بعد بنائه، وكان هذا ضمن الاتفاق الذى تم بين مصر والسودان بعد ذلك. ولا شك أن وابور الثلج ومزرعتنا الصغيرة والطرق التى أنشأناها قد غرقت أيضا بمياه النيل المباركة لهم ولنا.

لم يبق إلا ساعات قلائل ونصل إلى الشلال وقابلتنا مشكلة .. قائد الكتيبة أعطى أحمد إسماعيل « ثوبين » حرير يابانى لتوصيلهما لعائلته. القائد يعرف أن هناك جمركا فى الشلال سيحصّل عليهما الجمارك اللازمة وترك للملازم أول أحمد إسماعيل حرية التصرف. لم يكن لدينا ما ندفعه للجمارك وفكرنا فى لف الثوبين على جسم الجنود المراسلة .. ثوب على جسم مراسلته وثوب على جسم مراسلتى محمدى عبد الجليل. وفى الصباح نفذنا خطة التهريب .. عسكريان جسمهما كالفيل ورأسهما صغير جدا وأرجلهما رفيعة جدا، وبدأ يتحركان أو يتدحرجان فى ثقل. وعلمت أن كارثة ستحدث وأن الفضيحة ستكون بجلاجل. وقلت لأحمد سأذهب إلى مكتب التلغراف فى الشلال لأخطر والدى ووالده بموعد وصولنا إلى القاهرة، واستحسن الرجل الفكرة. وبعد أن قمت باللازم وأثناء عودتى رأيت جمعا غفيرا وأحمد فى الوسط يحرك يديه ويرفع صوته وفضلت الانتظار خارج الملعب. وبدأ الجمع فى الانصراف فعرفت أن اتفاقا تم بين الأطراف المتنازعة .. ترك لهم ثوبا وعوض ما ترك بثوب كان قد أحضره لعائلته حتى يسلم ثوبى القائد إلى العائلة. أما أنا فوصلت بثوبى، ولم يخسر ثوبه إلا الملازم أول أحمد إسماعيل على الذى سألنى ونحن فى الدرجة الثانية من القطار : « هل كنت تتوقع ما حدث ولذلك فكرت فى أن تتخلص من الموقف بذهابك لإرسال التلغراف ؟ » فقلت له « نعم »، وصافحنى مهنئا بذكائى ونحن نضحك !!! ولم يكن غريبا أن أرأس جهاز المخابرات العامة بعد ذلك بأكثر من ربع قرن وتولى إسماعيل رئاسته بعدى بسنوات، ولم يكن غريبا أيضا أن أتولى وزارة الحربية ليتولاها بعدى بسنوات، ولكن السادات ولاه قيادة القوات المسلحة ليحقق العبور، وفضل السادات أن يدخلنى السجن

بتهم لم أرتكبها ... ألا ترون أن نصف جسم أصحاب القرار كالملاك ونصفه الآخر كالشيطان ؟!!

اجتزت الفرقة بنجاح وبامتياز وأصبحت أحد المتخصصين فى مدفع الهاون ٨١ مم. ونقلت إلى الجيش المرابط وكان يطلق عليه جيش « الصنادل » - وصاحب فكرته هو عبد الرحمن عزام باشا الذى أصبح قائده ثم تولى بعد ذلك الأمانة العامة للجامعة العربية - وبذلك ضاع تخصصى على الجيش وعلى البلد. وللحقيقة فإن هذا تم بفعل فاعل، والفاعل كان الواسطة، ومن له واسطة لا يعود إلى وادى حلفا مرة أخرى حتى ولو تخصص فى مدفع الهاون ٨١ مم !!! ... كانت الفكرة مبتكرة بالنسبة لنا فى مصر، وواجبه كان حماية المنشآت العامة ورفع أنقاض المبانى التى تهدمها غارات الطائرات الألمانية والإيطالية. وقد أنشئ الحرس الوطنى بعد ذلك قبل حرب ١٩٥٦ ثم الجيش الشعبى بعد حرب ١٩٦٧ بنفس الفكرة ولكن بتكاليف أكبر. للتوفير رأى الباشا أن يكون الصندل بديلا للحذاء صيفا وشتاء، ورأى أن يكون راتب الجندى ٣٠ قرشا بدلا من ٥٤ قرشا كان ينالها مجند الجيش العامل، كما رأى أن تكون الخيام هى مسكن الوحدة بدلا من مبانى الثكنات. وبالرغم من أن المنظر العام للوحدات المرابطة كان غير لائق إلا أنها أدت خدمات فى رفع الأنقاض وحراسة المنشآت لا تقدر بثمن. أذكر حكاية اشتركت فيها .. كان هناك نظام « البدلية »، فمن كان قادرا على دفع ٢٠ جنيها يعافى من الخدمة العسكرية، بمعنى أن الذين لا يملكون يدافعون عن الذين يملكون. وبالرغم من ذلك كان توفير مبلغ « البدلية » خارج إمكانيات الكثيرين. فى معسكر القوات المرابطة بالعباسية فى منطقة الخفير كنت ضابطا نوبتجيا وعلمت أن صفقة ستعقد باسم القائد - وكان حوتا كبيرا لا رحمة ولا وطنية عنده - لتسلم رشوة لإعفاء أحد الجنود الذين أصابهم التجنيد. وكانت الجريمة ستتم فى إحدى الخيام ليلا، واصطحبت معى شاهدين واختبأت خلف الخيمة حتى أسمع .. كان والد الجندى يقول: « يا جماعة أنا بعت البقرة ملكى بمبلغ ١٠ جنيه خذوها واعفوا الولد »، وكان الوسيط يتمسك بمبلغ ١٢ جنيها. وقبضت على الراشى والمرتشى وأودعتهما سجن المعسكر، وقدمت تقريرى إلى القائد الحوت فى اليوم التالى، إلا أنه نصحنى بأن أغض الطرف عن الموضوع فأبيت بكل إباء وشمم. بعد يومين اثنين نقلت إلى معسكر الجيش المرابط بقويسنا - بلدتى - وسوى الموضوع بطريقة غامضة. فالفساد شجرة كبيرة لها جذورها

الصغيرة وفروعها الكبيرة وقمتها العالية، ولذلك فإنى أرى أن تبدأ إزالة الفساد من أعلى إلى أسفل وليس من أسفل إلى أعلى كما يظن البعض، بالرغم من أن الوصول إلى الأعلى صعب فى أغلب الأحيان وليس فى كل الأحيان. على أى حال فقد قامت الثورة فى سبيل أحد مبادئها بإقامة جيش وطنى بإلغاء نظام المراسلات وإلغاء نظام «البدلية »، وأصبح التجنيد إجباريا يؤديه الجميع الأغنياء إلى جانب الفقراء.

وبعد ثلاث سنوات تسكعت فيها بين معسكرات الجيش المرابط عدت مرة أخرى إلى الكتيبة الرابعة المشاة وكانت فى ثكنات معسكر الهايكستيب، ثم اخترت للخدمة فى رئاسة لواء التدريب لأكون ضابط ضرب نار اللواء. فكرة عظيمة .. الكتائب الثلاث فى اللواء تتفرغ تماما لإجراء التدريب الانفرادى والتدريب المشترك بعد ذلك ثم نقوم بضرب النار على كل أسلحة الكتيبة. كان القائد هو اللواء طه محمد، يفرط فى الشراب ولكنه ذكى، ويعاونه البكباشى (المقدم) أحمد عبد البارى واليوزباشى (النقيب) على عامر، وكلاهما ضابطا أركان حرب. وصدرت الأوامر للملازم أول الجديد لكتابة تعليمات ضرب النار للتصديق عليها من القائد. مررت على كل الخبراء فى مدرسة الأسلحة الصغيرة ومدرسة ضباط الصف ثم ضباط إدارة التدريب فى رئاسة الجيش، وأعددت تعليمات قال عنها اليوزباشى على عامر (الذى أصبح الفريق على عامر رئيس أركان حرب الجيش) إنها تعليمات عظيمة، وأضاف كلمة « جدا » وهو يداعب شاربه الأنيق. وعلمنى الرجل أن أكتب مذكراتى دائما بالقلم الرصاص حتى يسهل تصحيحها بعد ذلك باستخدام الأستيكة أو المحاة. أمرنى اليوزباشى أن أقدم التعليمات بنفسى إلى قائد اللواء حتى أنال تقديره، وفعلت وتركت أوراقى بين يديه وخرجت والسعادة تغمرنى، فهذه أول مذكراتى النافعة التى أتمها وأنا فى أول خدمتى بالرئاسات. تنوع متجدد فى الخدمة .. فمن ضابط فصيلة يشترك فى الدفاع عن خزان أسوان فى قمة الجبل المشرف عليه يقوم بداوريات بين الخزان والشلال، إلى ضابط يدافع عن وادى حلفا وواحة سليمة فى السودان، إلى ضابط فى الجيش المرابط ثم إلى ضابط نار لواء تدريب !!! الدرع الذى صنعته ورشة الكلية الحربية بشارع الخليفة المأمون بكوبرى القبة يزداد صلابة وخبرة !! هكذا كنت أفكر وأنا جالس أمام مكتبى المجاور لمكتب اليوزباشى عامر وفى نفس الحجرة، وفجأة نادى أحد الجنود « الضابط أمين يتفضل لمقابلة السيد اللواء ». وانتفضت واقفا ولبست البريه ـ الذى حل محل الطربوش أثناء

العمل اليومى ـ وأصلحت من هندامى واليوزباشى ينظر إلىَّ بابتسامته الهادئة المشجعة. ودخلت مكتب اللواء وأديت التحية ووقفت انتباه، وهنا صرخ اللواء فى وجهى: «ايه الزفت اللى عملته ده ؟» وألقى بالزفت على طول ذراعه وتبعثرت الأوراق فى المكان !!! وأخذ يصرخ وقد فقد السيطرة على أعصابه ... يبدو أنه أفرط فى الشراب من الزجاجة التى كان يخبئها فى الدرج الأيمن لمكتبه. وأخيرا قال: «اجمع الأوراق من على الأرض»، ولكنى لم أحن رأسى أبدا له ولا لغيره فى المستقبل ولم أرد ... كان الدرع يقف انتباه فلم يعتد أن يلم شيئا من على الأرض !!! وأخذ الرجل يصرخ فدخل البكباشى واليوزباشى لإصلاح ذات البين. وحاول على عامر أن يجمع الأوراق المبعثرة إلا أن اللواء أصر على أن أقوم أنا بذلك، فقلت له : « أنا سلمت سعادتك الأوراق فى يدك وسأتسلمها من يدك »، وأديت التحية وغادرت. ولا أدرى كيف سوى الموقف إلا أننى رأيت مذكراتى مع اليوزباشى على عامر يضعها فى حقيبته الصغيرة التى كانت تملأ بالأوراق دائما وهو يصطحبها إلى المنزل. فى الصباح أرانى المذكرة وكان بها محو سطور بالأستيكة وإعادة كتابتها كما هى بخطه، وابتسم ودخل إلى القائد وسلمها، وبعد نصف ساعة دخل أحد الجنود وسلمها لعلى عامر ومكتوب عليها بخط اللواء « تعليمات ممتازة وتوزع ». واصطحبنى على عامر ودخلنا إلى اللواء الذى تجهم حين رآنى، وقال له على عامر : « يا أفندم هذا كلام أمين هويدى بالضبط إذ كل ما فعلته هو شطب بعض أسطر مما كتبه بخطه وأعدت كتابته بخطى »، فانفجر الرجل ضاحكا وطيب خاطرى ـ ضابط أقدم يرعى خطوات ضابط صغير يحاول شق طريقه !!! قال لى الرجل : « أنا أريد أن تقرأ كتاب « *كيف استعدت روسيا للحرب* »، وسأناقشك فيه بعد أسبوع ». وأخذت أبحث عنه فى المكتبات الصغيرة المنتشرة فى شارع عماد الدين وعلى سور الأزبكية، ووجدته وكان ثمنه ٨ قروش ولكن المستعمل بمبلغ ٤ قروش، وطبعا اشتريت المستعمل وكان إصدار دار نشر « بنجوين » التى كانت ومازالت تنشر كثيرا من الكتب المهمة. كان القاموس بجوارى وأنا أقرأ الكتاب الممتع، وكان اليوزباشى على عامر فى مخيلتى وأنا ألخص ما أتحصل عليه من أفكار. وتناقشنا وكانت تجربة مفيدة أرضته وجعلتنى أداوم على القراءة طول حياتى حتى الآن. هوايتى القراءة كثيرا جدا والكتابة قليلا جدا، فالذى يحترم القارئ يفعل ذلك. وحتى وقت قصير جدا كانت هوايتى إذا زرت لندن أن أصطحب معى كرسيا صغيرا وشنطة بها ترموس للشاى

وأخر للماء وأذهب إلى المكتبات خاصة « فويلز » لأمضى فيها أسعد أوقاتى وأنفق ما فى جيبى من نقود، ولذلك فإن السيدة حرمى كانت تخصم كثيرا مما معنا لتبددها فى شراء حاجات وملابس الأولاد والأحفاد وكانت تنسى نفسها. فهذه عادتها المستمرة من يوم زواجنا، وأظنها السيدة الوحيدة التى تفعل ذلك.

وحدثت نقلة كبرى فى حياتى فى الفترة من أغسطس ١٩٤٣ حتى أغسطس ١٩٤٥ حينما نقلت لأعمل مدرسا فى مدرسة ضباط الصف بجوار تباب النهدين فى طريق السويس الصحراوى !!! كان قائد لواء التدريب حينما يطلع على استعجال من رئاسة التدريب تطالبه فيه بتنفيذ أمر نقلى يوقع بالآتى « يؤجل لأنه لا يمكن الاستغناء عنه حاليا ». طبعا كنت أسعد بأننى أصبحت ضابطا « لا يمكن الاستغناء عنه » فى اللواء الوحيد للتدريب فى الجيش، ولكنى كنت أتطلع إلى مدرسة ضباط الصف لأن هؤلاء هم عماد القوات المسلحة - ضابط الصف هو العمود الفقرى للوحدة ومعه الضباط الأصاغر، ولذلك كان ديفيد بن جوريون على حق حينما ذكر بعد سنوات « أن أخطر منصب فى إسرائيل هو الضابط الصغير لأن أمن إسرائيل يتوقف عليه ». فمدرسة ضباط الصف ورشة مهمة تصنع فيها الدعامات الفولانية، والكلية الحربية ورشة تتخصص فى صناعة الدروع .. والدعامات تربط وتقوى والدروع تحمى وتصد. والدعامة والدرع يبنى عليهما البناء القوى الشامخ .. فهما يشكلان الأساس المتين بدونهما يكون البناء على رمال. وصممت على إقناع اللواء لإطلاق سراحى. عرفت أنه من سكان حى السيدة زينب قريب من حى الحلمية الذى كنت أسكن فيه مع العائلة، وأنه يجلس فى وقت فراغه فى مقهى كبير كان بجوار الضريح، فذهبت إلى المقهى وجلست فى انتظاره. وبعد فترة وصل اللواء واستقبل استقبالا حافلا من الجرسونات وأحضروا الشيشة والشاى الأخضر وجلس الرجل منتفشا كالطاووس، وفجأة أحضر لى الجرسون كوبا من التمر هندى المثلج وذكر أن الباشا أمر بذلك ... إذن كان الرجل قد لمحنى وكان علىّ أن أقوم لأشكره. حييته وجلست فى الكرسى البعيد احتراما، وتساءل: « هل تعتاد الجلوس على هذا المقهى ؟ إنه أفضل مكان فى القاهرة ». فأجبت بالنفى .. « إذن لماذا حضرت ؟ » قلت: « لأقابلك » .. رد باندهاش: « أنت تقابلنى يوميا فى رئاسة اللواء ». وقلت مترددا: « طه باشا محمد فى رئاسة اللواء غيره فى مقهى السيدة زينب، فهو يوافق هنا على ما يرفضه هناك ». فقال وهو يقهقه : « موافق وقدم

نفسك باكر إلى مدرسة ضباط الصف، وسأوصى عليك القائمقام عبد الله بك الدسوقى فأنت ذو مستقبل مهم فى الجيش ». فى هذه المقابلة علمت بأن ما لا يمكن الحصول عليه على مائدة المفاوضات يمكن الحصول عليه على مائدة الطعام، وما يتعذر حله فى المكاتب يمكن حله فى المنازل، وما يصعب تحقيقه رسميا يمكن التحايل للحصول عليه فى الأبواب الخلفية، وأن المحاولات المكشوفة العلنية لابد أن تصحبها محاولات سرية، وأن ما يجرى على سطح المائدة أقل كثيرا مما يجرى تحتها.

فى تلك الفترة حدثت أمور مهمة أحكى بعضها. القائمقام عبد الله بك الدسوقى كان يسكن فى حى كوبرى القبة الذى انتقلنا إليه بعد ذلك ليكون صديقا لوالدى رحمهما الله، وكان أبا رحيما حتى حينما كان يشتد وقائدا عطوفا حتى عندما كان يقسو، وكان وهو يتعامل مع أعضاء البعثة العسكرية حذرا يتفادى إغضابهم .. كان الأعضاء الثلاثة: الكولونيل بول والميجور ليتش والجاويش ماكدونالد، تنحصر مسئولياتهم فى مدرسة ضباط الصف بأن يشرفوا ظاهريا على تدريبنا ويراقبوا ما يحدث فى حقيقة الأمر بحكم معاهدة ١٩٣٦ التى وقعت بين مصر وبريطانيا العظمى - وهى المعاهدة التى كان يطلق عليها مصطفى النحاس باشا « معاهدة الشرف »، والتى ألغاها بعد ذلك: «فمن أجل مصر وقعتها ومن أجل مصر ألغيها» .. كان التوقيع ١٩٣٦ وكان الإلغاء عام ١٩٥١ لأن المعاهدات قصاصات ورق تعبر عن توازن قوى الموقعين عليها، وحينما ينقضى الغرض منها يمزقها الذى يملك الإرادة. كان كل ضابط يدرب فصيلة فى كل المواضيع: تكتيك، طبوغرافيا، مهارة ميدان، تاريخ عسكرى .. والتنافس بيننا شديد للغاية. كان جاويش فصيلتى الجاويش نظيم شعراوى الذى أصبح ممثلا عظيما بعد ذلك، وكان باشجاويش السرية السيد عبد الودود الذى أصبح بعد ذلك أستاذا فى كلية الحقوق بعد حصوله على شهادة الدكتوراة؛ إذ كانا يواصلان تعليمهما وهما متطوعان فى الجيش وبمساعدة كاملة من المدرسة وضباطها. فى تلك الفترة حضرت فرقتين تعليميتين فى الجيش البريطانى فى فلسطين : الفرقة الأولى من ١٩٤٣/١٢/١ إلى ١٩٤٤/١/١٥ فى دير سنيد - والتى حاربنا فيها بقيادة القائمقام الرحمانى فى حرب ١٩٤٨ - وحضرتها وحدى، وكانت للتدريب على مدفع البيات PIAT المضاد للدبابات وكان لا يزال تحت التجربة والذى خلع كتفى عند إطلاقى الطلقة الأولى منه، وكذلك على

المهارة فى الميدان Field Craft لدراسة التسلل، الضرب مع الحركة، الالتفاف، تشكيلات الجماعة والفصيلة. والفرقة الثانية من ١٩٤٥/٨/٢١ إلى ١٩٤٥/٩/٢٠ وعقدت فى عكا.. حضرتها مع بعض الزملاء الآخرين بقيادة القائمقام إبراهيم زكى الأرناؤوطى لنعود بعدها لإنشاء مدرسة المشاة بجوار مدرسة ضباط الصف فى ألماظة، ودرسنا فيها كل ما يخص الفصيلة والسرية. وقد بدئ فى إنشاء المدرسة فى ١٩٤٥/٩/٢١ أى فى اليوم التالى لعودتنا من فلسطين وكنت أحد مؤسسيها.

كنا نسافر إلى فلسطين تحت الانتداب البريطانى بالقطار من محطة مصر إلى العريش حيث نغير القطار لاختلاف سعة قضبان القطارات بين مصر وفلسطين حتى ينمو الانفصال ـ الخطة مبيتة وتنفذ على خطوات ولكن لم نكن ندركها لضعف توجهاتنا السياسية، وهذا ما يفعلونه الآن .. فالتاريخ يجب أن ينسى حتى تتغير الجغرافيا. وبالرغم من أننا كنا ندرس حملات الجنرال اللنبى فى فلسطين وندرس معارك غزة وحيفا والقدس إلا أن الموضوعات الجيوسياسية كانت مناطق محرمة، ولعل هذا أحد الأسباب التى جعلتنى أهتم مبكرا بدراسة الاستراتيجية والاستراتيجية العليا، فالتكتيك يكسب أو يخسر معركة بينما الاستراتيجية تكسب أو تخسر حربا.

أثناء زيارتى القدس فى أعياد رأس السنة لم يكن هناك مكان خال أمضى فيه الليل، ووجدت مكانا فى « بنسيون » صاحبته يهودية ونمت فى الصالة على الأرض نظير مبلغ ضخم. وزرت يافا للتعرف على أحد بلدياتى من بجيرم مركز قويسنا ـ وهو ابن شيخ الكتّاب الذى كنت أتعلم فيه فى الإجازة الصيفية ـ وكان الولد قد أصبح غنيا بعد فقر وصاحب شركة أوتوبيسات لنقل الركاب، وهى « شركة نصار »، كانت تنافسها شركة يهودية. ولكن بلدياتى كان متغيبا عن يافا لسوء الحظ. بعد رجوعى من الفرقة التعليمية وكنت قائما بإلقاء أحد الدروس العلمية، لفت الجاويش مكدونالد نظرى إلى أن ما ألقيه خطأ فى خطأ، وطردت الجاويش من الطابور وسط إعجاب الطلبة. وبعد انتهاء الطابور استدعانى القائد ووجدت بجواره مسدسا محشوا بالرصاص. وأمسك القائد بالمسدس ووضعه على صدغه وصرخ فى وجهى: « تطرد جاويش البعثة من الطابور !! والله سأنتحر .. أعمل فى طيشكم إيه ؟! » ولم أكن أقدر نتائج ما فعلته. وفى دعوة عشاء منى للميجور ليتش والجاويش مكدونالد فى كازينو « المركب » SHIP بستانلى

بالاسكندرية صفيت الموضوع. أما فى الزيارة الثانية للقدس بعد شهور ـ وكنت بين زملاء آخرين كما ذكرت ـ كان معنا فى الدراسة ضباط من اللواء الهاشمى الأردنى، وكذلك ضباط يهود من الهاجاناه ووحدتهم كانت تعسكر فى منطقة الهرم بالجيزة !!! كانوا يتدربون معنا لقتلنا بعد ذلك عن سبق الإصرار ولكنا لم نكن ندرك ... كنا نائمين، لا أقصد أنتم وأنا، ولكنى أقصد دولنا وإداراتنا ومملكاتنا .. كنا نياما نرتع فى الجهل والفقر والمرض، وكانوا يعملون بكل الوسائل للحصول على الدولة وحصلوا عليها وأدعو الله أن يكون ذلك إلى حين ... ويا كتاب التاريخ لا تكتبوه من الشمال إلى اليمين ولا تكتبوا سطرا وتتركوا عشرة .. يعنى لا تسيسوا التاريخ رجاء من أجل أولادكم وأحفادكم وقبل ذلك من أجل مصر.

ومدرسة المشاة خلقت كبيرة وعظيمة فى مواضيع دراستها وأساليب التعليم التى اتبعتها. ولا يمكن أن أنسى أفكار الكولونيل بول وهو أعظم من قابلتهم فى المعرفة بالتكتيكات الصغرى .. كان عاشقا لتخت الرمل فى الداخل مع استخدام الدبابيس الملونة واللعب الهيكلية ثم تطبيق ذلك على الأرض ليلا ونهارا. كان الرجل نصف مجنون.. تسير معه دون توقع أى خيانة منه، وفجأة ينبطح أرضا فتنبطح معه بسرعة وهو يصيح : « فتحت النيران من هذا الاتجاه .. بصفتك قائد الفصيلة أو قائد السرية ماهى إجراءاتك ؟ » وعلى الضابط الذى وقع عليه الاختيار أن يتصرف فى ثوان حتى يَقتل قبل أن يُقتل ». كان رائعا بالرغم من أنه كان بريطانيا. حاولنا إصدار ذلك فى كتاب للتدريب فصودر الكتاب ولم ير النور، ويبدو أننا نتوارث هذه العادة السيئة حتى الآن لتغرق الحقيقة فى القاع !!! أذكر أن الجاويش نظيم شعراوى كان يراقبنى وأنا ألقى أحد دروس المهارة فى الميدان، ولكنه وبكل أدب همس فى أذنى : « إن ما تقوله تعدل أخيرا فى أحد منشورات التدريب ». وبعد أن تأكدت من ذلك صرحت به أمام الطلبة وبأن نظيم هو الذى لفت نظرى إليه .يعنى كان « شاهدا شايف كل حاجة » وليس الشاهد عادل أمام الذى كان يحاكمه فى مسرحية « شاهد ما شفش حاجة ».

فى مدرسة المشاة انضم إلينا فى أحد الأيام الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف بعد التصرف فى حادث اشتراكه مع الطيار حسين ذو الفقار فى تهريب عزيز باشا المصرى، وكنا نشاهده وهو مقبل على دراسة تكتيكات المشاة. كان يعمل طوال خدمته

السابقة فى السماء وأصبح يتعامل الآن مع الأرض بالرغم من أن الغرض واحد : وهو التدمير والقتل، سواء كان ذلك لتحقيق العدالة أو فرض الظلم. وكنت أشاهده وقد حضر مبكرا ليجلس أمام إحدى تخت الرمل ويشكل موقفا يعمل على التعامل معه، وهو مستغرق تماما واضعا رأسه بين يديه لدرجة أنه لا يحس بحضور أحد. تصادقنا وتزاورنا؛ إذ كان يقطن فى جنينة ياميش وأنا فى شارع إلهامى بالحلمية الجديدة. وكان يجلس مع والدى بالساعات وأحبه الرجل الطيب. وكنت أتردد على جمعية الإخوان المسلمين فى ميدان الحلمية وعلى دار حزب مصر الفتاة فى نهاية شارع إلهامى، ولكنه كان يرفض الذهاب إلى المكانين، كما كان يرفض التحدث فى حادث تهريب عزيز باشا .. بل لا أبالغ حينما أقول إنه كان يرفض الحديث فى السياسة .. بل حينما كنا ننظم مع بعض الزملاء مقاطعة لأعضاء البعثة البريطانية لموقف سياسى معين كنا نعطيهم ظهورنا عندما يحضرون أو نمتنع عن الرد عليهم، لم يكن عبد المنعم يشارك فى ذلك ... كان يميل إلى الصمت ويشترك فى الحديث ربما بابتسامة أو ضحكة عالية. وحينما نقلت إلى سلاح الحدود فى منتصف يونيو ١٩٤٧ قل اتصالنا وندرت زياراتنا المتبادلة، ربما حتى أوائل عام ١٩٥١ لسفرياتى المتعددة فى هذا الجهاز الخطير. وهو جهاز خطير فعلا، كان نائب مديره والقائد الفعلى له الأميرألاى حسين سرى عامر - وهو بلدياتى - وكان الرجل القوى فى السلاح لاتصالاته - كما كنا نسمع - برجال السراى، موكل إليه حراسة حدود مصر وهى طويلة ومتنوعة، يتعامل مع قضايا التهريب من سلاح إلى مخدرات إلى تموين إلى أفراد. وكان الجهاز بحق دولة داخل الدولة .. فكانت هناك مناطق مثل سيناء أو البحر الأحمر أو الصحراء الغربية لا يمكن دخولها إلا بتصريح من مسئولى الحدود، وكان لأفراده الحق فى الضبط والحبس والمحاكمة دون استئناف أو تدخل من القضاء العادى. وكان ينقسم إلى قسمين : الإدارة المدنية، ويتبعها مأمورو المناطق والحاكم الإدارى والمحافظون؛ والإدارة العسكرية، ووحداتها متحركة وسائلها الجمال أى الهجانة أو العربات أى وحدات السيارات - وقد خدمت فى كلتيهما. وليس معقولا أن أتحدث عن كل ما قابلته من أحداث فى الفترة من ١٩٤٧/٦/١٨ يوم التحاقى به حتى نقلى إلى الكلية الحربية فى ١٩٤٩/١٠/٧ للعمل كمدرس بها، ولكن سأتوقف عند بعضها والتى تساعد على تصور الحال فى ذلك الوقت، خاصة أننى خدمت فى كل من الإدارتين المدنية والعسكرية سواء

فى الجبل الأصفر أو طريق السويس أو طريق الاسكندرية، أو مأمورا للشط فى البر الشرقى للقناة أمام بور توفيق، أو مأمورا لعتاقة، أو كقائد للبوليس الحربى فى رئاسة الحدود بكوبرى القبة .. خبرات متنوعة تضاف إلى خبرات الدرع السابقة؛ إذ قمت أثناءها بداوريات انتهت بصدامات مع جيش الاحتلال البريطانى، وبداوريات ضبطت فيها أطنانا من الحشيش والأفيون، وبأخرى لحراسة خطوط المواصلات فى مناطقنا الصحراوية الشاسعة، بل ورأست محاكم تفصل فى مصير البشر سواء عن علم أو جهالة حينما كنت حاكما بأمرى فى بعض المناطق وبحكم القانون السائد.

نصت المعاهدة المصرية البريطانية لعام ١٩٣٦ على عدم تجاوز تحركات وحدات القاعدة البريطانية فى القناة خطا وهميا فى الصحراء يمر بنقطة الكيلو ٩٩ طريق السويس، وهو أحد الطرق التى نصت المعاهدة على إنشائه. ووضع البوليس الحربى البريطانى نقطة عند الكيلو المذكور مقامة بالأخشاب وبها أثاث مريح وتليفون ومزودة بالكهرباء للإقامة المريحة للأفراد، وأقام سلاح الحدود المصرى إلى جوار ذلك نقطة تفتيش فى خيمة صغيرة تنار بالفوانيس ليلا وليس بها أى نوع من الراحة للضابط وجنوده. وكانت رئاسة السلاح تعين داورية بقيادة ضابط لإشغال نقطة التفتيش لمدة أسبوع بالدور. وعينت قائدا للداورية فى أواخر سبتمبر ١٩٤٧ وكانت القوات البريطانية لا تحترم قواعد المرور، وتصديت لها. وكتبت جريدة أخبار اليوم فى ١٩٤٧/٩/٢٧ عن أحد هذه الصدامات تحت عنوان كبير «الجنود الإنجليز يتحدون أوامر الجيش المصرى و يعتذرون - ثلاث حوادث فى أسبوع واحد ». وبعد أن وصفت « أخبار اليوم » الحوادث بطريقة مثيرة ملتهبة ذكرت « عند وقوع الحادث ذهب الملازم أول أمين هويدى إلى نقطة البوليس الحربى البريطانى ليقابل الضابط المختص فلم يجده فترك له خطابا قويا استنكر فيه هذا الاعتداء، وأفهمه صراحة أنه ليس من حقه إعطاء تصاريح المرور لأن هذا من حق الحكومة المصرية وحدها. ورأى الجنود الإنجليز العيون الحمراء فأسرع قائدهم وكتب إلى القائد المصرى يعتذر ويقول بالحرف الواحد : إنى أعتذر لخطئى وأؤكد لكم أنه لن يتكرر ». وتحدثت « أخبار اليوم » بعد ذلك عن حوادث أخرى قمت فيها بالتصدى للعدوان البريطانى، وانتهى الأمر بحضور الميجور أوليفر لخيمتى للاعتذار، واعدا بأن الكولونيل ليتلبوى قائد البوليس الحربى للقاعدة سوف يحضر

بنفسه للاعتذار. كان الصحفى محمد البيلى سكرتير تحرير القسم الشرقى « بأخبار اليوم » هو الذى انتقل إلى الكيلو ٩٩ ليستطلع الخبر ثم يكتبه بعد ذلك فى جريدته، وقد عمل البيلى معى بعد ذلك حينما كنت وزيرا للإرشاد القومى سكرتيرا للتحرير فى وكالة أنباء الشرق الأوسط.

وعلى نفس الطريق، ولكن من نقطة سلاح الحدود فى الكيلو ١١٠ وهى نقطة صغيرة مبنية بالطوب والأسمنت، وأمام المعسكرات الهائلة للجيش البريطانى - وكنت وقتئذ مأمورا لمركز عتاقة فى مكان وسط بين ميناءى السويس والأدبية - وصلتنى إشارة تليفونية بعد منتصف ليلة ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ بأن وحدة بريطانية أطلقت النيران على النقطة وحاصرتها وأن القوة مازالت موجودة تمنع الدخول أو الخروج. كان عدد الجنود فى المركز لا يتجاوز عشرة أفراد، مسلحين ببنادق من أيام الحرب العالمية الأولى ومعنا عربة بيك أب. واصطحبت معى بعض الأفراد ومررت على الصاغ محمد صالح الغيطانى قائد وحدات المدفعية فى المنطقة وطلبت منه أن يلحق بى على رأس قوة لمواجهة الموقف، فوافق الرجل الشجاع دون تردد - دون انتظار موافقة رئاسته - وقد عينته بعد أن صرت وزيرا للحربية بعد نكسة ١٩٦٧ قائدا للخزائن المتحركة لصرف استحقاقات بعض جنود الوحدات حينما تيقن لى أنهم لم يصرفوا مرتباتهم لأشهر طويلة. وتوجهت إلى الموقع ووجدت أن مئات الطلقات أطلقت على المبنى وأن وحدة بقيادة ميجور إنجليزى تحاصرها، وقد رفض أن يتباحث معى على أى صورة، كما وجدت أحد اللوارى محملا بصناديق الذخيرة وهو « غارز » على مطلع الطريق. وتبينت الموقف فى الحال، فهى إحدى المحاولات من جانبنا للاستيلاء على الذخيرة من الجيش البريطانى لإمداد قواتنا التى تحارب فى فلسطين. ووقفت بعربتى على جانب الطريق والجو بارد كالثلج، وإذا ببعض الزلط يضرب باب العربة وتكرر ذلك، ففتحت الباب فدلف شخص يغطى رأسه بطاقية ويلبس سترة ثقيلة، ولما تبينت وجهه وجدته الضابط مجدى حسنين زميلى فى الدراسة فى شبين الكوم الثانوية وأحد ضباط سلاح خدمة الجيش - وصانع مديرية التحرير بعد ذلك - وتعانقنا وسألته وأجاب بأنه كان يحاول الاستيلاء على الذخيرة وقام بقطع الأسلاك باتفاق سابق مع قائد الحرس إلا أن الأنوار الكاشفة كشفت اللوارى، وفى أثناء الهروب السريع غرزت العجلات فى الرمال وتفرق

رجاله فى الصحراء. كان اللورى برقم ٩٩٣٩ جيش مصرى ومغطى ببطاطين قصيرة. وفجأة وصل الكولونيل ليتلبوى صديقنا من الحادث الماضى - وقد كنت قد وطدت صداقتى معه منذ ذلك الوقت بالهدايا الكثيرة لأنه كان يحب الشراب - وشرحت وتظاهر بأنه فهم ما قلت، واتفقنا على أن نقود اللوارى إلى مركز عتاقة ليتسلم ذخيرتهم ويتركوا لنا عربتنا اللورى ونكتب محضرا بأن اللورى ٩٩٣٩ لورى مسروق من الجيش المصرى. لا أدرى كيف تعاون الرجل معنا بهذه السرعة إلا أننا ووجهنا جميعا بموقف مفاجئ ... وصل الصاغ محمد صالح الغيطانى بعربات ثلاث محملة بالجنود وأمرهم بالنزول، ثم صاح « واقفا عمّر » .. كان عشرات الجنود قد أحاطوا بنا جميعا والأسلحة فى الأكتاف والخزائن معمرة. وتدخلت لتهدئة الموقف ووصلنا إلى اتفاق على أساس الإرادات الناقصة : « تنسحب القوة البريطانية فى عرباتها .. يتحرك اللورى مع عربتى ومعى مجدى حسنين والكولونيل ليتلبوى فى اتجاه مركز عتاقة حيث يجمع جنوده ويعود إلى وحدته ». وتم تنفيذ الاتفاق وأخذ الرجال يفرغون اللورى من صناديق الذخيرة ونحن ومعنا « ليتلبوى » فى مكتبى. وفجأة دخل علينا أحد الجنود وفى يده «قروانة » بها شوربة عدس مرسلة لنا من الصاغ الغيطانى ... ضحكنا وشربنا واتفقنا، وانصرف كل إلى حال سبيله وبقى معى مجدى لينام حتى الصباح.

تحدث الأميرألاى حسين سرى عامر فى صباح ١٩٤٧/٩/٢٠ وقال : « اعمل محضرا بشهود أن اللورى اللعين سُرق من الجيش المصرى، واكتب أننا بلغنا كل الجهات المسئولة بما فيها القيادة البريطانية بذلك، وأثبت الاتفاقيات التى قمت بها وقابلنى فى المكتب الساعة الواحدة ظهرا .. وإياك من التأخير ». وقلت حاضر يا أفندم، وأديت التحية حتى وهو على بعد ١٠٠ كم منى. ووصلت فى الموعد، وأمرنى بأن أذهب لمقابلة وزير الحربية محمود سيف النصر باشا ثم وزير الخارجية أحمد باشا خشبة، وقابلتهما لأطلعهما على المحضر المزور. قال لى خشبة باشا بعد أن انتهيت من قصتى : « يا ابنى فيه ميناء اسمه «مرى كيب» Merry Cape أى الميناء السعيد. تعرف تلتقط له صور علشان نعرفه ». وأخرج نقودا من جيبه لأشترى كاميرا كوداك. واعتذرت فأنا عندى كاميرا وأذهب إلى الميناء فى أى وقت أشاء، ووعدته بتنفيذ المطلوب ... الذى كان يتحدث هو وزير خارجية مصر، والميناء الذى يتحدث عنه ميناء مصرى لكنه داخل

القاعدة البريطانية !!! يعنى البلاد كانت مقسمة : قطعة مع الإنجليز وقطعة مع شركة القناة والباقى مع ملك يسمى نفسه « ملك مصر والسودان » وهو اسم على غير مسمى. المحضر الذى أقدمه مزور، والحاكم اسمه مزور، وخريطة مصر الحقيقية غير مرسومة لأنها مزورة ... هذا ما كنا نعيش فيه !!!

قصة أخرى وأعد أن تكون الأخيرة. أحد نواب المجلس النيابى من عائلة مشهورة فى بورسعيد كان يعمل مقاول أنفار مع سلطات الاحتلال، رفض أن يحصل على تصريح بدخول عماله إلى ميناء الأدبية فى أواخر عام ١٩٤٨ وأبلغ السلطات البريطانية أننى أتعمد تأخير قيامه بواجبه لخدمة السلطات البريطانية، واتصل بى تليفونيا: «عمالى يمرون دون تصريح، وسأتصل بحسين سرى عامر لنقلك وإن لم ينفذ ذلك فسأتصل بالوزير ». كان يتحدث من ميناء الأدبية وأدخل عماله عن طريق البحر، فأصدرت تعليماتى بالقبض عليه لأن مجلس النواب كان فى إجازته السنوية، وحين عودته بعربته لاحظ ذلك فتخطى النقطة مصطدما بالبراميل. وسافر إلى القاهرة معلنا أمام الجميع فى فندق « البل إير » أن ينتظروا قرار نقلى بالتليفون. ذهب النائب المحترم لمقابلة الأميرألاى حسين سرى عامر - وكنت قد اتصلت به وأفهمته الموضوع - فرفض مقابلته واتصل بى ليخبرنى بذلك، ويخبرنى أيضا بأن أؤجل تنفيذ نقلى لقيادة البوليس الحربى للحدود بكوبرى القبة - والذى كان قد صدر منذ أيام - حتى لا يعلن النائب أنه هو الذى نقلنى، وأخبرنى أخيرا أن أذهب إلى وزارة الحربية لمقابلة سيف النصر باشا وزيرها وحدد لى ساعة المقابلة. وقابلت الوزير وأفهمنى أننى على حق وأن النائب مخطئ، وشكرنى وقال إنه كلف النائب بإقامة غداء أو عشاء على شرفى إما فى فندق «بنك مصر » أو « البل إير » اعتذارا عما حدث .. وقد كان.

توليت رئاسة محكمة أحاكم فيها أحدهم لأنه سرق رغيفى خبز !!! وكان هناك شهود بل وأصر المتهم على الاعتراف بالجريمة. كان الرجل محبوسا فى انتظار المحاكمة ولم يكن مهتما حينما استجوبته بالحكم !!! وأصدرت حكمى بالبراءة ... !!! وأرسلت الأوراق إلى الإدارة القانونية برئاسة سلاح الحدود، فاتصل بى رئيسها المستشار ورأى أن يعيد الأوراق لإعادة المحاكمة، فقلت له : سأحكم بالبراءة .. الرجل اعترف وقال إنه جائع ولا يجد قوت يومه. ورد المستشار: « يا ابنى سيقولون عنك إنك

شيوعى وأنك لا تفهم فى القانون ». فقلت له: « شيوعى لا أما أننى لا أفهم القانون فهذا صح »... وكان الحل إحالة المحاكمة إلى رئيس آخر، فحكم بالإدانة.. « فهو غير شيوعى وضليع فى القانون » !!!

قبيل أن أنقل من سلاح الحدود لأكون مدرسا بالكلية الحربية حدث حدثان سعيدان: فى ١٩٤٧/٧/٧ ذهبت إلى ابنة خالى وكانت طالبة امتياز للحصول على ليسانس الآداب جامعة القاهرة وتقطن بجوارنا فى شارع إلهامى باشا بالحلمية الجديدة، وسألتها : « هل هناك رجل فى حياتك ؟ » ردت : « ما هذا الذى تقول ؟ عيب الكلام ده... » وقلت : « إذا كان الأمر كذلك فأنا أخطبك لنفسى ». وكان السكوت علامة الرضا. وأعلنت الخطوبة بعد أيام فى حفل عائلى صغير. كان اختيارى والحمد لله موفقا فقد شاركتنى فى حياتى وكانت خير زوجة للضابط ثم السفير ثم الوزير ثم السجين ثم لعجوز فى المعاش. وكونت أسرة صغيرة ولكنها جميلة وسعيدة، وأرجو أن أكون قد أرضيتها كما أرضتنى. نقطة وحيدة تؤرقنى وهى أننى اتفقت معها على عدم العمل بعد انتهاء الدراسة ووافقت ... كانت لا تقل أبدا عن السيدات عائشة عبد الرحمن أو نعمات فؤاد أو حكمت أبو زيد، ولكنها فضلت الأسرة على نفسها !!! هل كانت غلطة أو كانت صوابا ؟! لست أدرى. تزوجنا بعد ذلك زواجا صامتا لأن شقيقتى الكبرى كانت قد توفيت، وكانت فترة الخطوبة قد طالت لمدة سنتين فكان الزواج صامتا دون ضجيج وتم فى ١٩٤٩/٩/١ أى منذ ٥٣ عاما.

الحدث السعيد الثانى كان ترقيتى إلى رتبة اليوزباشى (أى النقيب) وتساءلت : هل سيتحمل كتفى مسئوليته بنجوم ثلاث وكان بالكاد يتحمل مسئولية نجمتين ؟!! وتركت الإجابة للأيام، ولم أكن أدرى أن مسئولية الدرع ستتضاعف حينما تهب على البلاد رياح ثورة تنزع من أمامها كل العقبات.

الفصل الثانى

ضابط فى مهب رياح الثورة

لا تنتظروا أن تسمعوا منى وعنى بطولات هرقلية عن أحداث خارقة قمت بها لأشعل نيران الثورة المجيدة، فقد تحدث الكثيرون عن تلك الأدوار التى قاموا بها، ولم يعد هناك مكان لآخرين بعد أن اكتظ المسرح بما عليه من أبطال، ولم يعد من السهل التمييز بين البطل والكومبارس، بين من عمل وهم قليلون وبين من تسلق وهم كثيرون. بين من شارك على طريقة « قال لى وقلت له » وبين من أسهم بالعمل دون توقع لشكر أو جزاء. قصتى كضابط مع الثورة أننى كنت من الضباط الأحرار منذ عام ١٩٥١ والذى ضمنى هو جمال عبد الناصر، وعلمت بقيامها والقوات تتحرك للاستيلاء على الحكم وأنا فى رفح أعمل كأركان حرب للكتيبة الرابعة المشاة، وحينئذ قمت بواجبى ومعى زملائى بالسيطرة على الكتيبة دون عناء، وأعلنا جميعا الانضمام إلى الثورة، وسرت بعد ذلك تحت أعلامها مؤمنا بمبادئها مطبقا إياها على نفسى قبل أن أؤيد أو أعارض ما تم ... وحتى الآن. جزء من وقتى وأنا أعمل تحت قيادة جمال عبد الناصر كنت ألبس فيه ملابسى العسكرية، والجزء الباقى حتى وفاة الزعيم عملت فيه وأنا ألبس ملابسى المدنية .. فسواء كان الزى عسكريا أو مدنيا فإنه يغطى مواطنا لا تختلف حقوقه وواجباته فى الحالتين. يخلط الناس كثيرا بين الحكم العسكرى والحكم المدنى على أساس الزى، وهذا خطأ لأن « العسكرى » و« المدنى » صفتان للحكم. فممكن أن يقوم صاحب القرار المدنى بحكم عسكرى ديكتاتورى تتناقص فيه حقوق الإنسان، ويمكن أن يقوم صاحب القرار العسكرى بحكم مدنى ديمقراطى يحافظ فيه على حقوق الإنسان ... أحمد باشا عرابى اللواء فى الجيش المصرى يقول للخديوى توفيق فى ميدان عابدين وهو راكب على ظهر جواده : « لن نستعبد بعد اليوم فقد

ولدتنا أمهاتنا أحرارا » .. وعبد الناصر الذى كان برتبة « البكباشى » ينادى « بالحرية ذات الجناحين: السياسى والاجتماعى، فحرية الصوت الانتخابى لن تتحقق إلا عن طريق تحرير لقمة العيش .. ثم ارفع رأسك يا أخى. » بينما هناك أصحاب قرار مدنيون أجبرونا على أن نخرج فى المظاهرات الصاخبة ننادى بالحرية والدستور أو الموت الزؤام وذهب ضحية ذلك مئات ومئات.

ولم تكن القضية قصيرة هكذا كما ذكرت، وكما كان العزيز محمود رياض وزير الخارجية يلخص قصة سيدنا يوسف بأنه « ابن ضاع ووجدوه »، فقد سبق ذلك التاريخ أحداث وتلاه أحداث. فالثورة لا تشتعل فجأة ولا تنطفئ فجأة .. فمن يفصلها عما قبلها من أحداث يحكى قصته ناقصة .. ومن يجعل الثورة مستمرة أبدية إلى ما شاء الله يضعف من قوة الشرعية الدستورية أمام الشرعية الثورية، لأن الشرعية الثورية هى أداة لتحقيق الشرعية الدستورية التى لا تتحقق إلا فى ظل المؤسسات عملا لا قولا، وإلا فى ظل توزيع السلطات، وإلا فى ظل تعاقب الحكام لفترات متفق عليها، وإلا فى ظل تأثير الشعب على اتخاذ القرار فهو الذى يتحمل نتائجه فى آخر الأمر.

قبيل تخرجى فى كلية أركان الحرب الدفعة ١١ فى النصف الأول من عام ١٩٥١ زارنى جمال عبد الناصر فى منزلى مرتين، لم أشرف بمقابلته فى المرة الأولى وفى اليوم التالى حدثت زيارة أخرى. تحدث الرجل عن الأوضاع السيئة التى تمر بها البلاد بوجه عام والجيش بوجه خاص. كانت آرائى متطابقة مع آرائه. وأثناء حديثى أطلعته على الورقة التى قدمتها إلى الكلية كالبحث النهائى للتخرج وكانت بعنوان « علاقة القيادة السياسية بالقيادة العسكرية »، وانتهيت فيه إلى كثير من الآراء الحساسة أهمها أن القيادة السياسية لابد أن ترتكز على قاعدة علمية عسكرية، وأن القيادة العسكرية لابد أن ترتكز على معرفة سياسية، وأن أبواب القيادة السياسية مفتوحة للجميع مدنيين وعسكريين فهم مواطنون قبل كل شىء. تصفحها عبد الناصر جيدا وقال : « ياريت تنشر هذا المقال فى الأهرام ». وعرفت من مراقبتى لمبنى جريدة الأهرام أن الأستاذ الحناوى – وهو والد زميلنا الضابط كمال الحناوى – سيكون بالجريدة فى اليوم التالى ... كان اختيارى له لأنه والد أحد الضباط ولابد أنه سيشعر بالعطف على أحد زملاء ابنه. وقابلته فى مكتبه بعد ظهر ذلك اليوم فى مبنى الجريدة فى ميدان

الأزهار بباب اللوق دون أن أخطر كمال بذلك، وهو لا يعلم القصة حتى الآن. أعطيته المقال برجاء نشره فى صفحة المقالات، وطلب الأستاذ أن أترك له المقال وأن أمر عليه فى اليوم التالى. ولما ذهبت فى الموعد قال ضاحكا: « إيه الهباب يا ابنى اللى بتكتبوه ده ؟! سينشر المقال غدا وقد استبدلت منه بعض الكلمات التى يمكن أن تسبب لك متاعب، ولكن هل أخذت تصريحا من رئاساتك بنشره ؟ » فقلت كاذبا: « طبعا ». وفى اليوم التالى ظهر المقال كاملا بمانشيت كبير فسبب لى ذلك بعض المتاعب تغلبت عليها بمساعدة بعض الكبار، معتمدا على حجة واهية وهى جهلى بالتعليمات.

وتخرجت الدفعة ١١ أخيرا فى كلية أركان الحرب، وهى كلية أدين لها بالشىء الكثير فى تنظيم تفكيرى ومعالجتى القضايا الكبيرة بنظرة شاملة. وبخبرة المعلومات التى حصلت عليها عدت ثانية للعمل كأركان تدريب الكتيبة الرابعة المشاة بمعسكر الهايكستيب. انضم إلى الكتيبة عدد من الضباط الجدد فأعددت لهم برنامجا حافلا للتعرف على الوحدة التى ستصبح دارهم. طبعا كانت مقابلتهم لقائد الكتيبة هى أول خطوة يخطونها، إلا أنه كان مرتبطا بموعد خارجها فاستقبلهم قائد ثانى الكتيبة لسوء الحظ ... كان رجلا انهزاميا .. قال لهم : « وأنا فى حرب ١٩٤٨ انضم إلى الكتيبة عدد من الضباط الجدد، وعين أحدهم فى داورية استطلاع ليلية لمعرفة هل يحتل العدو إحدى التباب وكانت على بعد ٣ كيلومترات من مواقعنا الدفاعية، وشعرت بأن الضابط يحس بالرهبة لقيامه بمثل هذا العمل فى أول يوم من خدمته وأشفقت عليه .. استدعيته لأطمئنه وقلت له : لا تخف .. تحرك فى موعد خروج الداورية وعلى بعد ١٠٠٠ متر انبطح أرضا أنت وجماعتك، وحينما يحل وقت العودة عد إلى قائد سريتك وسوف يسألك عن وجود العدو من عدمه وأنت حر بعد ذلك لتقول له هل العدو موجود أم غير موجود، والذى يشك فى كلامك يذهب بنفسه للتحقق ». نهرت القائد الثانى لاستقباله المدمر للضباط الجدد !!! كان هذا نوعا من القادة تعاملنا معهم.

فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ ألغى رئيس الوزراء ورئيس حزب الوفد مصطفى باشا النحاس معاهدة ١٩٣٦ وأعلن فاروق ملكا لمصر والسودان ... قرار تاريخى لا شك فى ذلك كان مثار تعليقنا فى الوحدات. رأت رئاسة أركان الحرب الدفاع عن القاهرة خوفا من تقدم القوات البريطانية من قاعدتها بالقناة لاحتلالها، وشكلت لذلك ثلاث مجموعات كتائب

لتنفيذ ذلك : إحدى المجموعات لصد أى اقتراب للعدو من طريق القاهرة السويس الصحراوى، والمجموعة الثانية لصد أى اقتراب من طريق القاهرة الاسماعيلية الزراعى، والمجموعة الثالثة احتياطى فى معسكر الهايكستيب - على أن يتم التغيير بين المجموعات الثلاث كل شهر. وكان يخصص للضابط ٥ ساعات إجازة فى الأسبوع. وكان نصيب مجموعتى الدفاع عن طريق القاهرة الاسماعيلية فى أوائل نوفمبر ١٩٥١.

فى وقت إجازتى فى أحد الأيام زارنى البكباشى جمال عبد الناصر والبكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف فى منزلى بشارع علأن بحمامات القبة، وذكرا أن البكباشى حسين الشافعى كان معهما وانصرف من عند الباب. وأخذت أحكى عن الدفاعات الهيكلية التى تمنع البريطانيين من التقدم لاحتلال القاهرة إن أرادوا ذلك، وأخذت أعرض تقدير الموقف وأوامر العمليات الحربية وتعليمات العمليات الحربية والتعليمات الإدارية التى أعددتها. وأزاح عبد الناصر الأوراق جانبا وقال : « إنت فاكر إن قواتك تدافع عن القاهرة ضد الإنجليز ؟ ! الناس هنا خائفون من وجودكم داخل القاهرة فأبعدوكم إلى خارجها تحت ستار الدفاع ضد الإنجليز !!! إذا كانوا يبعدونكم إلى الخارج فنحن هنا فى الداخل .. هل تصلك منشورات الضباط الأحرار ؟! هل تنضم إلينا ؟! » واندفعت لأحتضنه وأقبله وفعلت ذلك مع عبد المنعم عبد الرؤوف. وقبل أن ينصرف ذكر أنه «يفضل عدم قيامى بالاتصال وسيقوم بذلك بنفسه بين وقت وآخر ». يعلق عبد المنعم عبد الرؤوف على المقابلة فى كتابه : « بعد انصرافنا من منزل أمين هويدى قال لى عبد الناصر: علاقتك قوية جدا مع أمين هويدى. هل تستقطب الضباط من ورائى ؟!» وللتاريخ فلم يفاتحنى عبد المنعم فى ذلك أبدا، والذى فاتحنى هو عبد الناصر أمام عبد المنعم عبد الرؤوف. كانت آخر زيارة قام بها عبد المنعم لى فى منزلى يوم ١٩٥٢/٦/٣، وآخر مرة رأيته فيها وهو فى الإيقاف وعليه حراسة حينما قابلته بالمصادفة فى مستشفى مظهر عاشور بالقبة قبل هروبه بدقائق ... كان هادئا مبتسما لا يظهر عليه أنه مقدم على مغامرة خطيرة. (*)

(*) انظر الوثيقة رقم (١) : قرارات رئيس الجمهورية بمنح معاشات استثنائية للضباط الأحرار، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

فى منتصف إبريل ١٩٥٢ كنت قد نقلت إلى رئاسة المشاة ومديرها اللواء محمد نجيب، وكان يستدعى يوميا إما إلى وزارة الحربية وكان وزيرها محمد حيدر باشا أو إلى رئاسة الأركان، وكان يعود إلينا ووجهه بلون « التراب ». لم يعجبنى العمل برئاسة المشاة، وقبلت عرضا بالانتقال إلى رئاسة الفرقة الثانية المشاة إلا أن اللواء محمد نجيب اعترض، وكان ذلك بحضور يوسف منصور صديق الذى كان فى زيارة له. وأخيرا قال نجيب : « اذهب إلى الراجل بتاع إسكندرية لمعرفة رأيه ». ورأى عبد الناصر فى مقابلة معه فى رئاسة المشاة فى اليوم التالى فى ١٩٥٢/٦/١٠ الاعتذار عن الانتقال إلى رئاسة الفرقة الثانية... « نجيب أرسل لى يوسف صديق وطلب منى أن أقنعك بالبقاء فى رئاسة المشاة، وأنا مع هذا الرأى ». ولم أر البكباشى « بتاع إسكندرية » قبل الثورة بعد ذلك إلا فى ١٩٥٢/٦/٢٥ حينما زارنى فى المنزل، وكان حديثه غامضا أحسست منه أن شيئا ما يعد فى الخفاء مما جعلنى أعلق فى مذكراتى: « أحس أن النصر آت لا ريب فيه .. اللهم وطد أقدام مصر وأعمل ما فيه الخير ».

فى ١٩٥٢/٦/١٦ اجتمعت الجمعية العمومية لنادى الضباط بالزمالك وكنت حاضرا الاجتماع ومقعدى بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وكان مجدى حسنين هو نجم الاجتماع، وهممت لأتحدث إلا أن عبد الناصر جذبنى لكى أجلس. وتقرر فى الاجتماع : عدم تعديل القانون لإشراك ضباط الحدود، وأجل طلب السلاح البحرى الخاص بالاشتراك فى نوادى الاسكندرية.

إلا أن تطورا مهما حدث فجأة. ففى يوم ١٩٥٢/٧/١ طلب اللواء محمد نجيب منى ومن زميلى الصاغ أركان حرب محمد توفيق عبد الفتاح أن نقدم أنفسنا إلى وحداتنا على أن يتم ذلك اليوم، وذلك بناء على قرارات مؤتمر عقد فى رئاسة الجيش لتنفيذ منشور التدريب الحربى بحتمية بقاء ضباط الأركان حرب عاما كاملا فى وحداتهم دون نقلهم إلى الرئاسات بعد تخرجهم. ولم ينفذ القرار إلا علينا نحن الاثنين، وقد تأكد أن هذا يرجع إلى ما أشيع عن اللواء نجيب من أنه يجمع حوله الضباط الأصاغر. وقدمت نفسى لكتيبتى الرابعة المشاة فعلا فى نفس اليوم، وكانت مازالت فى الهايكستيب، ولكنها ما لبثت أن تحركت إلى رفح ولحقت بها يوم ١٧ يوليو ١٩٥٢ فوصلت رفح بالقطار الساعة الثانية والنصف ليلا، واستقبل ضباط الكتيبة زميلهم العائد فى المحطة واصطحبوه إلى حجرته فى ميس الضباط.

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أيقظنى اليوزباشى فتحى خضير، وهو من رئاسة اللواء، وأخبرنى أن القوات تحركت فى القاهرة للاستيلاء على السلطة وتركنى على عجل. وقمت بدورى بإيقاظ ضباطنا : محمود عبد السلام وعبد القادر عبد الوهاب ومحمود عبد الله، وأخطرنا الملازم صلاح زعزوع وكان بموقعه على الخط الدفاعى. لبسنا لبس الميدان الكامل وآذاننا على الراديو لعلنا نسمع شيئا. استيقظ الضباط وكان البعض منهم سيتجه إلى محطة رفح لأخذ القطار إلى القاهرة فى إجازاتهم الميدانية، وكنت متأكدا أن القطار لن يتحرك وأنهم سيعودون ثانية لحضور طابور الصباح. البروجى يعلن « نوبة الجمع » ويبدأ الطابور .. أنا أقف إلى جانب القائمقام دانش قائد الكتيبة، وهمست فى أذنه : « أنا الآن قائد الكتيبة فقد قامت الثورة فى مصر، وأرجوك أن نتفاهم سويا قبل اتخاذك أى إجراء، وأرجوك أيضا أن تستبعد أركان حرب الكتيبة ليحل محله الملازم محمود عبد السلام ». وحاول الرجل إقناعى بخطورة ما أقول ولم يكن هناك وقت للنصائح. ألقيت كلمة على ضباط وجنود الكتيبة ذكرت فيها أن الثورة قامت وأن الجيش أصبح بيده الأمر، وبعاطفة تلقائية هتف الطابور وهلل وصفق ... لقد انضمت الكتيبة إلى الثورة. بعد دقائق مر الصاغ صلاح سالم والصاغ عبد الفتاح فؤاد من رئاسة الفرقة فى عربة وتبادلنا علامة النصر. وحينما انصرف طابور الصباح، أعلن البروجى « نوبة ضباط » واجتمعنا فى مكتب القائد، وتقدم الملازم صلاح زعزوع ونزع صورة الملك فكنا أول كتيبة تفعل ذلك، وساير القائد الموقف .. لم يكن مضادا ولكن لكل فرد قدراته.

عقد اجتماع فى رئاسة اللواء وكان قائده اللواء حسين كامل حضره ضباط الكتائب الثلاث، ودخل علينا فجأة اللواء سيف الدين قائد الفرقة وطالبنا بإرسال تأييد إلى الثورة فى القاهرة. وبعد تردد أرسل التأييد المطلوب، وبذلك أيدت الفرقة بضباطها وجنودها الثورة فى القاهرة وأصبح كل شىء هادئا فى منطقة فرقتنا. وفى اليوم التالى تناولنا العشاء فى ميس الكتيبة الخامسة مشاة ... عدد محدود من ضباط الكتائب ورئاسة اللواء .. وهمس الصاغ أركان حرب صليب بشارة أركان حرب الكتيبة الخامسة وكنا نستذكر سويا استعدادا لامتحان القبول بكلية أركان الحرب: « لن أنسى لك أنك لم تخبرنى للانضمام إلى الحركة قبل حدوثها » - كان صادقا رحمه الله رحمة واسعة.

وفى يوم السبت ١٩٥٢/٨/٢ وصلت إشارة من رئاسة الجيش بعودتى مرة أخرى إلى رئاسة المشاة، ووصلت إلى القاهرة يوم ١٩٥٢/٨/٤ للاشتراك فى لجنة تطهير لضباط السلاح عينتها القيادة العامة. كانت اللجنة تعمل على غير أساس وتطيح بالكثيرين وتذكرت ما كان يحدث فى الثورة الفرنسية، ولكنى تصديت لذلك وطالبت بوضع أسس يتم عليها التطهير فى أضيق نطاق. ولما لم أنجح فى مسعاى ذهبت للقيادة العامة وقابلت جمال عبد الناصر لأهنئه بالثورة، ورجوته فى سحب لجنة التطهير وتشكيل لجنة أخرى من رئاسة السلاح تعمل على أسس واضحة، ووافق ونفذ الاقتراح فى الحال. فى إحدى زياراتى للقيادة بعد ذلك، وكانت هيئة التحرير قد أعلن عنها، طلب منى البكباشى عبد الناصر أن أتولى رئاسة الهيئة فى المنوفية أى فى شبين الكوم وأنا أحد أبنائها، وسألته : « هل سأقوم بذلك وأنا ضابط فى الجيش أم سأتحول إلى السلك المدنى ؟ » فقال : « لأ وأنت فى الجيش ». واعتذرت حتى لا يتدخل الجيش فى السياسة.

وفى النصف الثانى من نوفمبر ١٩٥٢ حدث لى حدثان : فقد التحقت بمعهد الصحافة والترجمة والنشر بجامعة القاهرة وبدأت دراستى به من يوم السبت ١٩٥٢/١١/١٥، ونقلت من رئاسة المشاة إلى قسم الخطط بالعمليات الحربية برئاسة الجيش اعتبارا من ١٩٥٢/١١/٢٠ وبدأت أولى مهماتى المهمة.

تمت مفاوضات سرية بين الملك السنوسى ملك ليبيا والضابط طيار حسن إبراهيم عضو مجلس الثورة لتعديل حدودنا الغربية، أو على الأصح عودة حدودنا إلى وضعها التاريخى بعد التعديلات التى أدخلت عليها بين البريطانيين والإيطاليين رغم أنف مصر.

تكونت جماعتنا من البكباشى أركان حرب عبد الله الشرقاوى، والصاغ أركان حرب أمين هويدى من العمليات الحربية، واليوزباشى سعد عفرة من المخابرات الحربية، والمهندس أمين جمعه من عمليات السكك الحديدية. كان الغرض استكشاف المنطقة على حدودنا الغربية تمهيدا لما سوف يتم الاتفاق عليه بخصوص تعديل الحدود غرب هضبة السلوم. وتغطية لهذا الغرض أعلنت الحكومة الليبية أنها تريد إعادة مد خط السكك الحديدية من السلوم إلى طبرق - وهو نفس الخط الذى أقامته القوات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية وهى تتصدى للغزو الألمانى الإيطالى - ولذلك فقد انضم إلينا

المهندس أمين جمعه خبير السكك الحديدية دون أن يعلم بالغرض الأصلى من المأمورية. وسافرنا نحن الضباط الثلاثة على أننا أيضا مهندسون من السكك الحديدية. أعد لنا أمين جمعه صالونا خاصا سافرنا به من الاسكندرية إلى مرسى مطروح يوم ٢١ ديسمبر ١٩٥٢. وفى اليوم التالى تحركنا بالعربات إلى السلوم حيث قابلنا الضابط الليبى « غيث » ضابط نقطة « كابوتزو » وقدمنا أنفسنا له على أننا مهندسون من السكك الحديدية، واتفقنا معه على التحرك صباح ٢٣ ديسمبر ١٩٥٢ إلى طبرق. السلوم ميناء جيد ويمكن الدفاع عنها بسهولة ضد أى هجوم مباشر بالتحكم فى الجزء من الهضبة حتى حدودنا مع سد ممر الحلفاية وممر السلوم، ولكن العمليات خفيفة الحركة يمكن قطعها من مضيق سيدى برانى أو مرسى مطروح. وتحركت الجماعة إلى طبرق بالعربات بطريق السلوم - كابوتزو - سيدى عزيز - جمبوت - بير حامض - طبرق، وهو الطريق الموازى لخط السكك الحديدية القديم. وكان اليوم عاصفا مميتا وحمدنا الله أننا وصلنا طبرق سالمين. ودبر لنا متصرف البلدة المبيت والطعام ولكنه قدم لنا فاتورة الحساب عند مغادرتنا البلدة فى اليوم التالى، وسددنا الفاتورة والبقشيش. طبرق بلدة صغيرة على خليج طبيعى صالح للعمل فورا. وفى يوم ١٩٥٢/١٢/٢٤ رجعنا إلى السلوم، وقد حاولت مع الضابط « غيث » أن نذهب إلى « جغبوب » فلم يوافق ... كنت أريد استكشاف المنطقة حتى جغبوب المصرية التى اقتطعها الإنجليز منا عام ١٩٢٥، وهى نقطة وثوب رئيسية لأى قوات متقدمة شرقا إلى حدودنا لوفرة المياه بها. فى اليوم التالى أى ١٩٥٢/١٢/٢٥ تحركنا من السلوم - الوشكة - الملقى - سيوة، وكان الجو قاتلا، وقضينا الليلة فى سيوة فى الاستراحة الحكومية. وحدث بالاستراحة قصة يجب أن تروى.

نمنا فى الاستراحة الحكومية وكانت من دورين : الدور الأسفل استقبال والثانى به عديد من حجرات النوم، والسلم الداخلى من الخشب. كانت تضاء بفوانيس الكيروسين والفرش متواضع، وكل منا نام فى حجرة. واستيقظت لأرى على بصيص من النور «أكرة » الباب تتحرك والباب يفتح بحذر ثم يقفل وأصوات خفيفة تتقدم دون وجود أى شخص، وشعرت بأنفاس قريبة تكاد تلفح وجهى وأصابنى ذعر منعنى حتى من الصياح، ثم سمعت وقع أقدام خفيفة تتراجع ثم رأيت الباب يفتح ثم يقفل وأصوات

خشب السلم تنم عن النازل عليها، وقفزت من السرير واتجهت نحو الباب وحينما فتحته وجدت الشرقاوى وأمين جمعه أمامى، فقد حدث لهما ما حدث لى. ولم نذق للنوم طعما بعد ذلك وغادرنا سيوة فى الصباح مباشرة بعد تناول طعام الإفطار. قيل لنا إن الاستراحة مسكونة فهى لا تستخدم إلا نادرا. عدنا إلى مرسى مطروح ثم إلى القاهرة التى وصلناها فى ١٩٥٢/١٢/٢٧ لأفاجأ بنقل البكباشى أركان حرب عبد الله الشرقاوى لقيادة اللواء الخامس المشاة، وبأوامر من اللواء على عامر مدير العمليات الحربية بأن أتولى قسم الخطط خلفا له ... مسئولية كبيرة لرتبة صغيرة أثارت ضده أحقادا وأحقادا.

وقررنا السفر مرة أخرى لاستيضاح بعض ما ظهر من غموض فى تقرير رحلتنا السابقة. وتشكلت المجموعة هذه المرة من البكباشى أ . ح على جمال الدين رئيس قسم العمليات، ومن الصاغ أ . ح أمين هويدى رئيس قسم الخطط. كان السفر بالعربات وكانت أربعا تكفل بها سلاح الحدود .. حملت إحداها بالخيام والأخرى بالتموين من دقيق وطيور طازجة وأرز ... الخ، وكان ذلك يوم ١٩٥٣/٤/٢ . وأمضينا ليلتنا فى مرسى مطروح ثم وصلنا السلوم ظهر اليوم التالى لنمضى الليلة فى سيدى عمر داخل الحدود الليبية، حيث انضم إلينا اليوزباشى « غيث » الذى أصبح أحد ضباط قوة دفاع برقة ويعمل فى نفس الوقت فى المخابرات الليبية وعلى صلة وثيقة بالمخابرات البريطانية، وأعرابى اسمه « عجيلة محمود الفخرى » كدليل يعرف الصحراء ويقرأ مسالكها وكأنه يقرأ فى كتاب، ولذلك فقد كان يرافق الجنرال أروين روميل ثعلب الصحراء وقائد القوات الألمانية فى الصحراء الغربية فى الحرب العالمية الثانية فى كل عملياته. حكى لنا كيف كان روميل يصيد الغزال بالعربة ويأكل لحمه، وكيف كان دائب الحركة يتحرك دائما وسط بل أمام قواته، وكيف كان محبوبا من رجاله يهتفون لتحيته كلما رأوه بينهم .. والعهدة على الراوى وهو عجيلة الفخرى. وفى يوم ١٩٥٣/٤/٤ تحركنا إلى مادلينا وبها حصن منيع بناه الأتراك قبل استيلاء إيطاليا على ليبيا، وأمضينا الليلة هناك. وتحركنا فى صباح ١٩٥٣/٤/٥ إلى جغبوب ووصلنا وكان الليل قد أرخى سدوله، وهنا قرر اليوزباشى غيث أن ننام خارج الواحة فى خيام كانت معنا بإحدى العربات، لأن جغبوب كان يحيطها حقل ألغام كثيف وخشى الرجل أن نغوص

فيه. إلا أن الدليل « عجيلة » اختفى فجأة وانطلق لا يلوى على شىء، وعاد بعد نصف ساعة تقريبا وذكر أنه وجد الطريق الضيق الذى يصل إلى الواحة، وركب فى العربة الأمامية وقد أضاء أنوارها وانطلقنا وراءه فى بطء وعلى بعد آمن منه، ودخلنا الواحة آمنين ولله الحمد. وتوجهنا إلى شيخ الواحة وهو الصادق الحسينى حفيد السنوسى الكبير، فرحب بنا الرجل ودعانا إلى العشاء لأن الليلة كانت عيد ميلاد السنوسى وأنزلنا فى استراحة البوليس.

واحة جغبوب خزان كبير جدا للمياه الجوفية، وكان يقطنها فى ذلك الوقت ١٩٦ فردا وحاكمها من عائلة السنوسى. والسكان لا يعملون شيئا .. يجلسون طول النهار وجانبا من الليل بجوار جامع السنوسى يصلون ويسبحون بجلابيبهم ناصعة البياض، ويرسل إليهم الجيش البريطانى كل أسبوعين تموينهم من السكر والشاى والدقيق والأرز والدخان. وبدأنا فى استطلاع المنطقة المحصورة بين واحة جغبوب وبير أبو سلامة وثنية الدفة، وذقنا الأمرين لصعوبة طبيعة الأرض ولسوء الأحوال الجوية. وتناولنا طعام العشاء عند عمدة البلدة مع بعض المشايخ. وكان العشاء عبارة عن «منسف»، وهو طشت كبير ملىء بالأرز ويتربع على السطح « خروف كامل »، وعلى الضيف كسر الرأس وتناول بعض مما بداخله من مخ ولسان وجواهر .. وحاول على جمال الدين ذلك ولكنه فشل وأوكل المهمة لى وفشلت أيضا بين ضحك المشايخ وقد سال المرق على ذقونهم. كنا نشرب المرق من سلطانية واحدة تمر علينا بالدور ليأخذ كل فرد « شفطة أو شفطتين » قبل أن ينقلها إلى الآخر. وأمضينا اليوم التالى فى استكشاف المنطقة ثم غادرنا جغبوب إلى سيوة فى طريق نصفه من الأحجار المستديرة الصغيرة التى تحتم السير بسرعة لا تزيد على ٢٠ كيلومترا. وأمضينا الليلة فى سيوة دون الدخول فى الاستراحة وعدنا إلى القاهرة عن طريق مرسى مطروح ووصلنا إليها يوم ٩ إبريل ١٩٥٣ . وتقدمنا بتقرير عن الرحلة ومرفق به خرائط وشفافات توضيحية، ولا أدرى شيئا عن المفاوضات التى تمت بعد ذلك إذ انتقلت القضية إلى ملعب السياسيين حيث تضل طريقها فى أغلب الأحيان.

فى ١٩٥٣/٤/١٣ حدث تطور استراتيجى مهم ألقى بمسئولية كبيرة على قسم الخطط الذى كنت أرأسه ... عقد مؤتمر بالقيادة العامة رأسه كمال الدين حسين مندوبا

عن مجلس الثورة، وحضره بعض ضباط إدارة العمليات الحربية برئاسة اللواء على عامر وكنت بين الحاضرين، ومدير مكتب رئيس الأركان، للاتفاق على الخطة العامة لمواجهة إسرائيل عام ١٩٥٣. إلا أننى بصفتى رئيسا لقسم الخطط شرحت تقديرى للموقف، الذى تلخص فى أنه لا يمكن مواجهة أى تهديدات إسرائيلية على حدودنا الشرقية مع وجود القوات البريطانية فى قاعدتها بمنطقة القناة وفى إمكانها قطع خطوط مواصلاتنا إلى الشرق .. العدو الرئيسى الآن هو القوات البريطانية فى القناة. ودارت المناقشات حول الموضوع الخطير وانتهى المؤتمر بإقرار هذا الاتجاه الجديد والخطير، وكلفت بصفتى رئيسا لقسم الخطط بإعداد تقدير لمواجهة نقطة التحول الجديدة.

وفى الأيام التالية أتممت تقدير الموقف الذى وافق عليه اللواء على عامر وتلخص فى الآتى :

- يواجه الجيش المصرى عدوين فى وقت واحد : القوات البريطانية فى قاعدة قناة السويس، وإسرائيل على حدودنا الشرقية.
- لن تنتهى المفاوضات المصرية البريطانية إلى نتيجة مرضية بالنسبة لنا إلا باستخدام القوة، مركزين على حرب العصابات.
- البريطانيون يهددون خطوط مواصلاتنا نحو الشرق، وذلك يجعل من المستحيل علينا مواجهة أى تحرك إسرائيلى لتأييد البريطانيين إذا بدأنا حرب العصابات.
- ترتيبا على ذلك يعتبر البريطانيون فى القناة العدو الرئيسى بينما يعتبر الإسرائيليون العدو الثانوى، وعلى ذلك يجب بذل كل جهد لتجميد الموقف على حدودنا الشرقية.
- تُخلى سيناء من قواتنا الرئيسية وهى فى حجم فرقة لتفادى عزلها وحصارها بواسطة البريطانيين.

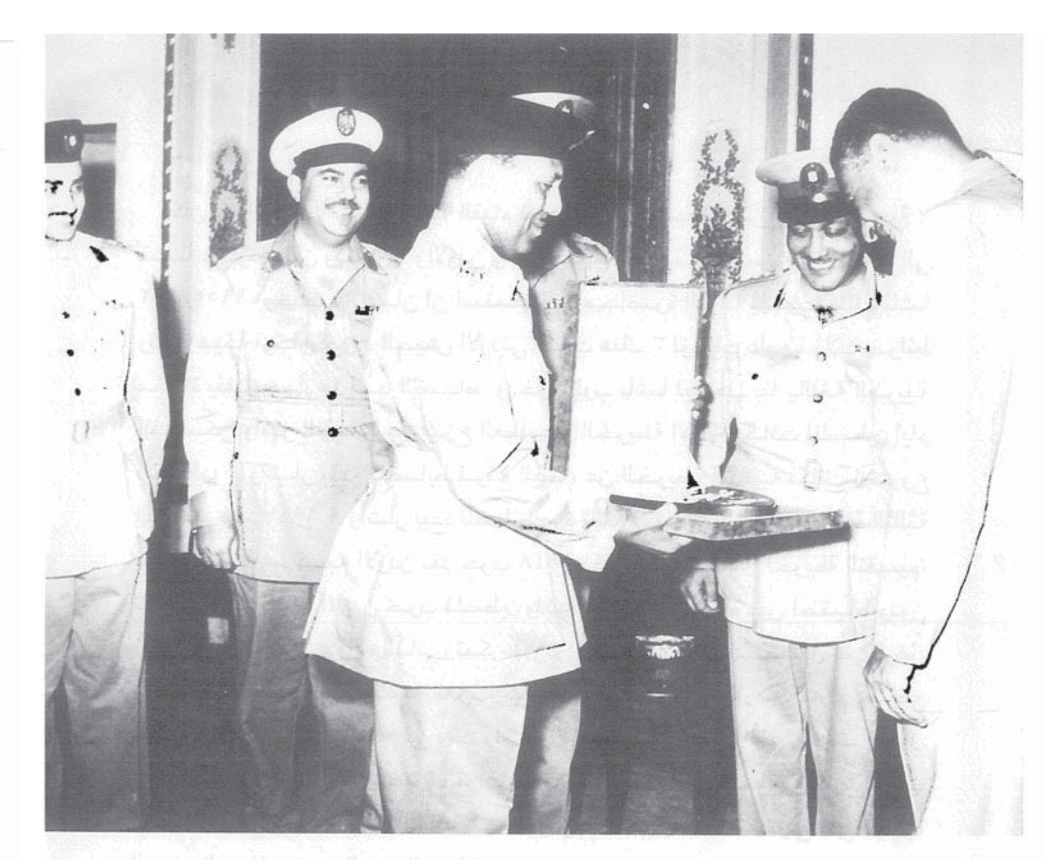
وقد عقد مؤتمر رأسه البكباشى جمال عبد الناصر مدير مكتب اللواء محمد نجيب، وحضرته مع مدير العمليات الحربية، واتخذ فيه ثلاثة قرارات خطيرة : الموافقة على بدء حرب العصابات وتعمل إجراءات ذلك بمنتهى السرية، الموافقة على إخلاء القوات فى سيناء على أن يبدأ التحضير لذلك من الآن، لا تنفذ خطة الإخلاء إلا بأوامر.

وكان من غير المستبعد أن تتدخل القوات البريطانية فى عملية الإخلاء للإبقاء على قواتنا رهينة تبعا للظروف. وبدأنا فى وضع وتنفيذ الخطط اللازمة لذلك، وأذكر بعض الترتيبات التى نفذت فى ذلك الوقت : يتم التخفيف عند صدور الأوامر فى ليلة واحدة، منع تداول أى أوامر كتابية بهذا الخصوص، منع نصف الجنود بالإجازات من العودة إلى وحداتهم بسيناء، سحب المعدات بالقطارات ليلا، تجمع بعض عربات وقاطرات السكك الحديدية واللوارى والعربات فى منطقة العريش مع عمل جداول شغلها بالقوات وتحركها على الطرق، إرسال بعض الجنود نهارا إلى سيناء من خلال القاعدة البريطانية لتغطية سحب القوات ليلا، الاستمرار فى إرسال نفس حجم التعيينات من القاعدة الرئيسية بالدلتا ... خطة خداع كاملة ونفذت بدقة ومهارة.

وحينما تعثرت المفاوضات وقبل بداية حرب العصابات فى منطقة القناة التى جعلت بقاء القوات البريطانية جحيما ـ كما ظهر فى تصريحات الجنرال فيستنج القائد البريطانى للقاعدة ـ تم سحب القوات إلى مواقع غرب القناة وفى الدلتا، حتى تتحرك حرب الفدائيين بحرية كاملة دون الخوف من احتمال قطع خطوط قواتنا فى سيناء.

حل امتحان معهد الصحافة وقت تنفيذ خطة التخفيف فلم أحضره، ولذلك رسبت بجدارة فى الامتحان. كانت مدة الدراسة به ٣ سنوات ولكنى تخرجت فيه بعد ٥ سنوات لدواعى العمل. أذكر أن أحد الأساتذة عرض إعداد دراسة كاملة تقدم باسمى للحصول على الدكتوراه مثل فلان وفلان وفلان، ولكنى رفضت شاكرا حتى لا أكون مثل فلان وفلان وفلان !!!

نقلت بعد ذلك إلى كلية أركان الحرب لأكون أستاذا بها فى « التدريب وكذلك فى أحد أوجه المعركة وهو الانسحاب » ... من مدرس بمدرسة ضباط الصف، إلى مدرس بمدرسة المشاة، إلى مدرس بالكلية الحربية، إلى أستاذ بكلية أركان الحرب !!! ما شاء الله فالدرع يزداد صلابة !!! الدراسة فى الكلية ممتعة وشاقة للطالب والأستاذ على حد سواء. أذكر أنه بعد سنوات أقامت الكلية احتفالا بمناسبة إنشائها، دعا قائدها كل أساتذتها السابقين ما عدا شخصى، لأنى كنت فى المعاش والأهم أننى حوكمت ضمن مجموعة ١٥ مايو ... !!! كسر الرجل قاعدة أخلاقية المفروض أنها كانت ملزمة لقائد هذا المعهد الكبير ... مررت عليه فى الكلية لألقنه درسا ولم أجده فتركت له رسالة



□ وفد كلية أركان الحرب يسلم شعار الكلية إلى عبد الناصر فى مجلس الوزراء □

أظنها أدت الواجب !!! إحدى الصغائر التى قابلت منها الكثير، أتعامل معها فى أغلب الأحيان بالتجاهل والاستعلاء .. فالناس معادن كما كان يقول الدكتور إبراهيم عبده عميد معهد الصحافة حينما التحقت به .. فحينما خرج فى التطهير لأسباب أجهلها زرته فى منزله زيارة مجاملة وكنت ضابطا برئاسة المشاة، فلما رآنى تهلل وجهه سرورا، وفى صالون منزله الأنيق أمام حديقة الحيوان قال : « التليفون صامت وأوانى المطبخ اصفرت وأصبح البن والشاى والينسون مبروكا وجرس الباب لا يدق .. أنت أول زائر لى منذ أيام .. الناس معادن »، وأظنه نشر كتابا بهذا العنوان.

كان من التقاليد الجميلة للكلية القيام فى نهاية الدورة ببعض الزيارات الخارجية .. قمنا بزيارة لبنان وسوريا والأردن والسعودية فى الفترة من ١٩٥٥/٣/٥ إلى ١٩٥٥/٤/٢. وحدث فى عمان أن استمعنا إلى محاضرة ألقاها باجوت جلوب باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش الأردنى. كانت هناك ٣ لوحات عليها ثلاث خرائط مغطاة يقف بجوارها أحد الضباط، ودخل جلوب باشا ليرحب بنا باللغة العربية الفصحى وأمر الضابط بأن ينزع الغطاء عن الخريطة الأولى وكانت لفلسطين أيام الانتداب .. وأشار بيده للضابط فرفع الغطاء عن الخريطة الثانية فكانت لمشروع التقسيم عام ١٩٤٧ .. وأشار بيده للضابط مرة ثالثة فرفع الغطاء عن الخريطة الثالثة فكانت توضح ما كسبه الأردن بعد حرب ١٩٤٨ وكان مطابقا تماما لخريطة التقسيم، ثم علق بالآتى: «بدأ الأردن حرب فلسطين ولديه ٤ كتائب مشاة دون احتياط ودون ذخيرة إلا الخطين الأول والثانى، تمكن الأردن بالسياسة من الحصول على أرض مشروع التقسيم الذى رفضه العرب، كان انسحابه من اللد والرملة لأنه لم يستطع حماية اللطرون واللد والرملة فى وقت واحد، الأردن يرفض تدويل القدس وأخيرا قال إنه قبل إيقاف النيران لأن ذخيرة القوات نفدت وطلب من مصر الذخيرة ولكنها لم تلب الطلب»، ثم غادر جلوب باشا القاعة ... مصر أيها الجنرال كانت تستولى على ذخيرة الجيش البريطانى لسد العجز الذى كان موجودا.

أنعم الملك حسين علينا بوسام الاستقلال من الدرجة الثالثة، وقد قمت برد الوسام احتجاجا على كثير من تصرفات جلالته بعد ذلك، وحينما نشر الصديق عبد الله التل كتابه عن المقابلات والاتفاقيات التى أجراها الأمير عبد الله مع جولدا مائير وموشيه دايان وهو يقود القوات العربية فى فلسطين.

فى يوم ٩ إبريل ١٩٥٥ وقع الاختيار علىَّ لأسافر فى بعثة إلى كلية القيادة والأركان فى ليفنورث - كانساس بالولايات المتحدة- The Command and General Staff College Leavenworth وهى أعلى كلية عسكرية يلتحق بها أجنبى ليس من أبوين أمريكيين. وقامت عقبة فى طريق سفرى؛ إذ رقيت إلى رتبة البكباشى اعتبارا من ١٩٥٥/٤/١ والفرقة للصاغ أو أقل، إلا أن عبد الحكيم عامر أمر بسفرى واتصل بى ليبلغنى ذلك بنفسه قائلا : « يا أخى لما أثيرت العقبات فى طريق سفرك لماذا لم تتصل بى ؟! » كان عامر « عمدة » فى علاقاته وتعاملاته .. أذكر أن ابن عمى اعتقل ضمن من اعتقلوا من

□ مع العاهل الأردنى الملك حسين □

الإخوان المسلمين ووضع فى السجن الحربى وكان قائده حمزة البسيونى صديقى من سكان شارع إلهامى بالحلمية الجديدة، وذهبت لزيارته عدة مرات، واستدعانى عامر لمقابلته وقابلنى بجفاء ... « رجلك ماشية على السجن الحربى هذه الأيام ». فقلت: «نعم أزور ابن عمى وهو معتقل ضمن جماعة الإخوان». قال: « هذا لا يصح ... لا تذهب مرة أخرى للزيارة ». قلت: « أنت صعيدى يا أفندم وأنا فلاح .. الذى يخاف من زيارة قريبه فى محنته لا يمكن أن يحمل سلاحا ضد العدو .. فالأنذال هم الذين يتقاعسون ». نظر إلىَّ مليا ولكنه لم يقل نعم أو لا .. نظرته تقول داوم على الزيارة ولكن لسانه لم ينطقها. استمررت فى الزيارة ولكن على فترات متباعدة ولا شك أنه كان يعلم ولكنه لم يكرر العتاب.

ليفنورث قرية من قرى كانساس ولكن مستوى الحياة فيها لا يفرق عن مستوى المعيشة فى أى مدينة. والقرية ذات شهرة خاصة إذ فيها كلية القيادة والأركان، وفيها

السجن المركزى الذى كنت أزوره لشراء أجمل أنواع الزهور لإهدائها لزملائى المرضى، أو لتركيب « نعل » لحذائى وكان من أفخر أنواع الجلود. والدراسة ممتعة تعالج قضايا المعركة حتى مستوى الجيش سواء باستخدام الأسلحة التقليدية أو الذرية. وهيئة التدريس قسمان: قسم متفرغ للبحوث والتجهيز وهو لا يحاضر، وقسم آخر ينقل العقائد إلى الطلبة دون تصرف. ويوجد فى معاونة الكلية فرقة مشاة وأخرى مدرعة فى ولاية كانساس، فإذا أعجب المدرس بفكرة جديدة نقلها إلى القسم المتفرغ Board لتجرى عليها التجارب فى الفرقتين، فإذا لاقت نجاحا يجرى التعديل فى الدورة التالية أو التى تليها.

فى حفل استقبال أقامه أحد الزملاء فى منزله تعدى أحد الضباط الأمريكان على بلدى بصوت مسموع، ويبدو أنه أفرط فى الشراب. قلت له: « إهانتك موجهة إلى مضيفى لأنك لم تحترم ضيافته »، وتركت الحفل بما فيه. فى اليوم التالى دعانى الجنرال « ريدجواى » قائد الكلية والذى عمل قبل ذلك قائدا لحلف الأطلنطى إلى عشاء فى منزله بحضور زوجته وابنته، واعتذر الرجل عما بدر من الأمريكى « قليل الأدب »، ثم سألنى: « هل رضيت ؟ » فقلت للجنرال: « لا. لابد أن يكون الاعتذار من الضابط وأمام الجميع ». وقال الجنرال: « معك حق ». وفى أول محاضرة عامة حضر الجنرال وافتتحها بكلمة وقال: « الكولونيل » فلان « مدين للكولونيل أمين هويدى باعتذار. فليتفضل أمام الميكروفون ويعتذر ». وقد كان .. وأبلغت الجنرال شكرى ورضائى.

أمضيت فى كلية ليفنورث الفترة من ١٩٥٥/٧/٢٣ إلى ١٩٥٦/٦/٢٥ رجعت بعدها إلى بلدى. وحتى يوم العدوان الثلاثى نقلت من كلية أركان الحرب فى القاهرة، إلى رئاسة الدفاع عن القاهرة، إلى رئاسة جيش التحرير(*)، إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، ثم ألحقت بالعمليات الحربية فى ١٩٥٦/١٠/١٠. وقد وضعت خطة الدفاع عن القاهرة إذا حدث عدوان عقب تأميم القناة. الخطة كانت تفصيلية وبها خرائط وشفافات

(*) عملت كاركان حرب جيش التحرير الذى كان يقوده كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة الذى كان يتطلع أن يكون بجيشه منافسا لقيادة عبد الحكيم عامر فى القوات المسلحة، إلا أن مناورات عامر وأعوانه أبعدته عن الجيش بعد شهور قليلة وهو يردد: " كان أمين هويدى أبعد نظرا منى حينما ترك واقلع ".

رسمت عليها الطرق وعقد خطوط المواصلات، وقسمت القاهرة إلى قطاعات غرب وشرق النيل .. وقد حدث أن أصبحت هذه الخرائط موضع تحقيق حينما اعتقلت فى قضية ١٥ مايو ١٩٧١ وتم تفتيش منزلى وكانت الخرائط ضمن المضبوطات ... خريطة القاهرة وطرق وعقد مواصلات ... !! يعنى أشياء تستخدم فى مؤامرة لقلب نظام الحكم خاصة أن كشف ضباط الجيش كان من ضمن المضبوطات أيضا. وسألنى المحقق عن سبب وجود الوثائق الخطيرة فى منزلى .. كنت نسيت كل ذلك بمرور الوقت، ولكنى تذكرت وأوضحت وشرحت واقتنع المحقق ... الدرع يخطط للدفاع عن وطنه ثم يجد نفسه وقد وضع فى السجن ويحقق معه بتهمة الخيانة العظمى !!! شىء فظيع لا يتحمله الكثيرون ولكنى تحملته ... ألم أقل إننى درع ؟!!!

وحدث العدوان الثلاثى وانسحبت الجيوش الغازية ... أممنا القناة، وألغينا معاهدة ١٩٥٤، واستولينا على القاعدة البريطانية، ومصَّرنا الأموال الأجنبية. ثم تركت الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية لأواصل كفاحى من أجل مصر تحت أعلام الثورة.

احتفاظا بذكرى الأيام الجميلة التى أمضيتها فى الجيش علقت فى حجرة مجاورة لمكتبى بدلتى العسكرية الجبردين .. بعلاماتها الحمراء لتدل على أننى ضابط أركان حرب .. وعلى الكتف نسر ونجمة لتدل على أننى كنت ضابطا برتبة البكباشى .. وورقة عليها إمضاء جمال عبد الناصر بتعيينى وزيرا للحربية على قمة المؤسسة العسكرية فى أخطر فترة مرت بها مصر.

الفصل الثالث

شاهد عيان على قيام الوحدة السورية المصرية

في يناير ١٩٥٧ نقلت من قسم الخطط بالعمليات الحربية برئاسة القوات المسلحة للعمل فى المخابرات العامة رئيسا لمجموعة المعلومات والتقديرات، وكان السيد زكريا محيى الدين يسلم رئاسة الجهاز للسيد على صبرى الذى كان سيمضى فى رئاسته الجديدة فترة قصيرة ينقل بعدها إلى رئاسة الجمهورية ليتولى السيد صلاح نصر الرئاسة من بعده وحينئذ أصبح نائبا له.

كان أفراد المجموعة من المواطنين الممتازين من أمثال السادة فتحى الديب، وعزت سليمان، وإبراهيم بغدادى، ومحمد فايق الذين عاونونى بإخلاص فى العمليات الكثيرة التى كنا نتولاها مثل الحصول على المعلومات وتجهيز تقديرات الموقف ومساعدة الثورة الجزائرية وجنوب اليمن والحركات التحريرية فى البلدان الإفريقية وهى تكافح من أجل الاستقلال، والذين تولوا بعد ذلك مراكز حساسة.

وكنت أمثل جهاز المخابرات العامة فيما كان يسمى «لجنة العمل اليومى» برئاسة السيد على صبرى الذى كان قد نقل حديثا كوزير برئاسة الجمهورية. وكان أعضاء اللجنة السفيران حسين ذو الفقار ومراد غالب برئاسة الجمهورية، والسيد عبد القادر حاتم رئيس مصلحة الاستعلامات، وأمين هويدى من المخابرات العامة. وكانت الاجتماعات تتم يوميا لمدة ساعة فى مكتب السيد على صبرى، وكان يتولى سكرتارية اللجنة السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات. وكان واجب اللجنة النظر فى القضايا المهمة اليومية وعرض توصياتها على السيد الرئيس الذى كان يؤشر بعلامة (√) بالموافقة أو علامة (X) بالاعتراض، أو بعدم وضع أى إشارة ومعنى ذلك إما مزيد من الدراسة أو ترك الأمر «للجنرال وقت» .. لأن لهذا «الجنرال» قدرة غريبة على تهدئة المواقف بل أحيانا حلها وأحيانا أخرى زيادتها تعقيدا.

وهذه اللجنة بقيت باختصاصاتها بعد نكسة ١٩٦٧ ولكن مع تغيير أعضائها لتصبح لجنة ثلاثية من شعراوى جمعة وزير الداخلية، وأمين هويدى وزير الدولة ثم وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة فى نفس الوقت، وسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات. وكان يحضرها أثناء غياب السيد الرئيس خارج البلاد السيد أنور السادات ومن ترى اللجنة حضوره للموضوعات المعروضة.

من ضمن الموضوعات التى بدأت تفرض نفسها على جهاز المخابرات واللجنة موضوع العلاقة بين مصر وسوريا، إلى جانب موضوعات أخرى أهمها الوضع فى منطقة القناة .. كان عبد الناصر قد أممها وخاضت مصر من جراء ذلك حربا ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وأخذت فى مواجهة ذيوله حتى تم انسحاب القوات المعتدية، وكلف المهندس محمود يونس - الذى قام هو وجماعته بتنفيذ عملية التأميم بنجاح مبهر رغم العقبات العالمية والمحلية الكبيرة - بإدارة المنطقة، وأطلقت يده لغرض الاستقرار فيها، وتسبب ذلك فى إثارة بعض القضايا نتيجة لتصرفات لم ترض بعض الأفراد والجهات .. وهو شىء طبيعى إذا نظر إليه فى إطار الظروف الحساسة التى سادت وقتئذ.

سوريا فى ذلك الوقت كانت ترفع راية الوحدة، يتبنى شعاراتها كل أفراد الشعب. وسوريا تربطها علاقات تاريخية مع مصر على مر السنين، وكانت تخضع فى وسط الخمسينيات لضغوط من تركيا وتهديدات من إسرائيل دفعت البلدين الشقيقين إلى الاتفاق على إرسال قوات مصرية إلى ميناء اللاذقية عام ١٩٥٧ لدعم الموقف السورى ضد تلك الضغوط والتهديدات مما ضاعف من المد الوحدوى. قدم مجلس النواب السورى دعوة إلى مجلس الأمة المصرى لزيارة سوريا، ولبى الدعوة وفد من أربعين نائبا برئاسة السيد أنور السادات وكيل مجلس الأمة فى نوفمبر ١٩٥٧. وفى الجلسة المشتركة لأعضاء المجلسين التى عقدت فى دمشق صدر قرار بالإجماع «يدعو حكومتى البلدين للدخول فورا فى مباحثات مشتركة لاستكمال تنفيذ الاتحاد بين سوريا ومصر». وفى ٣١ ديسمبر ١٩٥٧ حضر وفد من مجلس النواب السورى برئاسة إحسان الجابرى إلى مصر، وعقد اجتماعا مع مجلس الأمة وصدر قرار يعزز قرار المجلسين الذى كان قد صدر فى دمشق منذ أسابيع.

وتلا ذلك تكثيف زيارات الوفود السورية العسكرية والمدنية إلى مصر، والتى انتهت بقيام الوحدة بين البلدين والتى أعلنها صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا من شرفة مبنى مجلس الوزراء المصرى، وألقى بعده الرئيس السورى شكرى القوتلى خطابا وتلاه خطاب الرئيس جمال عبد الناصر. كان ذلك ظهر يوم أول فبراير ١٩٥٨ وكنت حاضرا فى الشرفة أسمع وأرى الحدث التاريخى.

تقرر أن يجرى استفتاء على قيام الوحدة وعلى رئيس الجمهورية يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨. وفى يوم ١٩٥٨/٢/٣ تقرر سفرى والزميل شعراوى جمعه إلى سوريا لتقصى الأحوال هناك ومعرفة ردود الفعل على الأرض ولتقييم الأوضاع من وجهة نظر المخابرات العامة. ونزلنا فى فندق سميراميس بالقرب من نهر بردى، وأخذنا فى التنقل بين ربوع سوريا ومدنها .. حمص وحماة وحلب واللاذقية حيث نزلنا فى لوكاندة صغيرة جميلة على البحر مباشرة. وحينما عدنا فى مساء أول يوم لنا فى اللاذقية وجدنا أن إحدى العائلات العريقة فى البلدة نقلت حقائبنا إلى دارهم لنقيم فى منزل كانوا قد خصصوه لابنتهم «العروس» التى كانت قد تزوجت حديثا ولما يمض على زواجها إلا أيام قليلة. طالت الزيارة والضيافة لعدة أيام، ورأينا ولمسنا فيها المشاعر السورية الحميمة والكرم الذى لا ينسى. واستأنفنا تجوالنا من جديد.

كان الشعور الغالب هو تأييد الوحدة، ولكن الأمر لم يخل من وجود عدد من غير المتحمسين بل والمعارضين. وعلى سبيل المثال، تعمدنا أن نجلس فى قاعة السينما التى كانت بجوار فندق سميراميس بدمشق حيث كانت تجرى سهرة فنية اشترك فيها فنانون مصريون وسوريون، ولاحظنا أن صفوفا من المشاهدين لم يشاركوا فى التصفيق أو الترحيب .. بل عندما كان الفنان «محمد قنديل» يغنى أغنيته المعروفة «من الموسكى لسوق الحمدية، أنا عارف السكة لوحديه»، كانت تعليقات بعض المستمعين والمستمعات : «الموسكى فين وسوق الحمدية فين !!! أما دم ثقيل صحيح !!! روح غنى فى بلدكم». وكانت مثل هذه المشاعر تتكرر فى الأحياء التجارية وبعض المقاهى، ومن بعض المظاهر العفوية التى كنا نلمسها فى الشوارع مما ضمناه فى تقريرنا الذى قدمناه للرئيس بعد ذلك وأبدينا نصحنا فيه بالتريث.

كانت حصيلتنا من المعلومات والملفات والوثائق كبيرة .. كنا نرسلها يوميا إلى جهازنا بالطائرة ليستقبلها مندوب فى المطار ليوزعها رئيس المخابرات على المجموعة

المختصة لدراستها واستكمالها بالمعلومات الموجودة من قبل لإصدار تقارير معلومات إلى مراكز اتخاذ القرار. وكان لدى السفارة المصرية ومكتب الملحق العسكرى والملحق الإعلامى والثقافى فيض من المعلومات أيضا، علاوة على أن سوريا لم تكن كوكب المريخ بالنسبة لمصر ولم تكن مصر كوكب المشترى بالنسبة لسوريا وكان البلدان عضوين فى الجامعة العربية لأكثر من ١٣ عاما.

فالقول إذن بأن الوحدة التى قامت بين البلدين كانت وحدة غير مدروسة غير صحيح على الإطلاق، وقيام البعض بإرجاع الانفصال الذى تم بعد ذلك بثلاث سنوات إلى أن البلدين لم يكونا على دراية كافية بأحوالهما وأن الوحدة كانت عملية انفعالية تنقصها المعرفة والدراسة، لا يمت للحقيقة بصلة. كان موضوع الوحدة موضوعا رئيسيا لمناقشات جادة فى «لجنة العمل اليومى». ومن المفارقات أن أعضاء اللجنة ـ ما عدا السيد على صبرى الذى لم يفصح عن رأيه كعادته فى تعامله مع كافة القضايا التى كانت تعتبر نقطة تحول ـ كانوا يعارضون القفز بالعلاقات إلى مستوى الوحدة الكاملة، لأنها سوف تتجسد وقتئذ غرضا توجه إليه سهام المعارضين من دول الكتلة الغربية والكتلة الشرقية والأنظمة المحافظة العربية، علاوة على عدم وجود حدود مشتركة بين البلدين الأمر الذى يعتبر حيويا عند التصدى لأى تهديدات خارجية أو فرقعات داخلية.

كانت ضمن الموضوعات الرئيسية التى كنا نعالجها معرفة الشخصيات التى يمكن التعامل معها فى المستقبل القريب والبعيد، وكان البعض من مختلف الاتجاهات والميول يدرك ذلك فكان الاقتراب المرغوب من الطرفين سهلا، ولكنا لمسنا ظاهرة غريبة .. فالكل يتحدث عن نقائص الكل، وكأن أحدا خال من العيوب. وكان الشيوعيون الذين قابلناهم أو سمعنا عنهم قد حددوا موقفهم سلفا بالوقوف ضد الوحدة تماما كموقفهم من ثورة يوليو ١٩٥٢؛ إذ بدأت علاقاتهم معها بالمعارضة والنقد والشك. وكان من المظاهر أيضا أن للأحزاب أذرعها الحربية داخل الجيش، وكانت الخلافات السياسية بين الأحزاب تنعكس على فروعها العسكرية بالوحدات .. لدرجة أن الضباط والجنود الحزبيين كانوا لا يغادرون ثكناتهم خوفا من انتهاز البعض الفرصة للانقضاض على السلطة. كل ذلك وأكثر منه ضمناه فى تقرير من صورة واحدة ومكون من ثلاث صفحات ومكتوب بخط اليد لرفعه بعد ذلك إلى رئاستنا حينما تنتهى مأموريتنا ونعود إلى القاهرة.

وقد حدثت مفارقات كثيرة أحب أن أركز على اثنتين منها :

□ **المفارقة الأولى**، مقابلة تمت بيننا وبين البكباشى أركان حرب (مقدم أ.ح) «أبو المكارم عبد الحى» فى ظروف غريبة. والثانية: كانت قصة مليونى جنيه استرلينى دفعت لمنع الوحدة، مما ينبئ بالعواصف التى سوف تهب عليها وهى وليدة.

أبو المكارم عبد الحى ضابط ذو كفاءة عالية كان مدرسا فى الكلية الحربية وحاصلا على أعلى شهادة علمية فى القوات المسلحة فى ذلك الوقت، وكان من الإخوان المسلمين .. الذين أرادوا السيطرة على الثورة حين قيامها، ولما اعترضت الثورة على ذلك عارضوها وتآمروا عليها إلى درجة محاولة قتل زعيمها فى الاسكندرية، فى أول عملية إرهابية منذ قيام الثورة. ولظروف مؤسفة لا داعى للاستطراد فيها فضل أبو المكارم أن يترك مصر ليعيش فى المنفى. كان أبو المكارم متزوجا فى ذلك الوقت من ابنة الشيخ أمين الحسينى مفتى القدس، وكان يقيم فى دمشق وقت المقابلة. عندما صحوت فى صباح أحد الأيام وجدت ورقة على الأرض ملقاة من تحت الباب، وقرأت ما فيها ووجدتها من الأخ «أبو المكارم» يحدد موعدا للقاء بعد ظهر ذلك اليوم. وعندما فتحت الباب وجدت أحد «الجرسونات» واقفا عن بعد وهو يبتسم، وأخبرنى أن «الضابط» كلفه بوضع الورقة حتى أتسلمها، فعرفت أن «أبو المكارم» ما زال على نشاطه وأن له عيونا فى الفندق الذى نقيم فيه. وتحاورت مع شعراوى فى موضوع اللقاء فكان غير مشجع لإتمامه. كنت على صلة مع «أبو المكارم» قبل وعند قيام الثورة، وزارنى فى المنزل فى حمامات القبة محاولا أن يضمنى إلى «الإخوان» وقت الاستقطابات النشيطة فى تلك الفترة، وبالرغم من رفضى ذلك فقد كنت من الضباط الأحرار إلا أن علاقتنا لم تنقطع حتى غادر البلاد. وأخيرا اقتنع شعراوى بمصاحبتى عند ملاقاة الرجل، وأخذنا فى عربة «تاكسى» إلى إحدى مقاهى «الغوطة»، وأفاض الرجل فى شرح الموقف فى سوريا محذرا من التسرع فى إتمام الوحدة ... «سوريا بها ٥ ملايين زعيم»، ومن الصعب قيادتهم فهم ليسوا كالشعب المصرى يسهل قيادته. وكان ملما بمعلومات عن الشخصيات الذين يمكن التعامل معهم. وأخيرا طلب أن نرفع للرئيس رجاءه بأن يسمح له بالعودة إلى مصر على وعد منه بإيقاف نشاطه فى مقابل عدم القبض عليه لتهم سابقة، ووعدته بذلك

وأخذنا تاكسيا إلى الفندق، أما هو فقد انطلق إلى حال سبيله. ولما رفع الأمر إلى الرئيس لم يوافق محذرا من خطورة «أبو المكارم»، وقد بلغته الرسالة .. رحم الله الرجل إذ توفى ودفن بالقاهرة منذ شهور .. ذكرت القصة لأن المصرى مصرى حتى وهو فى المنفى يخاف على مصر مهما كانت دوافعه وآلامه.

□ أما **المفارقة الثانية**، فقد تمت على غداء فى منزل الأخ عبد المحسن أبو النور الملحق العسكرى المصرى بدمشق وقتئذ، وكان الأخ عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثانى السورى مدعوا أيضا. وكان عبد الحميد قد قام أثناء العدوان الثلاثى على مصر، وبمبادرة فردية، بقطع أنبوب البترول الذى ينقل البترول السعودى وبترول شمال العراق إلى موانئ سوريا ولبنان على البحر لحرمان الدول المنتفعة من النفط الغالى، كما كانت له سمعة مرهوبة لتدخلاته وجهازه فى بعض البلدان المجاورة. ويحضرنى بهذه المناسبة قصة. كان السفير الأردنى فى الرباط حيث عملت سفيرا قبل تعيينى سفيرا فى بغداد يدعى «عبد الحميد سراج»، وناديته فى إحدى المرات باسم «عبد الحميد السراج»، فقال معاتبا : «يا أخ أمين اسمى عبد الحميد سراج، فأنا رجل معروف لا أحتاج إلى «ال» للتعريف كعبد الحميد السراج فى سوريا»، وطبعا ما قاله السفير يحتاج إلى تصحيح ... !! تأخر الأخ عبد الحميد عن الموعد كثيرا فأكلنا، وقبل أن ننتهى حضر وحيا وبدأ طعامه وهو يقول فى جدية : «حد عاوز مليون جنيه استرلينى ؟» ورد عليه أبو النور : «مليون جنيه ؟ ! إنت عندك حاجة ؟» وهنا أبرز عبد الحميد شيكا باسمه بالمليون أرسله له الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية كدفعة أولى لهدم الوحدة قبل أن تنشأ ... !! ناقشنا الموضوع بجدية وقدرنا كم هى التهديدات التى ستواجهها الوحدة الوليدة حينما يبدأ فى تكوينها .. !! واتفقنا على أن يسافر شعراوى إلى القاهرة لإخطار الرئيس عبد الناصر والعودة فى نفس الليلة أو فى صباح اليوم التالى. وأمر الرئيس بصرف الشيك، وتلا ذلك شيكان آخران ليبلغ حجم الرشوة مليونى جنيه استرلينى .. ولم يقدر «الراشون» أن ثمن الوحدة - عند المؤمنين بها - لا يقدر بمال حتى لو بلغ الملايين.

تم الاستفتاء على الوحدة فى الإقليمين، وعلى عبد الناصر كأول رئيس لها يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨، وكانت النتيجة ٩٨٪ إلى جانب الوحدة ورئيسها. وفى يوم ٢٤ فبراير

١٩٥٨ رأينا ـ شعراوى وأنا ـ الذهاب إلى بيروت فى رحلة قصيرة نعود بعدها ليلا إلى دمشق. وفى شارع «الحمراء» ببيروت انقلب كل شىء على عقبيه فجأة .. انطلقت الزغاريد، تجمهر الناس، ارتفعت الهتافات، وعلقت الأعلام بينما كان الراديو يعلن بصوت مذيع مجنون فقد السيطرة على نفسه وصول عبد الناصر إلى دمشق. وعلى الفور قفزنا فى أول تاكسى وجدناه وعدنا بكل سرعة إلى دمشق، ولم نكن قد مكثنا ببيروت إلا جزءا من ساعة !!! كانت السرية كاملة على تحركات الرئيس، فقد اشتعلت المنطقة وتكاثر المتربصون والمتآمرون؛ إذ حققت القومية العربية أول انتصاراتها وهذا شىء مقلق وخطير لمن كانوا خارج الدار ولبعض من كانوا بداخلها وللأسف الشديد !!!

وصلنا بصعوبة إلى قصر الضيافة، ودخلنا ونحن نعدو إلى صالة الدور الأسفل لنجد الرئيس يتصدر الصالون الكبير المكتظ بالناس وهو واقف يبتسم يحيى طابور المهنئين. وسلمنا على الزعيم واحتضناه، وأعطيته التقرير ذا الصفحات الثلاث والمكتوب باليد، وكان التوقيت سخيفا ولكنه ابتسم أكثر ودسه فى جيبه .. ناقشناه معه فى إحدى فترات الاستراحة .. فهناك اختلافات كبيرة وكثيرة يجب أخذها فى الاعتبار، وهناك أحزاب متجذرة لها أذرعها فى الجيش وتجار لا يعرفون أى قيود، وكان الرجل على علم بكل ذلك.

ودعاه المواطن الأول «شكرى القوتلى» ليحيى الجماهير من شرفة الدور الأعلى، وكنا هناك لنرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. الناس بالآلاف بل بالملايين تملأ كل الشوارع الموصلة إلى القصر، والأهازيج العربية تشدو والطبول تقرع بأصوات رهيبة، والهتافات تشق عنان السماء. وألقى عبد الناصر خطابه، وأعلن عن شيكات المليونى جنيه استرلينى .. كانت فضيحة عالمية تناقلتها وكالات الأنباء، ولكنها كانت فى نفس الوقت إنذارا يجب وضعه فى الاعتبار.

ثم أخذت العجلة تدور وسط تحديات وأخطاء وإيجابيات البناء، وفى ظل المؤامرات التى كانت تحيكها القبعات والعمائم والعقالات والبريهات والتى دفعت لتنفيذها الدولارات والليرات والريالات.

وحدثت بعد ذلك جريمة الانفصال .. ثم اتصالات ومباحثات تختلط فيها الخديعة بالصدق لعودة الوحدة، وفى نفس الوقت جرت خطط وتدبيرات «لغزو» سوريا لإسقاط جماعة الانفصال .. وكنا عن قرب من كل ذلك نسمع ونرى.

بعد أسابيع من عودتى من سوريا أخبرنى السيد صلاح نصر بأن الرئيس اختارنى «سكرتيرا للمعلومات فى الإقليم الشمالى» لصفات ذكرها وأعتز بها، وأن السيد على صبرى ألح فى ذلك أيضا إلا أن الأخ صلاح اعتذر نيابة عنى ... «فلأمين ظروفه العائلية التى تحول دون مغادرته القاهرة» !!! ولم يكن هناك مثل تلك الظروف التى ذكرها، ولكن لعله كان فى حاجة لوجودى فى جهازنا فرأى الاعتذار نيابة عنى دون أخذ رأيى !!! ولكن الخيرة فيما اختاره الله.

هناك تساؤل قد يلح على البعض : التحذيرات والإنذارات كثيرة للتريث فى إقامة الوحدة، فلم قرر الرئيس قبولها رغم أنه كان من أنصار عدم التعجل ؟! هل للرئيس – أى رئيس ـ الحق فى تجاوز نصائح مستشاريه ؟ فى تقديرى أن الرئيس سيد داره، وهو ليس أسير مستشاريه أو التحذيرات التى تقدم له. واجب عليه أن يسمع بآذان كبيرة ثم يفكر ثم يقرر فهو المسئول عن قراراته سواء كانت المسئولية دستورية أو ثورية.. هو «شاهد» رخامى تحفر عليه إيجابيات وسلبيات حكمه، وهو لا يصبح بذلك منفذا دائما لاتجاهات الرأى العام ـ رغم ضرورة أخذ ذلك فى الاعتبار ـ إذ واجب عليه أن يرفعه إلى آماله وطموحاته، علاوة على أن لكل قرار إيجابياته وسلبياته .. مؤيدون ومعارضون، وهو يستمع إليهم ثم واجب عليه بعد ذلك أن يتخذ قراره، علما بأن لكل قرار جانبا من المجازفة المحسوبة .. ولذلك فاتخاذ القرار عملية صعبة معقدة ويتعرض لها الرئيس عدة مرات فى اليوم الواحد، فهذا واجبه اليومى وكثيرا ما يفرض عليه اختيار قرار سيئ من قرارات وبدائل أسوأ.

وسط هذه المفاهيم، وتقديرا للموقف فى سوريا الذى أصبح خطيرا وهى تواجه التهديدات الخارجية والضغوط الداخلية، ولإيمانه بالوحدة العربية اتخذ قراره .. أقول هذا رغم أننى كنت معارضا الوحدة الدستورية الكاملة مع أعضاء «جماعة العمل اليومى»، وكان ذلك واضحا أيضا فى التقرير الذى قدمناه ـ شعراوى وأنا ـ إلى الرئيس فى قصر الضيافة فى دمشق.

حدث الانفصال ولم يكن مفاجأة لنا فى المخابرات العامة حيث كنت أعمل وقتئذ نائبا لرئيس الجهاز لشئون المعلومات والتقديرات، لأن الشارع السورى كان يتحدث به علنا، وكانت المخابرات تدرى بدورها وتحذر .. بعض مدبرى الانفصال كانوا من مكتب المشير عامر الذى كان يتولى تسيير الأمور هناك .. ملحوظات ثلاث نتوقف عندها :

● **الملاحظة الأولى** هى أنه منذ اللحظات الأولى لبناء الوحدة والانفصال غرض من أغراض القوى الأجنبية وبعض القوى العربية .. ثابروا ورابطوا لتحطيمها بالمال والتآمر. وقد مارست إسرائيل أيضا ضغوطا عن طريق تحرشاتها فى منطقة الحولة فى ١٩٥٨/٣/٣١ على سبيل المثال باستمرارها فى تحويل مياه نهر الأردن وتصدى قواتنا السورية والمصرية لها بالوسائل المتاحة، بما فى ذلك طائراتنا التى كانت تطير ليلا فوق إسرائيل للتصوير باستخدام المشاعل، الأمر الذى أجبرها على الإعلان عن تأجيل العمل والحفر. الضغوط الخارجية لا يمكن أن تؤتى ثمارها إلا بمساعدة داخلية أو ضعف داخلى، الأمر الذى يحتم الانطلاق بالمجهودات الخارجية من قاعدة داخلية وطيدة.

● **الملاحظة الثانية** هى حظر وجود المخابرات المصرية فى الإقليم الشمالى ... «سأقطع رجل أى نشاط من عندكم عندنا»، هذا ما قاله عبد الحميد السراج أثناء غداء عمل أقامه صلاح نصر له بمناسبة وجوده فى القاهرة. ولذلك حينما تدهور الموقف واستقال السراج مما ترتب عليه إبعاد كل مساعديه الرئيسيين إلى القاهرة وإقامتهم هنا فى قصر الضيافة إلى أن حدث الانفصال، حدث فراغ هائل قيل إن السراج ورجاله استغلوه مع الآخرين لتأييد الانفصال. وفعلا عرض الرجل خدماته على القادمين الجدد الذين رفضوا الخدمات واعتقلوه فى سجن المزة بدلا من ذلك، إلا أن السراج برر موقفه بأنه كان يريد أن يركب موجتهم ثم يضربهم بعد ذلك لإعادة الوحدة.. أكد أن هذه كانت نياته .. والنيات علمها عند الله.

● **الملاحظة الثالثة** خاصة بحزب البعث أيام الوحدة، فقد لعب دوره السلبى أثناء الوحدة وفى عملية الانفصال. وقد ظهر جليا أن مناداته بالوحدة ليس معناها إيمانه بها، فقد كان يبغى من وراء ذلك الانفراد بحكم سوريا بعد أن عجز عن ذلك من قبل .. فهو يتعاون مع غيره وهو خارج الحكم بصفته الحزب المشارك، فإذا ما وصل إلى السلطة يعمل على أساس أنه الحزب القائد ثم يصفى من تعاون معه ليصبح الحزب الواحد. وقد حدث أن فاتح كل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار الرئيس عبد الناصر بتكوين لجنة سرية تحكم الوحدة مكونة من ثلاثة من كل إقليم، والسوريون الثلاثة هم

الثلاثة الكبار فى الحزب، شريطة أن يبقى الحورانى فى القاهرة لخطورته. ورفض الرئيس لأن الوحدة غرض نبيل لا يمكن أن نهبط بمستواه ليحكم بلجنة سرية .. ثم بالرغم من أن الرئيس عند قبوله الوحدة كان قد اشترط حل الأحزاب الموجودة فى سوريا لأن مصر كانت قد ألغت الأحزاب، فإن حزب البعث حل نفسه فى الظاهر ولكنه لم ينفذ ذلك فى واقع الحال ـ فكانت الاجتماعات مستمرة، وكانت التعميمات تصلنا أولا بأول بعد صدورها مباشرة .. ثم حينما أراد وزراء الحزب الاستقالة لم يراعوا أن استقالتهم من الحكم معناها استقالة من الوحدة، وقد عمل كل من الزعماء الثلاثة عن طريق الضابط المصرى داوود عويس على أن يؤثروا على الوزيرين توفيق عبد الفتاح وعباس رضوان كى يشاركاهم الاستقالة، حتى تكون الاستقالة قومية وليست قطرية .. ثم عند حدوث الانفصال كان صلاح البيطار أول الموقعين عليه، وحينما عاتبته وهو يزورنى فى منزلى قبل اغتياله فى باريس بأيام بكى، وكان صلاح سريع البكاء فلا تعرف إن كانت دموعه دموع تأنيب الضمير أم دموع التماسيح .. ثم ألاحظ الآن أن الحزب يحكم فى كل من سوريا والعراق ولا حديث عن الوحدة بل سيطر العداء والتنافس عليهما، لدرجة أن سوريا كانت فى صف إيران وقت الحرب العراقية الإيرانية، وقامت بقطع أنابيب النفط التى توصل نفط الحقول الشمالية فى العراق إلى الموانئ السورية على البحر المتوسط.

حصلت أخطاء لا شك فى هذا، ومن مصر أيضا، ولكن هل علاج المريض بقتله وذبحه ؟! هل نحمل مصير الأمم أخطاء أولادها ؟ هل نحمل الوحدة أخطاء من يديرونها فنقضى على الآمال والمصير ؟!

كنت أستمع وأنا فى الجلسات التى بحثت فيها الوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر فى إبريل ١٩٦٣ إلى ما كان يتبادله الحاضرون من أسباب الانفصال، وأتساءل بينى وبين نفسى : هل نحن جادون ؟ هل نحن وحدويون ؟ هل نرغب ونحب ؟ هل نعرف ونقدر ؟

ملحوظة أخيرة: ضاع إقليم الاسكندرونة من سوريا ولم تكن هناك وحدة .. ضاع ٧٨٪ من أرض فلسطين وأنشئت إسرائيل ولم تكن هناك وحدة .. عند وقوع الانفصال لم تكن البلاد العربية قد فقدت شبرا من أراضيها أيام الوحدة. فى زمن الانفصال



□ فى مباحثات الوحدة الثلاثية بين ج . م . ع وسوريا والعراق □

فقدنا سيناء وعادت بعد الحرب والتفاوض والتحكيم، وفقدت سوريا الجولان ولم تستردها حتى الآن، وفقدت لبنان جزءا كبيرا من مزارع شبعا وإسرائيل تمرح وتتحرك، والشمال العراقى مهدد بالانفصال، والجنوب السودانى مهدد بتكوين دولة الجنوب مستقلة عن الشمال ... ملاحظة تستحق التمعن.

سؤال آخر يتردد: لماذا لم يستخدم عبد الناصر رئيس دولة الوحدة القوة للتصدى للانفصال ؟ سؤال مشروع، فقد حدثت الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) حينما فكرت بعض ولايات الجنوب فى الانفصال عن الاتحاد ففرضت الوحدة على «اليانكى» بالقوة .. بسمارك حقق الوحدة للولايات الألمانية متخذا بروسيا قاعدة لمناوراته السياسية والعسكرية ... وغير هذا أكثر. إذن فاستخدام القوة وسيلة مشروعة

لاسترداد الوحدة التى تمت باستفتاء شعبى وبرضاء كامل من شعبى القطرين، فى حين أن الانفصال تم باستخدام القوة وبالرشوة والمال فى فترة الإعداد لها وفى فترة ذبحها بعد تكوين الدولة ولم يتم استفتاء على الوضع الجديد .. استخدام القوة كان إجراء شرعيا ضد انفصال غير شرعى.

حدث الانفصال يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وكان المشير عبد الحكيم عامر هناك فى دمشق يتولى مسئولياته، وكان اللواء أنور القاضى رئيس أركان حرب الجيش الأول فى قيادته فى دمشق. قلت ذلك لأن المشير عامر ظل على رأس قواتنا المسلحة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، وكان نفس أنور القاضى بعد أن كان قد رقى إلى رتبة الفريق رئيسا لهيئة العمليات لقواتنا المسلحة فى نفس التاريخ، وكانا معا فى الطائرة التى كانت تحلق فى الجو وقت أن قامت إسرائيل بضربتها الجوية فى الساعة الثامنة وخمسين دقيقة .. نفس القادة فى الانفصال هم هم فى النكسة، مع فارق واحد هو ترقية اللواء القاضى إلى رتبة فريق وزيادة ضخمة فى مسئوليات ونفوذ عامر !!! كان من الواجب تغيير الخيول بعد أن ظهر عجزها فى أثناء السباق.

حاول عبد الناصر مقاومة الانفصال .. الطائرات تجهز للاتجاه صوب اللاذقية ... عامر يصل مبعدا إلى القاهرة .. قوات حمص تؤيد الانفصال، وقوات قطنة أيضا .. قوات حلب منقسمة .. قوات اللاذقية موقفها غير واضح .. تمت عملية إسقاط مظليين فى مطار «حميميم» بالقرب من اللاذقية بقيادة الرائد جلال هريدى (هو نفسه الضابط الذى انضم إلى قوات المشير فى منزل الجيزة بعد إعلان حركة العصيان بعد نكسة ١٩٦٧) .. قوات اللاذقية تحاصر المطار.. تستسلم القوات المصرية فى فجر يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ بعد إلقاء السلاح.. تم اعتقالهم فى ثكنات حمص ما عدا جلال هريدى الذى اقتيد إلى دمشق للتحقيق، ثم هاجمنا جلال فى الإذاعة بعد ذلك .. صدرت الأوامر لباقى القوات المصرية التى كانت فى الطائرات مستعدة للتحرك بإلغاء العملية، والسبب تدخل المشير الذى كان قد وصل فعلا، وكذلك أيقن الرئيس ألا فائدة من التدخل لصعوبة إمداد القوات لو تعقد الموقف لعدم وجود حدود مشتركة، وسمعت أن ذلك تم بنصيحة من بعض الأصدقاء وبإنذار من كثير من الأعداء.

يعنى استخدم الرئيس القوة فى مقاومة الانفصال، وكان يرغب فى الاستمرار فى ذلك لو سمحت الظروف. كان هناك ثغرة بين الرغبة والقدرة، ولا ضير من ذلك فهو الرئيس الشرعى للجمهورية العربية المتحدة التى انفصل عنها الإقليم الشمالى.

ولكنى حمدت الله أن الرئيس تراجع؛ إذ لا يصح تعزيز الفشل .. وضربت الوحدة فى مقتل من حفنة من الضباط السوريين معززين برجال الأحزاب القدامى بأموال تدفقت من أكياس مليئة بالذهب الرنان.

ولكن تمت محاولة أخرى بعد ذلك بسنوات ثلاث .. كنت فى ذلك الوقت سفيرا فى بغداد منذ فبراير ١٩٦٣ بعد انتهاء حكم عبد الكريم قاسم وفى أثناء حكم عبد السلام عارف. كان قد اتفق على قيام المشير عامر بزيارة بغداد يوم ١٩٦٤/٤/٢ إلا أن الزيارة تأجلت إلى موعد يحدد فيما بعد .. وفى أواخر الشهر كنت فى إحدى زياراتى إلى القاهرة، وكان كل من الرئيس والمشير فى اليمن، وصدرت أوامر الرئيس وهو فى صنعاء بعدم عودتى إلى بغداد فى انتظار مقابلتى له بعد عودته، ولطول مدة بقائى فى القاهرة انتشرت شائعات بأننى لن أعود إلى بغداد لاتهامى باتهامات لا صحة لها أخذت إذاعة دمشق ترددها وبلغت ذروتها يوم ١٩٦٤/٤/٢٨.

فى يوم ١٩٦٤/٤/٢٩ قابلت الرئيس بعد عودته، ولأهمية حديثه سأنقله بالنص من مذكراتى :

■■ تحدث عن ضرورة دعوة الرئيس عارف لاحتفالات تحويل مجرى النيل فى أثناء بناء السد العالى؛ إذ علم أنه سينيب عنه طاهر يحيى رئيس الوزراء، خاصة أن بين من سيحضر الاحتفالات خروشوف وبن بيلا والسلال، وسوف تكون هذه فرصة لإزالة الخلاف بينه وبين خروشوف لاتهام الأخير له بالرجعية. وطمأنت الرئيس إلى حضور الرئيس عارف، فهو يتطلع إلى ذلك. ذكر الرئيس أننا نؤيد عارف إلى أبعد حد وسوف نلبى كل طلباته.

■■ فى سوريا هذه الأيام عمليات إضراب، ولؤى الأتاسى (كان رئيس سوريا بعد انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ الذى قام بعد القضاء على حكم الانفصال، وكان صلاح البيطار رئيسا للوزراء، وظهر أنه حكم انفصال لا يفرق عن الحكم الذى سبقه) سوف

يقوم بعملية يدخل فيها إلى دير الزور فى شمال سوريا ويعلن حكومة سوف نعترف بها ونؤيدها بالقوات الجوية وبكل المساعدات الممكنة.

■■ تساءل الرئيس عن مدى استعداد العراق فى الاشتراك فى العملية ؟ هل سيعترفون بحكومة لؤى ؟ هل يمكنهم المشاركة بدبابات وطائرات ونحن نوفر الأطقم من الأفراد ؟ هل الرئيس عارف مستعد لتوفير كتيبتين تحت علم سوريا ؟ إذا لم يحسم الموقف الآن فى سوريا لن يحسم على الإطلاق.

■■ لؤى موجود الآن فى بيروت وسوف يحضر إلى القاهرة ١٩٦٤/٥/١ ويتحرك فى طائرة المشير يوم ٥/٤ إذ تحددت زيارته إلى بغداد فى هذا اليوم.

■■ إذا نجحت العملية لا حديث عن الوحدة مع سوريا، ربما اتحاد على غرار علاقتنا مع اليمن تحتفظ فيه الدول بكياناتها.

■■ سيقوم المشير بمفاتحة الرئيس عارف بذلك عند زيارته، ونحن على استعداد لإقامة نوع من الاتحاد مع العراق ويمكن أن تضمنوا ذلك بيان الزيارة.

وبينت للرئيس خطورة العملية خاصة أن معرفتى بلؤى الأتاسى تؤكد أنه رجل ضعيف لا يستقر على رأى. إلا أن الرئيس ذكر لى أن الأيام صقلته. لاحظ الرئيس أننى أشعل سيجارتى بالكبريت ـ كنت وقتئذ أدخن ـ فقال لى : «يا أخى سفير ولا تملك ولاعة ؟» وأهدانى ولاعة مازلت أحتفظ بها إلى الآن رغم إقلاعى عن التدخين.

كان الرئيس يعلم أننى سأقابل المشير الساعة ١٢ ظهرا إلا أنه تعمد تأخيرى عنده حتى الساعة الواحدة، ترى لماذا ؟ هكذا تساءلت طبعا بينى وبين نفسى !!! قابلت المشير فى اليوم التالى ولم يخبرنى بشىء مما قاله الرئيس، غير أنه قال لى وأنا أغادر: «خلى عربتك جنب الطيارة حينما أصلكم فى بغداد يوم الاثنين ٤ مايو ...» طبعا خمنت أن «الشحنة» ستكون معه. وغادرت إلى بغداد على الطائرة العربية بعد ظهر نفس يوم المقابلة، وكان وصولى إلى بغداد ضربة قاصمة للإشاعات التى رددت أنى لن أعود إليها، واستأنفت أعمالى وأنا مشغول البال بحديث الرئيس مصمما على الحيلولة دون أن تتم محاولة «لؤى».

وفى صباح الاثنين ١٩٦٤/٥/٤ وصل المشير إلى مطار بغداد وفى رفقته وفد كان من بين أعضائه الوزيران عباس رضوان وعبد الوهاب البشرى، والفريق محمد فوزى

رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة. وأوصلتهم إلى عرباتهم المخصصة لهم لتتجه بهم إلى قصر بغداد مكان إقامتهم طوال الزيارة، وعدت مسرعا إلى الطائرة وعربتى الواقفة إلى جوارها، ونزل لؤى الأتاسى مسرعا ووراءه اللواء أحمد منير عبد الرحيم واللواء أحمد أيوب من قيادة القوات المسلحة واتجهنا إلى منزلى فى الأعظمية - قبل أن أنقل دار السفير إلى كرادة مريم - ليقيموا هناك حتى نهاية الزيارة فى ضيافتى.

قابلت الفريق لؤى الأتاسى من قبل عدة مرات : أول مرة وهو رئيس جمهورية سوريا بعد حركة ٨ مارس، حينما وصل إلى القاهرة على رأس وفد سورى لحضور مباحثات الوحدة الثلاثية بين القاهرة وسوريا والعراق، والتى انتهت بالتوقيع على اتفاقية ١٧ نيسان / ابريل التى فشلت بعد أسابيع من الإعلان عنها. مرة أخرى فى مكتب المشير عامر فى القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان الرئيس وقتئذ فى موسكو وكان لؤى مازال رئيسا لسوريا وكان يحاول تعديل ما اتفق عليه فى الاتفاقية. مرة أخرى بعد ذلك بأيام فى القصر الأبيض ببغداد محاولا إقناعى بتغيير الاتفاق أيضا. والمرة الأخيرة هى التى أتحدث عنها بعد أن انقض عليه البعثيون مع آخرين .. كان لؤى كما عرفته رئيسا بلا سلطة، ثم بعد أن ترك الرئاسة أو تركته الرئاسة كان شخصا مهزوزا بلا إرادة. أما اللواء أحمد منير عبد الرحيم فكانت صداقتى معه عائلية وحميمة، وكنا مع صديق آخر اللواء عبد الوهاب جمال الدين الذى استشهد فى العريش فى حرب ١٩٦٧ نشكل ثالوثا يتحدث عنه الجميع فى القوات المسلحة قبل سنوات. وسألت منير عن سبب وجوده مع هذه البطارية، فذكر أنه سيعمل كأركان حرب لؤى الأتاسى أثناء تقدمه إلى دير الزور، وأن اللواء أيوب معهم لتنسيق موضوع التعاون الجوى .. هكذا ببساطة قالها منير وهو يدخن بشراهة. سألته عن مدى اقتناعه بنجاح العملية فذكر أنها لن تنجح ولكنه سينفذ الأوامر. حاولت إقناعه بأن نعمل سويا على إلغائها لتلافى خطورة نتائجها، إلا أنه ذكر أنه عسكرى يتحتم عليه إطاعة وتنفيذ الأمر. قررت بينى وبين نفسى الاعتراض لإلغاء العملية الخطيرة أو على الأقل تأجيل أخذ قرار بشأنها.

تناول المشير غداءه فى حفل كبير أقامه الرئيس عبد السلام عارف على شرفه فى القصر الجمهورى، وتناول طعام العشاء فى حفل كبير أقامه رئيس الوزراء طاهر يحيى على شرفه أيضا فى المجلس الوطنى.

وبعد العشاء عقد اجتماع فى مكتب الرئيس عارف بالقصر الجمهورى لبحث الموضوع الخطير. الوفد العراقى مكون من الرئيس عارف، وطاهر يحيى، وصبحى عبد الحميد وزير الخارجية، وعارف عبد الرزاق قائد القوات الجوية. الوفد المصرى : المشير عامر، أمين هويدى، اللواءان منير عبد الرحيم وأحمد أيوب.

وظهرت خرائط من حقائبها وعليها الأسهم الزرقاء والحمراء. وكان الغرض الذى حدده الفريق لؤى الأتاسى هو قيادته لعملية عسكرية للتقدم إلى دير الزور معتمدا فى ذلك على قوات عراقية ومصرية. وقام اللواء منير عبد الرحيم بذكر بعض التفاصيل بصفته رئيس أركان العملية، وظهر القلق الشديد على وجه الرئيس عارف الذى كاد ينطق بعدم الموافقة مع ما فى ذلك من إحراج لأنه الرئيس المضيف. وتدخلت كأول المتحدثين، واعترضت على الفكرة من أساسها لصعوبة تنفيذها من جانب، ولما سوف تحدثه من رد فعل فى الدوائر الأجنبية والعربية من جانب آخر، ولصعوبة تحقيق المفاجأة اللازمة، ولتعقد النواحى الإدارية لها. وتحدث عارف عبد الرزاق وبيَّن صعوبة عمليات التعاون الجوى للقوات البرية واستحالة قيام قواته بذلك، وأيد ما تحدثت به عن رد الفعل على المستوى العالمى والعربى. وكان الرئيس عارف آخر المتحدثين، وركز على صعوبة العملية وشكه فى نجاحها وما سوف يحدث من رد فعل داخل العراق .. فالموقف الداخلى غير مستقر. أما المشير فلم يشترك فى الحوار بصفة جدية.

ورئى تأجيل بحث الموضوع إلى اليوم التالى ١٩٦٤/٥/٥ بعد عودة المشير من زيارته للحبانية وحفل الاستقبال الذى أقمته كسفير للجمهورية العربية المتحدة فى دار السفير مساء.

وتم الاجتماع الثانى مساء بعد حفل الاستقبال فى دار السفير وبعد عشاء أقامه الرئيس عارف فى منزله. فى هذا الاجتماع اشتدت المعارضة، واستقر الرأى على تكليف لؤى وضباطه المصريين بعمل تقدير موقف آخر يبحث فى اجتماع يحدد موعده فيما بعد فى القاهرة.

وقد سررت حقيقة لهذه النتيجة وتنفست الصعداء، فمعنى التأجيل والمزيد من الدراسة شىء واحد هو الإلغاء.

وفى يوم ١٩٦٤/٥/٧ انتهت زيارة المشير وغادر هو ومن معه إلى القاهرة، وحدثت فى أثناء الزيارة أحداث كثيرة ومثيرة أعتقد بأهمية ذكرها حينما أكتب ذكرياتى عن إقامتى فى العراق.

ولم أر الفريق لؤى الأتاسى ولم أسمع عنه بعد ذلك .. كان الرجل به طيبة كبيرة وهو يلعب فى غابة السياسة التى يكثر فيها الفهود وبنات آوى، لأن ممارسة السياسة فى سوريا ليست نزهة فى الغوطة ولكنها مغامرة تحتاج إلى الحذر مهما وضع لها من حسابات.

الفصل الرابع

سفيرا فى الرباط

نقلت من المخابرات العامة حيث كنت أعمل نائبا لرئيسها لأصبح سفيرا للجمهورية العربية المتحدة فى يوغوسلافيا التى كان يرأسها «جوزيف بروز تيتو»، إلا أن ظروفى العائلية وظروفا أخرى جعلتنى أعتذر عن المنصب الرفيع .. وقد كان منصبا يتوق إليه العارفون بالأمور للصداقة الحميمة بين الرئيسين تيتو وعبد الناصر لتقارب العقائد ولتطابق الظروف. وبقيت سفيرا بالرئاسة قريبا من السلطان.. وهذه منطقة حرجة تكثر فيها الدسائس والألاعيب لأن الصعود إلى القمة صعب وشاق، والنزول منها والانحدار إلى السفح سهل يتم فى لحظات ودون سابق إنذار، أما البقاء عليها فهو أشق وأصعب .. الرياح هناك عاصفة باردة .. والمساحة ضيقة لا تتسع لكل الراغبين .. وعرفت ذلك ولم أطق عليه صبرا، ولذلك أبديت رغبتى فى الانتقال إلى أبعد مكان من الرئاسة فى تلك الظروف .. أكرر الانتقال بعيدا عن الرئاسة بالرغم من حبى فى الاقتراب من الرئيس .. وأصبحت الظروف مواتية جعلت تحقيق الرغبة أقرب مما كنت أتصور!!!

عقدت اتفاقية إيفيان بين فرنسا والحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية، وأصبحت الجزائر دولة مستقلة ذات سيادة بعد قتال عنيف مستمر مع المستعمر الفرنسى راح ضحيته آلاف الشهداء. وكان لا بد من تعيين سفير يمثل مصر لديها، وكان لهذا مغزاه المهم للدور الذى لعبته القاهرة أثناء الثورة لدرجة جعلت «جى موليه» رئيس الوزراء الفرنسى وهو يحضر اجتماعات مؤامرة «سيفر» تمهيدا للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ يقول: «القضاء على ثورة الجزائر يمر عبر ضرب القاهرة». كتبت مذكرة رفعتها للسيد الرئيس اقترحت فيها نصح أحمد بن بيلا بعد أن خرج من السجن هو ورفاقه أن «يبعد

مؤقتا عن تولى رئاسة الوزراء ويتولى مسئولية تجذير الحزب فى الداخل بصفة مبدئية، لترك رئاسة الوزارة تتصدى للمشاكل الآنية التى تفرض نفسها فى الأيام الأولى للاستقلال، ويتفرغ بن بيلا لتثبيت أقدامه فى الولايات». ووافق الرئيس على المذكرة، وأمر بتعيينى كأول سفير لمصر فى الجزائر على أن أكون عضوا فى أول بعثة مصرية توفد إليها للتهنئة. كنت على صلة وثيقة بالثورة الجزائرية وأعلم ما يجرى فيها وبها؛ إذ كنت رئيسا للهيئة التى كانت تتولى مسئولياتها بالمخابرات العامة عن طريق الأخ فتحى الديب.. كان بوصوف وكريم بلقاسم والأمين دباغين والأخضر الإبراهيمى وعلى كافى وغيرهم على صلة دائمة معى فى منزلى أو مكتبى. سافرت بعثتنا فجأة برئاسة السيد على صبرى الوزير برئاسة الجمهورية، دون أن أرافقها .. عكس ما أمر به الرئيس !!! ولم يحل هذا بينى وبين الاستمرار فى تنفيذ أوامر سيادته الخاصة بتعيينى سفيرا بالجزائر. واخترت السيد فؤاد البديوى وكان وقتئذ بدرجة مستشار — وهو من رجال وزارة الخارجية الممتازين خلقا وعلما وعملا — ليكون الرجل الثانى فى السفارة، وكلفته بحل كل القضايا الإدارية التى تتعلق بالمأمورية المقبلة.

بعد خروج الزعماء الخمسة من سجون فرنسا قاموا بزيارة مصر فى أول زيارة لهم إلى الخارج، اعترافا منهم بجميلها وما أدته للثورة فى كل الميادين، ورافقت الوفد كأول سفير لمصر فى بلادهم وقد رحبوا بذلك أيما ترحيب. وبعد عودتهم تم اختيار مبنى السفارة وسلم فعلا إلى السيد على خشبة الذى كان مبعوثا للخارجية حتى يتم إنشاء السفارة. ولكن لم يستمر سير الأمور فى الطريق المرسوم.. فتدخلت أهواء وتيارات أدت إلى نقلى للعمل كسفير لمصر فى المغرب ليحل محلى السيد على خشبة كسفير لمصر فى الجزائر .. وهو رحمه الله صديق عزيز اخترته ليعمل معى كوكيل لوزارة الإرشاد حينما كنت وزيرا لها .. ربما لأن الأخ خشبة — رحمه الله — كان أسهل وأيسر فى التعامل مع خلية الرئاسة .. ويا لها من خلية !!! أغلب خلايا الرئاسة يكثر فيها الطنين والقرص واللدغ حتى لو وجه اللدغ إلى الملوك .. البقاء فى الخلية له استراتيجيته وتكتيكاته والخروج منها بسلام له قواعده وترتيباته .. البعض يتقنها ويخطط لها، وآخرون يجهلونها أو يتجاهلونها .. وأنا بحكم طبيعتى لا أطيق الطنين فهو يضعف من القدرة على الإنتاج، ولا أجيد القرص واللدغ الذى يتقنه آخرون .. هذه طبيعة خلقت بها بسيئاتها وحسناتها ولله فى خلقه شئون !!!

وبدأت فى الاستعداد للنقلة الجديدة، فممارسة الدبلوماسية فى دولة حديثة نظامها ثورى كالجزائر يختلف كلية عن ممارستها فى دولة ملكية لها تقاليدها الراسخة بالرغم من تعرضها لضغوط من جانب دول أعلنت استقلالها فى الظاهر ومازالت تتمسك ببعض قبضتها فى الداخل مثل فرنسا وأسبانيا. وكان الموقف به بعض الحرج إذ أدى الانفصال بين سوريا ومصر إلى تخلف مشكلة خاصة بملكية دار السفير .. سوريا تتمسك بالملكية بناء على طلب رسمى تقدم به السفير السورى أسعد محاسن ــ وكان سفيرا للجمهورية العربية المتحدة قبل الانفصال ــ ومصر ــ أى الإقليم الجنوبى ــ كانت تتمسك بالملكية أيضا. فرأى الملك الحسن ملك المغرب قفل الدار على ما فيها حتى حل المشكلة، إلا أن الملك عاد فوعد بتسليم الدار للسفير المصرى الجديد بمجرد وصولى إلى الرباط. واطمأننت لحل المشكلة قبل سفرى، لأن وعد الحر دين عليه خاصة إذا صدر من ملك. وكانت هناك مشكلة المدرسين الذين كنا نرسلهم بالمئات فى معركة التعريب، أى إحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية، وكان هؤلاء لا يقبضون استحقاقاتهم إلا بعد أكثر من أربعة أشهر يستدينون فيها ليعيشوا هم وعائلاتهم، مما كان ينعكس على سمعة المدرسين فى دوائر البقالين والجزارين وأصحاب الشقق والعمارات. فصدر وعد بحل المشكلة عند وصول المدرسين قبل سفرى، وارتحت لذلك، لأن وعد الحر دين عليه خاصة إذا صدر من ملك. وكان هناك قضايا أخرى تتعلق باتفاق «دول مؤتمر الدار البيضاء» والاعتراف بجمهورية اليمن الوليدة وقضية التبادل التجارى ... الخ، كان من المفروض أن أتعامل معها لأذللها توطيدا للعلاقات بين البلدين.

وفى مقابلة مع الرئيس قبل سفرى ذكر أنه يود لو أن حكومة جلالة الملك تعترف بالحكم الجمهورى فى اليمن، وأنه سيحضر مؤتمر دول الدار البيضاء حينما يتحدد موعد انعقاده بصفة نهائية، وذكر أن الخلافات الإثنية بين عرب وبربر لا يضمن تماسك الشعب رغما عنها إلا الحكم الحالى الذى يحافظ على هذه الوَحدة باقتدار.

وفى أواخر عام ١٩٦٢ سافرت إلى الدار البيضاء عن طريق مدريد، لأن عقبات كثيرة كانت تحول فى ذلك الوقت دون توافر خطوط طيران مباشرة من القاهرة إلى الدول الإفريقية عموما وإلى الدول العربية الإفريقية على وجه الخصوص، وكان لا بد أن

يكون ذلك عن طريق عواصم أوروبا .. باريس ومدريد وروما وجنيف .. لأن أغلب دول إفريقيا لم تكن قد نالت استقلالها بعد وكان بالقاهرة حكم وطنى ثورى يجهر بمقاومة الاحتلال والقواعد الأجنبية وبمساندته للحركات التحررية بالقارة. وصلت إلى الدار البيضاء وقابلنى حشد كبير من المصريين الذين يعملون بالمملكة المغربية ومندوب من الخارجية المغربية بدرجة سكرتير ثالث !!! كان مستشار السفارة والقائم بالأعمال قبل تعيينى، وهو المرحوم السفير ــ بعد ذلك ــ عبد العزيز جميل على رأس المستقبلين .. وهو من أصدقائى الأعزاء قبل أن يكون زميلا لى فى سفارتى الجديدة .. رحمه الله رحمة واسعة. وفى استراحة المطار قدم لى الصحف المغربية الثلاث ومقالاتها الافتتاحية تهاجمنى هجوما قاسيا .. حتى جريدة الحزب الوطنى ــ «العلم» وصاحبها علال الفاسى ــ كانت أقساها فى الهجوم .. فأمين هويدى رجل مخابرات مبعوث لمأموريات سوف تكشف عنها الأيام !!! ووصلت فى رتل عربات طويل إلى الرباط حيث نزلت أنا وعائلتى فى فندق «باليما» .. استبدلته فى اليوم التالى بفندق «تور حسان» .. وقدمت صورة من أوراق اعتمادى إلى وزير الخارجية الحاج أحمد بلافريج، وذكر لى ضمن ما ذكر أن الملك سيحدد موعدا قريبا لأقدم له أوراق اعتمادى. وحينما حدثته فى قضية منزل السفير باعتبارها قضية ملحة لأن السيدة حرمى أجرت جراحة فى القلب والدار ستكون أكثر راحة لها، كان رده «ربنا يسهل»، ولما فاتحته فى قضية مرتبات المدرسين كان رده «ربنا يسهل» .. ولكن مرت الأيام «وربنا لم يسهل» فى أى قضية من القضايا ..!!!

وطالت مدة انتظارى لأقدم أوراق اعتمادى إلى جلالة الملك لمدة زادت على ثلاثة أشهر بالرغم من أن جلالته كان يقابل العديدين يوميا، ويفسر هذا فى العرف الدبلوماسى بعدم الرغبة أو القبول، ولكنى انتظرت لأنه لم يكن فى مقدورى إلا هذا.. معنى ذلك أنه لا يمكن أن أباشر أعمالى ولا يمكن أن أقوم باتصالاتى الرسمية إلا بعد تقديم أوراق الاعتماد التى يقدمنى بها رئيسى إلى رئيس الدولة .. وقبوله أوراق الاعتماد تلك معناه القبول للسفير فوق العادة الذى أصبح يمثل بلده ورئيسها وينطق باسمها. ولم يقصر رئيسنا فلم يقبل أوراق اعتماد السفير المغربى الجديد إلا بعد أربعة شهور .. !!

قمت باتصالات بخصوص مرتبات المدرسين فموعد وصولهم قد قرب ولا بد من حل للمشكلة، إلا أن الوعود التى أعطيت تباطأت ثم تبخرت .. «فهذا هو النظام الذى نتبعه ولا يمكن تغييره» !!! وكان علىّ أن أحل الموقف، فلم يكن أمامى إلا البنك العربى فى الرباط، فزرت رئيس البنك وعرضت عليه المشكلة فحلها فى الحال بإعطاء كل مدرس «سلفة» توزع عليه بمجرد وصوله يسددها حينما يصرف مرتباته .. «شكرا يا أخى على هذه الهمة ولكن ما هو الضمان ؟» فقال الرجل العظيم : «لا شكر على واجب والضامن هو أبو خالد». وقد كان ونفذ الاتفاق بين الأطراف بكل دقة ودون أى عقبات .. آه لو تعاون العرب مع بعضهم كما تعاون مدير البنك العربى فى الرباط مع السفارة !!! حرصنا – كل هيئة السفارة – على استقبال المدرسين عند وصولهم، وقام المكتب الثقافى ورئيسه الدكتور الشيال بعمليات التسكين وتوزيع السلفة بكل اقتدار.

أما عن قضية دار السفير، فرغم الجهود التى بذلتها حتى بعد تقديم أوراقى إلى جلالة الملك الذى سبق ووعد، فلم تحل حتى مغادرتى المغرب بعد ذلك بشهور.. فظلت الدار مقفلة وأنا أقيم فى فندق «تور حسان» الذى لا توفر الإقامة فيه الراحة الواجبة للسيدة حرمى لجراحتها بالقلب، ولا تتيح فى نفس الوقت قيامى بالاحتفالات الواجبة، وكذلك للأعباء المالية الثقيلة التى تحتمها الإقامة فى الفنادق.

فى هذا الوقت حرصت على حل الخلافات الشديدة بين أعضاء السفارة ومكاتبها الاستشارية، وكذلك تلك التى كانت موجودة بين أفراد الجالية الكبيرة، واضطررت لنقل بعض الأفراد .. وكان رد فعل نجاحنا فى ذلك عظيما على سمعة الجالية بين أفراد الشعب المغربى العظيم. كما استبدلت مبنى السفارة القديم المتهالك بمبنى آخر لائق لم أعمل فيه لأنى تركت المغرب قبل استكمال تجهيزه، وأنشأت مدرسة رياض أطفال لأبناء الجالية المصرية والعربية لتعليم القرآن الكريم والدين واللغة العربية .. أسهم فيها مدرسونا عن طريق التطوع وتولى إدارتها سيدات من الجالية بنجاح واقتدار، وأقمت معرضا دائما لنا فى الدار البيضاء يتبع شركة مصر للتجارة الخارجية وكان يرأسه السيد حسين سالم رجل الأعمال المعروف الآن، وقمت ببعض الزيارات إلى فاس حيث كان يوجد مركزنا الثقافى وكذلك مراكش.

وفجأة وفى إحدى الليالى اتصل بى الأخ «البنانى» كبير رجال القصر، وحدد لى موعدا ظهر اليوم التالى لتقديم أوراق اعتمادى، مضيفا أنه سيحضر لمرافقتى فى

الموكب الذى سيتحرك من الفندق إلى القصر الملكى. وفى صباح اليوم التالى وبمكالمات متتالية اعتذر عن الحضور لمرافقتى موكلا ذلك إلى آخر تم تخصيصه ... لا داعى لتبادل أى خطب علما بأننى قدمت كلمتى التى كنت سأزمع إلقاءها فى حضور الملك لوزير الخارجية، لا داعى لمرافقة أى عضو من أعضاء السفارة لى فى حفل تقديم أوراق الاعتماد .. وبالرغم من ذلك رأيت أن يحضر أعضاء السفارة والمكاتب الفنية الاستشارية وعقيلاتهم وعلى رأسهن السيدة حرمى حفل تقديم أوراق الاعتماد، وقد كان.

تحرك الموكب وأنا أستقل – ومعى مرافقى – عربة «ملوكى» فاخرة تجرها خيول كثيرة فى شوارع الرباط متجها إلى القصر، واصطف الشعب المغربى على جانبى الطريق ليحيى سفير الجمهورية العربية المتحدة أجمل تحية .. فهو شعب طيب ذو أصالة عربية تشعر بها فى كل مكان.

دخل أعضاء السفارة والعقيلات أولا ثم دخلت القاعة التى يتصدرها جلالة الملك وناولته أوراق الاعتماد وجلست إلى جواره، وفاجأنى بإلقاء خطاب رغم أن «البنانى» ذكر أنه لا تبادل للخطابات، ورددت بكلمة مناسبة وسلمت وخرجت وعاد بى الموكب إلى الفندق. حينما فاتحت جلالته فى قضية الدار ابتسم وقال كما قال بلافريج من قبل: «ربنا يسهل» !!! وطلبت مقابلة جلالته بعد أيام من تقديمى أوراق الاعتماد، وقابلنى فى القاعة الكبرى بالقصر الملكى .. كان مع جلالته أوفقير وزير الداخلية وبلافريج وزير الخارجية والوزير أحمد بن هميه .. ورحب جلالته بى وسأل عن الرئيس ليطمئن عليه ثم قال: إنه قلق تماما لموقف قواتنا فى اليمن، فقد تورطت مصر فى موقف كان من الواجب أن تتجنبه، وهو يحزن حينما يستمع إلى أخبار خسائرنا الجسيمة هناك وقواتنا فى موقف حرج لا يدرى كيف ستخرج منه ... اليمن بلاد جبلية والجنود المصريون لم يتدربوا على مثل تلك الأرض، فالصحراء غير الجبال فى القتال. واستمر يضرب على هذا الوتر، ثم وقف هو ووزراؤه علامة على انتهاء اللقاء .. ولكننى – وضربا لكل قواعد البروتوكول – ظللت جالسا فى مكانى لا أتحرك واستأذنت فى دقائق معدودة قبل أن أحيى وأخرج، فجلس جلالته هو ووزراؤه مرة أخرى وعلامات الدهشة ترتسم على وجوههم .. وشكرت الملك على حسن استقباله

وأبلغته تحيات الرئيس وتمنياته ثم قلت : «لجلالته حق فى أن يقلق من أجل مصر، فهو لا ينسى كيف وقفت مصر ورئيسها إلى جوار والده الملك محمد الخامس حينما نفى إلى خارج بلاده وأوشك أن يفقد عرشه، وهو لا ينسى أيضا كيف وقفت مصر إلى جوار والده حتى عاد إلى عرشه مرة ثانية فكانت أول من اعترف وهنأ، ثم جلالته لا ينسى الأيام الطيبة التى أمضاها فى مصر حينما كان وليا للعهد .. لكل هذا لا بد أن تقلق ولهذا لم أسمح لنفسى أن أغادر جلالتكم إلا بعد أن أطمئنكم على مصر وقواتها .. الخسائر موجودة وهذا شىء طبيعى ولكن لا يعنى ذلك حرج الموقف، والدليل على هذا أن وكالة «الفرانس بريس » أذاعت وأنا قادم لمقابلة جلالتكم أن ضابطا طيارا برتبة كبيرة من الجيش الأردنى ودبلوماسيا سعوديا لجأ إلى صنعاء، وهذا دليل على أن الثورة تحقق أغراضها. وناشدته أن يقوم المغرب بالاعتراف بالنظام الجمهورى الجديد، وهذا يجعل جلالته يقف مع العدالة التى يطلبها الشعب اليمنى الذى يعيش فى القرون الوسطى، وما يشجعنى على ذلك هو ما ألمسه من حركة إصلاحية كبرى يقوم بها جلالته من أجل الشعب المغربى، ثم أكدت له أن الرئيس عبد الناصر أوصانى أن أركز على تنمية العلاقات بين بلدينا .. وسألته عن قضية الدار». وشكرنى الملك ...«مبديا إعجابه بصراحتى واعدا بإعادة تقييم موقفهم من اليمن. أما عن الدار «فربنا يسهل» ... وعليك أن تدخل علىّ دون موعد سابق حتى ولو كنت أقضى أحلى ساعاتى وأنا ألاعب ابنتى مريم».

وبدأت اتصالاتى الرسمية وكنت ألعب مباراة من جانب واحد، فحتى جهاز اللاسلكى الذى أرسلته وزارة الخارجية للاتصالات بقى فى ميناء الدار البيضاء لا يسمح بالإفراج عنه. وبعد أسابيع استدعانى جلالته فجأة، ولكنى كنت أعلم موضوع الاستدعاء .. كانت الانتخابات المغربية تدور على قدم وساق وكتب الأخ لطفى الخولى مقالا فى الأهرام يندد فيه بعدم نزاهة الانتخابات. لما قرأت ما كتبه الخولى توقعت استدعاء من الخارجية مثلا، ولكن أن يكون الاستدعاء من جلالة الملك لمثل هذا الأمر العارض فكان يتجاوز تخيلى. قابلت جلالته فى أحد مكاتبه الضيقة بالقصر، وكان متجهما وهو يستقبلنى وقال : «هل قرأت ما كتب فى الأهرام عن انتخاباتنا؟» .. «نعم» ... ورد : «هذا هو الرأى الرسمى للقاهرة فى انتخابات تجرى فى بلد صديق!!!»

قلت: «يا جلالة الملك الأستاذ لطفى الخولى محرر كاتب فى الأهرام لا يعبر عن رأى رسمى، فالصحافة حرة وليست موجهة». فارتفع صوته محتدا وهو يقول : «تقول حرية؟!! يا معالى السفير صحافتكم مؤممة ولا تمارس أى حرية». ورددت بهدوء : «نحن أممنا ملكية الصحافة ولم نؤمم حريتها ولا آراء كتابها .. أممناها لنوقف تحدث البعض بلسان من يدفعون وهذا فى حد ذاته تطهير للأقلام، لأن هناك صحافة غير مؤممة رسميا ولكنها مكممة فعلا ولسانها نصفه وطنى والنصف الآخر يتحدث بلسان من يدفع ...» ودعانى الملك فى آخر اللقاء أن أزور بنفسى الدوائر الانتخابية حتى نصحح ما تقوله الصحافة المؤممة. أبو طالب وزير الإعلام الذى كان حاضرا المقابلة ذكر أن الملك علّق بعد خروجى : «أتمنى أن يكون لدىّ أربعة مثل هذا السفير» .. وأضاف الرجل فى صراحة : «إنكم تخوضون معارك كثيرة وتجاوزتم الخطوط الحمراء بالنسبة للمصالح الاستعمارية ولن يتركوكم .. احذروا فهم يتربصون» .. وقال وقلت فى هذا الحوار، وذكرت أبا طالب بقوله حينما قابلته فى آخر لقاء لى معه فى الدار البيضاء حينما زرتها منذ سنوات.

وكان الوقت يمضى دون اختراق فى العلاقات، وصممت على أن أخلى المسرح، وأرسلت للرئيس بخواطرى وأرسل لى البرقية التالية «قدر الموقف والقرار قرارك. جمال عبد الناصر». وقدرت الموقف وحددت موعد المغادرة وتركت أمر العودة لحين الانتهاء من مشاوراتى بالقاهرة، ولذلك لم أقم بالزيارات التى كان من المفروض أن أقوم بها، لأننى لم أكن أعرف حينما غادرت أنا وأسرتى مطار سلا بالرباط هل هى مغادرة على عودة أم هى مغادرة دون عودة.

كنت أركز على العلاقات الثقافية والتعليم، وكان هناك مئات من الأساتذة المصريين فى الجامعات والمدارس يقومون بواجباتهم فى معركة التعريب، وكان هناك المستشار التجارى ومعرضنا بالدار البيضاء فى محاولات لتنمية العلاقات، وكان هناك الملحق العسكرى بمكتبه دون وجود علاقات عسكرية حقيقية يمثل القيادة العسكرية أكثر من تمثيله للقيادة السياسية. ولكن وكما أؤمن دائما فإن العلاقات السياسية هى المفتاح السحرى الذى يفتح الأبواب فى كافة المجالات، ولم تكن هناك رغبة فى وجود المفتاح السحرى .. وليس هذا مقصورا على العلاقات المصرية المغربية فى ذلك الوقت بل كان هذا اتجاها عاما فى العلاقات العربية ـ العربية ومازال.

قال لى السفير الذى حل محلى بعد ذلك إن الملك قال له : «يبدو أن أمين كان غاضبا من علاقاته الأسرية فانعكس ذلك على علاقاته المغربية». وشرحت للسفير الوضع فدهش تماما، لأنه لم يكن اطلع على ملفات العلاقات قبل ذهابه إلى الرباط ولم يهتم بمقابلة السفير الذى سبقه .. وأنا أنصحه بتنفيذ الرأيين حتى تعم الفائدة .. علّق سفير آخر : «وماله لما الملك يؤخر استلامه أوراق الاعتماد ثلاثة أشهر أو أكثر ..!! لا بأس من ذلك، إذ ربما لا يعنى هذا أى شىء بل فى ذلك فسحة أكبر للراحة». وقال ثالث: «لو كنت فى مكانك لفضلت الإقامة وأسرتى فى الفندق وأحوّل الفواتير إلى الوزارة لسدادها، علاوة على أن هذا يعفينى من التزامات كثيرة».. آراء ربما لها وجاهتها ولكن الناس معادن.

ومكثت أسابيع فى القاهرة دون عمل وقيل لى فى يوم من الأيام أن أجهز نفسى للعودة إلى الرباط، وطلبت مقابلة الرئيس فقابلنى : «الجماعة يظهر أنهم زعلوك. اصبر ولا تتوقع منهم إيجابيات أو اختراقات .. أنت حر فى تحديد موعد عودتك إلى الرباط ومع السلامة». كنت مزمعا على عدم العودة رغم ذلك، ولكن تنفيذ رغبتى تلك كان من صنع القدر .. وما تشاءون إلا أن يشاء الله.

انفجر الموقف فجأة فى العراق فنقلنى الانفجار من المغرب على المحيط الهادر إلى العراق على الخليج الثائر لأمضى هناك فى عمل قومى حقيقى مدة سنوات ثلاث، كانت أشق أيام عمرى وأحلاها .. وبالرغم من ذلك كنا نحرث فى البحر فى العراق كما كنا نحرث فى البحر فى المغرب.

الفصل الخامس

سفيرا فى بغداد

من الرباط إلى بغداد

أذكر ذلك اليوم جيدا وكأننى أعيش لحظاته الآن .. الجو صحو جميل .. والشمس مشرقة ساطعة .. والهدوء يشمل كل شىء.

وكنت أسير وقتئذ فى شوارع ضاحيتى الجميلة .. مصر الجديدة (هليوبوليس) .. فى تكاسل وبلا هدف .. فلقد انتهيت من كافة ترتيباتى للعودة ثانية إلى الرباط حيث كنت أمثل بلادى كسفير هناك .. ولم يبق أمامى إلا أن أحدد موعد السفر.

وكان اليوم ٨ فبراير ١٩٦٣ - ١٤ رمضان - والوقت فى الصباح وسمعت صوت الراديو من بعيد .. لم أستبن ما أذاع .. ولكنى لاحظت أن الهدوء الذى كان يشمل كل شىء قد انقلب إلى صخب فى دقائق معدودات .. فالناس تتجمع على غير موعد .. تخرج مسرعة من المنازل والدكاكين المتراصة على جانبى الشارع الكبير، ورأيت رجلا مسنا يرقص وهو فى فرحة عارمة .. ما لبث القوم أن شاركوه رقصه .. سألت عن الخبر، وأجاب الجميع فى صوت واحد: لقد انتهى حكم عبد الكريم قاسم فى العراق .. ولم أصدق .. !!

ووقفت مع الجموع استمع إلى الراديو يعيد إذاعة الخبر .. كان ما أذيع هو البيان الأول للمجلس الوطنى لقيادة الثورة فى العراق يعلن للشعب القضاء على حكم «عدو الشعب» عبد الكريم قاسم وزمرته، ويؤكد أن هدفى الثورة هما تحقيق الوحدة الوطنية وتحقيق المشاركة الجماهيرية فى توجيه الحكم وإدارته.

ومرت أمامى الأحداث بسرعة .. إذ أننى كنت أعلم الكثير عن العراق فى عهد قاسم.. فقد كنت لصيقا بأحداثه وما يجرى فيه لفترة طويلة من قبل أن أذهب إلى الرباط لأمثل بلادى هناك .. فقد كنت نائبا لرئيس المخابرات العامة فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ومرت أمامى مذابح الموصل وكركوك وأم الطبول، وتجسد أمامى ماذاقه أهل العراق من الذل والهوان فى السجون والمعتقلات تحت حكم طاغية.

وأفقت من تأملاتى على سؤال يلح علىّ : ما الذى دفع هؤلاء ليخرجوا هكذا متلهفين مسرعين فى لحظات على غير موعد، فالحدث بعيد هناك فى العراق.. آلاف الأميال تفصلهم عن ذلك الذى يحدث فى بلاد الرافدين !! فى تلك اللحظة آمنت أكثر وأكثر بالقومية العربية .. وآمنت أكثر وأكثر بأن وطنى كبير .. عريض .. متسع .. وطنى من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى.

وغذذت سيرى .. واتجهت بفكرى إلى الرباط البعيدة هناك فى أقصى المغرب العربى .. فلم يبق أمامى إلا أيام معدودات لأستقل الطائرة إلى هناك فى غير حماس أو رغبة .. ولم أكن أدرى أن القدر سيدفعنى إلى أقصى المشرق العربى ليلقى بى فى أحداث العراق لمدة ألف يوم قادمة حافلة بالأحداث.

فى يوم ٢٠ فبراير تلقيت مكالمة تليفونية وأنا أزور أحد الأصدقاء .. لم تستغرق المكالمة إلا دقائق معدودات ولكنها نقلتنى خلالها آلاف الأميال.

لقد صدر أمر الرئيس جمال عبد الناصر بتعيينى سفيرا فى بغداد، وأن علىّ أن أرافق وفدا عراقيا على مستوى عال سيصل إلى القاهرة ظهر اليوم التالى لمشاركة الشعب المصرى احتفالاته بأعياد الوحدة. وفعلا وصل الوفد فى موعده فى اليوم التالى وكان مكونا من السادة : على صالح السعدى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، صالح مهدى عماش وزير الدفاع، طالب شبيب وزير الخارجية، فؤاد عارف وزير الدولة (كردى)، حردان التكريتى آمر القوة الجوية، خالد مكى الهاشمى آمر الدبابات.

ووصل مع الوفد الرسمى وفد شعبى كان من بين أعضائه بعض إخواننا الأكراد، وكنت فى استقبالهم فى المطار ضمن آخرين.

وفى المساء حضر الوفد الاجتماع الشعبى الكبير الذى ألقى فيه الرئيس عبد الناصر خطابه بهذه المناسبة، كما ألقى رئيس الوفد العراقى كلمة أخرى. وبعد انتهاء الاحتفالات تناولنا جميعا العشاء على مائدة الرئيس فى داره بمنشية البكرى.

وفى يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ بدأت المباحثات .. لخّص رئيس الوفد أهدافهم فى الآتى:

■■ مع إيمانهم بضرورة تحقيق الوحدة فإن الظروف الدقيقة التى يمر بها العراق بمشاكله الداخلية المتعددة تجعل تحقيقها الآن أمرا غير ممكن .. يتوقعون انقلابا قريبا فى سوريا يقضى على حكم الانفصال، وأن السوريين الذين يعدون للانقلاب عرضوا عليهم تكوين وحدة أو اتحاد بين دمشق وبغداد فى حالة نجاح الانقلاب إلا أنهم رفضوا ذلك .. يؤيدون عملياتنا فى اليمن، وأشادوا بالتضحيات التى تبذلها قواتنا هناك، وأبدوا استعدادهم لتلبية أى مساعدات تطلب منهم (فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ قام الضباط الأحرار فى اليمن بثورتهم ضد حكم الآئمة، ووقفت القاهرة إلى جانب ثورة الشعب وأرسلت قواتها إلى اليمن بناء على طلب من النظام الشرعى القائم، وكان الاسم الكودى لعملياتنا فى اليمن «العملية ٩٠٠٠»).. طلبوا تدخل الرئيس لإقناع الأكراد الموجودين فى الوفد بالوصول إلى حل للمشكلة الكردية، إذ أن مصطفى البرزانى زعيم الأكراد يصر على تحقيق الحكم الذاتى.

وقد رد الرئيس جمال عبد الناصر بالآتى :

■■ أبدى تقديره لظروف العراق ومشاكله، وأكد أنه يكفى فى هذه المرحلة تحقيق وحدة الهدف والتنسيق فى مختلف المجالات وتشجيع الزيارات بين المسئولين فى البلدين، كما وعد بإيفاد وفد برئاسة أحد أعضاء مجلس الرئاسة خلال أسبوعين إلى بغداد للتهنئة بالثورة .. لا اعتراض من جانب القاهرة على إقامة وحدة بين دمشق وبغداد إذا سمحت ظروفهما بذلك إذا نجح الانقلاب المنتظر، إلا أن أعضاء الوفد عارضوا ذلك بلهجة قاطعة مؤكدين حتمية قيام وحدة ثلاثية بين القاهرة ودمشق وبغداد إذا تطلب الأمر ذلك .. شكرهم الرئيس على استعدادهم للمساعدة فى حرب اليمن، وأكد أن اشتراكهم بقوات رمزية له فائدته السياسية الكبرى، ولكنهم اعتذروا عن تقديم أى مساعدة لظروفهم الداخلية !! ووافقهم الرئيس على ذلك .. وعدهم بالتحدث مع أعضاء الوفد من الأكراد وبذل كل جهد ممكن لتضييق شقة الخلاف .. وهو يتوقع بذل محاولات للعودة إلى سياسة المحاور للقضاء على أى تقارب بين بغداد والقاهرة، فى الوقت الذى ستبذل فيه محاولات ضخمة

للتفرقة بين قادة الثورة أنفسهم، ونصحهم بالحيلولة دون ذلك باتباع سياسة المصارحة.

سافر الوفد العراقى إلى الجزائر يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ وعاد مساء اليوم التالى إلى القاهرة، وعقدت الجلسة الثانية للمباحثات فى صباح يوم ٢٥ فبراير ١٩٦٣. وفى بداية الجلسة قدمنى الرئيس عبد الناصر للوفد العراقى بصفتى مرشحا كسفير للجمهورية العربية المتحدة فى بغداد، ووافق وزير الخارجية على هذا الترشيح بكلمات طيبة، وأرسل برقية إلى بغداد للحصول على موافقة الرئيس عبد السلام عارف رئيس الجمهورية. ووصلت الموافقة فى نفس اليوم طالبا تحديد موعد وصولى إلى بغداد لإعداد استقبال خاص بهذه المناسبة، وتم تحديد موعد سفرى ليكون ٢ مارس ١٩٦٣ لتسلم مهام منصبى.

وفى هذه الجلسة تحدث الرئيس عبد الناصر عن مقابلته لأعضاء الوفد من الأكراد، وأعرب عن اعتقاده بأنه يمكن أن يكون فى تطبيق نظام الحكم المحلى حلا للقضية، وأنه من الواجب أن يستفيدوا من تجربة الدول الأخرى فى علاج مشكلة القوميات مثل الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا .. أضاف بأنه يؤمن بأن القتال ليس هو الحل المناسب لهذه المشكلة بل على العكس من ذلك فإنه يعمقها. وطلب منى الرئيس إمداد الوفد بعدة صور من نظام الحكم المحلى عندنا. وسافر الوفد إلى بغداد فى اليوم نفسه وأعددت نفسى للسفر إلى بغداد.

وفى اليوم المتفق عليه وفى منتصف ليلة ٢/١ مارس ١٩٦٣ قابلت الرئيس فى منزله فى منشية البكرى، ولم يكن قد تبقى لى فى القاهرة قبل إقلاع الطائرة التى ستقلنى إلى بغداد سوى ثلاث ساعات، إذ كان موعد إقلاع الطائرة فجرا.

وبادرنى الرئيس عبد الناصر وابتسامته على شفتيه : موعد غير مناسب لرجل يغادرنا بعد ساعات ثلاث، وكان أهلك وأولادك أولى منا بهذه الساعات .. إلا أننى أردت مقابلتك فى آخر لحظة لأن الموقف فى بغداد ما زال غير واضح حتى الآن وكنت آمل أن يتضح قبل مغادرتك. سألقى على كتفيك بمسئولية ولك منى وعد .. فأما المسئولية فهى أن تعمل ما فى وسعك من جهد لتقرب بين بغداد والقاهرة، إذ أن الترسبات التى صنعها الاستعمار وانقادت إليها الرجعية تركت آثارها فى العلاقات بين

البلدين .. عليك بالصبر ولا تقفز إلى النتائج إلا إذا كان هناك ما يبررها .. أما الوعد فإنك منذ الآن المسئول الوحيد أمامى دون تدخل من أحد طوال وجودك فى بغداد .. قد تمكث هناك شهرا، وقد تمكث سنة وقد تمكث أكثر .. ستظل المسئول الوحيد حتى عودتك للقاهرة بعد انتهاء عملك هناك. وأشهد الله أن الرئيس بر بوعده وأننى بذلت جهدى لتحقيق ما أراد.

وغادرت الرئيس العظيم بعد أن صافحنى مودعا متمنيا لى التوفيق.

وقبل بزوغ النهار كنت أهبط فى مطار بغداد .. كان كل شىء يغلفه الصمت فى ظلام لم يتبدد بعد .. أفراد قلائل فى انتظارى .. مندوب من وزارة الخارجية .. أعضاء سفارتى .. عربة مدرعة لنقلى إلى دار السفير فى بغداد .. مندوب من التليفزيون والإذاعة .. مندوب من وكالة الأنباء .. واعتذار سريع عن الاستقبال المتواضع الذى اقتضاه منع التجول المفروض فى بغداد !!!

وبعد دقائق كنت أشق طريقى إلى دار السفير. كانت الدار حينئذ فى حى الوزيرية، وكانت الحكومة المصرية قد اشترتها من نورى السعيد رئيس الوزراء لعدة مرات أيام الحكم الملكى فى العراق، وحينما كنت سفيرا فى العراق اشترت الحكومة العراقية هذه الدار واستبدلناها بدار جديدة فى حى «كرادة مريم» على شاطىء نهر دجلة بالقرب من القصر الجمهورى وبجوار قصر الأمير عبد الإله الذى شغلته وزارة المواصلات بعد زوال الحكم الملكى وحكم عبد الكريم قاسم.

وسط شوارع خالية من الحياة .. دبابة هنا وأخرى هناك عند مفترق الطرق .. بعض المدافع على أسطح المنازل .. خيام متناثرة فى الميادين بها جماعات من الجنود ما زالوا نياما فيما عدا الحراس ولا شىء غير ذلك. كان منع التجول ساريا فى بغداد فى ساعات الليل وبعض الطلقات يسمع صوتها بين وقت وآخر.

وبعد وقت قصير أفطرت فيه على عجل كنت فى مكتبى بالسفارة؛ إذ كان أمامى مما يجب عمله الشىء الكثير. اكتشفت فجأة أننى نسيت نفسى كالعادة فلم يكن معى أى نقود .. سفير بلا فلس واحد فى جيبه !!!

وهكذا شاء لى القدر أن أكون فى بغداد لأقضى أحلى أيام عمرى وأكثرها إثارة بالرغم عن كل شىء .. ألف يوم بالتمام والكمال.

وفى يوم ٥ مارس ١٩٦٣ قدمت أوراق اعتمادى للرئيس عبد السلام عارف سفيرا فوق العادة للجمهورية العربية المتحدة فى بغداد. وبهذه المناسبة ألقيت خطابا أكدت فيه سياستنا العامة .. مركزا على تعاملنا مع كل الفئات القومية دون الاعتماد على حزب أو فئة .. وأنه لابد من الاكتفاء فى المرحلة الحالية بوحدة الهدف دون اتخاذ أى خطوات وحدوية دستورية.

وقد رد الرئيس عارف بكلمة حيا فيها الرئيس جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة، وكان الرجل يلقى كلمته بكل مشاعر الصداقة والوفاء. وقد ارتجل الرئيس عارف خطابه وترك جانبا خطابا كان معدا له لتلاوته، وكان لهذا الإجراء أحد احتمالين : إما أن لهجة الخطاب المكتوب كانت متحفظة وأراد الرجل أن يعبر عن مشاعره الخاصة، وإما أنه اعتبر أن كتابة خطاب ليلقيه فى هذه المناسبة هو إملاء لاداعى له.

وحينما عدت إلى دار السفارة كان هناك شعور أكيد يسيطر على نفسى بأن الرئيس عارف لم يكن حر نفسه.

وظهرت الصحف فى الصباح وبها أسطر قليلة من خطاب الرئيس عارف، وأسطر أقل من خطابى الذى ألقيته فى حضرته!!!

وكان هذا إجراء غير مريح بعد الاستقبال الفاتر فى المطار يوم وصلت إلى بغداد .. كانت أصابع حزب البعث وراء ذلك دون شك؛ إذ كان خطابى غير ما يريدون. وبدأت العجلة تدور ولكن إلى أين؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام القادمة.

فى دهاليز السلطة

ولكن مع من تتعامل الجمهورية العربية المتحدة فى بغداد؟ وبيد من تتركز السلطة فى العراق؟ كان سؤال يفرض نفسه على الموقف بل كان مفتاح الموقف كله .. كان هذا ما علىّ توضيحه للقاهرة حتى ترسم سياستها على أساس.

● كان **رئيس الجمهورية** هو الرئيس عبد السلام عارف الرجل الأول فى ثورة يوليو ١٩٥٨ والتى أطاحت بالحكم الملكى، وحينما تمكن عبد الكريم قاسم من الإطاحة به ظل سجينا أغلب المدة التى حكم فيها قاسم العراق، ثم خرج من سجنه ليعمل بدوره على الإطاحة بقاسم ورجاله واشترك بنفسه فى إنجاح الثورة يوم ٨ فبراير ١٩٦٣. وبالرغم من أنه لم يكن حزبيا إلا أنه كان يميل فى ذلك الوقت إلى حزب البعث ويتعامل معه .. ولكن كان هناك شك متبادل بين الرجل والحزب الذى كان يخشى مهارته فى التآمر ولكنه كان يريد فى الوقت نفسه أن يستغل اسمه كساتر يحكم من خلاله بسلطات شرفية.

● وكان **رئيس الوزراء** أحمد حسن البكر بعثيا على رأس وزارة هى خليط من البعثيين والفئات الأخرى، فكانت تضم من البعثيين ١٢ وزيرا ومن القوميين المستقلين ٩ وزراء، ولكن كانت كل الوزارات الحساسة بيد البعثيين.

● أما **الجيش**، فبالرغم من أن وزير الدفاع كان بعثيا فإن رئيس الأركان طاهر يحيى كان غير حزبى، وكانت معظم المناصب الرئيسية فى الجيش حتى ذلك الوقت بيد غير الحزبيين.

● أما **الحرس القومى**، وهو حرس بعثى أنشىء أول يوم للثورة لحمايتها من أعدائها فكان بقيادة منذر الونداوى وهو بعثى.

● أما **المجلس الوطنى لقيادة الثورة** الذى أعلن عن قيامه يوم الثورة ليتولى قيادتها، فكان يتكون من بعثيين عدا رئيس الجمهورية ورئيس الأركان، وكانت أسماؤهم سرية لم يعلن عنها ولكنا علمنا بها بوسائلنا الخاصة.

إذن لم يكن الحكم ائتلافيا؛ إذ لا يعنى اشتراك بعض الوزراء من المستقلين أو من الفئات الحزبية الأخرى فى الوزارة أن الائتلاف قد تحقق. إذ أن السلطة الحقيقية لإعطاء القرار لم تكن فى مجلس الوزراء إنما كانت مركزة فى القيادة السياسية الممثلة فى المجلس الوطنى لقيادة الثورة، فكان المجلس أعلى سلطة شرعية فى الدولة ويقوم بالمصادقة على قرارات مجلس الوزراء وتعيين وإقالة ونقل آمرى الوحدات العسكرية وما فوقهم .. ومعنى ذلك أن الحكم كان بعثيا.

ولكن لم يكن يحق للبعث أن ينفرد بحكم العراق على هذه الصورة كما كان يرى القوميون؛ إذ أن الثورة لم يكن ليكتب لها النجاح إلا نتيجة جهد مشترك قام به البعث جنبا إلى جنب مع فئات أخرى متعددة. وشكل هذا الموضوع العقبة الحقيقية على مسرح الأحداث .. فلم يكن من السهل على الفئات القومية الأخرى أن تقبل هذا الوضع، مما كان ينعكس بدوره على موقف القاهرة التى حاولت جهدها حل هذه العقدة الصعبة. وتأكيدا على ما نقوله عن دور الفئات الأخرى فى إنجاح الثورة، نورد فقرة من برقية الأستاذ ميشيل عفلق التى أرسلها بصفته الأمين العام لحزب البعث إلى الرئيس عارف يوم ١٩٦٣/٢/٢١ قال: «لقد قامت الثورة نتيجة عمل شعبى واع شامل أسهمت فيه جماهير الشعب العربى فى العراق من مدنيين وعسكريين متحملة بجد ومسئولية مهمة الانطلاق نحو الأهداف التى تمليها المرحلة».

كان على القاهرة أن تتعامل مع حكم ائتلافى فى مظهره، حزبى بعثى فى حقيقته، الأمر الذى لم تقبله عن حق باقى الفئات القومية ولها تاريخها وجهودها .. وفوق ذلك كان للقاهرة ذكرياتها وتجربتها مع البعث.

فعقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هاجم البعث النظام الجديد بدعوى أنه حكم عسكرى يشك فى ارتباطه مع بعض الجهات الأجنبية !!

وبالرغم من أن الحزب عاد فوقف موقفا مؤيدا من الثورة المصرية بمرور الوقت، وبالرغم من أنه كان عاملا مؤثرا فى قيام الوحدة عام ١٩٥٨ إلا أنه مالبث أثناء الوحدة أن لعب دورا أساسيا فى تحطيمها، ثم كانت استقالة الحزب الجماعية من حكومة الوحدة .. وكان معنى ذلك انسحاب الحزب من الوحدة نفسها فى حقيقة الأمر. ثم أخذ الحزب يتعاون مع دعاة الانفصال حتى تم ذلك .. وهنا لم يتورع بعض قادته عن مباركة الانفصال بل التوقيع على وثيقة الانفصال نفسها كما فعل صلاح البيطار، رغما عن ندمه بعد ذلك عن فعلته. ثم أخذ الحزب بعد الانفصال يهاجم الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها بكل وسيلة فى يده وفى كافة المناسبات.

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر، قد يكون من المفيد أن نستعرض الموقف فى بغداد فى تلك الفترة حتى نضع القارىء فى المناخ الذى كانت تجرى فيه الأحداث لأن القرارات وليدة ظروفها.

كان حزب البعث من ناحية لا يدخر وسعا لمحاولة فرض سيطرته على كافة مراكز السلطة، وقامت السلطات بتوجيه ضربة قاصمة للحزب الشيوعى الذى استند إليه حكم عبد الكريم قاسم بطريقة كاملة، وقد لاقى مئات من أفراد الحزب حتفهم فى حملات ضارية واعتقل آلاف منهم فى معتقلات العراق المتعددة وفر آخرون إلى سوريا، وقد لاقى المعتقلون صنوفا من العذاب الذى أذاقوه بدورهم لغيرهم أيام أن كانوا فى السلطة أو قريبين منها.

وبينما كان سفراء دول الكتلة الشرقية ثائرين على ما يلاقيه أفراد الحزب الشيوعى، وعلى رأسهم سفير الاتحاد السوفيتى ميخائيل باكوفليف، كان سفير الصين الشعبية تشانج – وى – لى سعيدا بما يحدث مما كان يوضح تماما حالة الخلافات الحادة بين كل من موسكو وبكين.

وكأن كل هذه الصعوبات لم تكن كافية أمام النظام فأضيفت إليها مشكلة الأكراد فى الشمال .. فالملا مصطفى البرزانى طالب بتطبيق الحكم الذاتى بكردستان، وحدد موعدا نهائيا للحكومة ينتهى يوم ٧ مارس لتنفيذ ذلك. وقد تسلمت عدة رسائل من الملا مصطفى البرزانى فى ذلك الوقت بواسطة صالح اليوسفى وشوكت عقراوى من أعضاء الحزب الديمقراطى الكردى، يطلب فيها تدخل الرئيس عبد الناصر لحسم الموقف. وأخذ كل من البرزانى والحكومة يستعدان لمواجهة لم يكن من الممكن تفاديها.

وقد أكد لى وزير الخارجية أنهم يحشدون قواهم فى الشمال، وسوف ينفذون خطة تختلف تمام الاختلاف عن الخطة التى كان يتبعها عبد الكريم قاسم. كان قاسم يعتمد على القوات المسلحة لمواجهة حرب العصابات التى يقوم بها البرزانى، ولذلك أجبر الجيش العراقى على اتخاذ سياسة دفاعية وألقى ثقل العمليات على القوات الجوية التى كان تأثيرها محدودا بالنسبة للطبيعة الجبلية للمنطقة. إلا أن الخطة الجديدة كانت تقضى بتشكيل القبائل الكردية الموالية للحكومة فى قوات سميت باسم «قوات صلاح الدين»، وكان عليها مواجهة البشمرجة وهى قوات البرزانى .. أى الأكراد يقاتلون بعضهم بعضا، ومن خلف «قوات صلاح الدين» توجد القوات البرية النظامية التى كان واجبها تطهير المواقع واحتلالها، وكان على القوات المنقولة بالهليكوبتر احتلال قمم الجبال.

إذن كان احتمال القتال فى الشمال قائما فى أى وقت.

أما الفئات القومية الأخرى فكانت غاضبة لا ترضى عن محاولات البعث الانفراد بالسلطة، ولم تكن الجماعات منظمة ولا كانت قادرة على التأثير بشكل إيجابى.

هذه الصورة لم تكن مريحة لمن يتدبر الأمر .. ففى بغداد حيث السلطة المركزية كان هناك صراع على السلطة، ربما يكون كامنا تحت الرماد ولكن المدقق كان يلمس الخطر، وفوق ذلك كانت الحرب وشيكة الوقوع فى الشمال وهذا يلقى عبئا ثقيلا على السلطة المركزية، كما كان الجنوب الشيعى غير راض بمشاعره التقليدية عما يجرى فى بغداد.

كان هذا هو واقع الحال دونته فى تقاريرى إلى الرئيس بخط اليد .. وكان خطى رديئا عانى منه عبد الناصر كثيرا كما قال لى .. وكان على حق لأنه يتعذر علىّ أحيانا قراءة خطى.

حزب البعث يحكم فى سوريا أيضا

فى اجتماعات القاهرة مع الوفد العراقى برئاسة على صالح السعدى كان الاتفاق كاملا على أن الظروف لا تساعد العراق على الدخول فى أى خطوة وحدوية، وأن المرحلة لا تتحمل أكثر من الاتفاق على وحدة الهدف مع تنسيق العلاقات بين البلدين وتقويتها. وأصبحت الأعين مركزة على دمشق .. فكل الدلائل تشير إلى أن شيئا ما سوف يحدث هناك.

وحدث ما كان متوقعا، وقام انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ الذى نص فى بيانه الأول أن هدفه القضاء على عهد الانفصال.

ما حدث فى دمشق كان نتيجة جهد مشترك بين الفئات القومية وبين البعث.. تماما كما حدث فى بغداد .. وتولى الفريق لؤى الأتاسى رئاسة مجلس الثورة وهو رجل غير حزبى، كما تولى زياد الحريرى رئاسة الجيش وهو رجل غير حزبى، وأسندت رئاسة الوزارة إلى صلاح البيطار. وأعلنت كل من القاهرة وبغداد تأييدهما للثورة ومباركتهما لما يحدث فى سوريا.

ودعانى طالب شبيب وزير الخارجية العراقى تليفونيا لحضور اجتماع عاجل فى رئاسة الجمهورية بالأعظمية مع بعض أعضاء مجلس الثورة لتنسيق العمل بين القاهرة وبغداد لتأييد ثورة سوريا. وأخبرنى تليفونيا قبل ذهابى إلى الاجتماع أنهم اتفقوا على عدم اتخاذ أى إجراء منفرد فى هذا الاتجاه بل ستتنسق الأمور بيننا فى كل خطوة نخطوها، إلا أننى سمعت بعد دقائق بيانا صادرا من إذاعة بغداد يعلن أن العراق وضع قواته العسكرية غرب الفرات تحت قيادة سوريا لتنفيذ تعليمات القيادة السورية لتدعيم الثورة ومساندة لها ولمواجهة أى عدوان عليها!! ومعنى ذلك أن إجراء منفردا قد اتخذ ولم يمض على حديث وزير الخارجية إلا وقت قليل.

كانت مفاجأة ولكن يبدو أنها لم تكن آخر مفاجآت ذلك اليوم!!

بحثت على خريطتى لأحدد حجم القوات العراقية غرب الفرات، فلم أجد أى علامة تشير إلى وجود قوات لهم هناك فأيقنت أن هناك خطأ ما. ولكن لكى يطمئن قلبى سألت مصدرا عراقيا لا يرقى إليه الشك، فأكد لى أنه لا يوجد جندى عراقى واحد غرب الفرات فعجبت وتألمت .. وكانت مفاجأة مذهلة لم أتوقعها !! وأيقنت أن البيان كان مناورة حزبية من المناورات العديدة التى سوف أعانى منها فى الأيام القادمة.

وحينما ذهبت إلى الاجتماع كان سؤالهم ملحا عن الخطوات التى ستتخذها القاهرة لتأييد سوريا، خاصة بعد أن وضعت العراق كل قواتها غرب الفرات تحت قيادة سوريا. وأخبرتهم أن القاهرة سوف تفعل كل شيء إلا ما فعلوه.

وبعد الاجتماع الموسع استدعانى الرئيس عارف إلى مكتبه لمناقشة الوضع بحضور طالب شبيب وزير الخارجية وعلى صالح السعدى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، واتفقنا على تبادل المعلومات عن أى حشود عسكرية أو عدوان محتمل ضد سوريا.

كان هناك قلق من قيام الأردن أو تركيا أو إسرائيل بإجراء مضاد قبل أن يوطد النظام الجديد أقدامه فى سوريا، وكان هناك قلق مماثل من قيام إسرائيل بضربة وقائية .. إلا أننى كنت أميل إلى أنه لا الأردن ولا إسرائيل بقادرتين على القيام بإجراء ما قبل أيام.

كما قامت القاهرة بإصدار بيان يوم ٩ مارس ألقاه وزير الإرشاد القومى، حذرت فيه من أى محاولة تعترض طريق الشعوب العربية لتحقيق أمانيها الكبيرة المستلهمة من ضميرها ومن نضالها الواحد إلى مصيرها الواحد.

وكان الشارع فى دمشق قد رفع أعلام الوحدة منذ الإعلان عن قيام الثورة، وتأججت عواطف الجماهير مطالبة بالوحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة لمحو عار الانفصال. ورفع الشعب صور الرئيس عبد الناصر واللافتات الوحدوية وأصبح من الصعب السيطرة على الموقف، فاتصل صلاح البيطار رئيس الوزراء ببغداد وطلب إرسال وفد عراقى إلى دمشق لمساعدتهم فى مواجهة هذا التيار الوحدوى الجارف !! وطار الوفد العراقى إلى دمشق يوم ١٩٦٣/٣/١٠ برئاسة الرجل القوى فى بغداد على صالح السعدى.

وكانت القاهرة تفكر فى إرسال وفد تهنئة بدورها إلى دمشق إلا أنها عدلت عن هذه الفكرة حتى لا يزيد وصول الوفد من اشتعال الموقف، وحتى لا تفسر الزيارة على أنها دفع للأمور بأكثر مما تحتمل!!

وفى مطار المزة بدمشق صرح على السعدى بأنه يحمل مشروعا يحقق آمال الأمة العربية فى الوحدة المنشودة .. أسماه «مشروع التعاون بين الدول العربية المتحررة» .. يقضى باتفاق كل من الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة والشقيقات الجزائر واليمن وسوريا والعراق على أن تخول الجيوش العربية فى الدول المتحررة حق التدخل وإنزال الجنود واجتياز حدود أى بلد من البلدان العربية الخمسة عند تعرضه لأى عدوان خارجى أو ثورات داخلية استعمارية أو رجعية تهدف إلى الإطاحة بالحكم التقدمى فى البلدان الخمسة، مما يقتضى إنشاء قيادة عسكرية مشتركة وقيادة سياسية عليا للتخطيط السياسى ... كلام لا يصح وغير مدروس وغير مسئول فيه لعب بمصير الأمة!! وواضح أن الشقيقات ج.ع.م. والجزائر واليمن على بعد آلاف الأميال من سوريا والعراق، واستخدام قواتها لتحقيق هذا الغرض يكاد يكون مستحيلا، ومن ثم تصبح المعاونة المتبادلة مقتصرة على كل من سوريا والعراق أى تحقيق مساندة حزبية فى البلدين تحت غلاف تعاون قومى بين الآخرين !!

وفى اليوم نفسه عقد اجتماع بين الجانبين العراقى والسورى فى دمشق على أصوات هتافات الشعب السورى المدوية بحياة الوحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة وبحياة الرئيس عبد الناصر. وكانت الجموع ترفع علم الجمهورية العربية المتحدة ذا النجمتين فى كل مكان، وكان هذا الذى يحدث استفتاء شعبيا على عودة الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها وأعلامها. لتهدئة الضغط الجماهيرى اتفق على إرسال وفد عراقى إلى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر ليعرض عليه مشروع السعدى الذى أعلن عنه فى مطار المزة. وسافر وفد برئاسة طالب شبيب لعرض مشروع السعدى، إلا أن الرئيس رفض المشروع الذى كان هدفه تمييع الموقف وخداع شعب سوريا وكسب الوقت حتى يمكن السيطرة على الشارع فى دمشق.

وعاد الوفد العراقى إلى بغداد دون أن يحقق ما يريد.

وفجأة وقع تطور غير متوقع. إذ عند ظهر يوم ١٩٦٣/٣/١٤ أعلنت إذاعة دمشق فى أسلوب درامى أنه فى هذه اللحظة التاريخية تدخل إلى أجواء الجمهورية العربية المتحدة الحبيبة طائرة تقل وفدا سوريا تتبعها طائرة أخرى تقل وفدا عراقيا للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر للاتفاق معه على مشروع الوحدة والعودة إلى دمشق مساء اليوم نفسه قبل اجتماع مجلس الوزراء السورى !!

ولم تكن بغداد على علم بطيران الوفد السورى حينما طار، إذ علمت به وهو فى منتصف الطريق إلى القاهرة .. هكذا أخبرنى طاهر يحيى رئيس هيئة أركان الجيش الذى اتصل بى ليخبرنى أن أستعد بدورى للسفر مع وفدهم الذى سيغادر مطار بغداد خلال نصف ساعة !!! كان طاهر يضحك على ما يحدث من تصرفات !!

وأعددت حقيبتى وأخذت طريقى إلى المطار وأنا ألهث .. ولم أكن وحدى الذى يلهث فكان الجميع يلهثون تحت ضغط متزايد من الشارع السورى.

وطرنا جميعا إلى القاهرة.

البعض منا طار من دمشق .. والبعض الآخر طار من بغداد.

وتلاقت الوفود جميعا فى القاهرة وهى ما زالت تلهث !!!

وشوارع سوريا كلها غاصة بأعلام الوحدة وصور رئيسها، والهتافات مدوية تصل إلى عنان السماء بشجب الانفصال وبحياة الوحدة ورئيسها ناصر.

وفى هذا الجو بدأت مباحثات الوحدة الثلاثية بين الأقطار الثلاثة.

الوحدة الثلاثية بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق

الحقيقة التاريخية التى لا جدال فيها أنه لم تكن مباحثات القاهرة مبادأة من القيادات السياسية فى دمشق وبغداد والقاهرة، إنما كانت نتيجة لضغط الجماهير العربية السورية التى كان حماسها فى ذلك الوقت عاملا ضاغطا لا يمكن تجاهله.

وبالرغم من أنه كان فى تصور قيادات دمشق وبغداد أن الأمر لن يحتاج إلا إلى عدد من الساعات فى القاهرة يصدر بعدها بيان صورى يهدئون به ثورة الشعب فى كل من العاصمتين، فإن الأمر لم يكن بهذه السهولة، إذ اقتضى إبرام الاتفاقية وقتا أطول بكثير مما كانوا يقدرون، واحتاج الأمر إلى ثلاث مراحل لإتمام المباحثات.

□ **المرحلة الأولى: من ١٤ - ١٧ مارس ١٩٦٣**

وحضرها وفود الأقطار الثلاثة. وكانت هذه المرحلة بمثابة مرحلة استكشافية لتحديد ومعرفة النيات والأهداف وكتمهيد للمراحل التالية من المباحثات. كان هم القاهرة أن تعرف مع من تتعامل، فالسلطة الحقيقية فى البلدين كانت سرية، ولا يقبل أن تتباحث القاهرة مع أشباح كما قال عبد الناصر .. إن القاهرة لن تقيم وحدة مع حزب البعث ولكن مع جبهة قومية من كل الفئات.

تشكلت الوفود الثلاثة فى المباحثات كالآتى :

● **عن الجمهورية العربية المتحدة السادة :** الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية وعضو

مجلس الرئاسة، على صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى، أمين هويدى سفير الجمهورية العربية المتحدة فى العراق، عبد المجيد فريد السكرتير العام لرئاسة الجمهورية.

- **عن الجمهورية العراقية السادة :** على صالح السعدى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، الفريق صالح مهدى عماش وزير الدفاع، طالب شبيب وزير الخارجية، الدكتور عبد الرحمن البزاز سفير العراق بالقاهرة.

- **عن الجمهورية السورية السادة :** نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء ووزير العدل، عبد الحليم سويدان وزير الزراعة، عبد الكريم زهور وزير الاقتصاد، اللواء راشد قطينى معاون القائد العام للقوات المسلحة، اللواء زياد الحريرى رئيس أركان القوات المسلحة، المقدم فواز محارب عضو المجلس الوطنى لقيادة الثورة، المقدم فهد الشاعر عضو المجلس الوطنى لقيادة الثورة.

وانتهت المرحلة الأولى من المباحثات إلى قرارين : حضور حزب البعث السورى إلى القاهرة فى أقرب وقت ممكن لتصفية الجو فيما بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة، ضرورة عودة الوفود إلى حكوماتها للاتفاق على الخطوات القادمة. وفى يوم ١٩٦٣/٣/١٦ صدر بيان بتأجيل الاجتماعات استعدادا للمرحلة الجديدة من المباحثات.

عاد الوفد العراقى إلى بغداد يوم ١٩٦٣/٣/١٨ مارا بدمشق، وكنت معهم، واجتمع الوفد على انفراد مع ميشيل عفلق فى مطار المزة. واستغرق الاجتماع ساعة كاملة، أخبرنى صالح عماش بعدها أنه تقرر سفر وفد سورى برئاسة ميشيل عفلق إلى القاهرة فى اليوم التالى لبدء المرحلة الثانية من المباحثات. كانت المفاجآت فى الانتظار .. إذ كان المسئولون السوريون فى ورطة من تطور الأمور إلى ما تطورت إليه .. إذ اقتصر الأمر فى تصورهم المبدئى على أن سفرهم إلى القاهرة لن يتجاوز الساعات المعدودة يصدر بعدها بيان.

وفى مقابلتى الأولى للسيد أحمد حسن البكر رئيس الوزراء بعد عودتى مباشرة كان الرجل فى قلق بالغ من تطور الأحداث، وصرح لى بأنهم ما كانوا يريدون وحدة أو اتحادا حيث إن للعراق مشاكله الكبرى التى يريدون التفرغ الكامل لحلها. وقابلت طالب

شبيب وزير الخارجية وكان بادى القلق، وذكر صراحة أن محاولات القاهرة خفض أغلبية حزب البعث فى سوريا لحساب الفئات القومية الأخرى سيحدث رد فعل عميقا فى مصير الوحدة، لأن معنى التمسك بهذا الاتجاه هو أن الرئيس عبد الناصر يحاول مرة أخرى فرض إرادته .. ثم ذكر أن الموضوعات المطلوب بحثها تحتاج إلى فترة لن تقل عن شهر كامل وليس أسبوعا كما قيل فى القاهرة. أما الفئات الأخرى فكانت تجمع على شكها فى نيات البعث فى الوحدة وكانوا على حق فى ذلك.

وسط هذا التضارب الشديد كنا نلتزم الصبر والتذكير بما تم عليه الاتفاق فى القاهرة ومحاولة دفع الأمور حتى يتحقق الاجتماع المتفق عليه فى أقرب وقت ممكن بعد أن لمسنا المحاولات الصريحة لتأجيله إن لم يكن إلغائه .. ولكن كان هناك ضمان واحد وسط الاضطراب السائد هو ضغط الجماهير وغليان المشاعر.

وشكلت الحكومة العراقية لجنة وزارية لوضع مشروع عراقى للاتحاد لمناقشته بعد أسبوع فى القاهرة حسب الاتفاق .. إلا أن البعث لم يأخذ هذه اللجنة على محمل الجد.

فلم يكن الحكم فى بغداد راضيا عن تطور الأمور إلى ما تطورت إليه. وللحقيقة لم يخف أحد من رجال الحزب مشاعره .. فبالرغم من أن بعث العراق لم يكن مقتنعا بتكوين الوحدة إلا أنه ما كان يريد أن تعود الوحدة بين القاهرة ودمشق والتى كان رجل الشارع فى سوريا يضغط من أجل إقامتها بطريقة فورية، لذا دخل طرفا ثالثا رغم كل شىء. وكان البعث فى سوريا يتفق تماما مع بعث العراق فى نياته، إلا أنه تحت ضغط الشارع السورى والفئات القومية الأخرى ناقش موضوعا لا يقتنع به وأدخل العراق كطرف ثالث «لفرملة» السرعة التى كانت الأحداث تتحرك بها.

ثم أضيف إلى شعور عدم الرضاء شعور بالقلق، إن لم يكن التحدى، نتيجة خوفهم من المحاولات التى قيل إنها تبذل للضغط على دمشق وبغداد لزيادة عدد ممثلى الفئات القومية فى القيادة السياسية وإصرار القاهرة على تحقيق ذلك، وكانوا يرددون صراحة أن ذلك سوف يحدث رد فعل عميقا لدى البعثيين فى البلدين.

ثم بدأوا بعد ذلك يحاولون تأجيل عقد الاجتماع الذى كان مفروضا أن يعقد فى القاهرة بعد أسبوع .. فلم يكن الموقف قد استقر بعد للحزب فى سوريا. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت هناك أمور أخرى غريبة تحدث فى بغداد.

خرج طلبة الجامعات والمدارس فى بغداد فى مظاهرات ضخمة للتعبير عن مشاعرهم .. يهتفون للوحدة ولعبد الناصر زعيم القومية العربية .. وحينئذ صدرت التعليمات الرسمية بمنع المظاهرات منعا باتا إلا بعد الحصول على موافقة من الحاكم العسكرى العام. ولم يكن الحصول على مثل هذا التصريح أمرا سهلا.

وكثرت الاجتماعات فى بغداد بين المسئولين العراقيين والسوريين، وأصبح وصول وفود من دمشق إلى بغداد وبالعكس أمرا يكاد يكون يوميا. ووصل عفلق إلى بغداد يوم ١٩٦٣/٣/٢٣ لوضع خطتهم النهائية إزاء المرحلة القادمة.

وكانت بعض الصحف العراقية تناقش فى تعليقاتها أفكارها عن الوحدة وتطرح الموضوع على الشعب ليدلى برأيه فيه، إلا أنه فى يوم ١٩٦٣/٣/٢٣ أصدر مسارع الراوى وزير الإرشاد تعليماته للصحف بعدم الإشارة إلى أى أخبار تتعلق بموضوع الوحدة.

حوادث غريبة .. جعلتنى أطلب مقابلة الرئيس عارف يوم ١٩٦٣/٣/٢٥ لأستوضحه الموقف. وكانت القاهرة على علم بكل هذا الذى يجرى .. واقترحت على الرئيس عبد الناصر فى إحدى برقياتى إجراء مكالمة تليفونية مع الرئيس عارف إنقاذا للموقف، ووافق وأخبرنى أن أكون حاضرا مع الرئيس عارف وقت المحادثة يوم ١٩٦٣/٣/٢٧ . وتمت المحادثة فى الوقت المحدد، واتفقا أن يكون يوم ١٩٦٣/٤/٦ موعدا للقاء الوفود بالقاهرة.

وبدأت صحف البعث فى دمشق تغمز وتلمز وتثير أخطاء الوحدة عام ١٩٥٨ من جديد، ملقية كل المسئولية على القاهرة، وبدأت تصف الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة بأنه عبارة عن «للمة عمال وفلاحين».. علما بأنه كان قد تم الاتفاق فى مباحثات القاهرة مع ميشيل عفلق وصلاح البيطار بمنع تهجمات الصحافة لتهيئة الجو للعمل الجاد للوصول إلى اتفاق.

وفى يوم ١٩٦٣/٣/١٣ كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام القاهرية مقالا عنوانه «إنى أعترض».

وكان رد فعله قويا فى دمشق وبغداد.. ولهذا قصة..

استدعانى الرئيس عبد السلام عارف الساعة الواحدة من صباح يوم ١٩٦٣/٤/١ إلى مقابلة عاجلة بمجلس الثورة استمرت حتى الرابعة صباحا !! وحينما دخلت على الرجل كان معه كل من البكر رئيس الوزراء وشبيب وزير الخارجية.

وكان الجو متوترا .. كنت أعرف سبب الاستدعاء لذا لم يكن غريبا أن أرى التوتر البادى على الوجوه.

وتحدث وزير الخارجية ودخل فى الموضوع مباشرة .. لقد قرءوا مقال هيكل وأجمع رأيهم على أنه مقال عنيف للغاية .. إن فتح معركة على حزب البعث فى دمشق معناه فى رأيهم فتحها على الحزب فى بغداد، فالحزب واحد يخضع لقيادة قومية واحدة .. وطالب فى النهاية باعتذار جريدة الأهرام لرئيس حكومة سوريا.

وانتهى وزير الخارجية من الحديث .. وشعرت بأن سياسة المحاور قد بدأت من جديد. وانتظر الجميع أن أرد، ولكنى فضلت عدم الكلام. وكان لابد لأحدنا أن يقطع الصمت الذى خيم على القاعة .. فكان رئيس الوزراء هو الذى تحدث. وتحدث البكر مؤيدا حديث وزير الخارجية .. ضرورة اعتذار هيكل على صفحات الأهرام لخلق الجو الملائم للمباحثات المقبلة.

وانتهى رئيس الوزراء من حديثه .. وانتظر الجميع أن أرد، ولكنى فضلت الصمت للمرة الثانية. وجاء دور الرئيس عارف .. وتكلم - كما ذكر بصفته عربيا لا حزبيا - وحمّل القاهرة مسئولية تدهور الموقف .. وأن الأمر الذى أزعجه هو أن حديث هيكل أذيع من القاهرة أربع مرات ليحل محل التعليقات التى تأتى عقب نشرات الأخبار.

وانتهى رئيس الجمهورية من الحديث .. وجاء دورى.

سألت طالب شبيب عما إذا كان صلاح البيطار قد كلفه بالحديث فى هذا الموضوع، فنفى ذلك مؤكدا أنها مبادرة منه .. وهنا ذكرت له أن لصلاح البيطار صفتين : صفته كرئيس وزراء، وصفته كعضو بارز فى حزب البعث .. فهو كرئيس وزراء لديه من وسائل الإعلام ما يكفى ليتولى علاج الموقف ولا يحتاج لأحد أن يتولى الدفاع عنه .. أما كونه عضوا بارزا فى حزب البعث فإن هذا لا يدخل فى نطاق المناقشة؛ إذ أجدنى فى حرج من أن نقصر مناقشة موضوعاتنا القومية التى تتعلق بالوحدة فى نطاق حزبى.



□ مع احمد حسن البكر رئيس وزراء العراق □

وذكرت لوزير الخارجية أننى كنت أتتبع ما تنشره صحف البعث فى سوريا وما تنقله عنها صحف البعث فى بغداد، فأشارك الرأى العام فى البلبلة التى تسود الجميع بحيث أصبح من العسير تفهم الموقف .. فما يقال شىء وما يحدث شىء آخر. ولم يكن هيكل مخطئا فيما ذكر ولم يكن مهاجما .. كان مقاله ردا على ذلك الذى قيل لأيام متتالية فى سوريا .. ولم يخرج عن الحدود المشروعة للكاتب، فلم يستخدم كلمة جارحة كتلك التى استخدمتها صحيفة البعث حينما تحدثت عن الاتحاد الاشتراكى ووصفته بأنه «ملمة عمال وفلاحين». علينا أن نتخطى كل ذلك فى سبيل الوحدة المنتظرة .. فلا يصح أن يحول مقال من هنا أو هناك دون تحقيق مثل هذا الغرض الكبير.

وأخيرا عتبت على وزير الخارجية أنه فى الوقت الذى يعرض وساطته فى الموضوع انضم فورا للحزب فى سوريا وأقحم بغداد فى معركة فرضت علينا من دمشق .. وذلك يشعرنى بأن دمشق وبغداد فى تعاملهما مع القاهرة أخوان يتعاملان مع ابن عم .. فى

حين يجب أن نكون ثلاثة إخوة يتعاونون على إقامة بناء شامخ كالوحدة (أعجب الرئيس عبد الناصر بهذا التعبير وكان يردده دائما فى حواره معهم).

وفجأة انفجر رئيس الوزراء فى البكاء بصوت مسموع وغادر قاعة الاجتماع وهو يسرع الخطى .. وجريت وراءه لألحق به عند الباب لأثنيه عن الخروج فعاد معى حيث كان .. وأخذت أسرى عنه حتى هدأ روعه وعاد إلى هدوئه المعتاد.

وكنت أعرف أن رئيس الوزراء أصلب من أن تبكيه مثل هذه الأحداث، ولكن للسياسة أحكامها وضروراتها !! هى بوليتيكا !!

وانتهى الاجتماع فى الرابعة صباحا بعد أن اتفق الجميع على أن موعد اللقاء فى القاهرة قائم، وأنهم يستعدون للسفر إلى هناك يوم ١٩٦٣/٤/٦ كالاتفاق السابق.

وأرسلت إلى القاهرة أخبرها بما تم وأرجو منها مزيدا من الصبر.

وكان موعد اجتماع القاهرة فى ١٩٦٣/٤/٦ يقترب .. وقمت بالعديد من الاتصالات حتى أكون على بينة من الموقف.

كانت نتيجة اتصالاتى بالرسميين العراقيين تشير إلى أن الاجتماع سيعقد فى موعده وكان الجميع مشفقون من النتيجة.

وكان السفراء العرب متأكدين من أن الاجتماع لن يصل إلى شىء، وكان بعضهم ثائرا من تقسيم البلاد العربية إلى بلاد متحررة وأخرى رجعية. أما سفراء الكتلة الشرقية فإنهم كانوا يغمزون نظام الحكم القائم فى بغداد بأنه نظام أمريكى، ويتساءلون هل يمكن لهذا النظام أن يتحد مع نظام حر كذلك الموجود فى القاهرة؟! أما السفير البريطانى فكان هادئا يوحى إلى من يقابلهم بأنه من الأفضل أن يتم الاتحاد المرتقب بين بغداد ودمشق .

وكان الشيخ صباح الأحمد الصباح وزير خارجية الكويت موجودا فى بغداد للتهنئة، ووجدت من الواجب زيارته للتحية. وكان الرجل بادى القلق من مباحثاته فى بغداد؛ إذ أخبرنى وزير الخارجية العراقى بأنهم أبلغوا أمين عام الجامعة العربية عدم

موافقتهم على قبول الكويت كدولة مستقلة فى الجامعة، وأنهم ما زالوا يعتبرونها لواء من ألوية العراق، وكانوا يعتبون علينا موقفنا المؤيد للكويت طوال فترة قاسم بل وبعد زوال قاسم. وكان من رأى الشيخ صباح أنه لا يتصور أن الرئيس عبد الناصر جاد فى اتفاقه مع دمشق وبغداد .. فالحكم فى البلدين غير مستقر، وهما يستغلان المباحثات الحالية فى توطيد أقدام الحزب فى البلدين. وكان الرجل قلقا من احتمال إثارة موضوع الكويت فى المباحثات الجارية .. ولكنى طمأنته مؤكدا له أن موقف القاهرة لم يتغير، فأثنى على موقف الرئيس عبد الناصر من قضيتهم، وأكد أن الكويت يمكن أن تتماشى مع الاتجاهات الوحدوية فى النطاق العربى ولكن ليس على النطاق المحلى بينها وبين العراق.

أما الفئات القومية، فقد اجتمع البعض منهم وقدموا مذكرة برأيهم فى الأمور الجارية واقترحوا مشروعا معينا للوحدة، ثم قابل وفد منهم الرئيس عارف ورفعوا إليه المذكرة.

وفوق ذلك كان الموقف فى الشمال دقيقا للغاية .. اجتماعات كردية عراقية لا طائل من ورائها مما جعل الجميع يوقنون أن المواجهة آتية لا ريب فيها .. وكان الطرفان يعدان أنفسهما لهذا التصادم.

وكان الموقف الاقتصادى متدهورا؛ إذ رفع سعر الفائدة على حسابات التوفير إلى ٤٪ بقصد اجتذاب الإيداعات والحد من حركة سحب الودائع من البنوك .. وتوقف التعامل فى أسهم الشركات بسبب حالة عدم الاستقرار وخوفا من احتمال تطبيق القوانين الاشتراكية .. واستمر عرض الأوراق المالية للبيع فى السوق دون أن تجد من يشتريها مما ترتب عليه انخفاض أسعارها .. كما اشتدت حركة تهريب الأموال إلى الخارج.

ولم تكن انطباعاتى إذن مريحة أو مشجعة.

وفى مثل هذا الجو طار الوفد العراقى إلى القاهرة ـ وأنا معه ـ لحضور المرحلة الثالثة لمباحثات الوحدة .. وكانت المرحلة الثانية بين مصر وسوريا قد انتهت منذ أيام.

□ المرحلة الثانية: ١٩ مارس ١٩٦٣

- **وحضرها عن الجمهورية العربية المتحدة السادة :** الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، على صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى .
- **وعن سوريا السادة :** الفريق لؤى الأتاسى رئيس مجلس قيادة الثورة، صلاح البيطار رئيس الوزراء، المقدم فهد الشاعر عضو المجلس الوطنى لقيادة الثورة، ميشيل عفلق أمين سر حزب البعث.

وقد وصل الوفد السورى إلى القاهرة ومظاهرات عارمة تجتاح كل مدن سوريا ترفع صور الرئيس عبد الناصر وشعارات الوحدة الثنائية الفورية بين دمشق والقاهرة، إلا نفر قليل هم البعثيون الذين كانوا يرفعون شعار الوحدة المدروسة ليواجهوا به شعار الوحدة الفورية .. كسبا للوقت حتى يمكن السيطرة على الموقف فى دمشق.

ومن الغريب أن يكون أول موضوع يثيره الوفد السورى عقب وصوله هو موضوع المظاهرات التى تجتاح سوريا فى كل مكان .. وألح الوفد فى إصدار بيان توضح فيه القاهرة موقفها من الوحدة، وتبين خطورة رفع شعار الوحدة العربية الفورية دون أن يمهد لها بدراسات موضوعية حتى تهدأ الأحوال فى كل من دمشق وبغداد على حد سواء.

كان كل هم البعث تمييع الموقف وإحداث بلبلة لدى الجماهير قبل أن يفلت الموقف من يده. والشىء الغريب حقيقة هو أن الحزب كان يرفع شعار الوحدة والجماهير بدورها تطالب بالوحدة .. فمن أين يتولد التناقض؟ ومن أين تظهر الحساسيات ويخلق الخوف؟

وفى هذا الجو دارت المباحثات، وكان الموضوع الأساسى الذى طرح للمناقشة هو فترة الوحدة .. لتحديد مسئولية تحطيمها، وكمحاولة لإزالة الترسبات والحساسيات المريرة وإبراز الدروس والسلبيات التى حدثت حتى يمكن تلافيها.

وفى نفس الوقت تطرق البحث إلى موضوعات عقائدية متعددة تتصل اتصالا مباشرا بموضوع الوحدة. وتقرر بعد ذلك أن يعقد اجتماع ثلاثى بعد أسبوع واحد لاستكمال المباحثات، إلا أن الأحداث أجلت الاجتماع إلى ٦ أبريل ١٩٦٣ كما سبق أن أوضحنا.

□ المرحلة الثالثة: من ١٩٦٣/٤/٦ إلى ١٩٦٣/٤/١٧

ودار حوار اختتم بالتوقيع على اتفاقية ١٧ أبريل/ نيسان ١٩٦٣ والتى لم يكتب لها أن ترى النور لتصرفات سوف نذكرها.

● **وحضرها عن الجمهورية العربية المتحدة السادة :** الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة، على صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى، أمين هويدى سفير الجمهورية العربية المتحدة ببغداد، عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية.

● **وعن سوريا السادة :** الفريق لؤى الأتاسى رئيس مجلس قيادة الثورة، صلاح البيطار رئيس الوزراء، نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء ووزير العدل، الفريق محمد الصوفى وزير الدفاع، عبد الكريم زهور وزير الاقتصاد، هانى الهندى وزير التخطيط، سامى صوفان وزير التموين، عبد الحليم سويدان وزير الزراعة، شبل العيسمى وزير الإصلاح الزراعى، سامى الجندى وزير الثقافة والإرشاد القومى، اللواء راشد قطينى معاون القائد العام للقوات المسلحة، العميد درويش الزدنى عضو مجلس الثورة، السيد غسان هداد عضو مجلس الثورة، المقدم فهد الشاعر عضو مجلس الثورة، العقيد كمال هلال عضو مجلس الثورة، العقيد محمد عمران عضو مجلس الثورة، المقدم فواز محارب عضو مجلس الثورة.

● **وعن العراق السادة :** أحمد حسن البكر رئيس الوزراء، على صالح السعدى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، الفريق صالح مهدى عماش وزير الدفاع، طالب حسين شبيب وزير الخارجية، العقيد عبد الستار عبد اللطيف وزير المواصلات، محمود شيت خطاب وزير البلديات.

أهم بنود الاتفاقية:

تتضمن الاتفاقية إعلانا بالمبادىء المهمة المتفق عليها، وملحقين مكملين للإعلان يوضحان كيفية بناء دولة الاتحاد والمؤسسات الدستورية اللازمة لذلك. وأهم الموضوعات التى شملتها الاتفاقية :

١- تنظيم العمل السياسى فى دولة الاتحاد:

(أ) تنشأ فى كل قطر من الأقطار جبهة تضم كافة القوى الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية ترتبط بميثاق العمل الوطنى، على أن يكون الهدف النهائى توحيد هذه القوى فى تنظيم سياسى واحد.

(ب) وعلى مستوى الاتحاد تنشأ قيادة سياسية واحدة قراراتها ملزمة للجبهات السياسية فى الأقطار، وعليها إقامة التنظيم السياسى الواحد الذى يقود العمل السياسى فى دولة الاتحاد.

٢- بناء الدولة:

(أ) تسمى الدولة الجديدة الجمهورية العربية المتحدة، وكل عضو فيها يسمى بالقطر.

(ب) الجنسية واحدة وهى الجنسية العربية - الدين الرسمى هو الإسلام - واللغة الرسمية هى العربية.

(جـ) عاصمة الدولة القاهرة.

(د) سلطات الدولة الاتحادية : السياسة الخارجية وتوحيد التمثيل الخارجى، الدفاع والأمن، الضرائب الاتحادية وميزانية الاتحاد والقروض الخارجية والداخلية والقوانين والسياسة الجمركية، التخطيط الاقتصادى، العدل وسن القوانين، سياسة الإعلام والثقافة والتعليم.

٣- المؤسسات الدستورية على مستوى الاتحاد :

(أ) مجلس الأمة: ويتكون من :

(١) مجلس النواب : وعدد أعضائه بنسبة عدد السكان فى كل قطر، وينتخب الأعضاء انتخابا مباشرا ومدة العضوية به ٤ سنوات.

(٢) مجلس الاتحاد : ويتكون من عدد متساو من الأعضاء من كل قطر من الأقطار، وينتخب الأعضاء انتخابا مباشرا ومدة العضوية به ٤ سنوات، وعدد أعضائه ربع عدد أعضاء مجلس النواب على الأقل، ولا يزيد على ثلث عدد أعضاء مجلس النواب بأى حال من الأحوال.

وينتخب مجلس الأمة رئيس الجمهورية ونوابه. ولا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلسان، فإذا اختلف الرأى بين المجلسين بالنسبة لأحد القوانين يعرض على لجنة توفيق مكونة من عدد متساو من أعضاء المجلسين. وعلى مجلس الأمة الموافقة على انضمام أى دولة جديدة للاتحاد.

ويحل أى من المجلسين بقرار من رئيس الجمهورية.

ولا يجوز أن تتعارض دساتير الأقطار مع دستور الاتحاد. وتتم تعديل الدساتير القطرية بواسطة المجلس التشريعى للقطر، ولا تصبح التعديلات نافذة إلا إذا أقرتها المجالس الاتحادية بأغلبية ثلاثة أرباع أصوات كل مجلس على حدة.

(ب) رئيس الجمهورية : ينتخبه مجلس الأمة، مدة عضويته ٤ سنوات، يعلن انتخاب المرشح إذا حصل على ثلثى أصوات جميع أعضاء مجلس الأمة.

(جـ) نواب الرئيس : وعددهم ثلاثة : واحد من كل قطر، ويتم انتخابهم بنفس طريقة انتخاب رئيس الجمهورية.

(د) مجلس الوزراء : يعين رئيس الجمهورية رئيس الوزراء والوزراء ويعفيهم من مناصبهم، والمجلس مسئول أمام مجلس الأمة. ويتكون مجلس الوزراء من رئيس الوزراء، ووزير الخارجية، ووزير الدفاع، ووزير الإعلام والإرشاد والثقافة، ووزير التربية والتعليم والبحث العلمى، ووزير الخزانة، ووزير الاقتصاد والتخطيط الاقتصادى، ووزير العدل، ووزير الدولة.

(هـ) السلطة القضائية : تنشأ المحكمة الاتحادية العليا، ويختار أعضاؤها بواسطة مجلس الأمة بناء على ترشيح رئيس الجمهورية.

٤- المؤسسات الدستورية على مستوى الأقطار :

(أ) لكل قطر مجلس تشريعى ينتخب أعضاؤه انتخابا مباشرا.

(ب) ينتخب المجلس التشريعى للقطر رئيس القطر ومدة رئاسته ٤ سنوات، يوافق رئيس الجمهورية على اسم رئيس القطر، ولرئيس القطر تعيين وزارة القطر ويتولى إقالتها.

٥- فترة الانتقال :

(أ) يستفتى على دستور الاتحاد وعلى رئيس الجمهورية فى مدة أقصاها خمسة أشهر من تاريخ إعلان البيان، وتعد دولة الاتحاد قائمة دستوريا عند إعلان نتائج الاستفتاء.

(ب) تستكمل المؤسسات الدستورية الاتحادية جميع عناصرها فى مدة أقصاها ٢٠ شهرا من تاريخ إعلان نتائج الاستفتاء وتنتهى بذلك فترة الانتقال.

(جـ) لكل قطر أن يقيم قبل هذا الموعد ما يراه من المؤسسات الدستورية الخاصة به تمهيدا لقيام المؤسسات الاتحادية بشكلها الكامل خلال فترة الانتقال، وتنظم بتشريع اتحادى دستورى المؤسسات القطرية التى تقوم خلال هذه المدة.

(د) يتولى جميع السلطات التشريعية والتنفيذية فى دولة الاتحاد خلال فترة الانتقال مجلس رئاسة يرأسه رئيس الجمهورية ويكون نواب الرئيس أعضاء فيه.

(هـ) يشكل مجلس الرئاسة من عدد متساو من الأعضاء من كل قطر من الأقطار.

(و) يختار أعضاء مجلس الرئاسة بمعرفة الجهات التى لها السلطة التشريعية فى الدول الأعضاء عند قيام الاتحاد.

(ز) يعين رئيس الجمهورية رئيس الوزراء والوزراء ويعفيهم من مناصبهم.

(حـ) قرارات مجلس الوزراء بأغلبية أعضائه، ولرئيس الجمهورية حق الاعتراض على أى قرار أو قانون يصدره المجلس.

(ط) يختص مجلس الرئاسة بالآتى :

(١) تعيين نواب رئيس الجمهورية، وذلك بالاتفاق مع الجهة التى لها سلطة التشريع فى القطر فى أثناء فترة الانتقال.

(٢) تعيين رئيس لكل قطر، بالاتفاق مع الجهة التى لها سلطة التشريع فى

القطر فى أثناء فترة الانتقال.

(٣) تعيين مجلس الدفاع القومى ومتابعة أعماله.

(٤) رسم السياسة العامة للدولة وتخطيطها وتكليف الوزارة بتنفيذها.

(٥) تنسيق المصالح العامة بين الأقاليم.

(٦) تعيين المجالس العليا.

(ى) إلى أن يتم الاستفتاء على الدستور الاتحادى، تقوم الدول الأعضاء بتكوين اللجان والهيئات الآتية التى تمهد لقيام المؤسسات الاتحادية عند قيام الوحدة:

(١) قيادة عسكرية.

(٢) لجنة شئون خارجية.

(٣) لجنة تنسيق اقتصادى وسوق عربية مشتركة.

(٤) أى لجان أخرى.

وانتهى دور الاتفاقية ولم يبق إلا التنفيذ، وانصرفت الوفود كل من حيث أتى لينفذ ما اتفق عليه.

تحطيم اتفاقية ابريل ١٩٦٣

أثناء مباحثات الوحدة صدر بيان من القاهرة يوم ١٩٦٣/٤/١٠ وكان الغرض من البيان طمأنة الشعب العربى على ما كان يجرى فى القاهرة. وأذاعت كل من دمشق والقاهرة البيان الصادر عن الوفود الثلاثة التى كانت تجرى مباحثات الوحدة .. إلا أن بغداد تلكأت ساعات قبل أن تذيعه .. كان سبب التلكؤ خوف الحكومة من مظاهرات الشعب التى خرجت فى كتل ضخمة متراصة قيل إن بغداد لم ترها من قبل وتصدى لها الحرس القومى.

وما إن قرب موعد عودة وفد المفاوضات حتى اكتست بغداد كلها بأعلام الوحدة، ووضعت مكبرات الصوت فى الميادين تردد الأناشيد القومية والأغانى الحماسية.

وأخيرا وصل الوفد إلى بغداد يوم ١٧ ابريل ١٩٦٣ .

وخرج الرئيس عبد السلام عارف بنفسه إلى المطار لاستقبال الوفد، واصطحب البكر رئيس الوزراء فى عربة مكشوفة رافعة علم الوحدة ذا النجوم الثلاث تطوف بهما شوارع بغداد حتى وصل إلى القصر الجمهورى وسط مشاعر الشعب وحفاوته، كما قام الرئيس عارف بوضع علمين كبيرين من أعلام الوحدة على منزله فى الأعظمية.

ووسط هذه الأحاسيس والمشاعر قام الحرس القومى ليلا بقطع المياه والكهرباء عن «الكرخ»، عقابا لأهل هذا الحى القومى على ما أبدوه من مشاعر فاقت كل تصور، وفى نفس الليلة قام بحملة اعتقالات واسعة بين الفئات القومية فى مناطق الكرخ والجعيفر والرحمانية والشيخ معروف والفضل والأعظمية !!!

وشكل القوميون وفدا منهم لمقابلة الحاكم العسكرى لبغداد ورئيس أركان الجيش لتقديم شكوى ضد هذه التصرفات، وللمطالبة بإطلاق الحريات.

وهكذا كانت البداية .. فلم يكد يجف المداد الذى وقعت به الاتفاقية حتى بدأت هذه التصرفات والإجراءات.

وبالرغم من ذلك عقد مجلس الوزراء العراقى جلسة خاصة يوم ١٩٦٣/٤/٢٠ برئاسة الرئيس عبد السلام عارف وأقر الاتفاقية ، كما أقر تغيير العلم العراقى بالعلم الجديد ذى النجوم الثلاث.

وأذكر أننى قابلت الرئيس عارف فى اليوم التالى لإقرار الاتفاقية .. وفى نهاية المقابلة خرج معى إلى السيارة إذ كان يعد لى إحدى المفاجآت !! فى حركة سريعة استبدل علم الجمهورية العربية المتحدة ذا النجمتين الموضوع على مقدم سيارتى بالعلم الثلاثى النجوم. وذكر لى وهو يضحك أن هذا أثمن هدية يمكن أن يهديني إياها. وشكرته على هديته الثمينة إلا أننى أخبرته وأنا أضحك أن الفضل فى صنع هذا العلم يرجع إلى شخص واحد وهو الترزى «الخياط» .. وأمامنا لكى نجعله علما حقيقيا شوط كبير وجهد عظيم .. فالمحك الرئيسى ليس صنع العلم أو رفعه ولكن إقامته على دعائم وطيدة .. ولتحقيق ذلك أمامنا أمران : تشكيل الجبهة القومية من مختلف الفئات القومية تمهيدا لتشكيل القيادة السياسية لدولة الاتحاد، ثم تشكيل اللجان التى نصت عليها الاتفاقية لتبدأ العمل .. فهذا هو المحك الحقيقى لتنفيذ الاتفاقية .. وإلى أن يتم ذلك

سأحتفظ بالعلم فى أعز مكان لدىّ، على أن يتم رفعه بعد أن نطمئن جميعا على أن القاعدة التى سيرفع عليها أصبحت متينة قوية تصمد لكافة التيارات المضادة المنتظرة.

ووافقنى الرجل .. وأعدت العلم إلى موضعه كما كان.

فلم يكن مهما إقرار الاتفاقية.

ولم يكن مهما تغيير العلم.

إنما الأهم كان هو تشكيل الجبهة القومية تمهيدا لتكوين القيادة السياسية حينما يحين الوقت لإعلان دولة الاتحاد، كذا تكوين اللجان التى نصت عليها الاتفاقية لتنتهى من أعمالها فى الوقت المحدد.

وكان لابد أولا من الانتهاء من تكوين الجبهة القومية، فإن ذلك هو المحك الرئيسى لتنفيذ الاتفاقية. ولقد جرت بعض المحاولات غير الجادة فى سبيل تحقيق ذلك لأن جهود البعث تركزت فى السيطرة على هذه الجبهة وعلى كافة الاتحادات العمالية والطلابية، ولذلك لم تر هذه الجبهة النور بالرغم من أنها حجر الزاوية فى الاتفاقية.

أما عن موضوع اللجان فكان من العبث تكوينها بالرغم من الإلحاح المستمر فى ذلك.

وبذلك أقرت بنود الاتفاقية على الورق ورفعت أعلام الوحدة فوق المبانى.

أما الالتزامات الحقيقية والدعائم الأصيلة لبناء الوحدة فلم تكن محل اهتمام من أحد !!!

وتحت أعلام الوحدة التى ترفرف فى كل من دمشق وبغداد بدأت أعمال التصفية فى سبيل السيطرة الحزبية، وعلى سبيل المثال :

كانت خطة البعث الاتفاق مع زياد الحريرى ولؤى الأتاسى فى دمشق مرحليا على تصفية القوميين فى الجيش حتى إذا ما تم لهم ذلك أمكنهم التخلص منهم ومن أعوانهم بسهولة .. وهذا ما حدث فى الأسابيع التالية .. واطلعت بنفسى على برقيات المقدم محمد المهداوى الملحق العسكرى العراقى فى دمشق بعد ذلك التى كان يرسلها إلى وزير الدفاع بمراحل التصفية أولا بأول .. أخذت قوائم الإحالة على التقاعد للضباط الوحدويين فى سوريا تتوالى الواحدة بعد الأخرى.

وفى يوم ٢٧ أبريل ١٩٦٣ أرسل المهداوى برقية إلى وزير الدفاع ... وفد عسكرى سورى يصل إلى بغداد يوم ١٩٦٣/٤/٢٨ للزيارة .. وهذا هو الغرض الظاهرى، أما الغرض الحقيقى فهو إبعاد هؤلاء الضباط حتى تتم تصفيات أخرى لعدد آخر من الضباط .. وأن هذا الوفد نفسه سيتم تسريحه بمجرد عودته إلى دمشق !!!

ولم تجد بغداد ساترا لتنفيذ المخطط إلا اتفاقية الوحدة .. فدعوه إلى عقد اجتماع تحت ستار اللجنة العسكرية التى نصت عليها الاتفاقية لتوحيد جيوش البلدان الثلاثة. وكنت مسافرا إلى القاهرة يوم ١٩٦٣/٤/٢٩ لمقابلة الرئيس عبد الناصر لأطلعه على مجريات الأمور .. وبينما كنت أستعد لكى أستقل الطائرة العربية إلى القاهرة، دعيت لحضور اجتماع اللجنة العسكرية فى وزارة الدفاع، واتصل بى الرئيس عارف وألح فى حضورى الاجتماع الفريد.

وقررت حضور الاجتماع الغريب الذى تحيطه كل معانى الغدر والخداع .. مما كان محل لوم بعد ذلك من الرئيس عبد الناصر حينما قابلته.

جلست أستمع إلى الجميع وهم يتحدثون عن توحيد الجيوش الثلاثة .. البعض صادق فيما يقول .. والبعض غير صادق فيما يقول. واكتفيت بأن أراقب فى صمت ينتابنى شعور عجيب من الأسى والحزن .. والضمير مثقل بين تأدية واجبى الرسمى وواجبى القومى .. واللسان يود أن ينطق بالحقيقة إلا أن الالتزام يضع قيودا ثقيلة تحول دون ذلك !!!

وبعد هذا أخذت الطائرة إلى القاهرة حيث قابلت الرئيس عبد الناصر فى قطاره الذى كان يقله إلى الإسكندرية فى طريقه لزيارة الجزائر .. ولم ينته حديثنا الذى حضره المشير عبد الحكيم عامر إلا والقطار يقترب من الإسكندرية.

وحينما عدت إلى بغداد كانت التصفيات قد تمت، وكان الوفد السورى الذى يتحدث فى حماس عن هذه الجيوش الثلاثة قد عاد بدوره من بغداد إلى دمشق ليجد فى انتظاره مفاجأة العمر .. كان على البعض من أعضاء الوفد أن يقدم نفسه إلى وزارة الخارجية، ووضع البعض الآخر رهن الإقامة الجبرية فى منازلهم، وسرح الباقون.

وبدأ الوزراء القوميون يستقيلون من وزارة صلاح البيطار .. وقاوم الشعب السورى هذه الاتجاهات التى تحول دون تنفيذ أهدافه وأمانيه فى الوحدة .. إلا أن النظام البعثى

واجـه ذلك بكل عنف وشـدة. وبلغت المقـاومـة ذروتهـا بحـركـة جـاسـم علوان الضـابط السورى الذى لم يحتمل هو وزملاؤه هذا الذى يجرى فقام يحاول إيقاف ما يجرى بقوة السـلاح بعـد أن فـشلت الجـهـود الأخـرى .. ووضـع جـاسـم علوان فى سـجن المزة فى انتظار المصير المجهول بعد أن فشلت حركته. وذهبت إلى الرئيس عارف وكان يستعد لزيارة دمشق، وطالبته بالتدخل لإنقاذ حياة جاسم علوان، ووعد الرجل بذلك وتدخل بكل ثقله ونجح فى مسعاه .. وهذا موقف لابد أن يذكر للرئيس عارف.

إلا أن المحاولات فشلت فى الإطاحة بحكم البعث، فأعقب ذلك أشد حملة تنكيل ضد القوميين قامت بها السلطة. واشتدت الهجمات بين إذاعتى دمشق والقاهرة .. إذاعة دمشق تتستر على ما يجرى وتنشر ستائر الدخان لتخفى حقيقة ما يحدث عن الأمة العربية، وإذاعة القاهرة تكشف الحقائق للأمة العربية صاحبة الحق فى الاطلاع على كل ما يدور.

أما فى العراق فقد أنقذ بدء التحركات فى الشمال الضباط القوميين من التسريح أو الإحالة للتقاعد لأن البعث كان فى حاجة إليهم، خاصة أن الشمال كان بمثابة منفى يبعد إليه من كان يخشاه منهم البعث .. وهذا لم يمنع إعداد قوائم الإحالة للتقاعد لتنفيذها بعد انتهاء تحركات الشمال.

وخلال أبريل ومايو ١٩٦٣ بدأ العراق فى شحن رشاشات بورسعيد إلى سوريا لتسليح البعث السورى لضرب الفئات القومية. والغريب أن العراق كان قد طلب من الجمهورية العربية المتحدة إمداده بكمية كبيرة من هذه الرشاشات لشدة حاجته إليها ولم تبخل القاهرة كعادتها، ولم تكن تعلم أن السلاح الذى تعطيه لأغراض قومية سوف يستخدمه البعث لتحقيق أهداف حزبية !!! وبدأ رد الفعل لما كان يجرى فى بغداد ودمشق، فاستقال بعض الوزراء .. وكانت استقالات أخرى فى طريقها إلى رئيس الوزراء فقام البعث بحركة بارعة؛ إذ قدم البكر استقالته وكلف بإعادة تشكيل الوزارة حتى لا يفقد الحزب ما تبقى له من هيبته.

وكان الرئيس عبد الناصر سيلقى خطابا يوم ٢٠ مايو بمناسبة عودة طلائع قواتنا من اليمن .. وساد القلق دمشق وبغداد خوفا من إعلان الرئيس إلغاءه للاتفاقية فى هذه المناسبة، ردا على المحاولات التى كانت تجرى لتحطيم الاتفاقية.

ودارت اتصالات متبادلة بين دمشق وبغداد، فقد اتصل بى الرئيس عارف مرارا للتوسط حتى يتجاهل الرئيس عبد الناصر ما يجرى لإعطائه فرصة لتصحيح الأوضاع.

وتم اتصال تليفونى بين الرئيسين صباح يوم ١٩٦٣/٥/٢ وكنت حاضرا فى مكتب الرئيس عارف أثناء الحديث .. ورجا الرئيس عارف الرئيس عبد الناصر أن يمهله علّه يتمكن من معالجة الموقف .. ووافق الرئيس عبد الناصر.

وألقى الرئيس عبد الناصر خطابه وجاء خاليا مما يتوقعون. واستدعانى الرئيس إلى القاهرة للمشاورة، واستقبلنى يوم ١٩٦٣/٥/١٣ وتدارسنا الموقف .. واتخذ عبد الناصر قراره فى تلك الجلسة : إذا استمرت الأمور على ما هى عليه فلنا موقف آخر فى يوليو القادم، إذ ستجمد الاتفاقية .. هذا ما أسر لى به وكنت ضمن نفر قليل للغاية على علم بالقرار. وعدت إلى بغداد ومعى شحنة كبيرة من الصبر، أبذل جهدى للحيلولة دون تردى الأوضاع وسط موجة عاتية من إصرار الحزب على تدمير كل شيء.

ومن ضمن المحاولات التى بذلتها، توجيه دعوة باسم الرئيس عبد الناصر للرئيس عارف لزيارة القاهرة فى محاولة منا لتدارك الموقف .. وقدر الرجل الدعوة ووافق عليها فى الحال بحماس ملموس، إلا أن حزب البعث حال بينه وبين ما يريد، لأنه كان يعتقد أن هذا اللقاء سوف يغير نظرة الرئيس عارف فى الموقف، علاوة على أنهم لم يكونوا يطمئنون للرئيس عارف اطمئنانا كاملا ويخشون تقلباته العاطفية وتحركاته الفجائية خاصة إذا مست كرامته وذاته.

وقد قام الرئيس عبد الله السلال رئيس جمهورية اليمن فى ذلك الوقت عند زيارته لبغداد فى منتصف شهر يونيو ١٩٦٣ بمفاتحة الرئيس عارف فى ضرورة زيارته القاهرة لتصفية الجو، إلا أن جميع الحاضرين من المسئولين الحزبيين عارضوا ذلك.

كنت قد حددت يوم ١٩٦٣/٦/٧ موعدا لعودتى إلى بغداد بعد إحدى زياراتى إلى القاهرة، والتى انتهت بقرار إلغاء الاتفاقية لو استمرت الأمور على ما هى عليه .. وكانت القاهرة ترجو من صميم قلبها أن تصحح الأوضاع.

ولكن قبل أن أتحرك إلى المطار اتصل المشير عبد الحكيم عامر ليخبرنى أن لؤى الأتاسى فى طريقه إلى القاهرة، وعلىّ أن أؤجل عودتى إلى بغداد لأحضر الاجتماعات المتوقعة .. وفعلا ألغيت السفر لحضور المباحثات.

وقد عقد الاجتماع من الساعة ١٢ ظهرا واستمر حتى الساعة ٥ من بعد ظهر يوم ١٩٦٣/٦/٨ فى مبنى القيادة المشتركة بمصر الجديدة.

وقد تم بحث الموضوعات الآتية :

□ موضوع تسريحات الضباط.

□ موضوع تشكيل الجبهة القومية.

□ موضوع أجهزة الدعاية وموقف القاهرة من أحداث دمشق.

□ موضوع تشكيل اللجان لتنفيذ ميثاق القاهرة.

وكانت دمشق متمسكة بموقفها دون تعديل.

وأكد المشير عامر أن الموقف بخصوص التسريحات والجبهة القومية موقف خطير للغاية يهدد اتفاق القاهرة نفسه ما لم يتدارك الأمر.

وانتهى الاجتماع دون قرارات، وصدر بيان عن الاجتماع باتفاق الوفدين على اتخاذ الخطوات العملية التى تكفل وضع ميثاق القاهرة موضع التنفيذ العملى.

وغادر الوفد القاهرة. كان الفريق الأتاسى يريد إصلاح ذات البين ولكن ليس لديه حلول لمواجهة الموقف .. كان يريد الإصلاح على أساس الأمر الواقع، على أساس التسريحات التى تمت، وعلى أساس سيطرة البعث سيطرة كاملة .. ولذلك لم تحقق الزيارة ما كان يرجوه من ورائها، وغادر الرجل إلى دمشق خالى الوفاض.

وفى يوم ٦/٤ وصل الأتاسى فجأة إلى بغداد وكنت قد عدت إليها .. وذهبت لمقابلته بعد ظهر يوم ٦/٥ حيث كان يقيم فى قصر بغداد لأرحب به إلا أن المقابلة استمرت أكثر من ساعتين.

هاجم الرجل القوميين هجوما شديدا وألقى عليهم تبعة ما يحدث، وأخذ يهدد بكلماته السريعة كأنها طلقات مدفع وبحركات يديه المستمرة بأنه لن يسمح باستمرار

هذه الفوضى حتى لو اضطرته الظروف إلى أن يحكم سوريا بالحديد والنار !! لقد تغير الرجل وربما يكون قد تخلى عن حياده السابق. واستمرت المناقشة التى كان يغضب أثناءها فى بعض الأحيان بطريقته المحببة، وكنت أرد عليه بأن حكم الحديد والنار لن يدوم .. ثم لماذا الحديد والنار ؟ هل الشعب غير وحدوى رجعى انفصالى ونريد أن ندفعه بالحديد والنار إلى الوحدة ؟ غير واقع وغير جائز هذا الأمر.. فالشعب وحدوى بل سر أزمة الحكم فى سوريا شدة اندفاع الشعب إلى الوحدة. ونصحته بألا يكون مخلب القط، وألا يقرب الحديد أو النار لأن اللعب بهما فيه إيذاء وخطورة .. ولكنه أصر على تعديل أو إلغاء ما اتفق عليه بخصوص الجبهة القومية، أى انفراد البعث بحكم سوريا والعراق.

وعدنا بذلك إلى العقدة الأصلية.

لم يكن لدى الرجل سوى هذا الحل، بل لو أنه كانت لديه حلول أخرى فإنه لم يكن قادرا على تنفيذها .

وتحت طرقات لا تنقطع على الباب تنبهه إلى مواعيد تالية انتهى الحوار، كان الحوار قد وصل إلى طريق مسدود، وسلمت عليه مودعا .. سلمت على الرجل وأيقنت أنه قد انتهى أو فى طريق الانتهاء .. وفعلا لم تمر إلا أسابيع قليلة حتى كان البعث قد تخلص منه هو وزميله زياد الحريرى .. ولم أقابله بعد ذلك إلا عندما قدم إلى بغداد برفقة المشير عامر فى مأمورية كان يحاول عن طريقها استعادة السلطة فى سوريا بعد أن فقد مناصبه، وبعد أن سحب البعث من تحت رجليه البساط.

وفى مايو ١٩٦٣ أعلن عن اكتشاف مؤامرة ضد نظام الحكم فى العراق، كان المتهم الرئيسى فيها حركة القوميين العرب، وبدءوا يزجون بالمئات فى المعتقلات، ولم يكتف بذلك بل جرى التلويح باسم القاهرة على أنها وراء المؤامرة.

وهذا موقف آخر أريد تسجيله للرئيس عارف .. إذ قد لا يعرفه الكثيرون. كنت يوما معه بعد الإعلان عن اكتشاف المؤامرة؛ إذ كنت قد سمعت أن النية متجهة إلى إعدام الكثيرين ممن قبض عليهم وكان السعدى ينادى بسحق المعارضين حتى العظم، ووجدت من واجبى أن أبذل كل ما أستطيع لأحول دون ذلك. ذكّرته بأن قاسم وقع وثيقة إعدامه

يوم صدق على إعدام ناظم الطبقجلى ورفعت الحاج سرى ورفاقهما وسار بذلك فى طريق اللاعودة، ورجوته ألا يسير فى نفس الطريق.

ووافق الرئيس عارف وأكد أن تقطع يده قبل أن يفعل ذلك مع أحد القوميين، وبر الرجل بوعده خاصة بعد أن أصبح حرا يتصرف كيفما يشاء، وظل على وعده حتى مات .. فلا يمكن لأحد أن يدعى أنه مثَّل به أو عذب أثناء حكم عبد السلام عارف.

وأخذ الحزب يضعف شيئا فشيئا وأخذت هيبته فى الانحدار مما شجع على مزيد من محاولات تبذل لإزاحته من الطريق .. فكانت مؤامرة أخرى ..

فى صباح يوم ١٩٦٣/٧/٣ كان الجو غريبا فى بغداد يوحى بأن شيئا ما يجرى فى العاصمة .. بعض وحدات الجيش تنتشر فى الميادين وقطاعات الحرس القومى تنزل إلى الشوارع .. وأصوات الطلقات تسمع من بعيد منذ الصباح الباكر.. وخيم التوتر على كل شىء وبدأت الإشاعات تنتشر .. كل يفسر الأمر حسب ما يتمنى.

وفجأة أصدر المجلس الوطنى لقيادة الثورة بيانا من إذاعة بغداد يعلن عن إخماد محاولة قام بها الشيوعيون فى معسكر الرشيد لقلب نظام الحكم وأن التحقيق جار.

وكان الرئيس عارف هو أول من وصل إلى باب معسكر الرشيد من المسئولين .. وصل فى عربته الخاصة ومعه مرافقه «زاهد» .. وبمجرد أن تبين المتآمرون شخصيته أخذتهم المفاجأة وأدوا له التحية العسكرية وألقوا بسلاحهم. ودخل الرجل المعسكر ليتولى بنفسه إدارة المعركة حتى لحق به طاهر يحيى رئيس أركان الجيش.

وفى الثانية صباحا تمت السيطرة على الموقف، وكانت خسائر المعركة ٢٣ قتيلا من المتآمرين، وتم اعتقال من تبقى منهم على قيد الحياة فى النادى الأولمبى ببغداد تحت إشراف الحرس القومى – أما الجرحى فقد تم نقلهم إلى مستشفى الرشيد العسكرى ومستشفى الطوارئ فى شارع الشيخ عمر. كان اليوم يوم جمعة، وقبل الصلاة رافقت الرئيس عارف لزيارة ساحة المعركة ثم صلينا .. وعلق أحد العراقيين على شجاعة الرئيس عارف بقوله : «هل الفراشة شجاعة حينما تقترب من النار».

والسبب فى قيام الشيوعيين بهذه الحركة هو انتقامهم لما لحقهم على يد البعث من قتل واعتقال .. والسبب الذى دفع البعث إلى ذلك كان يرجع لموجة الإرهاب والتقتيل

التى ارتكبها الشيوعيون أيام قاسم. فالشيوعيون يقتلون والبعثيون يقتلون .. والشعب يتحمل هذا وذاك !!!

إن الطريق إذا بدأ بالدم فلا بد أن ينتهى بالدم.

وأخذت التهديدات التليفونية باغتيالى تصل بين وقت وآخر حتى تجمد تحركاتى، بل كانت التهديدات بخطف أولادى تصل للسيدة حرمى وهى فى القاهرة.

وبدأت الرقابة تشتد على سفير الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء السفارة كبيرهم وصغيرهم ... بل بدأت الرقابة المكشوفة علىّ شخصيا، فكان يتعقبنى رجلان بصفة مستمرة أينما تحركت، وكان الحرس القومى يفتش عرباتنا حتى وهى ترفع علامة الهيئات الدبلوماسية .. بل فتشت عربتى وعلمنا يرفرف عليها ظاهرا للعيان. وأخذ بعض رجال السفارة إلى أقسام التحقيق لسؤالهم فى مواضيع وهمية !!!

ولم يكن غريبا أن يجد أحد أعضاء السفارة سيارته وهى مهشمة إن هو تركها فى مكان دون حراسة.

ولم يكن غريبا أن يجد أحد أعضاء السفارة منزله وقد فتش وهو فى عمله وقد مزقت الكراسى والحشايا .. بل تعدى ذلك إلى التهديدات المكشوفة بالقتل والاغتيال. وكان أعضاء السفارة أسرة كبيرة تضم الشجعان من الرجال هم السادة: سمير عباسى وكان وزيرا مفوضا بالسفارة، وفوزى كامل مستشار السفارة، والسكرتيريون فتح الله الضلعى، وابراهيم يسرى، وفخرى عثمان، وأمين يسرى، وعادل شرف الدين. ما زلت أشعر بالاعتزاز حينما أتذكر أننى زاملت هؤلاء الرجال وقد أصبحوا جميعا سفراء ممتازين فى وزارة الخارجية.

كل ذلك ولم نحتج، وكل ذلك ولم نشر. كنا ندون تصرفاتهم إلى وقت نراجعهم فيه على ما يفعلون.

ولكنى كنت ألفت نظر وزير الخارجية بين وقت وآخر .. فمثلا فى مقابلتى له يوم ١٩٦٣/٥/٢٥ ذكرت له ما نصه : «جريا على الصراحة التى أعاملهم بها فإننى أعتب عليهم لاشتداد الرقابة على السفارة وأعضائها فى الفترة الأخيرة، وقد تمادت هذه الإجراءات حتى وضعوا رقابة علىّ شخصيا .. وأظنه يوافقنى على أنه من غير

المستحب أن يتعقبنى حتى وزارة الخارجية لمقابلته فردان على موتوسيكل .. وأنه ليس من المهم عندى أن أراقب لأنه ليس هناك ما أخشاه من الرقابة .. ولكن المهم ما تحمله هذه الرقابة من معنى .. إذ تحمل عدم الثقة بالسفارة التى يتولون معها بعض مباحثات الوحدة». وقد أسف الرجل على ذلك وظهر عليه الارتباك الشديد، وأكد أن هذه الإجراءات تتم من جهة غير مسئولة ووعد بعدم تكرار ذلك.

وفى احتفالنا بالعيد القومى حضر آلاف من العراقيين .. عمال بملابس العمل حضروا مباشرة من أعمالهم .. وسيدات دون دعوة يصطحبن أولادهن وفى أيديهم ألعابهم يلهون بها .. ورجال يحضرون محاطين بأسرهم أو أفراد حيهم، البعض منهم يحمل زجاجات الشربات أو «الشربت» بلغة العراق، والبعض يحمل صور عبد الناصر مزينة بالأنوار ... وباختصار كانت كل بغداد تحتفل معنا بعيدنا القومى فى مظهر قومى رائع، وكان هذا أبلغ رد على ما يحدث.

لم يتخلف إلا ضباط الجيش؛ إذ صدرت لهم تعليمات عماش بمقاطعة الحفل، فرضخوا للأمر. لماذا ؟ لست أدرى.

وعند انصراف المدعوين كان رجال الأمن فى انتظارهم وتولوا القبض على بعضهم .. وارتد آخرون داخل الدار، فاستخدمنا عرباتنا الخاصة لتوصيل كثير من الأسر إلى دورهم، ثم علمنا فى الصباح أن رجال الأمن ألقوا القبض عليهم بعد أن وصلوا إلى منازلهم !!!

وأخذ الحزب يشكك فى اتجاهات الجمهورية العربية المتحدة ونياتها خاصة بالنسبة للقضية الكردية، وهى ذات حساسية خاصة بالنسبة للشعب العراقى. واستمر الحزب فى ألاعيبه ومناوراته ونحن نرد أحيانا ونتجاهل أحيانا أخرى .. فقد كشف الحزب عن نياته وأصبح يتآكل وكل الموقف آخذ فى الانهيار.

قصة طريفة تبعتها قصة أطرف .. إذ لم يقتصر الحزب على استخدام وسائل الإعلام فى تشويه موقف القاهرة وإثارة الفئات القومية ضدها بل أتبع ذلك بوسائل أخرى. فقد حدث أن تقدمت منغوليا بطلب إدراج القضية الكردية فى جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة، ولم أكن أعرف ذلك ولا سمعت به. وفى يوم ١٩٦٣/٧/٢ زارنى فائق

السامرائى - عمل سفيرا لهم بالقاهرة بعد زوال الحكم الملكى - وأخبرنى بأنه علم من وزير الخارجية طالب شبيب أننى كنت فى حفل فى السفارة الهندية أقف مع السفير الهندى وبعض رجال سفارته أعاتبهم على تدخل الهند لإقناع منغوليا بسحب القضية الكردية من الأمم المتحدة .. وكذبت له ما سمع، كما أكدت له أنه لا علم لى بالإجراء الذى اتخذته منغوليا، فاندهش الرجل. واستأذنته فى إثارة الموضوع على لسانه فأذن.

واتصلت بالسفير الهندى «سعادات خان»، وكان اليوم يوم العطلة الأسبوعية لسفارته، وطلبت مقابلته فورا وتقابلنا .. ونفى الرجل أننى تحدثت بهذا أمامه أو أمام أحد .. وأضاف السفير أنه لا يعلم حتى هذه اللحظة أن حكومته توسطت فى هذا الموضوع .. وأصر على مقابلة وزير الخارجية لينفى له بنفسه الواقعة، ولكنى رجوت السفير ألا يقحم نفسه فى الموضوع إلا إذا تطلب الموقف ذلك.

وخرجت من منزل السفير لأقابل وزير الخارجية فى وزارته بباب المعظم، وأخبرته بما وصلنى على لسانه فأحرج .. وأخبرته بمقابلتى السفير الهندى ونفيه الحديث جملة وتفصيلا فازداد حرجه. ثم أخبرته أن السفير سيطلب مقابلته لنفى ذلك رسميا فامتقع لونه. ولم يكن أمامه إلا أن يشكك فى الخبر، وما وسعه إلا الاعتذار .. وعتبت عليه أن يتحدث فى موضوع حساس كهذا قبل أن يتحقق منه.

وذاعت القصة فى بغداد .. وكانت محل تندر من رجال السلك السياسى لوقت ليس بالقصير.

وكانت صحيفة الأهرام قد بدأت فى نشر النص الرسمى لمحاضر اجتماعات القاهرة ابتداء من منتصف يونيو ١٩٦٣، وكانت الإذاعة تتولى إذاعتها لإظهار الحقائق التى طمست للشعب العربى فى كل مكان، وكانت طبقات الشعب كلها فى العراق تتجمع حول أجهزة الراديو فى المنازل والمقاهى لتستمع فى دهشة إلى الحقائق وهى تنكشف.

وفى يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٣ ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا فى المؤتمر الشعبى بالقاهرة بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة، ولقد وجه خطابه إلى الأمة العربية كلها لتعرف حقيقة ما حدث.

وقد بدأ الرئيس خطابه قائلا :

« أيها الإخوة المواطنون:

يعز علىّ أن يكون العيد هنا والحزن فى دمشق. يعز علىّ أن يكون الاحتفال هنا وفى سوريا يسود الظلام. يعز علىّ أن أرى الجماهير بمئات الألوف فى الشوارع فى طريقى إلى هذا المكان، وفى سوريا كلها حظر للتجول دخل يومه الخامس وحول هذا البلد العربى إلى معسكر اعتقال.

يعز علىّ أن أرى المصانع هنا تفتح فى احتفالات الثورة وأرى الأرض الجديدة تزرع، وأن تكون فى سوريا محاولة قتل الحياة ذاتها وسفك الدم وانتحال أوهى الأعذار لعمليات التصفية الدموية والملاحقات الإرهابية وللإنذار والوعيد .. يعز علىّ ذلك ولكنها إرادة الله، وهى أيضا طبيعة النضال الوطنى القومى طريق مفروش بالشوك فى بعض الأحيان والألغام فى بعض الأحيان .. ولكن إرادة الحياة تنتصر أخيرا، ويتحقق النصر الحقيقى للشعوب على كل المنحرفين وطلاب السلطة والتسلط بغير عقيدة يريدونها رغم إرادة شعوبهم، ويفرضونها بالنار والحديد والمشانق والإعدام رميا بالرصاص بغير حساب وبغير ضمير وبغير شرف».

وأخذ الرئيس عبد الناصر يسرد مناورات البعث وألاعيبه إلى أن ختم خطابه قائلا :

«الجمهورية العربية المتحدة ليست مستعدة للوحدة مع حكومة سجن المزة الفاشستية، والجمهورية العربية ليست مستعدة للوحدة مع حكومة ساحات الإعدام الفاشستية. كانت اتفاقية الوحدة مع الشعب السورى ولم تكن أبدا مع حزب البعث الفاشى. شعب سوريا الآن فى معسكر اعتقال كبير والوحدة هى عملية تقرير مصير، ولا يمكن أن تتم عملية تقرير المصير تحت ظلال المشانق أو فى معسكرات الاعتقال».

وفى يوم ٢٦ يوليو ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا فى الإسكندرية ذكر فيه:

«أنا بدى أسأل مين نقض الميثاق. إحنا وقعنا الميثاق يوم ١٧ ومضينا الاتفاقية التى نصت على إقامة قيادة موحدة وعلى عمل ميثاق. ومضينا أيضا على إقامة جبهة فى سوريا وجبهة فى العراق على أساس أن فيه جبهة هنا فى مصر تجمع قوى الشعب العاملة، وكان هذا هو الأساس الذى بنى عليه الميثاق».

واستمر الرئيس يقول :

«ثبت أن حزب البعث انفصالى .. من مؤامرات عفلق على الوحدة ثبت أن حزب البعث انفصالى .. من تعاونهم مع عبد الكريم النحلاوى، من تعاونهم فى الوزارة ثبت أنهم آخر ناس ممكن أنهم يتكلموا عن الوحدة .. وثبت أيضا بعد اتفاق ١٧ أبريل أنه أيضا حزب انفصالى لأنه لم يلتزم بميثاق ١٧ أبريل وخرج بعد هذا وضرب الميثاق وضرب الجبهة وسرح الوحدويين واعتقل الوحدويين .. بهذا كان ينتهك كل كلمة من كلمات الميثاق وكان يعلم، وانا واثق ثقة كاملة انه كان يعلم، انه بهذا بيحطنا أمام الأمر الواقع .. وانه بهذا يعلم أيضا أن إحنا لن نقبل الواقع .. وبعد كده بيقول إن إحنا مش حنعلن الانفصال .. سيب جمال عبد الناصر هو اللى يسقط الميثاق، بتصرفاته يعلن تجميد الميثاق .. والبعث فى الحقيقة هو اللى أسقط الميثاق بتصرفاته الانتهازية وتصرفاته الفاشستية التى اتبعت بعد ١٧ أبريل».

وبذلك قضى على ميثاق الوحدة وسط أنهار من الدم تجرى فى سوريا وإرهاب يخيم على كل العراق !! ولإشغال الشعب والجيش عن المشاكل التى تتفاقم دون قدرة على حلها، استأنف الحكم الحرب مع الأكراد فى الشمال.

كانت الحكومة العراقية تظن أن الحرب فى الشمال سوف تخمد سريعا. إلا أنه وضح فى أغسطس ١٩٦٣ أن السلطة بالغت فى تفاؤلها؛ إذ أصبح إنهاء القتال قبل نهاية الخريف أمرا بعيد الاحتمال ما لم يزج بقوات أخرى فى المعركة.

إلا أنه رئى أن موارد العراق أصبحت عاجزة عن مواجهة الموقف، وهنا تقدم صالح عماش باقتراح طلب معونة عسكرية من سوريا .. ذاكرا أن السوريين أخبروه بأنهم على استعداد لتلبية ذلك إذا طلب العراق منهم مثل هذه المساعدة .. ووافق أغلب الحاضرين وسافر وفد عراقى إلى دمشق.

واقترح الحزب فى سوريا إعلان الوحدة بين دمشق وبغداد فورا تبريرا لدخول القوات السورية إلى العراق، إلا أن الحزب فى العراق رأى الاكتفاء بإعلان الوحدة العسكرية بين الجيشين بقيادة واحدة على أن تتبعها الوحدة الدستورية بعد شهرين أو ثلاثة. ووافق الجانب السورى وأعد مشروع الاتفاقية، ودون انتظار إقرارها وتوقيعها

دخلت القوات السورية إلى العراق بقيادة المقدم فهد الشاعر، وقد وزع منها لواء فى الموصل وزاخو وكتيبة مصفحات فى الحبانية.

وكان السبب فى تحفظ الجانب العراقى خوفه من تفجر الموقف داخل مجلس الوزراء؛ إذ كان يخشى معارضة الوزراء غير الحزبيين المشتركين فى الحكم. وفعلا حينما عقد فى بغداد اجتماع مشترك لمجلس الثورة ومجلس الوزراء يوم ٣٠ سبتمبر لإقرار الاتفاقية التى نفذت فعلا بدخول القوات السورية منذ أيام إلى العراق، فإن ناجى طالب وزير الصناعة وقتئذ أصر ومعه الوزراء القوميون على ضرورة أخذ رأى الرئيس عبد الناصر قبل إعلان الوحدة العسكرية بين سوريا والعراق، وتقرر إرسال وفد إلى القاهرة للقيام بالمهمة.

وسافر الوفد برئاسة محمود شيت خطاب وزير الشئون البلدية، وعضوية حردان التكريتى آمر القوة الجوية، وصبحى عبد الحميد مدير الحركات العسكرية إلى القاهرة يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٣. وكنت فى استقبالهم بالمطار، إذ كنت وقتئذ فى القاهرة .. وتمت مقابلتهم مع الرئيس عبد الناصر فى التاسعة من مساء اليوم التالى وحضرت اللقاء.

وبدأ الوفد بتكرار الدعوة للرئيس جمال عبد الناصر لزيارة بغداد بناء على وعد سابق منه للرئيس عارف، إلا أن الرئيس اعتذر عن تلبية الدعوة خاصة بعد موقف حزب البعث وتقلباته وإصداره بيانه فى ١٩٦٣/٩/١٧ وهو اليوم الذى كان من المفروض فيه أن يتم الاستفتاء على الوحدة إذا ما نفذت اتفاقية أبريل .. وكان البيان مليئا بالمغالطات، إذ وصف نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة بأنه نظام انفصالى لا يختلف عن نظام الحكم فى سوريا عقب الانفصال.

ثم باغت الرئيس جمال عبد الناصر الوفد بمفاجأة ثانية، إذ أبدى استياءه من إذاعة سرية اسمها «صوت الجماهير» أطلقها البعث من بغداد ـ كانت أخبارها تصلنا أولا بأول وتخطر بها القاهرة ـ تهاجم كلا من القاهرة والأردن والسعودية والمغرب .. وبدأت هجومها يوم سفر الوفد من بغداد إلى القاهرة بعد أن كانت تذيع إذاعات تجريبية منذ أيام عديدة سابقة.

وأضاف الرئيس أن صدور هذه الإذاعة من بغداد شىء يؤسف له. وأنكر الوفد وجود هذه الإذاعة أصلا، إلا أن الرئيس ذكر لهم الموجة التى تذيع بها الإذاعة السرية

والمكان الذى تعمل منه، بل وأسماء الذين يعملون فيها .. إذ كان الرئيس قد وصلته معلومات دقيقة عن ذلك. أصبح موقف الوفد يستحق الرثاء، وأصبح واضحا أن شيت خطاب وصبحى عبد الحميد يجهلان تماما ما يعلمه التكريتى. وانتقل الوفد بعد ذلك ليبلغ الرئيس عبد الناصر رسالة من الرئيس عارف بضرورة عودتى لبغداد - إذ كنت قد مكثت فترة ليست بالقصيرة فى القاهرة مما أثار الأقاويل - ووعدهم الرئيس بسفرى بعد أن يعد رسالة كتابية للرئيس عارف يوضح له فيها أسباب اعتذاره عن تلبية دعوته لزيارة بغداد.

واستعرض التكريتى الموقف العسكرى الحرج فى الشمال .. ذاكرا أن الجيش العراقى يحارب على جبهة واسعة فى منطقة حصينة وعرة مما يتطلب قوات عسكرية سورية ومصرية لتعزيز موقفه.

واعتذر الرئيس عبد الناصر عن إرسال أى قوات من القاهرة.

وهنا تساءل التكريتى عما إذا كان لدى القاهرة أى مانع من إبرام اتفاق عسكرى بين دمشق وبغداد يكون مبررا لدخول القوات السورية إلى الأرض العراقية؟ وقد أجاب الرئيس عبد الناصر أن هذا الموضوع يخص كلا من بغداد ودمشق خاصة أنه علم بالاتفاق بل وتنفيذه قبل عرضه عليه .. بل لا فائدة من أخذ رأيه خاصة بعد وجود القوات السورية فى الشمال، بل وبدئها القتال الفعلى لتنفيذ واجباتها فى العمليات.

وبذلك لم يحصلوا على الموافقة التى كانوا يريدونها.

وكانت صورة الاتفاقية فى جيب حردان التكريتى ولكنه لم يقدمها. وعلى أى حال لم تكن القاهرة فى حاجة لها فصورة واحدة كانت كافية، وكان قد تم الحصول عليها بعد توقيعها مباشرة بل وقبل وصول الوفد إلى القاهرة.

وفى ٨ أكتوبر الذى صادف يوم رجوعى إلى بغداد أذاع الرئيس عارف بيانا على الشعب العراقى معلنا فيه الوحدة العسكرية بين دمشق وبغداد.

وقد قابلت الرئيس عارف فى اليوم التالى لوصولى إلى بغداد، وسلمته رسالة من الرئيس عبد الناصر يعتذر فيها عن زيارة بغداد كما كان متفقا عليه من قبل.

وبعد أن قرأ الرئيس عارف الرسالة كانت علامات الأسى تظهر على وجهه، وبدا الرجل فى حيرة وسط المتاهات التى كان يعيش فيها .. إلا أننى عاتبته على قبوله إذاعة البيان، وعاتبته أكثر على ذكره أمورا تتعلق بالقاهرة يعلم تماما أنها لم تحدث.

أضاف الرئيس عارف أن الأمور أصبحت صعبة وأنه كان قد أعد استقالته - وفعلا أرانى مسودة استقالة وكان نصها كالآتى : «إلى السيد رئيس الوزراء - أقدم استقالتى كرئيس للجمهورية لأننى لا أود خيانة وطنى أو جيشى، وإنى على استعداد لترك بغداد هذه الليلة إلى الخارج».

ولست أدرى حتى الآن هل أقدم فعلا على تقديم الاستقالة إلى مجلس الثورة أو أنه كتبها خصيصا لأراها تبريرا لموقفه .. وأغلب ظنى أن الاحتمال الأخير هو الأصح .. إلا أن ما كان يجرى ترك فى نفس «أبو أحمد» أغوارا عميقة، وأيقن أن «الرفاق» يستغلونه. ومن يعرف «أبو أحمد» يعرف تماما أنه يغفر كل شيء إلا فيما يتعلق بذاته .. كان كالجمل الذى يخزن.

وبقى الوضع على ما هو عليه حتى انقلاب نوفمبر ١٩٦٣ حينما سحبت القوات السورية من شمال العراق وألغيت الاتفاقية الثنائية، وكان الذى ألغاها هو نفسه الرئيس عبد السلام عارف الذى أذاعها من إذاعة بغداد. وواضح تمام الوضوح أن القتال فى الشمال اتخذ كستار لتنفيذ الوحدة الثنائية بين بعث سوريا وبعث العراق .. وقد قابل الشعب العراقى الاتفاق بفتور كامل وأسى عميق .. وجسدت هذه الاتفاقية العودة إلى سياسة المحاور بكل ما تحمله من معنى ونتائج.

وهكذا كانت تمر الأيام .. تلاعب بمصائر الشعوب فى استخفاف غريب .. وجرى وراء مصالح حزبية لا عائد من ورائها .. وعتاب لا ينقطع .. ومناورات صغيرة مكشوفة لا تنتهى .. والمصلحة العربية تئن تحت ثقل ما يجرى .. وسنون أخرى دون جدوى تضاف إلى مئات السنين الضائعة.

خطة سلام ونهاية حكم البعث

شعرت السلطة العراقية بحرج موقفها فبدأت تتراجع على كافة المحاور ولكن دون انتظام.

وقد فوجئت فى حفل عشاء أقامه «سجاد حيدر» سفير الباكستان يوم ١٩٦٣/٨/١٣ بطالب شبيب وزير الخارجية يبدأ معى عتابا هادئا عاقلا لأول مرة.. فبدأ يقارن الموقف العربى المنهار حاليا بالموقف العربى أيام إعلان بيان القاهرة مما شجع الرجعية

والاستعمار .. وذكر أنهم أصبحوا على حال لا يحسدون عليه وأن الوضع الاقتصادى منهار، وأن هذا الموقف الخطير سيؤثر على الجميع دون استثناء. وذكرته بدورى أن هذا ما كنا نخشاه وما كنا ننبه إليه بكل إخلاص وصدق، ولكنهم لم يستمعوا إلى النصائح فوصلنا إلى ما وصلنا إليه. ثم ذكر أنه تقرر إرسال وفد إلى القاهرة برئاسة عبد السلام عارف خلال الأيام العشرة القادمة لمنع انهيار الوضع. وتمت الزيارة يوم ١٩٦٣/٨/٢١ . وكانت القاهرة تعلم أن الزيارة بمثابة رفعهم لمصاحف معاوية لا تجنبا للفتنة بل تفاديا للهزيمة.

ولم تسفر الزيارة عن شيء ذى بال من ناحية تحسين الأوضاع، إذ استمروا فى عتابهم الذى لا ينتهى، ثم ركزوا هجماتهم على سفير الجمهورية العربية متهمين إيانا بتشويه الصورة عند الرئيس عبد الناصر. وقد رد عبد الناصر على هذه الاتهامات بردود أعتز بها.

وكانت الفائدة الوحيدة من الزيارة أن الرئيس عارف عاد إلى بغداد وقد فقد الأمل فى الإصلاح فى ظل الأوضاع القائمة.

إذ كانت الصراعات والخلافات بين أجهزة الحكم تتردد على كل لسان .. وانقسم الحزب إلى جناحين : أحدهما بقيادة على صالح السعدى، والثانى بقيادة حازم جواد. ثم كان الخلاف صراعا على السلطة بين جناحين يلعبان بمصير أمة.

وكان عبد السلام عارف قد وطد عزمه على التخلص من الحزب بجناحيه. وكانت خطة الرئيس عارف وقتئذ هى أن يترك الحزب يتصارع من داخله حتى لا يتبقى منه فى ساحة الصراع إلا الذيل فيسهل عليه حينئذ إزاحته. وكان الرجل لا يبارى فى مثل هذه الأمور .. يدبر ويتدبر ثم يقدم على التنفيذ فى جرأة ورباطة جأش يحسد عليهما.

وزاد من خطورة الموقف الانفجار الذى حدث داخل مجلس الوزراء .. فحينما شعر الوزراء القوميون بأنهم مغلوبون على أمرهم وأصبحوا غير قادرين على تحمل المسئولية قدموا استقالتهم الجماعية.

فإذا أضفنا إلى ذلك تصرفات البعث التى أدت إلى شعور عام بالسخط شمل كافة الأوساط، ثم عجز الحكم عن تقديم أى إنجاز للجماهير، علاوة على الحرب الدائرة فى الشمال والتذمر الذى ساد أفراد الجيش، لوجدنا أن انهيار الموقف أصبح شيئا محتما.

وكانت الاتصالات السرية قد بدأت منذ فترة لإتمام اتفاقات وتعاهدات، وتدبير خطط ومؤامرات للقضاء على الأوضاع التى أصبحت لا تحتمل.

علمت من مصادر وثيقة أن الأيام القليلة القادمة سترى أحداثا مصيرية سوف تنهى حكم البعث. وأذكر أنى قابلت الرئيس عارف فى منتصف ليلة ١٠ نوفمبر فى مكتبه بالقصر الجمهورى بمناسبة سفرى اليوم التالى إلى القاهرة، ووجدته برغم تدهور الموقف واثقا بأن الأمور تسير حسبما يخطط ويشتهى، وكان واثقا من نفسه مؤكدا أن الأيام القليلة القادمة سوف تشهد نهاية البعث .. وأكد ذلك مرارا وفى ذلك تأكيد للمعلومات التى حصلت عليها.

وكانت انتخابات القيادة القطرية للحزب قد اقتربت، إذ حدد لها يوم ١١ نوفمبر، وأخذ كل جناح يبذل قصارى جهده للفوز بنصيب الأسد فيها. وتمكن جناح حازم جواد من استقطاب عدد كبير من ضباط وحدات بغداد، واتفق معهم على القيام بانقلاب داخل الحزب للقضاء نهائيا على جناح السعدى.

ومنذ صباح ١٩٦٣/١١/١١ أخذت بعض وحدات الجيش تستعد استعدادا محاطا بالسرية للسيطرة على الموقف فى حالة انفلات الزمام من يد الحزب الحاكم.

وفى الساعة الخامسة من مساء نفس اليوم عقدت القيادة القطرية للحزب اجتماعها المرتقب. وبعد أن بدأ الاجتماع، قام نحو عشرين ضابطا من سرية الانضباط العسكرى بمحاصرة مكان الاجتماع بمبنى المجلس الوطنى لقيادة الثورة واقتحموا قاعة الاجتماعات شاهرين مسدساتهم وأسلحتهم، وبدأوا فى توجيه الاتهامات للسعدى وجماعته مطالبين بطردهم من الحكم ومن الحزب على حد سواء.

تم كل ذلك بقيادة حازم جواد وطالب شبيب، وبعلم الرئيس عارف والبكر.

وفى نفس الليلة تم ترحيل على صالح السعدى وجماعته من أعضاء القيادة القطرية للحزب إلى مدريد.

وقد تم الانقلاب فى سرعة خاطفة وسرية كاملة لدرجة أن قواعد الحزب لم تكن تدرى بشىء مما يحدث.

إلا أنه فى صباح اليوم التالى تسرب ما حدث فى الليلة الماضية إلى قواعد الحزب، فأخذ الحرس القومى الموالى للسعدى فى التجمع فى أماكن عديدة فى بغداد بكامل أسلحتهم.

واحتلوا مراكز الشرطة ودوائر البريد والكهرباء، وسيطروا على شوارع بغداد وكافة الجسور المقامة على نهر دجلة، وأخذوا يعترضون المرور ويقومون بعمليات تفتيش دقيقة. وقد تعرض أعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة وهم يهرعون للقيام بواجبهم فى السفارة للتوقيف فى ذلك اليوم، وشهر رجال الحرس القومى أسلحتهم فى وجوههم موجهين إليهم الاتهامات والشتائم .. وكعادتهم واجهوا الموقف بصلابة الرجال.

وكان لا بد من إجراءات تمنع تطور الموقف إلى فوضى شاملة وتعيد للسلطة هيبتها، فوافق الرئيس عارف يوم ١٩٦٣/١١/١٣ على إعلان حظر التجول فى بغداد وحل الحرس القومى وتجريده من سلاحه وإنزال الجيش إلى الشوارع.

وتم اجتماع بين البكر وعماش مع قيادة الحزب لفرع بغداد التى كانت تسيطر على الحرس القومى. وطال الاجتماع .. وأصرت قيادة فرع بغداد على ضرورة إبعاد كل من حازم جواد وطالب شبيب خارج العراق كشرط أساسى لعودة الحرس القومى إلى أماكنه، فوافق البكر فورا على الاقتراح واعدا كلا من طالب شبيب وحازم جواد باستدعائهما بعد أيام قليلة، وتم إبعادهما إلى بيروت فى نفس الليلة وبقيا هناك فى انتظار الاستدعاء.

إلا أن التوتر كان يشتد، إذ قام الوندواى آمر الحرس الوطنى بعدة طلعات جوية قصف فيها وزارة الدفاع والقصر الجمهورى ومطار الرشيد، حيث نجح فى إحراق ٥ طائرات ميج ١٩ كانت على أرض المطار !!! يعنى نحن نحرق طائراتنا بأيدينا !!!

وأذكر أن الرئيس عبد الناصر كان يتصل بى مرارا وفى قلق ليطمئن على الوضع، وكان ردى دائما «ليس فى الإمكان أبدع مما يحدث» .. وفى مكالمته الأخيرة ذكرت له «أن الرئيس عارف فى حالة انتظار وأوشك أن يضرب ضربته».

وقد كانت خطته جاهزة واسمها الكودى «سلام».

وحددت ساعة الصفر لبدء العملية لتكون الساعة السادسة من صباح يوم ١٩٦٣/١١/١٨ وتم إعداد البيانات التى سيلقيها الرئيس عارف صباح اليوم المتفق عليه.

وأصبح كل شىء معدا للتنفيذ.

كانت أوضاع الحزب قد تردت ولم يبق على المسرح إلا الذيل !! فمعظم قيادات الصف الأول وبعض قيادات الصف الثانى مطرودة خارج العراق، وما بقى من قيادات كان بين معتقل أو مراقب، وقواعد الحزب أصابتها الصدمة لا تصدق ما حدث، ومؤازرو الحزب ينفضون من حوله، والرباط الحزبى بين الأعضاء قد تفكك.

ووسط تردى الحزب بدأ تنفيذ الخطة «سلام».

ومنذ اللحظة الأولى تم اعتقال صالح عماش وزير الدفاع فى مكتبه بالوزارة حيث كان ينام.

وأصدر الرئيس عارف عدة تعليمات أذاعتها إذاعة بغداد أهمها :

١- تكليف القوات المسلحة بالسيطرة على بغداد.

٢- حل وإلغاء الحرس القومى.

٣- تخويل آمرى الوحدات محاكمة كل متمرد وخائن وإعدامه فورا ويصدق على الأحكام من قبلهم.

٤- تخويل آمرى الوحدات والوحدات الفرعية والمفارز أمر فتح النار والقضاء على كل متمرد.

٥- ترتبط قوات الشرطة المدنية برئاسة أركان الجيش فورا لغرض التحركات العسكرية.

وبدأت قوات بغداد تتحرك لتنفيذ واجباتها.

كما بدأت قوات الموصل وكركوك تصل إلى بغداد بالطائرات.

وذهب الرئيس عارف إلى الإذاعة ليلقى بيانه.

وأخذ الحرس القومى يلقى سلاحه وتمت تصفيته. وفى نفس الليلة تم ترحيل صالح عماش إلى القاهرة، وكنت فى استقباله فى المطار .. وقد أدلى بتصريح صحفى ذكر فيه أنه عين سفيرا لبغداد بالقاهرة. فى مقابلتى للرئيس عارف عند عودتى لبغداد ذكرت له أن القاهرة تجد حرجا أمام أى طلب يطلبه الرئيس عارف، إذ تعتبره واجب التنفيذ، إلا أنه إذا وصل الأمر إلى احتمال تخريب العلاقة بين بغداد والقاهرة فإننا نجد من واجبنا أن ننصح .. فتعيين عماش كسفير لهم فى القاهرة سيخرب العلاقات

ولن يتمكن الرئيس من مصارحته بأى رسالة يرى نقلها إلى بغداد .. وذكرت له أنه لامانع من وجوده فى القاهرة ولكن ليس كسفير .. فذكر ضاحكا أنه أرسله إلى القاهرة ليقدم مزيدا من قصائده إلى الرئيس لا كسفير لهم هناك (وهو يشير بذلك إلى قصيدة عماش التى هاجم فيها الرئيس)، وأضاف أنهم أبعدوه إلى القاهرة ولم يعينوه كسفير، إذ أن عماش كان قد طلب بأن يعطى لقب سفير فكتبوا أمامه صورة أوراق الاعتماد حتى يبعدوه .. والرأى الغالب لديهم أنه سيعين مندوبا لهم بالجامعة العربية، وقد يرفض هذا التعيين وحينئذ عليه أن يبقى بالقاهرة دون عمل.

وبعد أيام قلق طالب شبيب وحازم جواد؛ إذ لم يتم استدعاءهما حسب الاتفاق الذى تم بينهما وبين الرئيس عارف، واستقلا طائرة من بيروت إلى بغداد إلا أنه لم يسمح لهما بمغادرة المطار .. وعلى أول طائرة أبعدا خارج العراق مرة أخرى.

وفى نفس الليلة .. تم تشكيل الوزارة الجديدة.

حينما عدت إلى بغداد يوم ١١/٢٢ أذكر أن الرئيس عارف أرسل إلىّ مصفحتين لحراستى حتى أصل إلى السفارة خوفا من أى اعتداء على شخصى، إلا أننى رفضت ذلك رفضا باتا وأخذت عربتى إلى دار السفارة وعليها علم بلادى مرفوعا. وأذكر أننى قابلته فى اليوم التالى بالقصر الجمهورى وسلمته رسالة كتابية من الرئيس عبد الناصر لتحيته على «هذا العمل الكبير الذى قام به، والذى كان له وقعه العميق لدى الشعب العربى فى القاهرة وفى كل البلاد العربية التى كانت تنتظر مثل هذا العمل من الرئيس عارف وزملائه» .. وقد قرأ الرجل الرسالة وقد بدت عليه علامات التأثر العميق.

وقد ذكر الرجل أنه حاول صادقا التفاهم مع حزب البعث بعد ثورة رمضان إلا أن الحزبية أعمتهم، كما قام الحرس القومى بأعمال أغضبت الجيش، وكان عليه أن يتحرك لتصحيح الوضع، وكان ذلك فى غاية الصعوبة .. فكتيبة الحراسة فى القصر الجمهورى بعثية، والحرس القومى يسيطر على الشوارع والقوات الموالية له تقاتل فى الشمال .. ولذا فإن نجاح حركته يعتبر معجزة، ويرجع الفضل فى ذلك إلى أن الله هدى «التكريتى» فتنازل مؤقتا عن بعثيته وساعد فى نقل القوات من الشمال جوا، وقد تم تعزيز هذه القوات بالنقل البرى بسرعة لدرجة أن فوج كركوك وصل إلى بغداد فى ست ساعات.

وأضاف أنه استعان ببعض البعثيين، ولكنه لن يبق على أحد منهم سواء البكر أو حردان التكريتي أو الآخرين.

وقد رجوته ألا نتحدث في موضع الوحدة الآن حتى يتفرغ لمشاكله، إذ لو أنهم حققوا الاستقرار والوحدة الوطنية لأصبح الجو مهيأ بعد ذلك للعمل الوحدوى. ورجوته ألا يستمع لأى محاولة لإثارة الشكوك من جديد في القاهرة، وأن يتبع سياسة الصراحة حتى نقضى على الحساسيات، وأبديت استعدادنا الدائم لتوضيح مواقفنا إذ كفى الشعب العربى ما لاقاه حتى الآن من انقسامات.

وأخيرا طلب إرسال قوة عربية من القاهرة لأنه سوف يأمر بعودة القوات السورية الموجودة في الشمال إلى سوريا، ولكنى أفهمته أننى سأعرض الأمر على القاهرة، ولكن منذ الآن لن يكون الوجود على أساس القتال في الشمال.

وجرت محاولات لحزب البعث بعد ذلك لكى يستعيد نفوذه.

وحاول حردان التكريتي ذلك أيضا فبدأ اتصالات واسعة، إلا أنه أقيل من منصبه كوزير للدفاع بعد أسابيع وهو في زيارة لأوروبا، وعين سفيرا في السويد دون أن يسمح له بالعودة إلى بغداد.

وكانت أول خطوة يتخذها النظام الجديد هى تطهير الجيش من البعثيين استكمالا للقضاء على نفوذ الحزب قضاء تاما، فاتخذت الإجراءات الآتية :

١- إحالة كبار الضباط إلى التقاعد.

٢- تعيين العناصر القومية في المراكز الحساسة في الجيش.

٣- توالت نشرات الإحالة للتقاعد والتسريح وشملت كافة الضباط العاملين والاحتياط الذين عينهم البعث بعد ثورة ١٤ رمضان، والذين كان يعمل معظمهم في الحرس القومى (٤١٢ ضابطا)!!!

٤- إجراء حركة تنقلات لإبعاد البعثيين عن العاصمة بتوزيعهم على مراكز غير حساسة في الألوية المختلفة، كذلك نقل الضباط البعثيين من ذوى الرتب الصغيرة من وحدات الدبابات والدروع إلى أسلحة أخرى. كانت بعض وحدات الدبابات في بغداد يسيطر عليها ضباط بعثيون حتى ذلك الوقت، ولما عزم الرئيس عارف على إخلاء بغداد

من الضباط البعثيين دعاهم إلى حفلة غداء بالقصر الجمهورى، وفي فترة الغداء حملت دبابات الوحدات في قطار خاص تم إعداده من قبل، وبعد عودة الضباط إلى ثكناتهم وجدوا أن الأوامر تقضى بأن يستقلوا نفس القطار ليتجه بهم إلى البصرة في الجنوب، وبذلك تخلص الرئيس عارف بإحدى وسائله الفريدة من تلك الوحدات.

٥- إبعاد بعض الضباط إلى الخارج بتعيينهم في المكاتب العسكرية في الرباط وكراتشى ولندن وباريس وبون.

٦- إحالة طلبة الكلية العسكرية إلى التقاعد لعدم لياقتهم للخدمة بالجيش- وهى أول دفعة خصصت كلها للبعثيين لإنشاء الجيش العقائدى - والأمر بعودة الموظفين منهم إلى وظائفهم الأصلية والطلبة إلى كلياتهم المدنية.

وكما نرى فإن الحكومات العربية، وبيدها وليس بيد العدو، تدمر الجيوش العربية لصالح أمنها الذاتى فتصبح عاجزة عن تحقيق الأمن القومى.

خطوات لتحقيق الوحدة بين بغداد والقاهرة

كانت مصر وقتها تبنى السد العالى وتقيم الاحتفالات بتحويل مجرى النيل لأول مرة في حياته السرمدية عن مجراه الأصلى كمرحلة من مراحل بناء السد، وفي ١٣ مايو ١٩٦٤ قدم وفد عراقى برئاسة الرئيس عبد السلام عارف لحضور الاحتفالات على طائرة مصرية وصلت إلى أسوان مباشرة، وكنت معهم على نفس الطائرة. واستقبل الوفد رسميا بواسطة الرئيس عبد الناصر.

ونزلنا جميعا في فندق «كتاراكت» الجديد، وأخذنا نتطلع إلى الأحداث التاريخية التى ستبدأ في الأيام التالية.

وفي الصباح كانت الوفود في مواقع العمل لتشاهد أكبر حشد عمالى يعمل كخلية نحل ليلا ونهارا في ورديات ثلاث - كل وردية بها ١٠٠٠٠ عامل ومدتها ٨ ساعات - أمضوا ٥٢ شهرا في صراع مع الجبل لينشئوا الأنفاق والطرق وليزيحوه من الطريق، ومع النهر ليطوعوه ويهيئوا له المجرى الجديد تحت أشعة شمس حارقة.. وبتسهيلات إدارية دقيقة لتوفير المأكل والمسكن والعلاج.. وآلات حديثة لشق الأحجار التى تعبأ في اللوارى الضخمة لنقلها إلى الأماكن المحددة .. والبلدوزرات والجرافات الضخمة التى

تغير الواقع الجغرافى ليتناسب مع التغير الديموجرافى المنتظر ... أعاد المشهد الرائع الذاكرة إلى أجدادنا بناة الأهرام، وأحفادهم الذين شقوا قناة السويس وأقاموا مئات المشروعات الجبارة من جنوب الوادى إلى شماله .. ولكن عادت الذكريات بنا أيضا – وللأسف الشديد – إلى قلة من المصريين هاجمت بناء السد العالى لأحقاد سياسية .. لم تقم وزنا لأمن الوطن والمواطن، ولم تنظر إلى المستقبل بعين وطنية لترى ما يقام الآن فى توشكى وجنوب الوادى وسيناء من مشروعات ما كانت لترى النور لولا ما وفره لها السد العالى من مياه وكهرباء !! ولكن الله غفور رحيم. تلخصت العملية التى أقيم من أجلها الاحتفال الرائع فى إغلاق مجرى النيل بسد الفتحة التى كانت مازالت مفتوحة حتى يوم ١٣ مايو ١٩٦٤، ثم نسف السد الترابى المؤقت لقناة التحويل فى اليوم التالى بالمفرقعات لتندفع مياه النهر الخالد فى مجراها الجديد عبر الأنفاق التى تم بناؤها فى الشهور السابقة. وأصبح المستحيل ممكنا.. ويرجع الفضل فى ذلك إلى ما قام به المهندس صدقى سليمان الذى قاد العملية وأشرف على التنفيذ هو وزملاؤه العظام، وكذا العمال الذين تكبدوا كثيرا من الضحايا وهم يقومون بالعمل العظيم .. جزاهم الله خيرا على ما قدموه لمصر من خدمات لا تنسى.

فى السرادقات التى أقيمت خلال أيام الاحتفالات ألقى الرؤساء المدعوون كلمات فجرت معارك سياسية على المكشوف وأمام الجماهير المحتشدة .. وهذا خروج عن قواعد اللعبة التى تمنع اللعب بالأوراق فوق الموائد والتى تحاول إبقاءها تحت المائدة..!! ففى كلمة الرئيس عبد السلام عارف أشاد بالاتحاد السوفيتى وبمساعدته لمصر، وأشاد بالسد العالى وبالمشاركة السوفيتية فى بنائه. وكان من الطبيعى أن يتحدث عن العرب كشعب واحد، وأن العراق ملتزم دستوريا بالعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة ... فنحن وحدويون ومع الوحدة العربية. وضج السرادق بالتصفيق الحاد المتواصل وبالهتافات المدوية للوحدة العربية التى كانت أملا فى تلك الأيام – رغما عن ركاكة التعبير وتفكك الخطاب لأن الرئيس عارف لم يكن يجيد الارتجال، وكم أوقعه ذلك فى مطبات ومشاكل، وكان يرفض نصائحى له بأن يعد خطاباته مكتوبة، «فأبو خالد يرتجل وينال إعجاب الجماهير وأبو أحمد ليس أقل منه»، مما جعل الدكتور محمود فوزى نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية يقول تعليقا على ما سمع : «لقد أعطى الرجل شيكات بدون رصيد». وانبرى الرفيق خروشوف ليخطب علنا أمام الجماهير :

«سمعنا الآن من يقول أيها العرب اتحدوا .. طيب نحن لسنا عربا فهل يعنى هذا أننا نروح لبيوتنا ؟! القومية ليست أساسا لاتحاد الشعوب بل أساس ذلك هو العمل .. هل الرأسماليون والإقطاعيون العرب إخوان للعمال العرب ؟ الفلاح العربى والعامل العربى أقرب إلى قلبى من الإقطاعى والرأسمالى السوفيتى ... مساعداتنا للقاهرة ليست لأنها عربية، فنحن نساعد الفلاحين والعمال والشغيلة العرب فهذه هى فلسفة لينين». وحينما غادر السرادق سلم على الجميع وتجاهل الرئيس عارف!!

كلمة الرفيق كانت أقرب للمبارزة العلنية منها للحوار اللائق وهى تصفية حسابات، فلم ينس أن القومية العربية التى نادى بها الرئيس العراقى هى التى أسقطت حكم عبد الكريم قاسم الذى سانده شيوعيو العراق .. لم يكن قد نسى بعد أن الوحدة بين مصر وسوريا هى التى قضت على محاولات الشيوعيين برئاسة خالد بكداش وعفيف البزرى للسيطرة على سوريا... كان عارف يتحدث عن سياسة بلاده ولم يكن لخروشوف الحق فى الاعتراض .. ولكن كان الرجل فظا لا يتحكم فى مشاعره إلى الحد الذى جعله يخلع حذاءه فى مبنى الأمم المتحدة بنيويورك ويدق به على المائدة فى حضور الأعضاء والمشاهدين .. وقد مكنت تصرفاته الحمقاء تلك «ترويكا» بودجورنى وبريجنيف وكوسيجين من عزله والإطاحة به .. وهذا لا يمنع من أن نذكر المساعدات التى قدمها لمصر بكل شكر وعرفان فهى مساعدات لا تنسى.

ولم أكن أعلم أن سحب أزمة كبرى تتجمع فى الأفق. إذ اتجه الرئيس العراقى إلى فندق «كتاراكت» ليستعد للتحرك إلى راس بناس وكنت أسير خلفه ومعى هيكل. وكان الرجل يغلى، ولعل هذا هو السبب – ضمن أسباب أخرى – الذى دفعه إلى اللقاء الفاتر الذى استقبل به هيكل مما جعله يعود أدراجه .. لأن «أبو أحمد» كان يغفر أى شىء إلا ما يمس شخصه. وحينما انفردت به فى غرفته تساءل عاتبا : «هل يصح أن يسمح أبو خالد بإهانة ضيفه علنا فى بلده ؟!!» وطيبت خاطره واعدا إياه بعلاج الموقف «على الهادى»، وكنت على يقين من أن هذا لا يجدى مع الرئيس العراقى، وطبعا نقلت ما حدث للرئيس عبد الناصر واستمع وابتسم ولم يعلق !! وتحركنا إلى راس بناس لتقيم الوفود فى الباخرة «سوريا»، وكنت أنا كسفير لمصر فى بغداد وعلى خشبة سفير مصر فى الجزائر فى الباخرة. وفى صباح اليوم التالى اجتمعت الوفود على سطح الباخرة، وبدأ الرئيس بن بيلا الحديث باللغة العربية، ولكنه عجز عن الاسترسال لأنه

كان لا يجيدها فى ذلك الوقت، وقد أشار عليه رئيسنا بالتحدث بالفرنسية فهناك مترجمون ولكنه رفض. وتلاه الرئيس عارف ليتحدث عن تأثير الدين الإسلامى والقومية العربية فى الصراع الدائر .. واستشاط خروشوف غضبا، فالوحدة ــ كما قال ــ هى وحدة قوى الشعب العامل فى العالم كله، وهاجم الأديان كما هاجم إجراءات العراق ضد الأكراد والشيوعيين، وبذلك أعاد فتح جراح الرئيس عارف والتى لم تكن قد اندملت بعد.

وجاء دور الرئيس عبد الناصر ليؤكد إيمانه بالقومية العربية .. فهى التى تصدت لحلف بغداد، كما أن الروس استغلوا القومية لمقاومة الغزو الألمانى واستخدموا نياشين باسم القياصرة لإذكاء الروح القومية بين الشعب والجنود .. ثم تحدث عن الدين الإسلامى الذى يدعمنا فى معاركنا، وأنه حينما وقع العدوان الثلاثى لجأ إلى الأزهر ونادى بالقتال من أعلى المنبر، وأنه على الروس أن يفرقوا بين الدين وبين بعض رجاله مثل راسبوتين الذين يستغلون الدين فى أغراضهم الشخصية – ورأيت الروس ينصتون فى انبهار واقتناع، وحينئذ طلب خروشوف الانتقال لمناقشة موضوعات أخرى.

وبعد انتهاء اللقاءات اقترحت على رئيسنا ضرورة حل الأزمة المستترة بين الرئيسين عارف وخروشوف، وكان الحل الذى اقترحته هو حضور خروشوف حفل عشاء أقامه السفير العراقى شكرى صالح زكى بعد عودتنا إلى القاهرة فى دار السفارة بالزمالك وقد كان .. ولكن بقى ما فى القلب فى القلب، فهذه هى السياسة وهؤلاء هم السياسيون. لم تخل الاحتفالات من أوقات للترويح.. فقد نزل بعضنا من السفينة «سوريا» إلى الزوارق للصيد، وكنت أنا والسفير خشبة فى زورق واحد استقله نواب الرئيس، واختاروا أن يكونوا فى مقدمة الزورق معتقدين أن الأسماك ستكون هناك ووضعونا فى المؤخرة، ويشاء الله أن السمك جاء إلينا فاصطدنا ولم يصيدوا فرأى النواب أن يبادلونا المواقع، إلا أن الأسماك انتقلت معنا وأخذنا نغترفها من البحر دون أن يصطاد النواب شيئا .. ويرزق الله من يشاء بغير حساب.

فى قاعة الطعام بالسفينة «سوريا» أقحمت زوجة أحد المسئولين نفسها على المائدة الرئيسية التى سوف يجلس عليها الرئيس فى غير موضعها وهى فى كامل زينتها، ولما دخل الرئيس توقف عند الباب متعجبا وهمس فى أذن أحد المشرفين بكلام لم نسمعه، ولكن بعدها وبسرعة انتقلت السيدة من المائدة الرئيسية إلى إحدى الموائد المنتشرة

بالقاعة .. وبذلك عاد كل شىء كما رسم له .. السيدة بكامل زينتها فى مكانها المخصص لها بعيدا عن المائدة الرئيسية، والرئيس فى مكانه الطبيعى على رأس المائدة، والباقون منتشرون على الموائد يتبادلون التعليقات عن المناسبة السعيدة.

وبعد انتهاء الاحتفالات تمت عدة اجتماعات بين الوفد العراقى برئاسة الرئيس عارف والوفد المصرى برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر، انتهت بتوقيع **اتفاقية التنسيق السياسى بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية** فى ٢٦ مايو ١٩٦٤.

- وقد مثل **الجانب العراقى** السادة : صبحى عبد الحميد وزير الخارجية، الدكتور عبد الرازق محيى الدين وزير الوحدة، شكرى صالح زكى سفير الجمهورية العراقية بالقاهرة.
- ومثل **الجمهورية العربية المتحدة** السادة : المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، على صبرى رئيس الوزراء، دكتور محمود فوزى نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية، محمود رياض وزير الخارجية، أمين حامد هويدى سفير الجمهورية العربية المتحدة ببغداد.

وتم تعيين الأعضاء المتفرغين فى مجلس الرئاسة المشترك :

- من **العراق** السادة: ناجى طالب، وأديب الجادر، وعبد الستار الحسين.
- ومن **الجمهورية العربية المتحدة** السادة : شعراوى جمعة، وكمال الحناوى، وعلى السيد، كما عين السيد فتحى الديب أمينا عاما لمجلس الرئاسة المشترك.

وبدأ أعضاء مجلس الرئاسة يباشرون أعمالهم، وقام كل منهم بوضع اقتراحاته تمهيدا لعرضها على أول اجتماع لمجلس الرئاسة المشترك.

وقد عقد هذا الاجتماع فى الإسكندرية عقب الانتهاء من مؤتمر القمة العربى الثانى فى سبتمبر ١٩٦٤. ففى هذا الاجتماع عرض الوفد العراقى بحث موضوع الوحدة بين البلدين، إذ أن خطوة التنسيق بين البلدين بناء على اتفاقية مايو لم تعد تكفى لمواجهة مطالب الشعب فى العراق لتحقيق الوحدة الفورية.

وقد تحدث أعضاء الوفد العراقى فردا فردا مؤيدين الوحدة الفورية بين بغداد والقاهرة – وفى رأيى أنه كان حديثا ينبع من العاطفة أكثر من الواقع، بل لم يكن مبنيا على أى دراسة للموقف. إذ لا يكفى المناداة بالوحدة لتتحقق بل يجب العمل من أجلها قبل التحدث عنها .. إذ ما أسهل قيام الوحدة الدستورية، ولكن ما أصعب الحفاظ عليها حيث يحتاج ذلك إلى أعمال كبيرة وجهود صادقة.

وفى الاجتماع الثانى تحدث كل عضو فى وفدنا عن رأيه فى الموضوع .. وكان الوفد كله من المؤيدين لقيام الوحدة الفورية إلا أننى كنت من المعارضين .. إذ كنت أعلم أن الرئيس عبد السلام عارف لم يكن ميالا للوحدة الفورية بل كان أكثر ميلا إلى اتحاد شكلى، كما كنت أعلم أن أعضاء الوفد كانوا يتحدثون بعاطفتهم أكثر من عقولهم، وفوق كل ذلك كنا نعلم مشاكل العراق ونعلم أن الوحدة الوطنية فى العراق تتعرض لأزمة حقيقية لا تمكنه من أن يقدم على الوحدة بما فيها من مشاكل وتحديات. وقابلت الرئيس منفردا وقلت له ما ذكرت، وكان الرئيس عبد الناصر يرى نفس الرأى.

وتأجل البت فى الموضوع خمسة عشر يوما لتجرى بشأنه مباحثات أخرى فى القاهرة أثناء عقد مؤتمر دول عدم الانحياز.

واجتمع أعضاء الوفد العراقى فى دار السفارة العراقية واتفقوا على مشروع للوحدة يتضمن قيام وحدة اتحادية برئيس جمهورية واحد وله عدد من النواب، مع تشكيل وزارة مركزية تضم وزارات الدفاع والخارجية والاقتصاد والخزانة والأمن القومى والثقافة والإرشاد والتربية والتعليم، مع إنشاء وزارات تنفيذية فى كل قطر ودمج الجيشين فى جيش واحد، كذا دمج التنظيمين الشعبيين فى تنظيم واحد.

وقد سلم أعضاء الوفد مشروعهم إلى الرئيس عارف ليقترحه فى الاجتماع.

وقد كان الاقتراح عفويا غير مدروس قصد به إحراج الرئيس عارف، وليس أدل على ذلك من أن الاقتراح نص على دمج التنظيمين الشعبيين فى تنظيم واحد فى الوقت الذى لم يكن هناك فيه تنظيم شعبى جدى فى العراق، وهو من أهم الضروريات لتكوين الوحدة ومساندتها.

ولم يعرض الرئيس عارف المشروع الذى فرض عليه بل اكتفى بالاحتفاظ به فى جيبه. ودارت مناقشات مطولة أخذ فى نهايتها بمبدأ تكوين قيادة سياسية للبلدين، وتم

تشكيل لجنة فرعية من شكرى صالح زكى سفير العراق فى القاهرة ومنى بصفتى سفيرا للقاهرة فى العراق لإعداد المشروع لتقديمه فى الاجتماع التالى.

وقد تم إعداد المشروع وهو ما سمى «باتفاق ١٦ أكتوبر»، ووافق عليه الحاضرون، وتم التوقيع عليه دون أن يحقق اتفاق مجلس الرئاسة السابق أى أعمال.

ومرت الأيام دون أن تعقد القيادة السياسية اجتماعاتها .. فالرئيس عبد السلام عارف كان يصر على عقدها فى بغداد، وكان الحق معه حيث إن الرجل قد زار القاهرة مرات عديدة .. ولكن كانت الظروف لا تسمح للرئيس عبد الناصر بالذهاب إلى العراق فى ذلك الوقت نظرا لمشاغله الجسيمة .. ثم كان الرئيس عارف ضائقا بما هم عليه من انقسام، وكان يحز فى نفسه أن يحضر اجتماعا على هذا المستوى وهو على رأس وفد منقسم على نفسه يتهجم فيه الأعضاء على رئيسهم علانية فى حضور الجانب العربى، والظهور بمظهر الرئيس الذى لا يمكنه أن يسيطر على أعوانه .. كنت أقرأ ذلك فى وجهه وما يرتسم عليه من مشاعر الألم والأسى – لم يكن مهما عقد الاجتماع، فالأهم كان كيف تبنى الوحدة طوبة طوبة لأن الوحدة لا تبنى بالشعارات أو أوراق الاتفاقيات.

فى النصف الأول من ديسمبر ١٩٣٦ كان وزير الخارجية العراقى السيد صبحى عبد الحميد فى القاهرة، وقابل الرئيس جمال عبد الناصر أكثر من مرة حضر المشير عبد الحكيم عامر إحداها.

وكان الموضوع الرئيسى الذى أثير فى هذه اللقاءات هو طلب العراق قوات عربية فى بغداد .. وكان الرئيس عبد السلام عارف قد سبق له التحدث فى هذا الموضوع مع الرئيس عبد الناصر ومعى عدة مرات.

فمجرد وجود هذه القوة ولو كانت فى حجم كتيبة أو كتيبتين سوف يحقق لهم أغراضا متعددة، فإنه يؤمن الوضع فى بغداد، ويؤثر على الأوضاع السياسية فى دمشق، ويليّن من عناد الأكراد ويقنعهم بضرورة الوصول إلى حل سلمى مع الحكومة المركزية.

وطرح وزير الخارجية العراقى موضوع تحمل حكومته مهايا ومرتبات الأفراد وعلاواتهم بالإضافة إلى التموين والإمداد، إلا أن الرئيس عبد الناصر رفض رفضا باتا أن تتقاضى قواتنا أى نوع من المرتبات من الحكومة العراقية. غير أنه أمام إلحاح وزير

الخارجية العراقى، وافق على مضض أن تتحمل الحكومة المصرية مرتبات القوات وتتحمل الحكومة العراقية الأجور الإضافية علاوة على تكاليف التموين والإمداد.

وبعد عودة صبحى عبد الحميد إلى بغداد قررت الحكومة السورية سحب قواتها الموجودة فى زاخو فى الشمال بناء على اتفاقية الوحدة العسكرية بين البلدين، ورحبت الحكومة العراقية بهذا الإجراء أيما ترحيب.

وأثناء المباحثات الدائرة، بادرت فى يوم ١٩٦٣/١٢/١٦ بإرسال مذكرة للعرض على الرئيس جمال عبد الناصر أتناول فيها هذا الموضوع الخطير، ورأيت أن أضع أمامه النقاط التالية :

١- أن المكان الأكثر احتمالا لوضع قواتنا فى حالة وصولها هو منطقة زاخو فى الشمال، إذ أن سحب القوات السورية سيترك فراغا فى هذا المحور يجب أن يملأ، خاصة أن الرئيس عارف أخطرنى بانه أنذر قائد الجبهة الشمالية باحتمال وصول قواتنا.

٢- أن وضع هذه القوات على هذه الصورة سيجعلنا فجاة على الحدود التركية والحدود السورية، الأمر الذى سيترتب عليه ردود فعل حادة من كلتا الدولتين.

٣- أن التعاون بين إيران وتركيا والعراق مازال قائما، وأن ضباط الارتباط من تركيا وإيران ما زالوا موجودين فى بغداد، ومعنى ذلك أننا سنجد أنفسنا فى تعاون غير مباشر مع حلف «السنتو».

٤- ما زالت المشكلة الكردية على حدتها، وموقفنا من هذه المشكلة حتى الآن هو عدم التحيز لأى من الطرفين ومحاولة إيجاد التفاهم بينهما فى نطاق وحدة الأراضى العراقية، وقد يخرجنا وجود قواتنا بالعراق عن هذه السياسة.

٥- ما الموقف لو تغير الوضع فى العراق - وهذا احتمال قائم - فما زال الموقف بعيدا عن الاستقرار.

وطالبت فى النهاية باعتذار القاهرة عن إرسال القوات مع إيجاد التبريرات التى تعزز ذلك. واقترحت فى حالة عدم الأخذ بوجهة النظر هذه أن تتمركز قواتنا فى بغداد، أو فى أى مكان آخر خلاف التمركز فى الشمال.

إلا أن القاهرة أخذت بنصف وجهة النظر هذه .. فمن ناحية وافقت على إرسال قوات مصرية إلى العراق - ووصلت فعلا على شكل أطقم الدبابات وأطقم المدافع لتعمل على دبابات ومدافع عراقية - ولكنها من ناحية أخرى وافقت على أن تتمركز القوات فى معسكر التاجى الموجود فى ضواحى بغداد.

وفى مباحثاتى مع وزير الخارجية العراقى اتفقنا على أن تتقدم الحكومة العراقية بطلب رسمى تطلب فيه إرسال القوات المتفق عليها.

وفعلا وصلتنى المذكرة الآتية من السيد وزير الخارجية العراقى :

الجمهورية العراقية — **الرقم م.خ/٤٥٩٣/٤٩٥٣/٥٠٠**

وزارة الخارجية — **بغداد فى ١٩٦٣/١٢/٢٦**

تهدى وزارة الخارجية تحياتها إلى سفارة ج.ع.م. فى بغداد، وتتشرف بأن تنهى إليها بانه استنادا إلى الاتفاق المعقود بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة فى ١٩ تموز ١٩٥٨ وإلحاقا لما انتهت إليها المشاورة مع الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارة السيد وزير الخارجية للجمهورية العربية المتحدة فى ٩ كانون الأول ١٩٦٣ وإلى المذاكرة مع السيد السفير .. ترجو حكومة الجمهورية العربية المتحدة إرسال القوة المتفق عليها من ج.ع.م. كما ترجو إحاطة السفارة علما بأن السيد معاون رئيس أركان الحرب العراقى سيحضر إلى مكتب السيد السفير للتداول بالشئون المتعلقة بما ييسر وصول هذه القوة. تنتهز الوزارة هذه الفرصة للإعراب عن فائق تقديرها واحترامها.

صبحى عبد الحميد

وزير الخارجية

إلى السيد أمين هويدى سفير الجمهورية العربية المتحدة

وفعلا زارنى العقيد الركن محمد مجيد معاون رئيس أركان حرب الجيش العراقى بمكتبى لبحث التفصيلات التنفيذية، إلا أننى فوجئت بأنه يخبرنى بأنهم سيدفعون بقواتنا عند وصولها إلى الشمال للعمل فى أحد القطاعات بالجبهة، وكنت قد لمست هذا الاتجاه - ولكن فى صورة مبهمة - من الرئيس عبد السلام عارف قبل ذلك.

وقد أوضحت لكل منهما أن هذا الاتجاه ضد الاتفاق.

ورأيت من واجبى أن أسافر إلى القاهرة لعرض الموضوع على الرئيس عبد الناصر حتى يحسم الموقف قبل التورط فى أى إجراء، واقترحت على سيادته إرسال رسالة خطية إلى الرئيس عبد السلام عارف توضح الأمور بجلاء كامل قبل الإقدام على أى خطوة تنفيذية.

وفعلا حملنى الرئيس عبد الناصر عند عودتى إلى بغداد رسالة مكتوبة إلى الرئيس عبد السلام عارف هذا نصها :

الجمهورية العربية المتحدة

الرئيس

سيادة الأخ الرئيس عبد السلام عارف

رئيس الجمهورية العراقية ..

احييكم اطيب تحية. ارجو أن يعينكم الله على تحمل الأعباء الضخمة التى تواجهونها حتى تبلغوا كل ما ترجونه ونرجوه لكم من توفيق ونجاح.

لقد حمل إلىّ السفير أمين هويدى نتائج مقابلاته معكم ومع المسئولين فى العراق، ولست فى حاجة ان اذكر من جديد - باخوة صادقة - اننا نقف إلى جانبكم بإصرار وقوة.

وأعتقد أن السيد صبحى عبد الحميد وزير خارجيتكم قد لمس مدى هذا الاستعداد فى مقابلته لى والتى وافقت فيها على تلبية رغبتكم بإرسال قوة من جيش ج.ع.م. إلى العراق، وذلك رغم المصاعب التى قد تواجهنا فى سبيل تحقيق هذه الرغبة والتى من أجلها وافقت على إرسال القوة على أساس ألا تشترك فى أى معارك. ولقد أوضحت للسيد صبحى عبد الحميد أن اشتراك قواتنا المسلحة فى هذه المعركة يتعارض مع خطنا السياسى، ويتنافى مع مصلحتنا بل والمصلحة العربية عامة، وقد اقتنع بوجهة نظرنا وأكد أنكم لا تنوون إرسال هذه القوة إلى ميدان المعركة وإنما ستعسكر فى الموصل والحبانية، غير أن السفير أمين هويدى قد ذكر أنه لمس من حديثكم معه ومن مقابلاته مع العقيد الركن محمد مجيد معاون رئيس الأركان فى الجيش العراقى أن القوة العربية قد تشترك فى العمليات العسكرية الأمر الذى لم يكن فى حسباننا.

ولقد رأيت أن أبعث إليكم بهذه الرسالة لأوضح ما دار بينى وبين السيد صبحى عبد الحميد بخصوص هذا الموضوع.

ولقد ذكر لى السيد صبحى عبد الحميد أن الرئيس عبد السلام عارف هو متبنى فكرة إرسال قوة من ج.ع.م. إلى العراق، وهو يريد من هذه القوة عدة أشياء :

١- الضغط على الأكراد لأنهم يثقون فى شخصكم ويثقون فى ج.ع.م. والضغط عليهم لقبول حل القضية القائمة بطريقة تتفق مع رغبة الحكومة العراقية.

٢- القضاء نهائيا على أى فكرة لدى البعثيين سواء فى سوريا أو فى العراق للقيام بعمل ضد الحكومة، لأن وجود قوة - ولو رمزية - بالعراق يؤمن حال العراق.

٣- تقوية الروح المعنوية لدى القوميين فى سوريا من أجل العمل على التخلص بسرعة من الحكم البعثى. ووجود قوة ج.ع.م. فى منطقة الموصل، والشعور بإمكانها أن تتقدم فى أى وقت تشاء إلى سوريا بإمكانه رفع معنوية الشعب السورى حتى ينتفض بسرعة ضد الحكم البعثى.

وقد رددت على السيد صبحى عبد الحميد بإمكانية إرسال القوات على أساس ألا تشترك فى عمليات عسكرية، وأوضحت له أسباب ذلك على الصعيد المحلى والدولى. وقد أكد السيد صبحى عبد الحميد ذلك بقوله : «إن هذا هو الوضع الذى يريده الرئيس عبد السلام عارف، أى أن القوة العربية ستبقى فى الموصل فى ثكنات ولا تشترك بالقتال».

فوافقت على إيفاد القوات العسكرية العربية على هذا الأساس.

هذا هو فى الحقيقة ما دار فى اجتماعنا بالسيد صبحى عبد الحميد متعلقا بموضوع إرسال القوة، وإنى أرجو أن تتيح لى فرصة لقائكم فى اجتماع القمة أن نستانف بحث هذا الموضوع مفصلا.

مع أصدق تمنياتى وأرجو لكم وللشعب العراقى الشقيق كل توفيق ورفاهية. والله يوفقكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

القاهرة فى أول يناير ١٩٦٤ — أخوكم

جمال عبد الناصر

وقد عدت إلى بغداد يوم ١٩٦٤/١/٤ وسلمت الرسالة إلى الرئيس عبد السلام عارف فى اليوم التالى.

ووصلت القوة أخيرا إلى بغداد، وكانت بقيادة المقدم إبراهيم العرابى وهو ضابط ممتاز يعتبر دونما شك قدوة فى الخلق والقيادة وتقدير المسئولية، وكان يشاركه فى صفاته الممتازة كافة ضباطه ومعاونيه. وللتاريخ فإن سلوك قواتنا فى العراق كان مضرب المثل سواء فى المظهر أو السلوك أو الانضباط أو المعرفة.. أصبح العرابى بعد ذلك رئيسا لهيئة الأركان.

وكم كان يحلو للرئيس عارف أن يصطحبنى فى كثير من الأحيان لزيارة هذه القوة فى معسكرها لنتناول طعام الإفطار هناك ولنمضى أسعد الأوقات بين أفرادها.

وقد بُذلت محاولات كثيرة - حينما بدأ الصراع داخل الصف القومى - لضم قواتنا إلى هذا الجانب أو ذاك، إلا أننا التزمنا بمبدأ الحيدة الكاملة، فقواتنا وجدت لتدعيم نظام قائم وليس لمعاونة فرد أو أفراد.

إلا أنه بعد أزمة مايو ١٩٦٥ انتابنى القلق، فقد تجبرنا الظروف الضاغطة، والتى أصبحت تتغير بسرعة كبيرة كل يوم، على عدم الالتزام بهذه السياسة الحيادية. ولذلك اجتمعت يوم ١٩٦٥/٧/١٨ فى مكتبى بالسفارة مع كل من العقيد على فهمى الشريف الملحق العسكرى العربى ببغداد والمقدم إبراهيم العرابى قائد القوة العربية لنتبادل الرأى فى الموقف، ووجدتهما يشاركاننى القلق الذى أشعر به. وانتهينا فى هذا الاجتماع إلى تقديم اقتراح للقاهرة بسحب هذه القوة، وفعلا وفى نفس اليوم أرسلت مذكرة إلى الرئيس كان أهم ما ورد فيها النقاط التالية:

١- بعد شق الصف القومى الذى كان متوليا السلطة فى العراق بعد الأحداث الأخيرة زاد احتمال قيام الأطراف المختلفة بالتخلص من بعضها البعض- كل يسعى إلى السلطة التى يسيطر عليها حاليا الرئيس عارف.

٢- هناك ثلاثة احتمالات يمكن أن تحدث فى المستقبل القريب :

(أ) قيام الرئيس عارف باستغلال النجاح الذى حصل عليه حاليا بالتخلص من جماعة صبحى عبد الحميد سواء الموجودة بالجيش أو خارجه نهائيا، ومن ثم يركز على التخلص من عارف عبد الرزاق (كان قد تولى رئاسة الوزارة). أو

(ب) قيام عارف عبد الرزاق بمواصلة سعيه للتخلص من الرئيس عبد السلام عارف بغض النظر عن نجاحه أو فشله فى مسعاه، تساعده بعض الفئات الأخرى.

أو

(جـ) قيام فئة رجعية أو بعثية باستغلال الموقف لصالحها.

٣- سوف يكون من الصعب تلافى تدخل قواتنا سواء فى حالة أخذ الرئيس عارف جانب المبادأة أو العكس؛ إذ أنه فى هذه الحالة سيكون من الصعب تجنب الاحتمالات الآتية :

(أ) اشتباك قواتنا مع أى قوات عراقية.

(ب) اشتباك قواتنا مع أى تجمعات شعبية، رغما عن التعليمات الحالية التى تقضى بتجنب ذلك، إذ يحدث عادة فى مثل هذه الأحوال محاولة الفئات المختلفة السيطرة على الشارع مع المحاولات المختلفة للقوى المندسة التى تحدث وقتئذ.

وبدون شك فإن النتائج المترتبة على ذلك لن تكون فى صالحنا سواء نجحت قواتنا فى السيطرة على الموقف أو العكس، إذ ستستغلها كافة الفئات المعادية - وما أكثرها - أسوأ استغلال، بل ستفقدنا تاييد الكثيرين من العناصر القومية التى أصبحت تجاهر بنقدها للرئيس عارف وإعلان سخطها عليه. هذا علاوة على أن صعوبة السيطرة على قواتنا فى هذه الحالة - لاحتمال انتشارها فى أماكن متعددة - قد ينجم عنها تصرفات فردية تؤدى إلى نتائج وخيمة.

٤- إذا أخذنا بحل بديل لذلك وهو الاستمرار فى سياستنا المتفق عليها بعدم تدخل قواتنا بأى حال من الأحوال عند أى تصادم بين الفئات المختلفة، ووقوفنا موقفا سلبيا، فإن هذا الحل سيعرض قواتنا للنقد ويجعلنا فى موقف يصعب تبريره أمام الرأى العام العربى أو أمام الرئيس عارف نفسه، ومن ثم ينتفى أى مبرر لوجود قواتنا فى العراق.

ويجب أن نضع فى اعتبارنا صعوبة اتباع هذا الحل لو ووفق عليه، إذ يحتمل أن:

(أ) يطلب الرئيس عارف احتلال قواتنا لمواقع داخل المدينة بمجرد إحساسه بتحرك مضاد أو كنوع من الاختبار لقواتنا - دون وجود دافع حقيقى لمثل هذا

التحرك - لمعرفة اتجاهها الحقيقى، إذ يختمر الشك فى نفسه حتى الآن إزاء تصرف قواتنا المحتمل.

(ب) أو قد يذهب بنفسه إلى معسكر التاجى حيث تعسكر قواتنا ليقودها بنفسه للسيطرة على الموقف. وإذا حدث ذلك فسوف نعود إلى الحالة الأولى التى سبق ذكرها.

٥- ولذلك فإننا نقترح التفكير من الآن فى سحب قواتنا الموجودة حاليا بالعراق على أن يتم ذلك فى الأسابيع القليلة القادمة. ولهذا الحل عيب واضح، إذ سوف يؤكد للرئيس عارف ما سبق أن سمعه من إشاعات عن تاييدنا لجانب صبحى عبد الحميد بسحبنا القوة العربية بمجرد خروجه من السلطة، وقد يدفعه هذا التصرف إلى اتجاه مضاد لنا فى سياسته .. ولو أنه يمكن للرئيس عارف أن يتبع اتجاها مضادا لو أراد بخلق أى أسباب يراها. إلا أنه رغما عن هذه العيوب فإن قرار سحب قواتنا يجنبنا ظروفا لا يمكن التكهن بنتائجها لو أبقينا على قواتنا وسط الظروف التى سبق شرحها.

٦- ولو ووفق على هذا الاقتراح، نقترح الآتى :

(أ) حتى يتم التنفيذ نستمر على سياستنا بعدم التدخل فى أى أحداث مفاجئة.

(ب) يمكن تبرير سحب القوات بحاجتنا لها فى اليمن أو سيناء.

(جـ) أثناء سحب القوة العربية يمكننا تجهيز بعض الأطقم العراقية لتحل محلها.

(د) يمكن مفاتحة طاهر يحيى فى ذلك أثناء وجوده فى القاهرة إذا حضر مع الوفد العسكرى بمناسبة احتفالات ٢٣ يوليو، أو يمكن مفاتحة عبد الرحمن عارف رئيس الأركان بذلك إذا لم يحضر طاهر يحيى إلى القاهرة، أو يمكن أن نقوم نحن فى بغداد بمفاتحتهم فى ذلك.

إلا أن هذه المبررات لم تكن كافية لإقناع القاهرة، فأعصابها فولاذية دائما فى مواجهة الأحداث ... وظلت هذه القوات فى معسكر التاجى ولم تنسحب إلا بعد فترة انتهاء خدمتى بالعراق.



□ مع الرئيس العراقى عبد السلام عارف □

وإذا أراد الإنسان أن يقيم قرار استجابة القاهرة لطلب العراق إرسال القوات العربية إلى بغداد بعد هذه الفترة الطويلة لوجد أنه كان قرارا حكيما تقتضيه الأحوال.

فلقد رأى الرئيس عارف أن تأمين وضعه ونظامه لا يتأتى إلا باتخاذ هذه الخطوة، وكان له ما يبرر ذلك .. فالتيارات السياسية فى العراق كانت جارفة وعاتية، والرجل لم يعمق جذوره بعد فى دهاليز السلطة ودروبها، والقتال مع الأكراد فى الشمال كان لايزال مستعرا يمتص ويشتت طاقة الحكومة المركزية ويشكل استنزافا للجهود والأموال، وإيران تحرك أنصارها فى بعض أوساط الشيعة فى الجنوب وتغذى الأكراد فى الشمال، وحكم البعث فى سوريا يتآمر بإصرار على الحكم فى بغداد فى محاولات متتابعة جسورة لعله ينجح فى إسقاطه.

كان الموقف صعبا رهيبا يحتاج إلى إسناد.

والقاهرة بدورها تنظر إلى أمنها فى إطار سياسة عربية متكاملة لوجود نظام صديق فى العراق يؤمن موقفها فى الساحة العربية، ويقفل بابا يمكن أن يفتح وهى مشغولة فى مسرح اليمن، ويحد من عداوة النظام البعثى فى سوريا، ويجنب حركة القومية العربية الانحسار. وبهذا كان التجاوب مع طلب العراق أمرا تقتضيه ظروف ج.ع.م.، إذ لم تنس القاهرة ما لاقته من نظام الحكم المعادى فى العراق أيام نورى السعيد وعبد الكريم قاسم، فلم تنس أن الحكم المعادى فى بغداد أجبرها على خوض معركة ضد حلف بغداد، وكان المحرك والمؤيد للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس، ولم تنس أن الحكم المعادى فى بغداد أجبرها على أن تواجه موقفا صعبا بعد حدوث الانفصال .. إذ أن حكم عبد الكريم قاسم ساعد الانفصال وأيده بل أسهم فى التخطيط لحدوثه.

ثم ما معنى الوحدة إذن التى تنادى بها كل من القاهرة وبغداد إذا لم ينتقل الشعار إلى حيز التنفيذ؟

وللتاريخ، لم يكن تنفيذ شعار الوحدة من جانب واحد بل كان للعراق فى ذلك العهد مواقفه التى لا يمكن أن تنسى ...

ففى الوقت الذى احتاجت فيه القاهرة إلى رصيد من العملة الصعبة كانت فى أشد الحاجة إليه، بادرت بغداد بإيداع ٥,٥ مليون دينار تحت تصرفها فى البنك المركزى ..

وكان الفضل فى ذلك يرجع دون شك إلى الدكتور خير الدين حسيب محافظ البنك المركزى فى ذلك الوقت الذى أتم كافة الإجراءات بعد أيام قليلة من مفاتحتى له بالموضوع. ولم تطالب العراق أبدا برد هذا المبلغ إلا بعد أن تولى شكرى صالح زكى وزارة المالية فى وزارة الدكتور عبد الرحمن البزاز، إذ جعل إلغاء هذا الاتفاق من الموضوعات ذات الأسبقية الخاصة.

وفى الوقت الذى احتاجت فيه القاهرة إلى القمح بادرت حكومة العراق بشحن ٥٠٠٠٠ طن بمجرد أن فاتحت طاهر يحيى رئيس الوزراء وقتئذ، وذلك دون انتظار للاتفاق على الأسعار أو على طريقة السداد، بل أمر الرجل بفتح صوامع البصرة على مصراعيها.

كما أفسح المجال لنشاط شركاتنا، فقامت السفارة بفتح المجال أمام شركة «المقاولون العرب» لتنفيذ مشروع قناة كركوك بمراحله الثلاث، وكذلك شركة النصر لصناعة السيارات بصفقات لعربات الأوتوبيس التى أخذت تسير فى شوارع بغداد والبصرة والموصل.

وقد ذكرت ذلك على سبيل المثال لا الحصر، لأن بغداد رأت بدورها أن أمنها هو فى شد أزر النظام فى ج.ع.م. ومساندته فما تقاعست بعد ذلك أو ترددت.

وأظهرت هذه المساعدات المتبادلة لكل من مارس العمل فى المجال العربى أن أمن أى بلد عربى لا يمكن أن يتحقق على المستوى المحلى أو القطرى ولكنه يتحقق فقط على المستوى القومى، كما أظهرت أن البلاد العربية إن هى أرادت وشاءت يمكنها أن تكفى نفسها المعونات الخارجية، وأن لديها من الإمكانيات ما يحقق لها القوة دون حاجة إلى أن تفتح الباب أمام النفوذ الأجنبى من جديد ليكسب أرضا انحسر عنها بعد صراع دام أجيالا متعاقبة وذهب فى سبيله آلاف من الشهداء والضحايا.

انشقاق الصف القومى

كان الطريق والظروف مهيأة أمام الحكم القومى فى العراق لتحقيق الأمانى التى طالما تمناها الشعب، خاصة أنه لم يكن هناك ما يشير إلى احتمال حدوث حركات مضادة

فى القريب العاجل تهدد بقاء الحكم أو تحول بينه وبين أن يحقق أهدافه التى أعلن عنها.

ولكن كان الخوف الأكبر أن يتم انهيار الحكم من داخله !! من الصراعات التى كانت سائدة، من الخلافات التى كانت تنتهى لتبدأ من جديد، من تعمق أزمة عدم الثقة التى باتت تهدد بقرب العاصفة – وقد حدث ما كان يخشى منه. فاشتد الصراع بين الرفاق، وتعمق الخلاف بين الأصدقاء بمرور الوقت دون استجابة للمحاولات الجادة الصادقة التى كانت تبذل تلافيا للنتائج الخطيرة التى سوف تترتب على استمرار حالة التصدع التى كان يلمسها الجميع. وأصبح الموقف أكبر من أن يحل بالوسائل السلمية المتعارف عليها بين الأصدقاء، فأخذوا يفكرون فى أن يتخلصوا من بعضهم البعض بحركات تصفية لا ترحم، وللأسف الشديد كانت الأسباب التى دعت إلى ذلك شخصية وغير موضوعية رجعت أغلبها إلى الصراع على السلطة.

وعلى سبيل المثال قامت أزمة بسبب نقل أحد الضباط وانتهت بأزمة تهدد كيان الحكم. إلى هذا الحد هانت أمور الدولة، وتهاوت حدود المسئولية، وتضاءلت مصلحة الشعب أمام المصلحة الشخصية !!!

وتدخل رئيس الوزراء ليحاول حل الموقف. وتدخل آخرون كثيرون : البعض كان يريد حل الموقف، والبعض الآخر كان يوسع شقة الخلاف حتى يتفجر كل شىء.

واستمرت لقاءات واجتماعات طوال الليل دون نتيجة، وكنا ننتقل دون كلل بين الأطراف المتنازعة للوصول إلى الحلول الوسط – وقابلت الرئيس عارف.

وحينما دخلت عليه كان ثائرا يهدد ويتوعد .. فكان الموضوع فى تصوره ماسا بشخصه وكرامته ... ولم أخرج من عنده إلا وقد وعد الرجل بحل الأزمة وبأنه لن يقبل أى استقالات.

وقد تدهورت هيبة الحكم نتيجة الهزات المتعددة التى كان يتعرض لها .. وكانت تلك الأزمات تشد رجل الشارع وتجذب انتباهه فى أول الأمر، إلا أنه بعد تكرارها وذيوع الأسباب التافهة التى كانت تدعو إليها أصبحت تلك الأزمات محل تندر الرأى العام بكافة طبقاته، وأخذ الرأى العام ينظر نظرة استخفاف للحكم الذى ما كان يتخطى أزمة إلا ويقع فى أزمة أخرى.

وأخذ كل يحشد قواه تمهيدا لصدام آت لا ريب فيه، وهو صدام فى حقيقته من أجل السلطة فى وقت كانت المشاكل المتراكمة أكبر من أن يواجهها فرد أو جماعة ... كانت المصلحة القومية تحتاج إلى جهد الجميع وتضامنهم .. وكان الطريق فسيحا يتسع للجميع لو أن الثقة كانت باقية لم تذهب بها الأحداث ..!!

وإزاء تدهور الوضع والخوف الحقيقى من وصوله إلى نقطة اللا عودة، بذل الرئيس جمال عبد الناصر بدوره محاولات عديدة لتصفية الخلافات بين الرئيس عبد السلام عارف وزملائه لأنه كان يؤمن بأن استقرار الأوضاع فى العراق لا يمكن أن يتحقق إلا بوحدة الصف القومى، وكان الرجل عازفا عن القيام بهذا الدور مترددا فى أن يقحم نفسه فيه إلا أنه ترك تخوفه ونحى تردده وتدخل مرات ومرات.

وأصبحت الكتل تتربص ببعضها .. كل منها يريد القضاء على الكتلة الأخرى. وفى جهد محموم أخذت كل كتلة فى استقطاب أكبر عدد ممكن من الضباط إلى جانبها. وكان الرئيس عبد السلام عارف حريصا كل الحرص على تفتيت الكتل التى تنازعه السلطة، فأراد استقطاب عارف عبد الرزاق آمر القوة الجوية إلى جانبه عن طريق صديق الطرفين سعيد صليبى آمر الانضباط العسكرى. وتظاهر عارف عبد الرزاق بانضمامه إلى الرئيس عارف بعلم زملائه.

الانقلاب المبتور

كان لهذه الأزمات المتلاحقة تأثيرها الشديد على صحة الرئيس عارف وعلى حالته النفسية إلى الحد الذى لمسته بنفسى عند زيارتى إياه فى الليل والنهار، إذ ما كادت حجرة مكتبه تحتوينا حتى يقوم بنفسه بقفل الحجرة بالمفتاح والمزلاج خوفا من اقتحام مفاجىء يقوم به خصومه. ولم يكتف بذلك بل تولى بنفسه تعيين خدمة الضباط فى الحراسة دون سابق إنذار، وأكثر من تغيير وحدات الحرس الجمهورى خوفا من أى ترتيبات تدبر من وراء ظهره.

قابلته بعد منتصف إحدى الليالى يسير هو ومرافقه فى الطريق الموصل من القصر الجمهورى إلى جسر الجمهورية، وكنت عائدا وحدى إلى الدار فى سيارتى، وعجبت أن يسير الرجل هكذا وحده فى بغداد فى مثل تلك الظروف، وفى مثل هذا المكان الموحش، وفى تلك الساعة المتأخرة من الليل. وأوقفت سيارتى واتجهت إليه، ولم يخف الرجل

سروره الكبير من هذا اللقاء المفاجىء، ولم أخف وساوسى ومشاعرى عنه فابتسم الرجل وهو يرد فى أسى : «والله يا أبا هشام لم يكن أمامى إلا هذا .. فالقصر رغم اتساعه أخذ يضيق بى، والأسقف على ارتفاعها أخذت تطبق علىّ، وخيل لى أنى أصبحت فى الزنزانة من جديد فخرجت هاربا من القصر إلى حيث الهواء الطلق» !!

ولم يكن الرجل يدرى أنه خرج من سجن صغير إلى سجن كبير، إذ بدأ يشعر بالعزلة القاتلة التى أوقع نفسه فيها.

إذن فالرئيس عارف كان ينوى تغيير طاهر يحيى وتعيين رئيس وزراء جديد. وكان طاهر يحيى يتوقع ذلك بدوره بل كان يعلم علم اليقين أن أيامه أصبحت معدودة كرئيس للوزراء.

ولم يطل بطاهر يحيى الانتظار، إذ أنه فى يوم ١٩٦٥/٣/٥ طلب منه الرئيس عارف أن يقدم استقالة حكومته، وفى نفس الوقت كلف العقيد عارف عبد الرزاق آمر القوة الجوية بتشكيل الوزارة على أن يكون الدكتور عبد الرحمن البزاز سفير العراق فى لندن – وكان موجودا فى بغداد فى ذلك الوقت – نائبا لرئيس للوزراء.

وقبل أن يعلن النبأ اتصل بى الرئيس عارف فى منزلى وأخبرنى بالتعديل المنتظر. كما حدثنى البزاز يزف إلىّ الأخبار !!!

وحرصت فى حديثى مع الرئيس على أن أؤكد له ضرورة لم شمل الفئات القومية المتنافرة، وأبديت له أملى فى أن تمثل الفئات جميعها فى الوزارة الجديدة.

وحينما انتهت المكالمة الغريبة وجدتنى أتساءل : ولماذا يتصل الرئيس عارف بى ليخبرنى بتعديل لم يعلن عنه بعد ؟!

ما هذه الثقة المفاجئة بعارف عبد الرزاق بعد الشك المرير فى شخصه والذى كنت ألمسه فى حديث «أبو أحمد» على الدوام؟!

أقول الحق .. إننى توقعت شرا من هذا التعديل. صحيح كنت أتوقع أحداثا وأحداثا ولكن ليس بهذه السرعة.

ولكن لماذا اختير «أبو رافع» بالذات رئيسا للوزراء؟ وفى هذا الوقت غير المتوقع؟ : لإبعاده عن قيادة القوة الجوية حتى يتمكن الرئيس من أن يدخل بأصابعه فيها .. وكان

عارف يحول بينه وبين ذلك، عزله عن الفئات القومية الأخرى، التخلص من عارف عبد الرزاق نفسه بعد أن يكون قد أصبح معزولا عن كافة الفئات، إذ يصبح حينئذ لقمة سائغة يسهل أكلها. وهناك سبب آخر أخبرنى به الرئيس عبد السلام عارف نفسه ومرافقه عبد الله مجيد، إذ أخبرانى بعد ذلك أنهما كانا على علم تام بنيات عارف عبد الرزاق فى القيام بانقلاب لصالحه إذا أصبح رئيسا للوزارة حيث يكون التنفيذ أسهل وأيسر، فأراد الرئيس عارف بتكليفه بتشكيل الوزارة فى ذلك الوقت تمهيد الطريق أمامه للقيام بحركته بسرعة قبل أن يكمل استعداده وتتعمق وتتمكن خطته.

وكان الجميع يفطنون إلى خطة الرئيس. وكان الاتفاق بينهم على ضرورة قبول عارف عبد الرزاق رئاسة الوزارة كوسيلة لإزاحة الرئيس عبد السلام عارف من السلطة بطريقة سلمية حينما تحين الفرصة لذلك. وفعلا بدأ عارف عبد الرزاق اتصالاته لتشكيل الوزارة، ولم يفلح فى إقناع أى من الفئات القومية فى الاشتراك بممثلين عنها فى وزارته. وبرغم ذلك تم تشكيل الوزارة على عجل.

وكان من رأيى وقتئذ عدم قبول عارف عبد الرزاق رئاسة الوزراء مع بقائه فى قيادة القوات الجوية؛ إذ أننى كنت على علم تام بحقيقة الموقف وبنيات عارف عبد الرزاق بالرغم من أن أحدا لم يفاتحنى فى ذلك.

ووصل رأيى هذا إلى «أبو رافع» عن طريق طرف ثالث، ولكن كان من عادة الرجل ألا يستمع إلى نصائح غيره، فقد كان شديد الاعتزاز برأيه على غير أساس.

واستقر رأى الجميع على موعد تنفيذ الانقلاب ليكون فى أثناء وجود الرئيس عارف فى مؤتمر القمة بالدار البيضاء.

غادر الرئيس عارف بغداد فى ١٩٦٥/٩/١٢ قاصدا الدار البيضاء وسط مراسم توديع اشترك فيها كافة المسئولين والسفراء.

وتولى السلطة بالنيابة أثناء غيابه مجلس مكون من رئيس الوزراء ورئيس الأركان.

وحان وقت التنفيذ تبعا للتخطيط الموضوع.

وكانت خطة الانقلاب – كما علمت بعد ذلك – فى منتهى البساطة، إذ كانت تتلخص فى الآتى :

١- القيام بإنذار الوحدات المؤيدة فى بغداد يوم الخميس ١٩٦٥/٩/١٥.

٢- بعد أن يتم ذلك يستدعى عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء الضباط المؤيدين للرئيس عارف ومعهم سعيد صليبى إلى مقر رئاسة الوزراء حيث يتم اعتقالهم.

٣- يتوجه عارف عبد الرزاق فى الساعة الثانية بعد الظهر إلى دار الإذاعة ليعلن تنحية الرئيس عارف وإلغاء منصب رئيس الجمهورية، وتشكيل مجلس قيادة الثورة ووزارة جديدة تضم الفئات القومية.

وبذلك لا يحتاج تنفيذ الانقلاب - إذا سارت الأمور دون أحداث غير متوقعة- إلى إنزال أى وحدات عسكرية إلى الشارع.

إلا أنه لسبب ما استقر الرأى على تغيير الخطة يوم ١٩٦٥/٩/١٤ لتكون كالآتى :

١- تقديم موعد الحركة ليكون ليلة ١٥/١٤ سبتمبر بدلا من الخميس ١٥ سبتمبر ١٩٦٥.

٢- كمرحلة أولى يتم الاستيلاء على «معسكر أبو غريب» أولا وهو قريب من بغداد مساء ١٩٦٥/٩/١٤.

٣- التقدم فى الصباح الباكر يوم ١٩٦٥/٩/١٥ إلى بغداد للاستيلاء على محطة الإذاعة والسيطرة على المراكز المهمة فى بغداد.

٤- تذاع البيانات المتفق عليها فى نفس الوقت.

٥- تحلق القوة الجوية فى سماء بغداد تأييدا للحركة.

٦- يتولى قيادة العملية من مقر رئاسة الوزراء كل من عارف عبد الرزاق وهادى خماش.

استدعى عارف كلا من حميد قادر مدير الشرطة العسكرية وسعيد صليبى آمر الشرطة العسكرية، كلا على حدة، ودعاهما إلى الاشتراك فى الانقلاب لكنهما رفضا، وبالرغم من ذلك أطلق سراحهما. واتصل أحدهم بتدبير من سعيد صليبى بقيادة الانقلاب ليخبرها بفشل الاستيلاء على «معسكر أبو غريب»، ولم يكن هذا صحيحا، وهنا صدرت التعليمات بتأجيل العملية.

وأصبح سعيد صليبى فى مقره بالانضباط العسكرى سيد الموقف.

وذهب إليه رشيد محسن - أحد المشاركين فى الحركة - يعرض عليه منصب رئاسة الجمهورية إن هو انضم إلى الحركة، إلا أن سعيد صليبى رفض عرضا قدم إليه ممن لا يملك ولا يقدر.

وفى صباح يوم ١٩٦٥/٩/١٥ عقد اجتماع فى منزل عارف عبد الرزاق لتدارس الموقف، وبعدها غادره ومعه عائلته إلى مطار بغداد ثم إلى القاهرة على متن إحدى الطائرات الحربية.

ولم تخطر سفارة الجمهورية العربية المتحدة باتجاه الطائرة إلى القاهرة، كما لم تخطر القاهرة بأن طائرة حربية فى الطريق إليها.

كان ذلك يتم والرئيس عارف هناك فى الدار البيضاء .. وقد علم بتفصيلات ما حدث من الرئيس جمال عبد الناصر، إذ كنت قد أرسلت إليه بالتفصيلات قبل أن يتمكن أحد فى بغداد من إخطار الرئيس عارف بما حدث .. ولعل هذه المبادرة كانت سببا فى الشكوك التى سيطرت على الرئيس عارف بعد ذلك والتى لم يكن لها أساس من الصحة.

وقطع الرئيس عارف زيارته إلى الدار البيضاء وعاد إلى القاهرة أولا ليعمل ترتيب سفره إلى بغداد. وقد تم إعداد خطة لعودته فى سرية كاملة، إذ أن الموقف لم يكن واضحا فى بغداد بل كانت هناك طائرات فى انتظاره فى سمائها لإسقاطه بطائرته عند الوصول.

واستقل الرجل طائرة من إحدى المطارات الحربية بالقاهرة بتنسيق كامل معى فى بغداد وحددت وقت الوصول.

ولم أخبر أحدا خوفا على حياة الرجل - حتى أخيه اللواء عبد الرحمن عارف كان يعلم حينما اصطحبته معى إلى المطار أنه ذاهب لمقابلة وفد عسكرى قادم من القاهرة على متن إحدى الطائرات الحربية فى تمام الساعة الخامسة، وحينما رأيت الطائرة تحلق فى سماء المطار أخبرت عبد الرحمن عارف بمقدم أخيه، فترك كل شىء وذهب ليعد حرس شرف لاستقبال الرئيس القادم !!!

ولم يتمالك العقيد على فهمى الشريف الملحق العسكرى العربى الذى كان يرافقنى فى المطار من أن يضرب كفا بكف، لأن هذا التصرف من عبد الرحمن عارف كان يدل على بساطة الرجل وعدم تقديره خطورة الموقف.

ونزل الرئيس عارف إلى أرض المطار ثابت الجنان.

وسلم على النفر القليل الذين كانوا فى استقباله والذين تصادف وجودهم فى المطار. وأوصلناه إلى إحدى العربات الصغيرة يستقلها إلى القصر الجمهورى ليبدأ محاولاته للسيطرة على الموقف.

وبانتهاء هذه الحركة بالصورة التى انتهت بها كان الرئيس عبد السلام عارف قد تخلص من كل معارضيه : منهم من كان فى القاهرة، ومنهم من كان متحفظا عليه فى منزله، ومنهم من كان قد تم اعتقاله، ومنهم من اختفى تحت ظروف صعبة، ومنهم من كان يهيم على وجهه فى طريقه إلى الكويت ليفعل به الله ما يشاء بعد ذلك.

وبذلك أصبح الرئيس عارف الحاكم المطلق فى العراق.

وكلف الرئيس عارف الدكتور عبد الرحمن البزاز بتشكيل الوزارة وتم تشكيلها على عجل، فأصبح بذلك أول رئيس وزراء مدنى يتولى هذا المنصب منذ القضاء على الحكم الملكى فى العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨.

ملابسات مؤسفة

قبيل حدوث الانقلاب كنت قد انتويت السفر إلى القاهرة للتشاور .. وفعلا تم حجز مكان لى فى الطائرة العربية التى تغادر بغداد ظهر يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٥.

وأخطرت القاهرة بذلك كما أخطرت عائلتى بموعد الوصول.

وفى مساء يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٥ رأيت من اللائق والواجب الاتصال بعارف عبد الرزاق رئيس الوزراء لأخطره بسفرى فى الغد.

اتصلت به فى قيادة القوات الجوية - حيث كان يغلب وجوده - فأخبرت أنه فى مكتبه برئاسة الوزراء. فاتصلت به هناك فى نحو الساعة التاسعة مساء، ورد علىّ الرجل بهدوئه المعتاد .. وأخبرته بموعد سفرى فى الغد وبرغبتى فى لقائه قبل السفر.

وكان من عادة «أبو رافع» أن يرحب باللقاء فى أى وقت وأى مكان، إلا أننى فوجئت برده «فى الصباح يفعل الله ما يشاء».

وانتهت المحادثة التليفونية، وتركت له معاودة الاتصال إن كان يريد اللقاء.

لم أكن أعلم حينما اتصلت بـ «أبو رافع» أن عجلة الانقلاب دائرة، وأنه كان فى ذلك الوقت بالذات يقود عملية انقلاب خطيرة من مكتبه فى رئاسة الوزراء !!! وقد استغل هذا الاتصال المسجل أسوأ استغلال فى الأيام التالية فى الوقيعة بين الرئيس عارف والقاهرة دون تقدير للمصلحة القومية.

وكان أول موعد علمت فيه بالانقلاب الساعة العاشرة من صباح يوم ١٥ سبتمبر عن طريق أحد الأصدقاء .. خاطر وحضر إلى مكتبى فى ذلك الوقت وأدلى لى بما يعرفه من معلومات.

وألغيت سفرى إلى القاهرة لمواجهة المتغيرات الجديدة، ثم أرسلت المعلومات الخطيرة إلى القاهرة لتتولى إرسالها إلى الرئيس عبد الناصر فى الدار البيضاء على وجه السرعة حيث كان يعقد مؤتمر القمة. وهذا يفسر كيف كان الرئيس عبد الناصر أول من أخطر الرئيس عارف بحدوث الانقلاب.

ودعوت من فورى إلى عقد عدة اجتماعات مع أعضاء السفارة لنتباحث فى الأمر، ووزعت الواجبات كما كنا نفعل دائما فى مثل تلك الظروف.

واجتمعت مع كل من الملحق العسكرى العقيد على الشريف، وقائد القوة العربية المقدم إبراهيم العرابى، ولم يكونوا على علم بما حدث. وأمرت المقدم إبراهيم العرابى بعدم التدخل بقواته إطلاقا مهما كانت الأسباب إلا عن طريقى وبأوامر منى شخصيا، وأن يكون هو وقواته فى حالة استعداد كاملة، وأن يداوم الاتصال بى من وقت لآخر .. على أن يدبر وسائل اتصال تبادلية لاستخدامها فى حالة تعذر الاتصال الهاتفى.

وفى الوقت نفسه قمت بعدة اتصالات للوقوف على ما يجرى.

اتصلت بعبد الرحمن عارف رئيس أركان الجيش الذى لم يكن يدرى حقيقة ما حدث، إذ كان ما وصل إلى علمه أنها مجرد محاولة شيوعية أمكن السيطرة عليها .. وأبلغت «أبو قيس» بأن القاهرة وافقت على وضع قواتنا العربية فى معسكر التاجى تحت تصرفه فى أى وقت من الأوقات.

واتصلت بسعيد صليبى آمر الانضباط العسكرى وقائد موقع بغداد. وكان سعيد شحيحا فى إعطاء المعلومات، إذ حاول فى أول الأمر أن يفهمنى أنها محاولة شيوعية انتهت على خير، ولكن بعد ذلك أخبرنى بحقيقة ما تم فى إيجاز مفيد.

ولا شك أن سعيد صليبى كان يقع فى تلك اللحظة تحت تأثيرات نفسية ثقيلة يتنازعه شعور الوفاء للصديق، وشعور الولاء للرئيس ... وبالرغم من ذلك حاول تغطية صديقه تحت ستار أنها محاولة شيوعية، وفى نفس الوقت كان ولاؤه للرئيس عارف يطغى عليه إذ ربما حمله «أبو أحمد» الأمانة أثناء غيابه، ولم يكن سعيد صليبى بالرجل الذى يخون.

ولكن هذه هى تقلبات السياسة ... !!!

واتصلت بعارف عبد الرزاق فى منزله، وكان يوالى عقد اجتماعاته مع أنصاره لاتخاذ قرار.

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر استقل عارف عبد الرزاق طائرة حربية ومعه عائلته وبعض ضباطه واتجه إلى القاهرة. ولم تكن القاهرة قد علمت بما تم، إذ لم تكن برقيتى قد حلت شفرتها بعد، لذا فإنه استقبل فى المطار الاستقبال اللائق برئيس وزراء واستضيف فى قصر الطاهرة .. ولكن حينما صرح لهم عارف بما حدث رجوه أن يقدر الموقف إذا ما اضطروا إلى استضافته فى فندق شبرد. وهرولت أسرتى من المطار حيث كانت فى انتظارى إلى فندق شبرد للترحيب بالأصدقاء والعمل على راحتهم والتخفيف عنهم فى ظروفهم الصعبة، إذ كانت علاقاتنا العائلية قوية.

كان سعيد صليبى هو الشخص الوحيد فى ذلك الوقت الذى يمكنه أن يسيطر على الموقف إلى حد ما فى بغداد، ولا يخطر ببالى ولو للحظة واحدة أنه كان غير قادر على منع عارف عبد الرزاق من مغادرة المطار بطائرة حربية ...

فهل يا ترى تم الاتفاق بين الصديقين على رحيل «أبو رافع» حينما تقابلا فى المساء بمقر رئاسة الوزراء، أم أن الاتفاق كان من نوع الاتفاقات التى تتم بين الأطراف هكذا دونما حاجة إلى مناقشتها أو التحدث فيها ؟

وأقرر هنا للتاريخ - وليت الرئيس عارف يسمع هذا وهو فى قبره - أننا لم نكن ندرى بالانقلاب إلا بعد ١٢ ساعة من وقوعه. بل لم تكن القاهرة تدرى بدورها حينما

وصل إليها عارف عبد الرزاق بالطائرة فى قصر الطاهرة، وحينما علمت بالانقلاب تغير مكان الضيافة ليصبح فندق شبرد.

بدأ الحرس القومى البعثى ينزل إلى الشوارع فى كثافة مقلقة، وتمركز البعض منهم حول مبنى سفارة ج.ع.م. ودار السفير، إذ كان الفراغ فى بغداد مشجعا لأى فئة قادرة لكى تستولى على السلطة. وقد قام إبراهيم العرابى بحراسة السفارة ودار السفير ببعض دباباته.

وبعد ظهر ذلك اليوم أخبرنى صديق من موظفى الإذاعة العراقية بأن العقيد بشير الطالب الذى يتولى حراسة مبنى الإذاعة يردد وسط ضباطه أن سفير الجمهورية العربية المتحدة هو الذى دبر الانقلاب !!! وأن معه شريطا مسجلا لاتصال تم بينى وبين العقيد عارف عبد الرزاق مساء يوم الانقلاب !!!

جرعة أخرى كان علىّ أن أتجرعها فى ذلك اليوم الطويل، وكأن ما سبق أن شربته من جرعات فى ذلك اليوم لم يكن يكفى !!!

وفى المساء حضر بعض الوزراء العراقيين إلى السفارة ومعهم برقية فيها معلومات بحدوث الانقلاب يريدون إرسالها عن طريقنا إلى الرئيس عارف فى الدار البيضاء. وفعلا تولينا إرسالها نيابة عنهم بعد إرسال معلوماتنا إلى الرئيس عبد الناصر بما لا يقل عن عشر ساعات.

وبدأت رحلة العودة للرئيس عارف من الدار البيضاء إلى بغداد عن طريق القاهرة كما سبق أن أوضحنا. أمناه فى القاهرة وأمناه إلى أن وصل بغداد، وكنا الوحيدين فى استقباله فى المطار ببغداد وحيث لا يمكن التمييز بين عدو وصديق فى تلك الظروف. ووجدت علاوة على ذلك أن من واجبى أن أتصل به تليفونيا فى المساء وفعلت .. هنأته بسلامة الوصول، وأخبرته وأنا أضحك أنه قد آن لنا أن ننام الليلة إذ عادت الطمأنينة للجميع فى وجوده ليباشر سلطاته بحنكته المعهودة بعد ليال صعبة لم نذق فيها للنوم طعما. إلا أنه رد بطريقته الفريدة : «إن رجل القاهرة فى الموضوع» !!!

نفس الاتهامات التى رددها قاسم وهو فى الحكم، ونفس الاتهامات التى رددها البعث قبل أن يبعد عن السلطة !!!

وقلبى معك يا قاهرة على كثرة ما تلقينه من اتهامات من الأصدقاء والأعداء على حد سواء. وعرفت أن بشير الطالب وإخوانه لم يقصروا فى استغلال الموقف.

ورددت على الرئيس عارف «بأن هذا ليس مهما الآن، فالأهم معالجة الموضوع فى جدية، فالموقف خطير والحرس البعثى يملأ الشوارع والناس خائفون على مصائرهم واحتمالات كثيرة خطيرة مازالت قائمة ... هذا هو الذى يجب أن ينال عنايتك، وأما بخصوص اتهاماتك فعليك ألا تقع فيما يدبره البعض لك لإتمام عزلك بالوقيعة بينك وبين القاهرة، وستثبت لك الأيام ماذا فعلت القاهرة المفترى عليها من أجلك. وعلى أى حال فلى لك رسالة سبق أن أبلغتها لأخيك اللواء عبد الرحمن عارف فى غيابك .. فقواتنا العربية تحت تصرفك لاستخدامها فى أى وقت تشاء» ...

وتواعدنا على اللقاء فى مكتبه بالقصر الجمهورى فى اليوم التالى.

وفى يوم ١٩٦٥/٩/٢٢ تمت المقابلة، وأثبت هنا للتاريخ ما تم فى هذا اللقاء :

١- هنأته بفشل الانقلاب وبسلامة الوصول وشرحت له فى اختصار الموقف كما نراه.

٢- وبدأت أنصت إلى ما سيقوله الرئيس عارف فى هدوء وصبر، وكان نص حديثه كالآتى :

(أ) عرف بخبر الانقلاب من مراسل الأهرام بنيويورك إذ انه كان أول من أذاع الخبر، وأكد انه عميل أمريكى، وعلم أيضا بالخبر من الرئيس جمال عبد الناصر فى اليوم التالى (هذا غير حقيقى .. فاول من أخطره بشهادة كل من حضر مؤتمر القمة كان الرئيس عبد الناصر).

(ب) ثبت لديهم أن الأمريكان وراء المؤامرة.

(جـ) هاجم الفئات القومية، وذكر أن القاهرة متورطة معهم، مدللا على ذلك بانه عندما اتصل بى ليبلغنى إسناده رئاسة الوزراء إلى عارف عبد الرزاق كنت حريصا على إشراك صبحى عبد الحميد فى الوزارة، وهذا يعنى فى نظره الشىء الكثير (الذى حدث كما سبق أن ذكرت أننى كنت أشير عليه بأن يجمع الفئات القومية فى الوزارة، ومن ضمن من ذكرت صبحى عبد الحميد).

(د) كان يعلم أن عارف عبد الرزاق يدبر انقلابا فاسند إليه رئاسة الوزارة لإبعاده

عن القوات الجوية وهى سلاح خطير فى يده، ولدفعه إلى القيام بالانقلاب قبل أن تنضج ترتيباته، ولم يسافر إلى الدار البيضاء إلا بعد أن أجرى كافة استعداداته لمواجهة الانقلاب المنتظر .. وتساءل : ألم تكن تعلم بتدبيرات عارف عبد الرزاق؟ ألم تتناول معه طعام العشاء فى منزل عبد الكريم فرحان؟

(هـ) الذى أكد له حدوث الانقلاب كان إحدى السيدات، إذ زارته قبل سفره وقصت عليه حلما مزعجا بالنسبة له، إذ رأته يسبح فى نهر دجلة وظهرت عليه علامات التعب بحيث أوشك على الغرق، وفجاة رات كوخا ينصب فوق الماء وهو يحاول عبثا أن يتمسك به، وإذا برجل يلبس ملابس بيضاء ينتشله من الماء وظهر أنه النبى عليه السلام !!! (كان الرئيس عارف يؤمن بالأحلام، وقص علىّ الكثير منها فى المناسبات المختلفة).

(و) لما علم بخبر المؤامرة رأى فى غفوة نوم أقرب إلى اليقظة كافة تفصيلات المؤامرة. ونقلها كما حدثت لمرافقه العميد زاهد قبل وصول أى تفصيلات عن الموضوع، وظهر أن ما أملاه كان مطابقا لما كان يرد من معلومات.

(ز) هاجم اتصالاتى بكافة الاتجاهات ... وأن نشاطى أصبح أكبر من اللازم وبالرغم من ذلك فإننى لا أطلعه على نتيجة اتصالاتى، ثم أضاف : «اقفل بابك يا أمين» .. وكرر ذلك أكثر من مرة بلهجة التهديد.

(حـ) يتساءل العراقيون وهو منهم كيف قبلت القاهرة هؤلاء المتامرين، ثم كيف تبقى عليهم عندها بعد كل ما حدث؟ إن لجنة التحقيق التى شكلها لبحث الموضوع ستطلب استدعاء هؤلاء لأخذ أقوالهم.

(ط) هاجم صحف القاهرة وإذاعتها، فهى لم تشجب المؤامرة بل التزمت الصمت ولم تعلق عليها. (ونسى فى غمرة غضبه أن القاهرة هى التى قامت بكل الترتيبات لتامين عودته إلى بغداد).

٣- أجبت الرئيس عارف بالآتى :

(أ) يبدو أن الأعداء نجحوا هذه المرة فى إثارة شكوكه نحو القاهرة بعد محاولات فاشلة استمرت سنوات كنا نعالج فيها أمورنا فى ثقة متبادلة ورحابة صدر ..

وإننى أعتبر ذلك إن صح نذير سوء أدعو الله أن تتجنبه كل من بغداد والقاهرة.

(ب) لماذا نتسرع هكذا فى الاتهامات طالما أن لجنة التحقيق لم تبدأ عملها بعد؟ ماذا عليه لو تمهل قليلا قبل أن يلقى بهذه الاتهامات الغليظة ؟ كيف نوفق بين اتهاماته للأمريكان بأنهم وراء ما تم وبين اتهامه هذا للقاهرة ؟ فالأمريكان وراءنا ككلاب الصيد.

(جـ) ما الذى يحققه أى انقلاب يتم ضده لحساب القاهرة؟ ما الذى يمكن أن يعطيه مثل هذا الانقلاب لصالح العلاقات بين البلدين أكثر مما يعطيه نظام الحكم ببغداد برئاستك؟ إننا نعتبر أى انقلاب ضدك هو بمثابة انقلاب ضد القاهرة لأنه يكون خطوة إلى الوراء أو نكسة لها رد فعلها الخطير على كل من البلدين.

(د) ما دخل القاهرة فيما حدث؟ أنت الذى وضعت ثقتك الكاملة فى عارف عبد الرزاق فعينته قائدا للقوة الجوية ثم رئيسا للوزراء ؟!! كيف تطلب منا نحن أن نمنع حدوث انقلاب فى بغداد وغيرها ؟ كيف يمكن للسفارة أن تمنع عارف عبد الرزاق من استقلال طائرة يتجه بها إلى أى مكان؟ وحتى لو توفرت القدرة على ذلك، فبأى حق نتدخل فى هذا الموضوع ؟ أين كانت قواتك؟ أين كان أنصارك؟ أين هى الاستعدادات التى تحرص على أن تردد أنك اتخذتها فى كل جملة تقولها ؟!

(هـ) ماذا تقول صحافة القاهرة ؟ إننا لا نعرف حتى الآن تفصيلات ما تم. الصحافة العراقية نفسها لم تذكر شيئا عن المؤامرة ... حتى البيان الذى ألقيته مؤخرا كان عاما لم يوضح شيئا للرأى العام ... فمثلا كان البيان خاليا من ذكر تفصيلات ما حدث، وكان خاليا من تحديد الأشخاص الذين قاموا بالانقلاب، وكان خاليا من نفى - كنا ننتظره - للإشاعات التى بثها المغرضون عن دور القاهرة فيما تم، فعن أى شىء تتحدث صحافة القاهرة؟ ما الذى تحدثت به صحافة بغداد لم تتحدث به صحافة القاهرة ؟

(و) كان من رأيى أثناء غيابك أن يصدر المجلس الجمهورى بيانا يوضح الأمور للرأى العام، ومازال هذا هو رأيى ... لماذا لا يكلف رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز بعقد مؤتمر صحفى يوضح فيه للرأى العام المحلى والعربى والعالمى

الموقف ليخرج الرأى العام من الحيرة التى يجد نفسه فيها ويبث الطمأنينة فى النفوس، ويظهر فى الوقت نفسه مدى سيطرة الحكم على مقاليد الأمور؟

(ز) إنه يهاجمنى لأننى استقبل الفئات القومية ... والفئات القومية تهاجمنى بدعوى أننى لا أثق إلا فيك .. والفئات الرجعية تنهشنى لأننى لا أتعامل معها ... بل أحس الآن أن الاتهامات وصلت إلى حد التهديد لشخصى وأنا فى بغداد ولعائلتى وأولادى فى القاهرة ... وبالرغم من كل هذه الضغوط الثقيلة تمسكت بأن أكون عاملا مساعدا للتوفيق بين الجميع .. هذا ما حاوله الرئيس عبد الناصر دائما وهذا ما أحاوله بدورى باستمرار ... فما هو المطلوب منى أكثر من ذلك؟

(حـ) وتساءلت بعد ذلك هل وضعنى الرئيس تحت المراقبة؟ كيف يطلب منى أن أخبره بنتيجة اتصالاتى مع الأفراد أو الهيئات ؟ إن ذلك خارج عن مهام منصبى وحدوده.

(ط) وفى النهاية تساءلت : هل يعنى بحديثه أنه يطالب بتسليم عارف عبد الرزاق وزملائه لمواجهة لجنة التحقيق ؟ إن كان يعنى ذلك فإننى سأرسل للقاهرة للإفادة بالرأى.

٤- ذكر الرئيس عارف :

(أ) لنتأنى قليلا فى طلب حضور المتآمرين حتى تتضح الأمور.

(ب) إنه يعزنى كصديق فهو وأنا فى مركب واحدة، والهجوم كما هو مسلط علىّ فهو مسلط عليه، وأنه تعب من أهل العراق الذين قتلوا الحسين وأخذوا يبكون عليه.

وخرجت من عند الرجل والشك يقتله، ولم يقتصر شكه على القاهرة وحدها بل فقد «أبو أحمد» الثقة فى أقرب الناس إليه.

وفى الطريق لمقابلة الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء فى مكتبه قررت أن استمرار وجودى فى بغداد بعيد عن الحكمة .. ضرره أكثر من نفعه. وصح عزمى على السفر إلى القاهرة فى القريب العاجل لأقنع الرئس بذلك، خاصة أننى كررت مثل هذا الطلب مرارا من قبل بعد أن أثار مركزى ومنزلتى لدى إخوانى العراقيين الكثير من الحقد والحسد فى كثير من الدوائر فى كل من القاهرة وبغداد على حد سواء.

وتذكرت موقفا مماثلا واجهته وأنا سفير لبلادى فى الرباط .. فى ذلك الوقت وكان لم يمض على بقائى هناك أكثر من ثلاثة أشهر شعرت بأن وجودى لا يتفق والمصلحة العامة، فطالبت دون تردد بأن انسحب من مسرح الأحداث وقد كان.

ووصلت إلى رئاسة الوزراء ووجدت وفود المهنئين تحتشد لتهنئ رئيس الوزراء الجديد بمنصبه .. نفس الوجوه هنأت عبد السلام عارف، وهنأت أحمد حسن البكر وطاهر يحيى وعارف عبد الرزاق دون تغيير. بل لاحظت على شفاه المهنئين نفس الابتسامات العريضة، وسمعتهم وهم يتمتمون بنفس كلمات التهنئة ونفس الدعوات !!!

وتذكرت وأنا أشاهد ما يجرى أن هذا لا يحدث فى بغداد فحسب ولكنه يحدث فى كل مكان وزمان فهذا حال الدنيا !!!

وبعد أن دخلت على الدكتور البزاز فى مكتبه اتصل به الرئيس عارف هاتفيا ليحدثه عن ضرورة عقد مؤتمر صحفى عاجل لشرح الموقف ولتوضيح سياسة الحكومة. ورد عليه الدكتور البزاز بأنه سيعقد المؤتمر الصحفى بعد اجتماعه بزملائه الوزراء حتى يكون ما يقوله معبرا عن رأى المجلس.

وانتهت المحادثة التليفونية ... وبدأ الدكتور البزاز فى حديثه قائلا :

إن الرئيس عارف كان يطلب منه عقد مؤتمر صحفى لتوضيح الأمور بالنسبة للمؤامرة ولشرح سياسة الحكومة، إلا أنه رد عليه بان هذا سيتم بعد اجتماعه بمجلس الوزراء .. وكان غرضه من ذلك أن يعطى درسا للرئيس عارف فى الديمقراطية ونظام الحكم وكذا فى تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات.

وأكد أنه لا يصدق الإشاعات التى يطلقها المغرضون للتشكيك فى موقف القاهرة، وأنه سينفيها فى مؤتمره الصحفى، كما أكد عروبة عارف عبد الرزاق، وأنه اقدم على ما فعل بدافع شخصى. وذكر أن الرئيس عارف لا يثق فى شخصى لأنه سمع أننى رفعت تقريرا للقاهرة لم يكن مشجعا بالنسبة له - ولو أن الدكتور البزاز يوافقنى تماما على ما ذكرت من آراء لو صح أنها وردت فى هذا التقرير، وأضاف أنه لا يعنى أن عدم ثقة الرئيس عارف بشخصى تمتد إلى ج.ع.م.

وذكر أنه يمكن للقاهرة أن تفعل الكثير : فمثلا يمكن للصحافة والإذاعة أن تتحدث عن مساندتها للعراق، ويمكن للقاهرة أن تؤيد البزاز حتى تدعم موقفه، كما يمكن للقاهرة أن تشجب المؤامرة وتوضح موقفها من الناصريين.

كما ذكر أن الاحتفاظ بعارف عبد الرزاق وجماعته فى القاهرة سيولد حساسيات مؤقتة، وعلى القاهرة أن توازن بين النقد الذى سيوجه لها بتسليمهم، والنقد الذى سيوجه لها بالاحتفاظ بهم .. ومن رأيه أن على القاهرة أن ترفض تسليمهم حتى لو طلب منها ذلك، وإن تصاعدت الأزمة يمكن للقاهرة أن تسمح لهم بالسفر إلى الخارج وتذيع بيانا بهذا الخصوص.

وقد رددت على الدكتور البزاز بالآتى :

١- شكرته على موقفه المتزن من الاتهامات الظالمة التى توجه إلى القاهرة، وطلبت أن يكون نفيه للإشاعات صريحا قاطعا حتى نقطع خط الرجعة على من يصطاد فى الماء العكر، وحتى لا تظلم الحقيقة هذا الظلم الفادح (وقد فعل البزاز ذلك فى مؤتمره الصحفى).

٢- أما عن عدم ثقة الرئيس عارف فى شخصى فترجع إلى الظروف الصعبة والطريقة الغريبة التى يمارس بها الرئيس عارف مسئولياته، مما جعله لا يثق فى أى شخص بمن فيهم شخصى وشخص الدكتور البزاز نفسه، وأننى ساعالج عدم الثقة تلك بالنسبة لشخصى بطريقتى الخاصة.

٣- شرحت له الموقف من وجهة نظرى، وأرجعت تردى الأوضاع إلى الأطماع الشخصية لكل الأطراف، وإلى مناورات الرئيس عارف المستمرة لتوسيع شقة الخلاف ومحاولاته الدائبة لضرب كافة الأطراف بعضها ببعض.

٤- إن القاهرة مازالت عند موقفها من تاييد الحكومة العراقية، ولعل الذين يصطادون فى الماء العكر لا ينتهزون فرصة الغيوم الحالية لياخذوا أى إجراءات تضر بالعلاقة بين البلدين، واتفقنا على قطع خط الرجعة على هؤلاء.

وفى يوم ١٩٦٥/٩/٢٣ عقد الدكتور البزاز مؤتمره الصحفى، فبدأ بالرد على سؤال وجه إليه عن الاتهامات التى تحيط بالقاهرة، فنفاها نفيا باتا وأشاد بالعلاقات الوطيدة التى تربط بين البلدين.

وبعد أيام كنت أطير إلى القاهرة.

ولم أكن أعلم أننى لن أعود إلى بغداد مرة أخرى كسفير لبلادى.

كانت الأفكار تتزاحم فى رأسى وأسئلة كثيرة تلح فى جواب.

لم يكن مبعث هذه الأفكار علاقة البلدين. فلم يكن الموقف مترديا بين بغداد والقاهرة رغما عن كل شىء، بل كان الأمل كبيرا فى السيطرة على المشاعر وتخطى الشكوك التى ثارت دون أن تستند إلى أساس من حقيقة أو واقع. وكان هذا شيئا يبعث على الاطمئنان.

ولكن الشىء الذى كان يلح على تفكيرى هو أننى أصبحت واثقا بأن تغيير الوجوه أصبح ضرورة تحتمها الظروف والأحوال ...

إذ بت أعرف أكثر من اللازم عن خبايا العراق وسياسته، ولم يكن الكثيرون يرتاحون إلى ذلك فى كل من بغداد أو القاهرة على حد سواء.

وكانت اتصالاتى واسعة عريضة تشمل العراق من شماله إلى جنوبه مما أثار الحقد والضغينة هنا وهناك.

وتسابق البعض لزرع شكوك لا تستند إلى أساس ولكنها وجدت أرضا خصبة تتعمق فيها بتوالى الأحداث.

كل ذلك عزز قرارى بأن أترك مسرح العراق بعد مدة طويلة حافلة بالأحداث، وأصبح هذا واجبا وطنيا لابد من أن أسعى إلى تحقيقه وضرورة قومية لابد من أن أقنع بها المسئولين.

إلا أن اتصالاتى الأولية فى القاهرة لم تكن مشجعة، كان جميع من اتصلت بهم يؤكدون أهمية وجودى فى المرحلة الحساسة القادمة وأن ما تم ما هو إلا سحابة صيف لا تلبث أن تنقشع كما انقشعت سحب كثيرة من قبل.

ولكن هؤلاء لم يكونوا على علم بالرئيس عارف وما أوصلته إليه الأحداث من حال.

ولم يكونوا أيضا على علم بأن الأعصاب قد أرهقت، وأن الصحة قد تأثرت نتيجة الظروف الصعبة التى مررت بها يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة طوال ثلاث سنوات كاملة.

واستقبلنى الرئيس عبد الناصر بعد وصولى بأيام.

وبدأت أدير «أسطوانتى» المعتادة عن العراق، تلك الأسطوانة التى أدرتها من قبل ولمدة ثلاث سنوات دون كلل ولكن فى صدق وأمانة.

ولأول مرة يقاطعنى الرئيس قائلا وهو يضحك : «مش كفاية يا أمين الحديث عن العراق».

ولم أفهم ما يقصد إلا أن المقاطعة ألجمت لسانى؛ إذ كانت هذه هى المرة الأولى التى أجد فيها الرئيس جمال عازفا عن الاستماع إلىّ.

سألنى الرئيس عن موعد سفرى ثانية إلى بغداد فأخبرته أننى عائد فى الغد بإذن الله، إلا أنه قال وهو يضحك : ماذا لو أجلت السفر؟ وماذا عليك لو مكثت مع عائلتك هنا فترة من الوقت؟

ولما أبديت دهشتى، ذكر لى أنه مزمع إجراء تعديل وزارى وسيكون السيد زكريا محيى الدين هو رئيس الوزراء الجديد الذى سيخلف السيد على صبرى، وأضاف أنه اختارنى وزيرا للإرشاد القومى فى الوزارة الجديدة ... هذا لا يعلمه أحد حتى على صبرى رئيس الوزراء .

وشكر الرجل جهودى طوال الفترة السابقة بكلمات لن أنساها ما حييت، وبعد فترة أنعم علىّ بوسام الاستحقاق.

وتذكرت وأنا أغادر منزل الرئيس فى منشية البكرى بعد انتهاء المقابلة وعده لى ليلة سفرى إلى بغداد لأول مرة منذ ثلاث سنوات كسفير لبلادى هناك.

كان الرجل قد وعد أن أكون المسئول الأول والوحيد أمامه طوال فترة خدمتى بالعراق دون تدخل من جهة أو أحد.

وأشهد بأن الرجل كان عند وعده.

وبدأت عملى فى وزارة الإرشاد لعدة أسابيع قررت بعدها أن أعود أنا والسيدة قرينتى إلى بغداد للقيام بواجب الوداع.

ووسط حفلات التوديع التى لا تنتهى حاولت جهدى إزالة الغيوم التى كانت تتجمع فى الأفق.

وبعد أيام حان موعد الرحيل.

ووسط الحشود الكثيفة من كافة الفئات والأوساط التى ملأت ردهات مطار بغداد وساحاته ركبت أنا وقرينتى الطائرة فى طريقنا إلى القاهرة.



□ حلف اليمين أمام عبد الناصر □

ونظرت إلى سماء بغداد وخيل إلىّ أنها صافية.

وكانت حرارة التوديع بمثابة وسام استحقاق آخر قلدنى إياه شعب العراق.

ولكن كانت هناك كلمات لابد أن تقال ...

فبعد كل هذه السنين التى مرت على تلك الأحداث أجدنى وقد زاد شوقى إلى بغداد ... إلى الكرخ العتيد ... إلى الرصافة الشامخة ... إلى الأعظمية الهادئة ... إلى الكاظمية المهيبة ... إلى كرادة مريم الوديعة ...

وأجدنى فى الوقت نفسه وقد زاد شوقى إلى كل بقعة من أرض العراق ... بغداد، الموصل، البصرة، السلمانية، كركوك، الرمادى، سامراء، سرسنك، جالى على بك، جلولاء ... فلى فى كل بقعة من أرضها ذكريات وذكريات ...

ويزداد شوقى إلى كل أهل العراق ... من عرفتهم ومن لم يسعدنى الحظ بالتعرف إليهم، إذ أحببتهم فى رضاهم، وأحببتهم فى ثورتهم ...

ويكفيهم فخرا أنهم يقفون بعيدا على الجناح الأيمن للأمة العربية من قديم الأزل حيث شاء لهم القدر كالحارس الأمين يصدون عنها غوائل الأعداء ...

وكم تحملوا فى سبيل ذلك من ضحايا وشهداء .

ولم أعد إلى بغداد إلا بعد ذلك بشهور كعضو فى وفد رأسه المشير عبد الحكيم عامر للتعزية فى وفاة الرئيس عبد السلام عارف فى حادث طائرة قيل إنه من صنع البشر، وقيل إنه من صنع القدر. وفى خلال الزيارة حدثت قصة غريبة لابد أن تحكى ...

أخبار الطائرة التى استقلها الرئيس عارف هو ومرافقوه كانت منقطعة طوال الليل ... ما أذيع هو أنه استقلها واتجه بها إلى الجنوب فى إحدى رحلاته التفتيشية التى ـ كما أعرف ـ لم يكن يتوافر لها ترتيبات الأمن الكافية رغما عن كثرة الصيادين المتربصين ... فى الصباح الباكر اتصل الرئيس عبد الناصر بى فى منزلى وسألنى: ما أخبار طائرة عبد السلام؟ وأجبته، وكنت وقتئذ وزيرا للإرشاد القومى : «لا أخبار». فقال : «يا أمين عبد السلام مات وشبع موت» .. وانكسر صوته .. وبعد ثوان أكمل : «قررت إرسال وفد تعزية اليوم برئاسة المشير وأنت طبعا معه»، وأعطانى موعدا أمر عليه فيه بداره ... أرسلت حقيبتى إلى المطار لتشحن فى الطائرة الخاصة وذهبت فى الموعد المحدد لمقابلة الرئيس ... كان فى الحديقة وحييت وجلست وكانت الأخبار قد أكدت فى تلك الفترة وفاة «أبو أحمد» فى حادث طائرة، وتردد بعد ذلك أنه حادث بفعل القدر فى رأى البعض، وبفعل البشر فى رأى آخرين ... والله أعلم.

قال الرئيس : «سيحضر المشير لمقابلتى بعد نصف ساعة يتوجه بعدها إلى المطار وستكون فى رفقته ... أنت أعلم بالعراق من الجميع وهناك الآن فراغ فى السلطة ويمكنك باتصالاتك السابقة أن تؤثر فى اختيار الخلف ... نحن لا نريد شيئا من العراق، مجرد حكم لا يعادينا ... نحن لن نتكلم فى وحدة أو اتحاد ... هذا مرفوض ... نريد مجرد تعاون ونحن على استعداد للمساندة ... أمرت سامى شرف بأن يجهز لك شفرة خاصة للاتصال بى عن طريقها، كما كان الحال معك وأنت سفير هناك ... إذا رأيت ما تريد إبلاغه لى لا تتردد فى إرساله وسيصلنى فورا ...»

وأخذ الرئيس يتحدث فى مواضيع شتى وهو ينظر فى ساعته .. ولم يحضر المشير فى موعده، ومرت دقائق كثيرة ولم يحضر وكانت علامات الضيق الشديد تظهر على وجهه بمرور الوقت .. وأخيرا هب واقفا وهو يقول : «يا أخى لا أعرف ماذا أفعل مع المشير بتاعكم ده؟ حتى المواعيد لم يعد يحترمها ... توجه إلى المطار وانتظره حتى يحضر ... مع السلامة» - لأول مرة أشعر بأن علاقة الرئيس مع المشير ليست فى أحسن حالاتها.

وأخذت مظروفا به الشفرة من سامى شرف وتوجهت إلى المطار ... وأخيرا حضر المشير ومعه عبد المجيد فريد وشخص آخر لم أتوقع حضوره وهو عبد الحميد السراج الذى استقر فى القاهرة كلاجئ سياسى بعد أن تم تهريبه بواسطة القاهرة من سجن المزة بعد أحداث الانفصال !!! لماذا حضر عبد الحميد؟ سؤال أثار فضولى ولم أقف له على جواب إلا بعد ساعات من إقامتى القصيرة فى بغداد.

وطارت الطائرة إلى وجهتها، وحرص السراج على أن ينفرد بالمشير طوال الرحلة وكان يتحدث إليه هامسا طوال الوقت، ولم يتمكن أحد منا من التحدث إلى المشير طوال الرحلة .. فلم يدع السراج فرصة لذلك ولم يطلب المشير ذلك.

ووصلنا وكان الاستقبال حزينا .. على رأس المستقبلين الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء، وبعض قادة الجيش من المجلس الوطنى الذى كان الرئيس عارف قد شكله بعد انفراده بالحكم وكلهم من قادة الجيش ... واستقر بنا المقام فى قصر بغداد، وهو قصر الضيافة الذى أقام فيه المشير فى زيارته وقت أن كنت سفيرا فى بغداد.

وبدأت اتصالاتى وكان هناك تياران : تيار يريد أن ينتهز الفرصة لتحويل الحكم العسكرى إلى حكم مدنى فيشغل الدكتور البزاز رئاسة الجمهورية، وآخر يريد استمرار الحكم العسكرى كما كان منذ ثورة ١٩٥٨ ... كان التيار الأول ضعيفا ولم يكن فى إمكانه فرض الاستقرار فى الساحة العراقية المعقدة، وكان الثانى ينذر بصراعات على تولى السلطة.

وكانت الوفود الزائرة إلى قصر الضيافة كثيرة تستكشف رأى القاهرة، وكان المشير يستقبلها ونحن معه. وأخيرا ركزت فى اتصالاتى أنا وعبد المجيد فريد على أن نساعد فى اختيار اللواء عبد الرحمن عارف رئيس أركان الحرب وشقيق الرئيس عبد



□ وداعا يا بغداد □

السلام لملء الفراغ ... كان عبد الرحمن عارف فى موسكو وفى طريقه للوصول بعد ساعات ... كان الرجل مقبولا بحذر بين أوساط القادة ... كان ساذجا غير ضار وكان الحل سيئا بين حلول أسوأ.

ونال الترشيح الاستحسان حتى قبل وصول اللواء عبد الرحمن من موسكو فى اليوم التالى .

فى مساء يوم الوصول قابلنى الوزير المفوض سمير عباسى ليلا، وهو الذى تولى أمور السفارة بعد نقلى، ودعانى على عشاء فى أحد المطاعم ... كان قلقا ومنفعلا ... وعلى طبق المشويات أخبرنى بأن المشير كلفه بإرسال برقية إلى القاهرة أعطى فيها الضوء الأخضر لوصول عارف عبد الرزاق - صاحب الانقلاب المبتور الذى تحدثنا عنه - فى أول ضوء اليوم التالى، فالفراغ كامل يسمح بتنفيذ خطة وصوله هو وجماعته للاستيلاء على الحكم ..!! عارف لا يمكنه ذلك فإمكانياته محدودة، علاوة على أنه مكروه، وفشله فى المحاولة محتم وسوف يكون رد الفعل على العلاقات مدمرا لن ينساه العراق.

ولم نكمل عشاءنا اللذيذ واصطحبت سمير عباسى إلى السفارة واستدعينا الدبلوماسى المختص، وأرسلت برقية إلى الرئيس بإلغاء برقية المشير دون توضيح الأسباب .. كان قلقى كاملا من الظروف الطارئة التى قد تمنع وصول البرقية إلى سامى شرف ثم حل شفرتها ثم عرضها على الرئيس ... أخبرنى سامى بعدها أنها وصلت فى وقت حرج قبل أول ضوء بقليل، وعرضوها على الرئيس بعد أن أيقظوه من النوم فأمر بإلغاء السفر.

سهرت طوال الليل وأنا أنظر إلى السماء متوقعا وصول طائرة عبد الرزاق ووقوع الكارثة، وطلع الصباح ولم تصل الطائرة وشكرت الله.

استدعانى المشير لأتناول معه طعام الإفطار فى حجرته .. وإفطار العراق غنى وشهى. واستقبلنى المشير وكان فى الحمام يحلق ذقنه، وعلى المائدة حدق فى وجهى وقال : «أنا كنت أدبر أمرا ولكنه لم يتم .. ابن» .. «مين اللى ألغى ذلك؟» وكرر ذلك مرات وعينه فى عينى، وأنا أتناول طعامى دون رد فعل ... «أمر أيه يا سيادة المشير؟!»

فيرد : «بكرة تعرف ولكن والله لو تأكدت من اسم الفاعل سأقطع رقبته» - وأظن أنه خمن ولكنه لم يتأكد.

ووصلتنى الأنباء بأن الأمر قد استقر على اللواء عبد الرحمن عارف ليخلف شقيقه، وهذا أمر طبيعى فى الجمهورية العراقية ... أخ يخلف أخاه أو ابن يخلف أباه ... وذهب عبد المجيد فريد وأنا إلى المطار واستقبلنا عبد الرحمن عارف، وكان يبكى بشدة ومنديله على عينيه واصطحبناه إلى العربة وعزيناه فاشتد بكاؤه .. وهنا قال له عبد المجيد فريد فى خبث : «اتفضل اركب يا سيادة الرئيس» .. فتمهل عبد الرحمن فى سيره .. وكرر عبد المجيد فى خبث : «اتفضل اركب يا سيادة الرئيس» .. ودون أن يسأل عن تفاصيل خفت دموعه واختفى المنديل الأبيض وشد من قامته .. ويا سبحان الله تغيرت ملامح وجهه .. وركب العربة الفارهة وتبعناه فى عربتنا السوداء المكتوب عليها «وفد الضيافة» ... وأصبح اللواء عبد الرحمن عارف رئيسا !!!

ودون انتظار باقى الرسميات أمرنى المشير بتجهيز طائرتنا للعودة، وحاولت إقناعه بالانتظار دون جدوى. وقال الدكتور البزاز لى وهو يودعنا : «مبروك عليكم الرئيس عارف فقد توطد الحكم العسكرى» ... وفى الطائرة شكرنا المشير على جهودنا وكان إلى جواره السراج صامتا لا يتكلم.

الفصل السادس

حـــــرب ١٩٦٧

بدأت أحداث هذه الحرب التعسة وأنا وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء، وبعد نهايتها بأسابيع أصبحت وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة فى نفس الوقت، وتلاحقت نتائجها وآثارها بعد أن أنهيت مسئولياتى الرسمية وأصبحت كاتبا أتابع الأحداث .. ولذلك فلدىَّ الكثير ليصحح كثيرا مما قيل.

مرت ٣٥ عاما على هذه الحرب التعسة، وهى إحدى الحروب التى خضناها ومازلنا نخوضها ضد الصهيونية العالمية بمساعدة الدول العظمى ... والصراع الذى نخوضه صراع بين الحق والباطل ... حق الذى يملك أمام باطل من يريد أن يغتصب. والشيوخ من جيلنا حضروا مراحل الصراع أو جزءا منه سواء فى الثورات التى واجهته، أو فى المقاومة الشعبية التى تصدت له، أو فى الحروب التى خضناها لنوقف هذا الاستعمار عند حده.

ويظن البعض أن هذه الحرب بدأت فى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وأنها انتهت بعد ستة أيام أو ربما ست ساعات من بدئها ... وهذا تبسيط للأمور، فحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ولدت من رحم حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ أما نهايتها فلم تتحدد بعد ولا يعرف أحد متى ولا كيف تكون النهاية !!

فقد انسحبت قوات العدوان عقب نهاية حرب ١٩٥٦ دون أن تحقق الدول المعتدية أيا من أغراضها : فلا هى حققت إعادة السيطرة على قناة السويس، ولا هى أسقطت حكم عبد الناصر الذى بدأت دعوته إلى القومية العربية فى الانتشار، ولا هى أنهت كسر احتكار السلاح الذى أعلنه عبد الناصر فى ١٩٥٥/٩/١٥ بإذاعته اتفاقية السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا، محطما بذلك الإعلان الثلاثى لأمريكا وفرنسا وبريطانيا عام

١٩٥٠ بصياغة توازن إقليمى لصالح إسرائيل ينظم التسليح فى المنطقة لصالحها ... ثم أصبح الاتحاد السوفيتى بحكم الواقع الجديد شريكا فى إدارة الصراع وصياغة السلام فى المنطقة، وأصبح أسطوله فى قلب المياه الدافئة يهدد بطن حلف الأطلسى وخطوط مواصلاته إلى إفريقيا فى الجنوب، بل أصبح موجودا فى قناة السويس والبحر الأحمر والبحر المتوسط والخليج العربى، مجتازا الحوائط التى كانت تحاصره. وقد أدى هذا التغير الجيوستراتيجى إلى تغير فى قواعد اللعبة الدائرة : فبدلا من لعبة القطب الواحد أصبحت اللعبة ذات قطبين، علاوة على أن انتصار مصر فى تلك الحرب أعطى زخما لسياسة الحياد والقومية العربية فأخذت بعض البلاد العربية تعمل على إلغاء القواعد العسكرية الأجنبية، ثم وصل الزخم القومى منتهاه بتحقيق الوحدة السورية المصرية فى ١٩٥٨ ثم قيام الثورة العراقية، وأخطر من كل ذلك قيام الكيان الفلسطينى، فتكونت حركة فتح عام ١٩٥٩ لتعلن عن نفسها عام ١٩٦٥ لتخوض القتال والحوار حتى يومنا هذا لإنشاء الدولة الفلسطينية.

وعلاوة على ذلك نتج عن هذه الحرب قنابل متفجرة مهدت لحرب ١٩٦٧:

□ سياسة تنظيم التسليح بالإعلان الثلاثى عام ١٩٥٠ أفسحت مكانها لسياسة سباق تسليح بعد صفقة كسر احتكار السلاح عام ١٩٥٥.

□ أعلنت الولايات المتحدة خليج العقبة مياها دولية لا يحق لأى دولة منع المرور الحر البرىء فيه، مما جعل إسرائيل تعد قيام مصر بإغلاق المضايق عام ١٩٦٧ بمثابة إعلان حرب.

□ تم وضع قوات دولية على الحدود الشرقية لمصر فى سيناء ومنطقة خليج العقبة، وأعطيت مصر حق سحبها فى أى وقت تشاء، ولكن حينما مارست مصر حقها عام ١٩٦٧ زاد الموقف اشتعالا.

ولذلك فحينما قلنا إن حرب ١٩٦٧ نشأت فى رحم حرب ١٩٥٦ لم نتجاوز الحقيقة... وحينما نقول إن ما تخلف عن زلزال حرب السويس من توابع فى ظل السحب التى كانت تتجمع فى سماء المنطقة زاد من شدة الأزمة، فهو قول حق، حيث شكَّل أزمة كبرى يتزايد حجمها مثل كرة الثلج. ولا سبيل لمعالجة الأزمات إلا عن طريقين : طريق الحوار الذى يتحقق بالإرادات الناقصة للوصول إلى حلول ناقصة، أو طريق استخدام

القوة حيث يأمل كل طرف من الأطراف المتصارعة عن هذا الطريق فى الوصول إلى حالة سلم أفضل .. وقد عشنا ذلك وشاركنا فيه.

ونتيجة الحروب قد تتحدد قبل بدايتها، وقد تأكدت من ذلك بنفسى من متابعة ما يجرى وأنا وزير للدولة قبل الحرب، أو مما لمسته بنفسى بعد أن عينت وزيرا للحربية بعد نهايتها فى يوليو ١٩٦٧ :

●● فعلى **المستوى القومى** كانت كل مواثيق الدفاع المشترك مجمدة لانعدام الثقة بين الموقعين عليها. وليس معنى اشتراك بعض القوات من دول متعددة فى عمل ما أنه عمل مشترك، لأن العمل المشترك لا يتم بالضغط على الأزرار ولكنه يحتاج إلى وقت طويل لبناء الإرادة الجماعية تحت قيادة واحدة تشرف على التنظيم والتسليح والتخطيط والتدريب وإدارة العمليات، وهذا لم يكن موجودا فى ذلك الوقت وليس موجودا حتى الآن، ولعل السبب فى ذلك هو سياسة الردع التى تتبعها إسرائيل ضد أى محاولة عربية لعمل مشترك .. وقد بدأ تطبيق هذه الاستراتيجية منذ يناير ١٩٦٤ ضد قرارات أول مؤتمر قمة عربى عقد بناء على خطاب عبد الناصر لمواجهة قيام إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن. وقد حضرت هذا المؤتمر كعضو فى الوفد المصرى وكنت وقتئذ سفيرا فى العراق إلا أن الرئيس اختارنى لعضوية الوفد. وتلخصت قرارات المؤتمر فى : إنشاء هيئة فنية لإقامة مشروعات مائية عربية لمواجهة المشروعات الإسرائيلية، إنشاء قيادة موحدة للجيوش العربية تولاها الفريق على عامر، ثم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية لتنظيم الشعب الفلسطينى ... هذه القرارات الحاسمة تجعل من هذا المؤتمر أهم وأخطر مؤتمرات القمة، ولكنه أسهم بعد ذلك فى أن تكون القرارات العربية مع إيقاف التنفيذ، لأن إسرائيل تصدت للأعمال التنفيذية باستخدام القوة حتى لا تنمو الإرادة العربية.

ولكى تثبت إسرائيل استراتيجيتها الرادعة تلك قامت فى ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ بمهاجمة قرية «السموع» الأردنية لأنها اتهمت أهلها بإيواء «إرهابيين» دخلوها قادمين من سوريا، بعد أن كانت قد دمرت فى يوليو أماكن تشوين المعدات المستخدمة فى تنفيذ مشروع المياه فيها، مما جعل الملك حسين يصرح بأن «القيادة العربية الموحدة ليس لها وجود، لأن سلاح الجو المصرى لم يقم بتأمين الغطاء الجوى للمنطقة الواقعة جنوب القدس

بموجب الخطة الدفاعية التى وضعتها تلك القيادة» .. وهذا أضاف إلى الطين بلة لأن العلاقات المصرية - العربية كانت سيئة متناحرة فى ظل ميثاق الجامعة العربية، وفى ظل معاهدة الدفاع العربى المشترك والتعاون الاقتصادى لعام ١٩٥٠ والملحق العسكرى المرفق بالاتفاقية، وفى ظل القيادة الموحدة التى أنشئت بموجب قرارات مؤتمر القمة فى يناير ١٩٦٤ بل وفى ظل اتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا فى أكتوبر ١٩٦٦ .. وكلها اتفاقيات مع إيقاف التنفيذ .. كانت كذلك عند التوقيع عليها وما زالت على حالها حتى الآن... !!!

●● وإذا كان هذا هو الحال على المستوى القومى فإن الوضع على **مستوى القوات المسلحة المصرية** - والقوات العربية الأخرى ليست استثناء - كان مقلقا. وقد لمست ذلك بنفسى حينما توليت مسئولية وزارة الحربية بعد النكسة، ومن تقارير لجان تقصى الحقائق التى شكلتها للوقوف على أسباب ما حدث : فقد كانت العلاقة بين القيادتين السياسية والعسكرية مقلقة وغامضة تهربت فيها القيادة العسكرية من تبعيتها للقيادة السياسية، وبذلك لم تكن الرقابة السياسية على القوات المسلحة موجودة، ولم يكن توزيع المسئوليات على القيادات العسكرية واضحا ومتوازنا، وأصبحت القوات المسلحة فى واقع الحال هيئة مستقلة لا يدرى أحد ما يدور بداخلها على وجه اليقين، وأصبحت التعيينات على المستويات العليا تتم على قاعدة الولاء وليس الخبرة والكفاءة، ولم يكن غريبا أن أحد القادة الكبار يصرح بعد الهزيمة أنه كان «طرطورا» !! ولست أدرى كيف يمكن قيادة هذه الآلة العسكرية المعقدة بمجموعة من الطراطير !!!

ورد فى تقرير لإحدى لجان تقصى الحقائق أن «نسبة الوقود الذى استخدم للتدريب العسكرى عام ٦٥/٦٦ من إجمالى حجم الوقود المستهلك كانت ٢,٥٪ بنزين، ١,٣٪ كيروسين، ١١,١٪ ديزل، ٢,١٪ سولار... واستهلك باقى الوقود فى أغراض إدارية». وورد فى تقرير لجنة أخرى : «بلغت نسبة ذخيرة التدريب على إطلاق النيران التى استهلكت فى نفس العام ٦٥/٦٦ من مجموع الكمية المصدق بها لتحقيق الهدف فى خطة التدريب العام : ذخيرة تدريب أسلحة المشاة ٢٦٪، وذخيرة المدرعات ٢٥٪، وذخيرة أسلحة المدفعية ١٨٪، وذخيرة المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات ٣٦,٣٪،

وذخيرة الرشاشات المضادة للطائرات ١١,٨٪ ... وبمقارنة الذخيرة المستخدمة للتدريب بقطع المدفعية الموجودة فى الوحدات نجد أنه خصص لكل مدفع هاوتزر ١٢٢ مم حوالى ١,٥ دانة للتدريب، وكل مدفع ٢٢ مم دانة واحدة، وكل هاون ١٢٠ مم ٠,١ قنبلة، وكل هاون ٢٨ مم ٠,١٥ قنبلة، وكل دبابة طلقة واحدة، وكل مدفع مضاد للدبابات ١/٢ طلقة....». وورد فى تقرير لجنة أخرى خاص بالقوات الجوية: «بعكس ما هو مقرر من أن يكون لكل طائرة طياران وربما ثلاثة، كان لدينا طائرة ونصف لكل طيار وربما طائرتان لكل طيار ... وداهمتنا الحرب بينما كانت عشرات الطائرات فى صناديقها فى المخازن، علاوة على عدم تدريب الطيارين على الطيران المنخفض، الأمر الذى دفع المسئولين إلى إيفاد معظم طيارى قوة سيناء الجوية إلى مراكز التدريب ليتلقوا تدريباتهم على عجل قبيل بداية الحرب بأيام». وأثناء مرورى على الوحدات لمست أن فترة إعادة تجهيز الطائرات للقيام بطلعة أخرى تستغرق ٤٥ دقيقة بينما كانت تبلغ ٥ دقائق فقط لدى القوات الإسرائيلية، ومعنى ذلك أن الطائرة الإسرائيلية كان بمقدورها القيام بمهام ٩ طائرات مصرية من الناحية العددية فقط !! علاوة على أننى لمست أنه لم يكن هناك ترتيبات هندسية لإصلاح الممرات عند ضربها، كما لم تتوافر الدشم أو الدفاع الجوى الحقيقى لحماية الطائرات والمطارات بينما كانت تكاليف الدشمة الواحدة وقتئذ لا تتعدى ٥٠٠٠ جنيه .. وهذا مبلغ زهيد للغاية مقارنة بقيمتها الدفاعية التى لا تقدر بثمن.

ولم يكن مستوى تعبئة القوات أحسن حظا من مستوى تدريبها، إذ دفع المسئولون بالآلاف من الأفراد دون تخطيط واضح، لدرجة أن الكثيرين ممن وصلوا إلى سيناء كانوا بجلابيبهم، كما دفعوا بالكثير من المعدات غير الصالحة أو التى لم تكن تحتاج إليها العمليات، مما جعل المسئولية جسيمة بحق على الذين أشرفوا على العمليات ... وكتب أحد أعضاء المحكمة العسكرية الأولى التى شكلت لمحاكمة قادة الطيران : «قرر رئيس أركان الحرب فى وقت الهزيمة أن يرسل قوات الاحتياط إلى ميدان القتال ومعهم جلابيبهم بسبب استدعاء قوات كبيرة الحجم بلا داع، علما بأنه المسئول عن استدعاء الأفراد الاحتياط بما يتفق مع الحاجة إليهم تبعا لخطط العمليات، فإذا تحدث إلينا الآن فهو المسئول الأول عن الارتجال».

ويضيف وجود قواتنا فى اليمن لمساندة ثورتها ضد تدخل السعودية بقوات مرتزقة تعمل على تقويض الشرعية اليمنية الجديدة تعقيدا آخر إلى الموقف القلق. ويرجع البعض ذلك ليكون العامل الأساسى لهزيمتنا فى حرب ١٩٦٧ وهذا قول غير دقيق ... صحيح أن الحرب فى جبهتين أمر يجب تجنبه، ولكن كانت قواتنا فى اليمن ٦ ألوية مشاة ومجموعة صاعقة وثلاث كتائب مدفعية، مجموع إنفاقها الشهرى ١٦٠٠٠٠٠ ريال يمنى، وخصص لها فى الميزانية السنوية ٧٣٥٠٠٠ جنيه مصرى عملة حرة علاوة على ٥٣٥١٠٠٠ جنيه حسابى. كانت قواتنا المدرعة وقواتنا الجوية موجودة فى قاعدتها الأصلية على أرض الوطن عدا عدد محدود منها، ومن جانب آخر كانت قواتنا هنا كافية للخطة «قاهر» (خطة الدفاع عن سيناء). وكان يوجد لدينا عشرات الطائرات فى صناديقها بالمخازن، ودبابات كثيرة لدرجة أن ما فقدناه منها فى سيناء كان ٨٤٨ دبابة... يعنى كانت غالبية قوتنا الضاربة هنا، دون عمل أى تجهيزات هندسية فى سيناء، ودون بناء دشم لحماية الطائرات، ودون خطط واضحة لتنفيذها إذا حدث الصدام.

ويكون من الظلم والافتئات بعد ذلك أن يتجاهل البعض مسئولية القيادة العسكرية عما حدث ... وليس من الأمانة فى شىء أن تدور «حرب الجنرالات» بين بعضهم البعض لتشوه صورتهم أمام الناس، وفى نفس الوقت تحاول إلقاء المسئولية على القيادة السياسية التى اعترفت بمسئوليتها حتى لو استمرت القيادة العسكرية على عنادها لتنكر نصيبها الأكبر من المسئولية. وبالرغم من ذلك ورد فى تعليمات تدريب عام ٦٦/٦٥ التى صدرت من هيئة تدريب القوات المسلحة، «حققت قواتنا خلال عام التدريب كل المهام التى كلفت بها داخل وخارج الجمهورية بروح عالية وتصميم أكبر للوصول إلى المستوى الرفيع والأمثل من قواتنا لتحقيق آمال الأمة العربية»!!! تقرير كاذب تمت كتابته فى ظل رقابة معدومة، وقد أنهيت خدمة هذا المسئول فى أول أيامى كوزير للحربية لأنه حاول تكرار الزيف مرة أخرى.

فى الجانب الآخر كان الجنرال هود قائد القوة الجوية الإسرائيلية، والجنرال إسحاق رابين رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى عاكفين على وضع خططهما والتدريب عليها بغرض تدمير طائراتنا على الأرض بضربة توجه إليها فى وقت واحد

بينما تطير طائراتهما على ارتفاع منخفض لتفادى الرادارات وأجهزة الإنذار، لتمهد الطريق للقوات البرية لتدمير الجيوش العربية بالاختراقات العميقة والضربات الخاطفة للاستيلاء على الأرض.

القوات المسلحة كائن حى له رأس يقود وجسم يتحرك ويقاتل وذيل يغذى ويمون، فإذا كان الرأس معطوبا عجز باقى جسم الكائن الحى عن الحركة وأصبح فريسة سهلة للصياد.

ولكن لماذا ترك الرئيس عبد الناصر الرأس المريض دون استئصال ؟

لقد حاول ذلك بعد الانفصال ولكنه لم يستمر فى المحاولة إلى نهاية الشوط ... وحاول ذلك مرة أخرى حينما كلف كمال الدين حسين بقيادة القوات المسلحة، ولكن الأخير اشترط تولى عبد اللطيف البغدادى وزارة الحربية، كما اشترط أن ينظف الرئيس عبد الناصر القوات المسلحة من المشير وأعوانه قبل توليه القيادة!!!

وترك عبد الناصر المرض يتفشى دون أن يقدر على استئصاله، الأمر الذى تم حينما كلف أمين هويدى وشعراوى جمعه وسامى شرف بذلك بعد فوات الآوان وبعد النكسة أو الهزيمة ... وياليته تم قبل ذلك بسنوات حينما كان فى قدرته إتمام ذلك دون الحاجة إلى جراحة كبرى تمت فى الليلة العصيبة «بعملية جونسون»، ودون أن يهزم الجيش المفترى عليه والذى حارب تحت قيادة رأسها معطوب ... كل ذلك أدى إلى هزيمتنا فى الحرب قبل أن تبدأ.

ولكن هل نقلت هذه الصورة إلى الرئيس عبد الناصر قبل تطور الأوضاع وانهيار الموقف بحيث وصل إلى ما كان يطلق عليه «ميتيرنيخ» الموقف الثورى الذى لا يمكن علاجه إلا باستخدام القوات المسلحة؟ بالقطع لم يصل إلى ذلك عن طريق القوات المسلحة إذ كانت قيادتها واثقة بحق من تفوقها على إسرائيل ... وعبد الحكيم عامر يقول للرئيس أثناء انعقاد اللجنة التنفيذية العليا حينما سأله عن حالة القوات : «برقبتى يا ريس ... جنودى لا يتحملون رؤية السفن الإسرائيلية وهى تمر أمامهم فى خليج العقبة وأجد صعوبة فى شد اللجام» ... وعقب جلسة للقيادة السياسية مساء ١٩٦٧/٦/٢ حينما قال له الرئيس إنه يتوقع أن يبدأ العدوان بضربة جوية كبيرة، رد قائلا : «إنه لا يتمنى أن يكون فى وضع موشيه دايان الذى لابد أن يكون الآن حائرا

فيما يمكن أن يفعله إزاء الاستعداد المصرى». شمس بدران وزير الحربية وهو يتحدث فى اجتماعه يوم ١٩٦٧/٥/٢٦ مع أليكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى يقول : «إسرائيل حائرة من اتجاه ضربتنا لها، لو هاجمتنا ستتعرض لضربة قاصمة. نحن مستعدون لإسرائيل ومن وراء إسرائيل. لا تخشوا علينا، فالروح المعنوية لدى قواتنا عالية جدا لدرجة أننا كمن يلجم الحصان مع قواتنا التى تريد أن تنطلق لمواجهة العدو. حينما وصلتنا معلومات من سفارتنا فى موسكو يوم ١٩٦٧/٥/١٣ وكذلك فى نفس اليوم من رئيس أركان حرب الجيش السورى عن الحشود الإسرائيلية على سوريا، حركنا قواتنا بسرعة إلى سيناء».(*) وعاد ليصرح فى جلسة مجلس الوزراء حينما سألته – وكنت وزيرا للدولة – عن احتمال تدخل الأساطيل الأمريكية الموزعة فى المنطقة: «إذا تدخل الأسطول الأمريكى فنحن كفيلون به» .. قال ذلك بابتسامة عريضة كلها ثقة ظهر أنها على غير أساس بعد انكشاف المستور ... ولكن كل هذا لا يعفى الرئيس من العمل على إيجاد الوسائل العملية للوقوف على حالة قواته المسلحة، خاصة وهو يخوض أشرس المعارك أمام الاستعمار لتحقيق القومية العربية. كذلك فإن المشير عامر كان أقوى عضو فى اللجنة التنفيذية العليا التى كانت بمثابة القيادة السياسية التى يرأسها القائد السياسى عبد الناصر، حاضرا كل القرارات، شاهدا على تصاعد الموقف ولم يعترض بل كان متحمسا لتصعيد الموقف، وكان أعضاء قيادته العسكرية من ذوى القبعات الحمراء المتحمسين كذلك، ومن يراجع تصريحاتهم فى تلك الفترة عن «قواتنا كأقوى قوة فى الشرق الأوسط» و«قواتنا الضاربة التى لا تقهر»، وعن «سيطرتنا البحرية والجوية»، يقدر حجم الثقة التى كانت تسيطر عليهم ... لم يعترض أحد على تصعيد الموقف ولم يناقش أحد منهم المشير وهو يلقى بمعلوماته وأوامره ... هل كانوا حقيقة على مثل تلك الثقة؟ مصيبة إن كان الأمر كذلك!!! أم أنهم كانوا على علم بوزنهم الحقيقى ويخفون ذلك خوفا من الاعتراض؟!!! المصيبة أعظم لو كان الأمر كذلك !!! ولكن أرجح المشاعر الأولى، لأنهم كانوا جاهلين الموقف غير مطلعين على ما حدث فى الحرب من تطور ... علاوة على ذلك فلم يكن لأحد من المسئولين الحق فى اختراق الحاجز المنيع الذى أقامته القوات المسلحة حول نفسها ...

(*) انظر الوثيقة رقم (٢): محضر اجتماع ٢٦/ ٥/ ١٩٦٧، والوثيقة رقم (٣): محضر اجتماع ١٩٦٧/٥/٢٧، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

وصلتنى معلومات من الاتحاد الاشتراكى بالروضة عن تصرفات سيئة تتعلق بأحد الضباط من سكان المنطقة، وأرسلتها على ورق «وزير الدولة – مجلس الوزراء» إلى وزير الحربية شمس بدران «لاتخاذ اللازم». واتصل شمس فى اليوم التالى ليقول: «بأى حق تتدخل فى القوات المسلحة؟» ... كانت مشادة تبعها استدعاء لمقابلة المشير، وقابلته وبدأت بالتحية فلم يردها، وحينما بدأ الحديث ذكرته بأننى فى انتظار رد تحيتى له، فحيا وقال : «ماذا فعلت يا أمين؟ هل تتدخل فى شئون القوات المسلحة؟ يعنى الحكومة بتتدخل عندى؟» فقلت : «أبدا .. معلومات وصلت وأرسلتها لزميلى الوزير للتصرف وبس ... كيف أتصرف فى المرات القادمة؟» أجاب : «ورقة صغيرة وتكتب عليها «إلى الأخ شمس مع التحية» ... يعنى بلاش مجلس الوزراء وبلاش وزير دولة، وبلاش للتصرف.» بلغت الرئيس بذلك ولم يعلق.

المخابرات العامة بدورها لم يكن لها الحق فى الكتابة عن القوات المسلحة (ألغيت ذلك حينما أصبحت رئيسا لها بعد النكسة) علاوة على أنها كانت فى صف المشير .. تعتقد أن التحدث عن السلبيات والأخطاء ضد الصداقة ... كان أمن البلاد كلها معلقا بشخص المشير فإذا اعتقد أنه يملك زمام كل شىء فالأمر كذلك ... شىء خطير، فمصير الأمم لا يمكن أن يرتكن على هذا الخيط الرفيع مهما كان قدر صاحبه ...

بدأ شهر مايو ١٩٦٧ وكل شىء لا يشير إلى أزمة غير عادية ...

احتفلنا مع الرئيس بعيد العمال وألقى خطابا تحدث فيه عما حققناه فى مجال التنمية، وتحدث عن العلاقات العربية – العربية المتدهورة ... فبعض هذه الدول تعيرنا بأننا نعيش تحت حماية القوات الدولية ... وعلاقاتنا مع الولايات المتحدة سيئة لدرجة أنها قطعت المعونة عنا ... إسرائيل تصعد الموقف مع سوريا، «فحرب العصابات التى تقوم بها ضدنا لا يمكن احتمالها». كما صرح بذلك ليفى أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى فى أوائل مايو ١٩٦٧ وأرسل أبا إيبان وزير خارجيته فى ١٩٦٧/٥/١٠ إلى سفرائه بالخارج يطلب منهم «العمل على إقناع الدول التى يمثلون إسرائيل فيها بخطورة الأوضاع على الحدود السورية الإسرائيلية». وفى يوم ١٩٦٧/٥/١٢ صرح إسحاق رابين رئيس الأركان : «سنقوم بهجوم خاطف على سوريا ونحتل دمشق لنسقط النظام ثم نعود».

وكان قد حدث قبل ذلك فى ١٩٦٧/٤/٧ اشتباك جوى بين الطيران السورى والإسرائيلى أسقطت فيه طائرات الميراج الإسرائيلية ١٣ طائرة ميج سورية، الأمر الذى أنكرته سوريا بشدة. وحينما شعرت سوريا بخطورة الوضع قامت فى ١٩٦٧/٥/١٣ بإبلاغ مجلس الأمن بالموقف، واستأنفت ما بذلته من جهود مسبقة لتحويل الجيش السورى إلى جيش عقائدى يحل فيه الضباط البعثيون محل الآخرين بغض النظر عن الخبرة والكفاءة.

وسط هذا الجو الذى تلبد فجأة كانت المعلومات تصل عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية – وأهم مصادر هذه المعلومات ما نقله السيد أنور السادات ومصدره الاتحاد السوفيتى، إذ كان يقوم بزيارة موسكو كرئيس لوفد برلمانى مصرى – فأصدر المشير قرارا بإعلان حالة الطوارىء « إلى أعلى الدرجات اعتبارا من الساعة الرابعة عشرة والنصف يوم ١٩٦٧/٥/١٥ » تضامنا مع سوريا وفقا لميثاق الدفاع المشترك. وتصاعدت الأحداث بسرعة منذ ذلك الوقت، واتخذت قرارات خطيرة فى اللجنة التنفيذية العليا بحضور أعضائها دون اعتراض : فى ١٩٦٧/٥/٢٣ صدر قرار « بعدم السماح بمرور السفن الإسرائيلية أو السفن التابعة لدول أخرى تحمل مواد استراتيجية إلى إسرائيل – بما فى ذلك ناقلات البترول – فى خليج العقبة، مع إخضاع جميع السفن المارة لإجراءات التفتيش البحرى ». ومعنى ذلك أن إغلاق الخليج كان مقصورا على السفن التى تحمل مواد استراتيجية. واعتبرت إسرائيل القرار بمثابة الطلقة الأولى فى الحرب .. يعنى هى تعتبر أن حرب ١٩٦٧ بدأت فى ١٩٦٧/٥/٢٣ حينما صدر قرار غلق الخليج .. بينما نحن نعتبر بدءها فى ١٩٦٧/٦/٥ حينما بدأت ضربتها الجوية ضد قواعدنا فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة .. وكما نرى فإن قرار غلق الملاحة كان أحد توابع زلزال حرب السويس. قرار خطير آخر كان سحب قوات الطوارىء الدولية، حيث قامت القوات المسلحة بإرسال خطاب من الفريق محمد فوزى رئيس الأركان إلى الجنرال ريكى قائد القوات الدولية لسحب قواته من مواقعها على الحدود بخليج العقبة، علما بأن الصحيح كان إرساله عن طريق القناة السياسية، ولذلك طلب يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة أن يرسل الخطاب إليه وليس إلى الجنرال ريكى ... قرار إرسال الخطاب تم بحضور الدكتور محمود فوزى نائب

رئيس الوزراء للشئون الخارجية ولم يعترض على الخطأ الذى وقع ... ولم يلتفت إلى أن وزير الخارجية محمود رياض لم يأخذ علما بما يحدث .

وقد أدى انسحاب القوات الدولية من شرم الشيخ إلى إعادة احتلالها بالقوات المصرية، وبذلك عادت المشكلة التى خلفتها حرب ١٩٥٦ إلى الوجود. كما تحولت الأزمة منذ ذلك الوقت من تهديد إسرائيل لسوريا إلى قضية أخرى خاصة بغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ ... ويمكننى أن أقطع أن قرارا واحدا على المستوى السياسى لم يتخذ من وراء السلطة التنفيذية حيث كان رئيس الوزراء عضوا فى اللجنة التنفيذية، ولا من وراء القيادة العسكرية لأن المشير عامر كان أقوى أعضاء القيادة السياسية، ولا من وراء السلطة التشريعية أيضا لأن السيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة قدم اقتراحا بقانون يوم ١٩٦٧/٥/٢٨ إلى المجلس ينص على «تفويض رئيس الجمهورية إصدار قرارات لها قوة القانون فى جميع الموضوعات التى تتصل بأمن الدولة وسلامتها وتعبئة كل إمكانياتها البشرية ودعم المجهود الحربى والاقتصاد الوطنى»، ومازال هذا التفويض ساريا حتى الآن ... إذن فمسئولية ما حدث مسئولية تقع على الجميع.

بل لم يكن هناك اعتراض على المستوى العربى، فوسائل الإعلام السعودية والأردنية تعير مصر ليل نهار بأنها تعيش فى ظل القوات الدولية. وبالرغم من ذلك سارع الملك حسين إلى الحضور إلى القاهرة يوم ١٩٦٧/٥/٣٠ وبرفقته رئيس الحكومة سعد جمعه، ورئيس الأركان اللواء عامر قاسم، وقائد الطيران اللواء طيار صالح الكردى، ووقع على معاهدة الدفاع المشترك ... « لهفتى كانت شديدة للتوقيع، وقرأت الاتفاق السورى سريعا وقلت لعبد الناصر أعطنى نسخة أخرى لنضع كلمة الأردن محل كلمة سوريا وينتهى الأمر، ووقعت » بنص ما جاء فى كتاب الملك بعنوان «*حربنا مع إسرائيل*» ... ثم استأذن فى أن يكون الفريق عبد المنعم رياض قائدا للجبهة الأردنية ...

بعد توقيع المعاهدة تشكل وفد مصرى برئاسة زكريا محيى الدين، وعضوية أمين هويدى وزير الدولة، وحسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس، والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القيادة المشتركة - والذى اختير قائدا لجبهة الأردن كما سبق وذكرت - لزيارة كل من العراق والكويت وسوريا والجزائر فى الفترة من

٥/٣١ إلى ١٩٦٧/٦/٢ لوضع المسئولين فى هذه البلاد فى الصورة الحقيقية لما يحدث وطلب بعض المساعدات ... ولم يعترض أحد من الرؤساء على ما يحدث ... كان أمير الكويت معاتبا لأن أحدا لم يستشرهم فى الأحداث، العراق مترددا قلقا - عن حق - من دفع قواته الجوية إلى مطارات الأردن دون توفير الدفاع الأرضى والجوى لها تبعا لما كان متفقا عليه فى قرارات مؤتمر القمة الأول الخاص بمنع إسرائيل من تحويل مياه نهر الأردن، سوريا غاضبة من اتفاق الملك حسين فى القاهرة، أما فى الجزائر فكان الرئيس هوارى بومدين متحمسا وذكر أن الوقت قد حان لإزالة « رأس الدبوس » من المنطقة، وأمر بفتح المخازن لتلبية كل طلباتنا.

إجراءات خاطئة للعمل العربى الجماعى لأنه عمل يحتاج إلى تدبير وبناء وتجهيز ولا يتم هكذا بطريقة عشوائية، لأن العمل الجماعى بالرغم من أنه مرغوب ومطلوب إلا أنه عمل صعب ومعقد جعل نابليون يقول: «أفضل محاربة حلف على أن أحارب فى حلف».

وقفة ضرورية لما حدث فى مطار المزة بسوريا ... كان فى استقبالنا فى المطار عبد الرحمن الخليفاوى وزير الداخلية، وعبد الكريم الجندى رئيس المكتب الثانى ... وطلب الجندى أن أرافقه فى عربته إلى قصر الضيافة، وفى الطريق قال: « ما هذه الضجة التى تقومون بها ؟ لا يوجد أمامنا حشود إسرائيلية غير عادية » .. ما قاله الجندى يؤيد تقرير الفريق فوزى حين عودته من سوريا قبل ذلك بأيام. ويلاحظ أن أى قيادة عسكرية عربية لم تقم بالتأكد من هذه المعلومات المتضاربة، وأعتقد أن ما ترتب على إعطاء هذه المعلومات لا يقع على عاتق القيادة السوفيتية، فقد أبلغت السيد أنور السادات بوجود حشود وكان من الواجب التأكد مما قيل بوسائل متعددة ... فإن نقبل بتصديق كل ما يبلغ لنا خطأ وسذاجة، فقد يوقعنا ذلك فى شر الأعمال، خاصة أن الاتحاد السوفيتى كان ينصح سوريا بعدم التورط فى حرب وأكد نصيحته تلك لشمس بدران وزير الحربية أثناء زيارته لموسكو ومقابلته أليكسى كوسيجين يومى ٢٦، ١٩٦٧/٥/٢٧ : « معلوماتنا تؤكد وجود نشاط غير عادى فى إسرائيل وقد تقوم بعمليات عسكرية فى نهاية مايو. لا تبدأوا بأى عمليات عسكرية، فقد حصلتم على كل ما تريدون ونحن نرى الاكتفاء بما وصلتم إليه ... انسحاب قوات الطوارىء، سيطرتكم على الخليج، قواتكم فى غزة ... ماذا تريدون أكثر ... ولكن العدو لن يوافق على إغلاق

الخليج. نحن نعتبر النقاش حول الطاولة مفضلا على المعارك الحربية، فإذا قبلتم هذه الأفكار تكون أفكارنا متطابقة ... سننظر فى طلباتكم ولكن يجب ألا تساعد على قيام حرب »(*)...

ثابت إذن أن الاتحاد السوفيتى أبلغ عن حشود إسرائيلية على حدود سوريا، وثابت أيضا أنه كان يتوقع عمليات تقوم بها إسرائيل فى نهاية شهر مايو، وثابت أيضا أنه حذر من أن إسرائيل لن تقبل بإغلاق خليج العقبة أمام ملاحتها ... هل فعل هذا بقصد جر مصر إلى حرب تخسرها لزيادة قبضته عليها؟ لا أظن أبدا .. فقد رأيت بنفسى حينما زرت موسكو فى نوفمبر ١٩٦٧ وأنا وزير الحربية ومكلف بأن أكون رئيسا للوزراء، مقدار ما كانت تتعرض له «الترويكا» الحاكمة من ضغوط شنيعة، لأن الروس اعتبروا الهزيمة العربية هزيمة للسلاح السوفيتى أمام السلاح الأمريكى ... ثم كانت استراتيجية ممارسة الصراع عن طريق القطبين العالميين فى ذلك الوقت تحتم أن تعمل الدولة العظمى إلى جوار دولة إقليمية قوية لتحصل على مواطئ قدم أعمق، وليس إلى جوار دولة محطمة تصبح عالة عليها ... ثم لو صح هذا الأمر لتوقع الاتحاد السوفيتى مقدما أنه سوف يتحمل كل ما تتطلبه عملية إعادة البناء من تكاليف ونفقات، ولأعد للأمر عدته، وهذا لم يحدث بدليل أنه كان يسحب أسلحة وحداته ليرسلها إلى القاهرة لتعويض خسائرها ... ثم بعد النكسة رفض الوفد السوفيتى الذى كان فى زيارة القاهرة برئاسة بودجورنى ما عرضه عليهم عبد الناصر فى جلسة ١٩٦٧/٦/٢١ من «أننا كنا نطلب منكم أن تكونوا معنا فى وقت الحرب، فنحب أن نكون معكم فى وقت الحرب والسلم، ونحن على استعداد أن نعقد معكم اتفاقية سرية أو علنية ونقدم لكم تسهيلات لسفن أسطولكم من بورسعيد إلى السلوم وبعد ذلك من العريش إلى غزة».

كان رد بودجورنى على هذا العرض المغرى : « ما هو رد الفعل العربى والعالمى والداخلى على هذا الاتفاق؟ نوافق من ناحية المبدأ ولكن الأسبقية الآن للدفاع الجوى».. وبذلك لم يلتقط السوفيت الطعم.

(*) انظر الوثيقة رقم (٢) والوثيقة رقم (٣): محضر اجتماعى ٢٦، ١٩٦٧/٥/٢٧ فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

كان من الواجب التأكد من صحة المعلومات - مهما كان مصدرها - بواسطة الأجهزة الموجودة والتى ثبت على عكس ما يقال ضآلة المعلومات التى كانت لديها عن إسرائيل وأسلحتها وتحصيناتها ... فقد كانت مشغولة بأشياء أخرى أهمها التأمين الذاتى لبقاء النظم أكثر من اهتمامها بالأمن القومى للبلاد .. فالنظم التى تعتمد على قواتها المسلحة فى تأمين ذاتها تضع أول معول فى هدم بناء أمنها القومى.

المهم كان هذا حالنا على المستوى القطرى والقومى، بينما كانت إسرائيل قد حسمت أمرها باتخاذها القرار فوجهت ضربتها، لأنها كانت قد قررت أن إعلان الحرب بدأ يوم إغلاق خليج العقبة ... اعتبرت ذلك بداية بينما اعتبرناه نحن نهاية.

كان موشيه دايان قد استدعى من شركة « أيونا » لصيد الأسماك حيث كان يرأسها لتولى وزارة الدفاع ليردد أمام زائريه : « لا يرجع الفضل فى تعيينى وزيرا للدفاع إلى أشكول ولكن إلى الخمسين ألف جندى مصرى المحتشدين فى سيناء ». وكان إسحاق رابين رئيس الأركان قد أعد خطته لغزو سيناء، وكذلك كان الجنرال هود على أحر من الجمر لتوجيه ضربته إلى القوات الجوية وهى على الأرض ... كل شىء جاهز وبقى أن يضغط وزير الدفاع على الأزرار وكان ذلك بمثابة صدور القرار السياسى لبداية الحرب.

كانت الغالبية هنا تعتقد أن قيام الحرب أصبح حتميا ما عدا المشير وجزءا كبيرا من رجال قيادته، ويدل على ذلك تصرفاته فى تلك الأيام، وآخرها رحلته إلى سيناء صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ هو وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى صدقى محمود، ورئيس هيئة العمليات أنور القاضى ... رغم أن الرئيس كان قد تنبأ بقيام الحرب بعد يومين أو ثلاثة فى مؤتمر يوم ٦/٢ أى يوم « ى - ٣ »، وذكر أن الظروف الدولية تحول دون قيامنا بالضربة الأولى ... « يعنى لابد من تلقينا الضربة الأولى من العدو .. وياصدقى إيه رأيك فى ذلك؟ » ورد الفريق صدقى محمود : « كنت أفضل قيامنا بالضربة الأولى حتى لا تتعرض قواتنا للشلل Crippled لأن خسائرى المتوقعة ستكون من ٥-٢٠٪ » .. النسبة كانت مقنعة للرئيس وللحاضرين الذين كان من بينهم المشير، والفريق محمد فوزى رئيس الأركان، وأنور القاضى رئيس هيئة العمليات، وقادة التشكيلات ... إذ لم يعترض أحد ولم يشك أحد من سوء التدريب أو عجز المعدات ...

وأصبح الموقف أننا قادرون على تلقى الضربة الأولى وامتصاص تأثيرها ثم قيامنا بتوجيه الضربة الثانية وهذا يبعث على الاطمئنان.

الموضوع ليس بهذه البساطة ... فمعنى كلام الفريق صدقى محمود أنه كان سيبدأ الضربة الأولى لقوات خطتها هجومية، ومعنى كلام الرئيس عبد الناصر أنهم لن يبدأوا الضربة الأولى أى لن يبدأوا الحرب ... هذا كان يقتضى من القوات المسلحة إعادة توزيع قواتنا لتتناسب مع التوجهات الجديدة ... الطائرات فى المطارات المتقدمة تخلى أو تخفف، القاذفات تبعد إلى الخلف، وبعض الطيارين فى طائراتهم فى وضع الاستعداد، التشكيلات فى مواقع دفاعية، والمدرعات للخلف، المدفعية يعاد توزيعها على محاور التقدم، وإعادة توزيع القطع البحرية فى الخليج والبحر المتوسط والأحمر ... مراكز القيادات مفتوحة للعمل ليل نهار، تشوين أكبر للذخيرة فى المواقع الأمامية والوقود للخلف بكميات معقولة ... الخ.

لم يتم شىء من ذلك ... الطائرات فى مواقعها الأمامية دون دشم باقية كالبطة، والتشكيلات دائمة الحركة لتنفيذ أوامر سرعان ما يتم إلغاؤها، وطيارو سيناء فى القاعدة يتدربون على الطيران الواطئ، والمخابرات الحربية ومديرها اللواء محمد صادق ترسل تقديراتها بأنه « لا ينتظر قيام العدو بالهجوم نظرا لصلابة الجبهة العربية مما يجبر إسرائيل على إعادة حساباتها » ... وما يقال عن قيام المخابرات العامة ورئيسها صلاح نصر بتحديد وقت العدوان، قول غير صحيح كما ثبت لى عندما توليت رئاسة الجهاز بعد انتهاء القتال ... الوحيد الذى تنبأ بالهجوم هو الرئيس علما بأن ذلك لم يكن واجبه، والغريب فى الأمر أن الغالبية بمن فيهم المشير لم يصدقوه .

خطأ المخابرات فى تقديراتها أمر وارد ولكن لابد من تقصى الأسباب حتى لا تتكرر الأخطاء ... مدير المخابرات الإسرائيلية زعيرا استبعد حتى صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قيام الحرب، فمثل أمام لجنة تحقيق القاضى أجرانات وأعفى من الخدمة ... أما محمد صادق فلم يسأله أحد، ورقى بعد الحرب إلى رتبة فريق وتولى منصب رئاسة الأركان فى زمن الرئيس عبد الناصر، ثم أصبح وزيرا للدفاع وقائدا عاما للقوات المسلحة فى عهد السادات ... والفريق محمد فوزى كان أحد المتسببين الكبار فى نكسة ١٩٦٧ لأنه كان رئيسا للأركان وقتئذ، وبعد انتهاء الحرب بقى فى منصبه ثم خلف المشير عامر فى

قيادة القوات المسلحة، ثم بعد ذلك جمع بين منصبى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة فى عهد الرئيس عبد الناصر وبداية عهد السادات.

القوات المسلحة درع الأمة لا يجوز فيها مثل هذه التصرفات التى تعتبر تفريطا فى حقها وتهديدا لأمننا القومى.

البعض يوهمنا أننا خسرنا الحرب يوم أن سمحنا للعدو بقيامه بالضربة الأولى .. فلو قمنا بها لتغير وجه التاريخ ... كلام غير حقيقى وغير عملى وغير واقعى ... الضربة الأولى معناها إعلان الحرب وهذا من سلطة القيادة السياسية وحدها، لأن الحرب عمل سياسى تبدأ بقرار سياسى وتنتهى بقرار سياسى مجسدة واقعا سياسيا، ولذلك فهى تدار بتدخل سياسى لأن لمراحلها أهدافا سياسية تحققها الأداة العسكرية ... اختيار استراتيجية الضربة الثانية معناه تلقى الضربة الأولى التى يوجهها العدو، ثم امتصاص هذه الضربة بترتيبات معدة من قبل، ثم القيام بتوجيه الضربة الثانية بناء على خطط مسبقة ... يعنى يقوم العدو بالهجوم، ونحن نقوم بالدفاع ثم الهجوم المضاد ... الضربة الجوية تحتاج إلى توافر معلومات تفصيلية عن القواعد الجوية والأغراض الحيوية التى توجه إليها الطلعات، وإلى تخطيط دقيق يصل إلى أدق التفصيلات، وإلى تدريب كامل على القيام بالواجبات، وإلى توافر المعدات اللازمة من طائرات يتناسب مداها مع مسافات الأغراض المستهدفة وقنابل وصواريخ مناسبة، وفوق ذلك تحتاج إلى قيادات ماهرة ذات خيال وكفاءة ... المعلومات لم تكن متوافرة، هذا ما لمسته بنفسى، ويكفى أن القيادة صدقت تقارير المخابرات الحربية التى أفادت بأن مدى طائرات العدو لا يصل إلى قناة السويس، علاوة على أنه لم يكن فى مقدور الرجال التمييز بين طائرات الميج والميراج أثناء هجوم طائرات العدو على قواعدنا. وقد رأت إحدى اللجان العسكرية أن «نقل المعركة الجوية إلى أرض العدو كان مستحيلا بسبب النقص فى المعلومات، كما أن تلقى الضربة الأولى بأقل خسائر ممكنة كان مستحيلا أيضا لعدم وجود الدشم والقصور فى الاستعدادات الأخرى».

القيادة السياسية تقرر تلقى الضربة الأولى فالظروف الدولية لا تسمح بغير ذلك ... وكان على القيادة العسكرية أن تعيد حساباتها لتنفيذ ذلك فى كل أفرع قواتها : كيف تقلل الخسائر ؟ كيف تعيد توزيع ونشر القوات لتتمكن من توجيه الضربة الثانية مع

تنسيق ذلك مع الدول العربية الأخرى ؟ هذه هى القضية .. الأمر الذى تجاهلته أو جهلته القيادة العسكرية ... قال الفريق عبد المحسن مرتجى قائد الجبهة وأحد المسئولين عن النكسة : «كيف تضع لجيشك رئيس أركان – يقصد الفريق فوزى – كل مؤهلاته أنه قاد سرية مضادة للطائرات فى حرب ١٩٤٨ وعاد بعدها إلى الكلية الحربية ولم يغادرها إلا لتولى منصب رئاسة أركان حرب القوات المسلحة .. فلا علم أو قدرة عسكرية ؟ كيف يكون شمس بدران وزير الحربية، وهو الذى قال عنه عبد الناصر إنه لا يعرف أن يقول كلمتين على بعض؟ وهذا ينطبق على باقى القادة فهم بلا مؤهلات» .. وطبعا استثنى الرجل نفسه فى حين أن الكثيرين لا يؤيدون هذا الاستثناء ... !

فى معارك الجنرالات التى تلت هزيمة ١٩٦٧ بدأ البعض يلقى بالمسئولية كلها على القيادة السياسية لأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة وقتئذ لمواجهة الموقف ... كلام غريب !!! ومن المسئول عن ذلك ؟ من المسئول عن تنظيم وتسليح الجيش وتدريب وتعبئة القوات المسلحة لتكون جاهزة لمواجهة التهديدات؟!! وإذا كنتم تعتقدون ذلك هل صرحتم؟ هل قلتم ؟ هل اعترضتم ؟ ولماذا قبلتم المهمة ؟ لماذا لم تتركوا قياداتكم حتى لا تشتركوا فى تدمير قواتكم ؟ يقول البعض إنه خشى من فعل ذلك أثناء الحرب فهذا أمر لا يجوز... بل يجوز ... ويجوز... ويجوز... يقول نابليون : «إذا قبل القائد العام تنفيذ خطة يعتقد أنها رديئة فهو مذنب ... عليه أن يرفض ويذكر مبرراته ويصر على تعديل الخطة، فإن فشل فى الإقناع عليه أن يستقيل، فهذا أفضل من أن يصبح أداة لتحطيم جيشه.» طلبت إعفائى من منصبى وأنا وزير للحربية فى أوائل ١٩٦٨ حينما وجدت أن الأمور لا تسير فى طريقها الصحيح حسب ما اعتقدت، وامتنعت قبلها عن ممارسة أعمالى فى المخابرات العامة حتى لا أشارك فيما كان يحدث من أخطاء كنت أعتقد فى سلبية ردود فعلها... ولم يصبنى شىء. واعتذرت عن اشتراكى فى حكومة الدكتور فوزى بعد وفاة عبد الناصر لمحاولات تهميشى... ولم يصبنى أى شىء. اصطناع العنترية بعد حصول الكوارث ليس من الفروسية أو الأمانة... لو أنهم تفرغوا لبناء قواتنا، لو أنهم بذلوا العرق فى تدريبها وإتقان استخدام أسلحتها، لو أنهم خططوا وعدلوا، لو أنهم عرفوا عدونا جيدا وماذا ينوى أن يفعل وكيف نواجهه، بل لو أنهم اعترضوا على تصعيد الموقف... أقول لو أن هذا حدث ما حصل لنا ما حصل فى «يوم ى» أى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ الأسود... لا يكفى أن نذكر ما حدث، ولكن علينا أن نبحث

لماذا حدث ثم نبحث فى كيف نحول دون أن يحدث لنا مرة أخرى... وأظن أن هذا أجدى من تبادل التهم وإغراق الحقيقة إلى القاع... فالخطوة الأولى للإصلاح هى تحديد الحقيقة وإلا يكون البناء على رمال ناعمة.

كان مجلس الوزراء برئاسة المهندس محمد صدقى سليمان – وكنت وزيرا للدولة – يتابع الموقف، وكنا فى اجتماعات مستمرة لتعزيز الجبهة الداخلية... فعقدت عدة مؤتمرات حضر بعضها المحافظون لمناقشة السياسة الخارجية وتطور الأزمة، ومواجهة خطة الدفاع المدنى وموقف التموين والشئون الطبية... وكان الوزراء فى تنقلات دائمة فى المحافظات خاصة محافظات القناة : أعيد النظر فى خطط التهجير من مدن القناة ومن المدن الرئيسية، أعد قانون الطوارئ لتعيين المحافظين حكاما عسكريين فى محافظاتهم عند صدور الأوامر بذلك... كان موقف التموين مطمئنا رغم اختناقات حرجة فى بعض المواد : موقف القمح حرج؛ فالمخزون فى محافظات الصعيد يكفى ١٢ يوما وفى محافظات القناة وغزة والعريش من شهرين إلى ثلاثة، واتفاقيات القمح مع بلغاريا والاتحاد السوفيتى نستعجل تنفيذها، والدقيق الأبيض متوافر كاحتياط، ترتيبات فى الموانى لزيادة القدرة على التفريغ، وعمل الموانى ٢٤ ساعة لمنع التكدس الذى بدأ فى الظهور، مخزون الأذرة ٦٥٠٠٠ طن وتم الشحن على مستوى بعض القرى وخصص ٨٠٠٠ طن لمؤسسة الدواجن وهذا يكفيها حتى شهر سبتمبر، موقف البترول مطمئن فالمخزون من البنزين والكيروسين يكفى شهرين للاستهلاك، المازوت أسبوعين، وعمل ترتيب مستودعات إضافية فى فناطيس العربات وبعض الوحدات المائية، مخزون الفول يكفى شهرين، ومخزون العدس موقفه لا بأس به ونستورد ٢٠٠٠ طن من سوريا، الجزء الأكبر من مخزون الفول والعدس وعلب المواد الغذائية خصص للقوات المسلحة، اللحوم المجمدة متوافرة وتعطى أسبقية للقوات المسلحة، شحم الصابون والزيت موقفه قلق، مخزون إطارات عربات النقل ٣٥٠٠٠ إطار وعربات الركوب ٣٧٠٠٠ إطار والقوات المسلحة سحبت جزءا كبيرا منه، الصفيح به عجز وتم إيقاف تعبئة الحلاوة الطحينية فى علب صفيح، أخلى جزء من الأسرة فى المستشفيات وإخلاء جزء آخر تدريجيا، ونشطت عمليات التطوع بالدم وتدوين الفصائل على البطاقات الشخصية وزيادة كميات التطعيم والمباخر واستكمال مخازن الأدوية فى المحافظات ..

وبعد حصر فجوة العجز خصص ٣٥ مليون جنيه لسدها، منها ٢٩,٥ مليون جنيه عملة حرة.

قبل ٦ أشهر من يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ اقترح الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القيادة العربية المشتركة أن يرسل الأردن من محطة رادار جبل عجلون المكلفة برصد تحركات الطائرات الإسرائيلية التى تطير بارتفاعات منخفضة، إنذارا إلى مركز العمليات العام الذى كان يشرف عليه الفريق فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية. ولأهمية عامل الوقت فى مثل هذه الأحوال، اتفق على أن ترمز كلمة «عنب، عنب، عنب» إلى بدء الهجوم المعادى .. أرسلت محطة عجلون إشارة صباح ٥ يونيو بوجود موجات متتابعة من مقاتلات العدو تتجه نحو الجنوب الغربى، مضيفة اللفظ الكودى «عنب، عنب، عنب» .. ووصلت الإشارة ولكنها ضلت طريقها إلى الأماكن المناسبة لسببين : كان مركز العمليات مقفلا لا يعمل، ثم كانت الشفرة قد تغيرت فى اليوم السابق دون تبليغ من يهمهم الأمر بهذا التغيير ...!! ولا تعليق.

لم تكن إشارة عجلون هى الفرصة الضائعة الوحيدة فى صباح اليوم الأسود؛ إذ كان العدو قد بدأ الحرب فعلا الساعة السابعة والربع أى قبل الضربة الجوية بحوالى ٩٠ دقيقة ... فى التوقيت الذى ذكرناه قامت طلائع العدو على المحور الأوسط بسيناء باحتلال موقع متقدم فى منطقة «أم بسيس» الذى كانت تدافع عنه إحدى وحداتنا الأمامية بعد أن سمعت داورياتنا الأمامية منذ الرابعة صباحا أصوات عربات جنزير وشاهدت أنوارا ... أرسلت إشارة بالموقف بعد السابعة بقليل، ولم تصل إلى هيئة العمليات إلا الساعة التاسعة وأربعين دقيقة !! وقت طويل جدا، لأنه كان يكفى لوصولها دقائق إذا كانت المواصلات جيدة. وقد أيد الهجوم على «أم بسيس» بعض القادة، ونفاه البعض الآخر ومنهم الفريق عبد المحسن مرتجى قائد الجيش الميدانى ... وفى ذلك يقول اللواء على منير مراد عضو المحكمة العسكرية التى تشكلت بعد النكسة : «كان الفريق مرتجى المسئول الأول عن تدمير قواته، فقد كان أول من نفذ أوامر الانسحاب، فكان أول من عبر قناة السويس غربا الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم الأغبر، فقد ترك قواته لتلقى مصيرها ونجا بنفسه ... نسى أنه قائد وأن القائد كربان السفينة وأن عليه أن ينجو بها، ولكنه لم يهتم بتأمين انسحاب قواته أو تأمين الحماية لها

لتنسحب انسحابا منظما، وكانت النتيجة أنه بعد هجوم العدو حاولت قواته الاتصال به فى قيادته ولم يكن هناك من يجيب». وأنا أضيف : «إن الخجل يمنعنا من ذكر سبب غيابه» .. ولكن حينما عاد مرة أخرى من غرب القناة لم يجد قيادته فى مكانها .. كانت قد انسحبت دون أمر أو علم قائدها ... !! وأخذ الفريق يبحث عن قيادته وأظن أن بعض رجال قيادته كان يبحث عنه، وأتصور أن هذه أول مرة فى التاريخ يضيع قائد من قيادته أثناء احتدام المعركة !!! وهو متفرغ الآن للهجوم على القيادة السياسية فى بعض الفضائيات التى تؤرخ للأحداث بطريقة خاطئة فيها طمس للحقائق، وهذا أمر لا يجوز فوق أنه عيب.

فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة صباح « يوم ى » قام العدو بضربته الجوية على مطاراتنا فى وقت واحد ... وكانت الأوامر قد صدرت لقوات الدفاع الجوى بالصمت وعدم التعرض لأى تحركات جوية فى أجوائنا، لأن القائد العام وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى ورئيس هيئة العمليات وآخرين كانوا فى طريقهم إلى سيناء فى عملية تفتيشية مستخدمين الطائرات !!! يلاحظ أن المشير وقادته اختاروا يوم ٥ يونيو للذهاب إلى سيناء، وهو نفس اليوم الذى كان الرئيس عبد الناصر قد توقعه لبدء هجوم العدو ...!!! لم يكن يصدق قول الرئيس ولم يعطه أى اهتمام.

الجزء الآخر من القادة، وبينهم رئيس أركان الحرب الفريق فوزى، كانوا فى نفس الوقت قد انتهوا من توديع المشير فى مطار الماظة وعادوا إلى منازلهم لتناول طعام الإفطار – كما يحدث فى الأيام العادية – وكأن قواتنا لم تكن أمام الذئب !!! علما بأن التعليمات الروتينية تنص على أنه فى حالة غياب القائد يتحتم على نائبه الوجود فى مركز الرئاسة.

يعنى كان الباقون من القادة فى منازلهم !!!

مركز القيادة الذى تدار منه العمليات كان مقفولا، يعنى لا يستقبل أو يرسل أى رسائل رغم إعلان حالة التعبئة وحشد القوات فى سيناء ... والشىء الأغرب أن كل قيادات الجبهة كانت متجمعة فى مطار المليز لاستقبال المشير حينما يصل بطائرته ... لماذا التوديع فى القاهرة ؟ ولماذا الاستقبال فى المليز ؟ لست أدرى !!! فى هذا الوقت ونحن على هذا الحال ضرب العدو ضربته منفذا خطة « كولومب » ... أصدر المشير

أوامره بالعودة إلى مطار القاهرة الدولى ليستقل هو ومن معه عربة تاكسى ليتوجه بها إلى مركز قيادته المغلق !!!

وأخذ قادة سيناء فى العودة إلى مراكز قياداتهم فى غزة ورفح والعريش ونخل والقسيمة وأبو عويجله والحسنة وأماكن أخرى .. وأنا متأكد أن بعضهم لم يصل إلا آخر النهار.

وحتى بعد أن عاد الجميع إلى مواقعهم لم يفكر أحد منهم فى إعادة حساباته على ضوء الموقف الجديد لمواجهته بأوامر جديدة. وزاد الطين بلة أن الأوامر المتضاربة أخذت تصدر للقوات لتزيد من اهتزاز الصورة ... ووسط هذه الاضطرابات ولم يكن قد مر ٢٤ ساعة على بدء القتال صدر قرار الانسحاب ... وبعد كل ذلك يقول بعض القادة بمسئولية القيادة السياسية وحدها عن كل ما حدث!!!

كان الموقف فى الجبهة الأردنية حرجا حتى قبل أن تبدأ الحرب، فلم يكن الجيش الأردنى مستعدا للقتال على الرغم من أن الملك حسين وقع اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر، ويبدو أن توقيعه كان بغرض تفادى هبة شعبية كان يتوقعها لو أنه لم يشارك فى الحرب. وكانت قواته لا تكفى للدفاع عن حدوده الطويلة مع إسرائيل والتى كانت تقدر بحوالى ٦٥٠ كم. وكان لدى الأردن اللواء ٤٠ المدرع فى الشمال، واللواء ٦٠ المدرع فى الجنوب وإجمالى دباباتهما ١٧٦ دبابة طراز باتون، وعدد طائراته ٣٢ طائرة هوكرهنتر لا يتوافر لقيادتها إلا ١٦ طيارا.

فى يوم ١٩٦٧/٥/١٥ بدأ مركز القيادة المتقدم بسيناء فى العمل، وعين الفريق عبد المحسن مرتجى قائدا للجبهة ... وقوله - لإبعاد المسئولية الكبرى عن كاهله - بإنه كان دون اختصاصات بعيد عن الحقيقة، إذ كانت اختصاصاته : قيادة المركز المتقدم فى حالة عدم وجود المشير وهو نائب القائد الأعلى، التصديق على قرارات قائد المنطقة العسكرية الشرقية - وكان الفريق صلاح محسن - فى نطاق الخطة الموضوعة، عدم إجراء تعديلات جوهرية على الخطة إلا بعد الرجوع إلى مركز القيادة الرئيسى ... وكما نرى فهى اختصاصات واضحة قاطعة لا داعى معها أن يقول إنه كان بلا اختصاصات، وهو ما ادعاه أيضا رئيس هيئة أركان الحرب للتنصل من المسئولية الجسيمة.

القول بعد كل ما ذكرناه إن قواتنا فوجئت بهجوم العدو يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ غير صحيح ... وترتيبا على ذلك فإن انهيار قواتنا المسلحة بالشكل الذى سوف نتحدث عنه كان تفريطا فى الأمانة واستهانة بمقدرات الشعب. فالمفاجأة خلاف التفريط، لأن أى مفاجأة تلك التى تحدث لقوات عبئت وجهزت وحركت وأصبحت بمحض إرادتها قاب قوسين أو أدنى من العدو؟! أى مفاجأة تلك التى تدمر فيها مئات الطائرات وهى على الأرض دون قتال أو اعتراض؟! أى مفاجأة تلك التى ينهار فيها جيش لديه مئات من الدبابات ومئات أخرى من المدرعات والآلاف من الجنود وكأنه نمر من ورق؟! أى مفاجأة تلك لجيش تعرض لضربته الأولى وأغلب قياداته غائبة غير موجودة فى مراكزها ؟!

المفاجأة ليست هى التعبير الصحيح لما حدث .. فما حدث كان تفريطا فى الأمانة .. وشتان بين المفاجأة والتفريط .

فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ نفذ العدو خطة « كولومب » للقضاء على قواتنا الجوية فى وقت واحد. وخلال ٤ ساعات دمرت كل قاذفاتنا الثقيلة والخفيفة علاوة على ٨٥ ٪ من مقاتلاتنا القاذفة والمقاتلة دون أى رد فعل من قيادتنا. وحتى الدفاع الجوى ظل على صمته لأنه كان مقيدا بسبب طائرة المشير، علما بأن الأوامر المستديمة تقضى بفتح النيران عند حدوث أى عدوان مباشر حتى لو كان هناك أمر بتقييدها لأى سبب كان ... استخدمت إسرائيل قنابل خاصة لتدمير ممرات الطائرات ادعت أنها من إنتاجها، وظهر أنها من ابتكار شركة ماترا الفرنسية التى أعلنت بالصور ما يؤيد قولها، فهى صاحبة جهاز التوقيف الذى يقلل من سرعة اندفاع القنابل نحو الأرض بعد إسقاطها.

كانت الاستراتيجية المصرية فى صلبها دفاعية تهدف إلى صد أى هجوم لقوات العدو وتدميرها، ثم استغلال النجاح بالانتقال إلى العمليات الهجومية فى اتجاه فلسطين فى أقل وقت ممكن تبعا لتطورات الموقف. وتنفيذا لهذه الاستراتيجية وضعت خطة « قاهر » التى اشتركت فيها القوات البرية والجوية والدفاع الجوى ... وهناك عدة ملاحظات على ذلك.

هناك فرق كبير بين خطة « قاهر » التى وضعت على ورق، وبين قدرتها على التصدى للعدو فى الواقع ... فليس معنى تجهيز الخرائط ووضعها داخل ملف يكتب عليه « سرى للغاية » واسم كودى « قاهر » أن الخطة أصبحت جاهزة ... لأن الأهم هو

بعث الحياة والإرادة فى الدوائر التى ترسم لتحديد الوحدات وأماكنها، وفى الأسهم التى تدل على اتجاهات تحركها ... وهذا لا يتم إلا بتوافر المعلومات، وتدريب مراكز الرئاسات وكذلك الوحدات فى تدريبات مشتركة مستمرة، وكذلك وجود خطط تبادلية وخداعية، مع التفرقة بين توزيع القوات للقيام بالدفاع وبين إدارة المعركة الدفاعية من خلال تصور ما يمكن أن يفعله العدو وما يمكن أن نفعله للرد عليه.

هذا عامل يغفل عنه من يكتبون فى الموضوع لعدم معرفتهم ... كما لمست ورأيت وأنا وزير للحربية أنه لم يكن موجودا.

اختلطت الأمور بين الدفاع والهجوم ... صحيح أن الخطة الدفاعية تشمل خططا هجومية بقصد مساعدة وتعزيز آثارها ولكن بشرط أن تتوافر إمكانيات نجاحها ... نبتت هذه الخطط فجأة فى عقل القيادة بعد إتمام الحشد فى سيناء : خطة للاستيلاء على « إيلات » واسمها الكودى « فجر »، خطة للقيام بعمليات هجومية فى المحور الشمالى واسمها الكودى « سهم »، خطة لصد هجوم على غزة واسمها الكودى « سليمان »، خطة لضربة جوية ضد مطارات إسرائيل تنفذ يوم ١٩٦٧/٥/٢٧ والاسم الكودى « فهد » .. ولكنها ألغيت بتدخل من القيادة السياسية.

خطط على ورق لم تكن إمكانيات الجيش الميدانى تسمح بتنفيذها .. فالأوامر تصدر بالتنفيذ وقيادة الجيش تقول « حاضر يا أفندم » دون مناقشة ودون حوار. كانت خططا خارج الخطة « قاهر » لم يعمل حسابها علما بأن توازن القوى عند تصعيد الموقف كان فى جانب العدو : ١٨ لواء مصريا فى مقابل ٢٤ لواء لإسرائيل، ٥ لواءات دبابات لنا تضم ٩١٧ دبابة ولإسرائيل ٧ لواءات تضم ١٢٧٠ دبابة، ١٥٢٣ قطعة مدفعية لمصر و١٤٧٥ لإسرائيل، ٢٢٩ قاذفة ومقاتلة لمصر مقابل ٦٠٠ لدى العدو، ٤٣ طائرة هليكوبتر لمصر فى مقابل ٥٦ لإسرائيل.

وعلينا أن نضع فى الحساب التفاوت الكبير فى مستوى الكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات، وأهم من ذلك مستوى القيادات لأن توافر القيادة الماهرة يساوى أكثر من نصف عوامل كسب المعركة.

أعطت القيادة السياسية توجيهاتها بالدفاع عن قطاع غزة ... ويتحدث البعض عن أن تخصيص قوات للقيام بهذا الواجب سبب انهيارا فى الخطة الدفاعية ... القيادة

السياسية لها حق فى التدخل لتحديد الأغراض المهمة بالنسبة لها ... غزة كانت مهمة سياسيا لأنها فلسطينية تحت إدارتنا وفقدانها يؤثر على مظهرنا أمام العرب، وهى نقطة وثوب لنا داخل إسرائيل ... القيادة العسكرية لم تعترض بالرغم من أن هذا كان من حقها، القيادة العسكرية قبلت تنفيذ المهمة وتصبح بذلك مسئولة عن تنفيذها بنجاح بعد توفير إمكانيات ذلك.

لنترك الجبهة المصرية قليلا لنرى ماذا يقوله الملك حسين فى كتابه « *حربنا مع إسرائيل* »، لأن الهزيمة لم تكن مصرية بل كانت هزيمة عربية : « فى الساعة الثامنة وخمسين دقيقة كنت أنا وزوجتى فى انتظار نهاية طعام الإفطار، ورن جرس الهاتف ليخبرونى أن الهجوم على مصر قد بدأ، واتصلت بالمقر العام وعرفت أن معلومات وتعليمات وصلت من المشير عامر إلى الفريق رياض بأن الطيران الإسرائيلى يقصف القواعد الجوية فى مصر وتم تدمير ٧٥٪ من الطائرات المغيرة، وأن الطيران المصرى بدأ هجومه المضاد فوق إسرائيل نفسها، وأن المشير يأمر الجبهة الأردنية بفتح جبهة جديدة وبدء عمليات هجومية وفقا للخطة التى وضعت فى اليوم السابق » ... ثم يقول : «اتصلنا بالسوريين لطلب مساعدتهم الجوية فكان جوابهم أنهم بوغتوا بالأحداث، وأن طائراتهم ليست مستعدة وتقوم برحلات تدريبية، وطلبوا إمهالهم نصف ساعة ثم عادوا وطلبوا إمهالهم ساعة. وفى العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين كرروا المطلب نفسه، ولكن فى الحادية عشرة لم يعد بالإمكان الانتظار، فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى طائراتنا وقصفت مطار «ناتانيا» الإسرائيلى ٣ مرات وكذلك مطار «اللد»، ثم جاء الطيران السورى بعد طول انتظار فأغار على قاعدة «رامات ديفيد» وعلى مصفاة للبترول فى حيفا» ... الفريق فوزى بدوره كان قد اتصل برئيس الأركان السورى أحمد سويدان لتنفيذ الخطة « رشيد » لقصف مطارات إسرائيل الشمالية، وكان الرد جملة واحدة : « نشوف سيدى » ... نلاحظ هنا أن الفريق فوزى يعطى تعليماته إلى رئيس أركان حرب القوات السورية، وفى الوقت نفسه ينفى وجود أى صلاحيات له داخل القوات المصرية !!!

وقد فوت التردد السورى فى تلبية طلب الأردن ومصر المساعدة الجوية فرصة ذهبية لقلب الموقف لمصلحة العرب ... فلو أنهم بادروا إلى التدخل الفورى لبدأت عمليات

القصف الجوى فى وقت مبكر، ولامتص ذلك جزءا كبيرا من المجهود الجوى الإسرائيلى المركز على مصر، ولكان من الممكن اعتراض الطائرات المعادية وهى فى طريق عودتها إلى قواعدها وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفدت ذخيرتها، ولكان بالإمكان مفاجأة طائرات العدو وهى جاثمة فى مطاراتها لإعادة الملء بالوقود والذخيرة استعدادا لشن هجمات جديدة.

ولكن العرب يجيدون اللعب على بعضهم البعض وليس اللعب مع بعضهم البعض ... وإذا استنكر البعض ذلك فإننا نعدل فنقول: إنهم لا يعرفون اللعب وقواعده أصلا ... لا مع بعضهم ولا على غيرهم.

بعض الأحداث أنقلها من أوراقى :

● فى يوم ٦/٥ اشتباكات على طول الجبهة فى سيناء وأسر طيار اسمه لافو موردخاى كان قد قام بطائرته من مطار حاطور الإسرائيلى وذكر أنه تلقى أوامر فى السادسة من صباح اليوم بضرب مطار المليز، سقطت خان يونس ويحاول العدو الاستيلاء على أبو عويجله، وإعلان حالة الطوارىء، وذهاب الرئيس ليلا إلى القيادة، وتدمير سلاح الطيران المصرى والأردنى، والملك فيصل يرسل برقية إلى الرئيس إذ عاد من رحلته بالخارج مساء ٦/٤، وحاملة طائرات أمريكية (ليبرتى) على بعد ٤٠ ميلا شمال بلطيم.

● وفى يوم ٦/٦ بيان مصرى أردنى باشتراك الطيران الأمريكى فى المعركة، وسقطت العريش، وأرسلنا طيارين إلى الجزائر للعودة اليوم ومعهم ٣٦ طائرة، وتم إصلاح ٥ مطارات، وأغلقت القناة فى وجه الملاحة الدولية، ونواجه مشكلة تكديس الأخشاب فى الإسكندرية إذ يوجد ١٧٨٠٠٠ متر مكعب فى الورديان وتقرر سحب ٢٠٠٠٠ متر مكعب اليوم، وصدر قرار بمنع سحب الودائع البريطانية والأمريكية وقدرها ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه إلا بأوامر ومنع شحن الصادرات، وأعلن العراق قطع البترول عن جميع الدول التى تساعد إسرائيل مباشرة أو عن طريق غير مباشر، والكويت تتضامن مع قرار العراق، وحول السودان أرصدته الموجودة فى الدول الغربية إلى سويسرا، ومجلس الأمن يصدر قراره بإيقاف إطلاق النيران، وأذاعت إسرائيل أن القدس القديمة سقطت فى يدها كما أذاعت انسحاب القوات الأردنية من

الضفة الغربية، وسوريا تعلن استيلاءها على مستعمرة كفار ياشوب فى شمال سهل الحولة.

● وفى يوم ٦/٧ يعلن الأردن قبوله إيقاف إطلاق النيران والعراق يرفض ومصر لا ترد وسوريا تتجاهل والجزائر ترسل برقية بالاستمرار فى القتال، ووصل بوتفليقة من الجزائر، وغادر الوفد العراقى برئاسة طاهر يحيى إلى بغداد عن طريق ليبيا، والسودان ينضم إلى اتفاقية الدفاع المشترك، وكل من مصر والجزائر وسوريا ولبنان وموريتانيا تقطع علاقتها مع أمريكا، وفى مصر تم إصلاح المطارات الآتية إصلاحا كاملا ... بنى سويف وانشاص وغرب القاهرة والمنيا وحلوان والقاهرة الدولى وأسوان وأبو صوير (تم إصلاح كيلو وربع من الممر ولكنه صالح جزئيا) وفايد (تم إصلاح الممر بالكامل ولكن بنصف العرض وهذا سوف ينتهى اليوم) وبلبيس (تم إصلاحه ولكن ضرب مرة أخرى اليوم) والأقصر، والفرقة المدرعة تعيد تنظيم نفسها، وبرقية من الأردن بغارة إسرائيلية من ٨٠ طائرة، وطلب عبد المنعم رياض حلا سياسيا.

● وفى يوم ٦/٨ يلاحظ عدم دقة الطيارين الإسرائيليين وإسقاطهم حمولتهم فى البحر... وهذا يدل على أن طيارى الخط الأول للعدو قد تاثر وبدأ فى استخدام طيارى الخطين الثانى والثالث، وتم الاتفاق مع الروس لإرسال بعض الطيارات عن طريق يوغوسلافيا، ووصلت صناديق فى طائرات يوغوسلافية اليوم، وسوف تصل قاذفات روسية عن طريق الجزائر .. وسافر بعض طيارينا فى طائرة بوتفليقة لإحضارها، وبدأت طائراتنا تظهر فى سماء القاهرة وتتصدى لطائرات العدو، وتم وضع الجامعة الأمريكية تحت الحراسة .. واتصلت بالدكتور حسين سعيد وكلفته بالذهاب إليها .. إذ عين مديرا لها، واستولى محافظ السويس على ناقلتين للبترول فى الخليج، وطلب بلاكستون السكرتير الأول فى السفارة الأمريكية مقابلة الدكتور السايح وكيل وزارة الاقتصاد .. ونفى تدخلهم بالطائرات وذكر أن من المحتمل أن تكون إسرائيل قد وضعت علامات أمريكية على بعض الطائرات .. وأكد سقوط الضفة الغربية بالكامل وأن الأردن أوقفت النيران .. ونصح أن تفعل القاهرة بالمثل .. وأكد أن إسرائيل لن تعبر القناة .. وسوف تشرف السفارة الأسبانية على رعاية مصالحهم

وسيبقى ٧ من أعضاء السفارة بعد قطع العلاقات (ووفق على قيام اسبانيا برعاية مصالحهم، كما ووفق على بقاء ٤ من أعضاء السفارة فقط، كما ووفق على أن يتولى أحدهم ويدعى باركر أعمالهم) وصدرت تعليمات بنقل القنصليات الأجنبية من بورسعيد، وصدرت تعليمات الساعة ٧ مساء بالانسحاب غرب القناة، وأخطر مندوبنا فى الأمم المتحدة السفير محمد عوض القونى بقبول إيقاف إطلاق النيران، استولى العدو على كل سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ويهاجم سوريا الآن بعنف كامل. ووجدت إحدى أوراقى تتحدث كيف كان الشعب يبكى ويشعر بالمهانة.

● وفى يوم ٦/٩ تحدث الرئيس إلى الشعب الساعة السابعة والنصف ليعلن التنازل .. وذهبت انا ونور الدين قرة ونبوى المهندس - وزيرا التموين والصحة على التوالى - إلى منزل الرئيس وكان هناك على صبرى وعبد المجيد فريد .. وتحدثت مع الرئيس عن ضرورة بقائه .. واتصلت مع رئيس الوزراء وطلبت عقد مجلس الوزراء فى منزل الرئيس لمعارضة القرار .. واتصلت بالإذاعة لدعوة عقد مجلس الأمة فى اجتماع طارئ .. ثم اشتركت مع شعراوى وعبد المجيد فريد فى كتابة مسودة بيان صادر عن مجلس الوزراء حينما يتم انعقاده، الوزراء يتوافدون وزكريا محيى الدين يسجل بيانا برفضه أن يحل محل الرئيس كما أذيع فى بيان التنازل، الهزيمة جماعية ستشعرنى بالخجل من مواجهة حتى عائلتى أو مواجهة الناس .. فهل وصل بنا الحال إلى ذلك؟ لماذا ؟

● وفى يوم ٦/١٠ اتفق على مناقشة بيان التنازل فى مجلس الأمة، ورئى لدواعى الأمن عدم حضور الرئيس ثم بعد ساعات قرأ السادات خطاب الرئيس بقبوله الاستمرار، ومازال الهجوم ساحقا على سوريا وسقطت القنيطرة وهم يتحركون فى طريق دمشق.

● يوم ٦/١١ كان يوما خطيرا بدأ بعمل بسيط كاد يشعل النيران فى كل شىء. إذ قام العميد جمال نظيم قائد الفتوة بتدبير قيام مظاهرة تخرج من جامعة القاهرة ومن جامعة عين شمس لتتوجها إلى منزل المشير لتاييده. وكنت فى اجتماع فى مكتب شعراوى جمعه فى وزارة الداخلية، واتفقنا على الاتصال بجمال نظيم لاحتواء الموقف. وفعلا تم الاتصال فانكر نظيم ذلك، وحددت إقامته وصدرت الأوامر بتفريق

أى مظاهرات. وفى الظهر تجمع عشرات الضباط فى القيادة مطالبين بعودة المشير، وصدر قرار بتعيين الفريق فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة، وصلاح محسن نائبا للقائد العام، ومدكور أبو العز قائدا للقوات الجوية بناء على ترشيحى. وقبلت استقالة كل الفرقاء أول : صدقى محمود، جمال عفيفى، هلال عبد الله هلال، سليمان عزت، حليم إمام، عبد المحسن مرتجى ... كما قبلت استقالة انور القاضى وبعض الفرقاء الآخرين.

● وفى يوم ٦/١٢ اتصلت بالرئيس تليفونيا فوجدته يسترد روحه المعنوية، وقال فى ثقة: « انا ادها وادود ».

ذكرت هذه الأحداث - التى ربما تفتقر إلى التنسيق وربما إلى التفاصيل - لأوضح المناخ الذى عشناه فى تلك الأيام العصيبة، وأبين أن مصر لم تسقط جثة هامدة لا حراك فيها، ولأظهر الجهود العربية المشاركة التى تدل على أن للعرب إمكانيات هائلة استخدموها تلقائيا ودون تخطيط وفرادى، وأنهم لو تدبروا أمورهم واستخدموا إمكانياتهم الهائلة بطريقة جماعية وتخطيط مسبق لأصبحوا قوة فاعلة على مسرح الأحداث، ولأوضح أنه كان يمكن تغيير الموقف حتى بعد الضربات الخاطفة التى تلقيناها لولا انهيار القيادات العسكرية التى لم تستغل الروح القتالية للجيش المفترى عليه، لأن إسرائيل كانت قد وصلت إلى النقطة الحرجة فى انتصارها أو نقطة الذروة واستنفدت كل طاقاتها وانتشرت قواتها على ساحات واسعة وطالت خطوط مواصلاتها، مما كان يمكن أن يؤدى إلى نقطة تحول فى صالحنا لأنها لا تتحمل المعارك الطويلة .. وهذا يقودنا إلى قضية الانسحاب ...

والانسحاب - وبالمناسبة كنت أستاذا لتدريسه وأنا فى كلية أركان الحرب - عملية عسكرية من أوجه المعركة المختلفة : التقدم والهجوم والدفاع والانسحاب. وليس معنى الانسحاب الفوضى، بل ولدقة الظروف التى يتم فيها يجب إدارته بكل انضباط وبحسابات دقيقة وبخطوات منتظمة .. كل خطوة تؤمن الخطوة التى تليها، وإلا انقلب إلى عملية اندحار كامل ومذبحة مروعة. وعلى هذا الأساس فلم يكن ما تم فى سيناء عملية انسحاب، ولكنه كان اندحارا يسوده الفوضى كان ضحيته آلاف القتلى والجرحى والأسرى.

طوال يوم ٦/٥ لم يكن موقف قواتنا سيئا بالرغم من الخسائر الفادحة فى قواتنا الجوية : فقد فشل العدو فى كثير من هجماته، وظلت العريش صامدة رغم تسلل بعض الدبابات إلى أطرافها، وكانت قواتنا على المحورين الأوسط والجنوبى متماسكة. وفى الفجر قامت عناصر من العدو بقطع كابلات التليفونات عند ممرى متلا والجدى فتعطلت الاتصالات، إلا أنها أعيدت إلى ما كانت عليه فى الصباح. وكان العمل جاريا فى نفس الوقت فى إصلاح ممرات المطارات.

فى **الجبهة الأردنية** تم تدمير السلاح الجوى الأردنى عند الظهر، ودمرت قاعدتا عمان والمفرق. ودارت معارك طاحنة لوصول القوات البرية الأردنية إلى الخليل وبئر السبع للاتصال بالعناصر المصرية التى كان مفترضا أن تكون على وشك بلوغ المواقع الأمامية فى الجبهة الجنوبية، إلا أن العدو قام بهجوم فى الشمال نحو نابلس وجنين، ولكن القوات الأردنية صمدت أمام هجمات العدو فى الشمال والجنوب. ولكن ما لبث الموقف أن أخذ فى الانهيار، ولم يكن أمام الملك حسين إلا أن يبقى غرب نهر الأردن فيباد جيشه ويفقد عرشه أو أن ينسحب إلى الضفة الشرقية للنهر ويفقد الضفة الغربية، واختار البديل الثانى بناء على نصيحة عبد المنعم رياض، ثم أنقذه قرار مجلس الأمن بإيقاف النيران .. « فجأة فى الوقت المناسب » كما قال الملك .. وقبله فى الحال ودون تردد .

فى **الجبهة السورية** كان التردد واضحا فى الساعات الأولى الحاسمة للاشتراك فى القتال لتنفيذ خطة « رشيد » المتفق عليها، مما كان له آثاره السلبية على سير العمليات؛ إذ كانت القيادة السورية تأمل فى ألا يصيبها مكروه بعد الذى رأته على الجبهتين المصرية والأردنية، ولكنها لم تكن تقدر أن دورها آت فى القريب العاجل.

وسط هذا الموقف ولم يكن قد مر على بداية القتال إلا أقل من عشرين ساعة، أصدر المشير عامر فى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٦/٦ أوامره إلى قائد منطقة شرم الشيخ بجنوب سيناء لوضع خطة انسحاب كاملة إلى غرب القناة. ومنذ هذه اللحظة سيطرت الأفكار الانهزامية على القيادة، فأصدر القائد العام أوامره إلى الفريق فوزى بوضع خطة للانسحاب العام على أن ينتهى من وضعها خلال ٢٠ دقيقة. وحينما قدمت الخطة لانسحاب يجرى على ثلاث ليال إلى منطقة المضايق، ذكر المشير أنه

أصدر تعليماته مباشرة للوحدات بالانسحاب غرب القناة بأسرع ما يمكن ... ومنذ تلك اللحظة اندفعت القوات دون سيطرة غربا فى اتجاه القناة ... وبزغت شمس يوم ٦/٧ والعربات المنسحبة تسد الطرق الرأسية والعرضية وطائرات العدو تنهال عليها بالقنابل والرشاشات والنابالم والصواريخ ... الرأس المعطوب تعطل عن العمل، والقيادة التى تجهل كل شىء عن إدارة المعارك هزمت دون قتال، والقوات المفترى عليها تذبح وتؤسر فى ظل حملة لم تفرق بين القاتل والقتيل ... كان المفروض أن يتم الانسحاب ليلا وعلى عدة ليال متتابعة لأن العدو أصبح لديه السيادة الجوية، وكان المفروض أن يتم إلى خط الدفاع فى المضايق الذى كان من الواجب تجهيزه قبل الحرب، وكان المفروض أن يتم على مراحل .. كل مرحلة تستر المرحلة التى تليها، وكان المفروض أن يتم فى ظل قتال شرس لا تتخلى فيه القوات أبدا عن أسلحتها .. فلا تسحب بأسلحتها الشخصية فقط إلى غرب القناة فى ليلة واحدة كما حدث بناء على الأوامر الصادرة.

سكتت الجبهة الأردنية وقبلت إيقاف النيران، وانتقلت الجبهة المصرية من سيناء إلى غرب القناة، أما سوريا فلم تصل عنها معلومات ولم يسمح حتى الآن بالكتابة عما تم فيها ... ولذلك أنقل ما تحدث به موشيه دايان فى كتابه « *قصة حياتى* »، وباختصار: «بعد خروج الأردن من الحرب وقرب انهيار الجبهة المصرية ألغت سوريا عملية ناصر التى كانت تقضى باشتراكها مع مصر فى هجوم شامل على إسرائيل، واستبدلتها بعملية جهاد الدفاعية مع القيام بعمليات هجومية على الحدود. وقامت قواتنا الجوية بالهجوم على قواعدها الجوية ودمرت ٥٣ طائرة. وفى الساعة ١١,٣٠ صباح يوم ٦/٩ هاجمنا المواقع السورية المحصنة على الحدود ثم توقف إطلاق النيران بعد يوم ونصف من الهجوم، ولم تستغرق عمليات اختراق الجبهة السورية إلا ٧ ساعات انهارت بعدها. وسبقت القيادة السورية فى دمشق قواتها فى الميدان فى ترك المعركة. ففى الساعة ٨,٣٠ صباح يوم ٦/١٠ أذاعت الحكومة السورية سقوط القنيطرة بالرغم من أن جنديا إسرائيليا لم يكن قد اقترب من المدينة. وبمجرد أن سمع الجنود إعلان حكومتهم فى الإذاعة هربوا فلم يكن هناك ما يدعو للتمسك بها بعد ذلك. وحينما وصل جنودنا إلى القنيطرة ظهرا وجدوها خالية. وتقدمنا بجنودنا إلى مسافة ٤٠ كم من دمشق التى كان يمكننا الوصول إليها على أرض منبسطة، ولكنا فضلنا البقاء حتى يمكن للسوريين توقع وصولنا إليها فى كل وقت، وكذلك لإبعاد قرانا فى الجليل الأعلى عن مرمى مدفعيتهم ».

فى معلومات مؤكدة من مصادر سورية لا يرقى إليها الشك أنه حدث عند صدور البيان الإذاعى من دمشق بسقوط القنيطرة أن وزير الصحة السورى كان موجودا بالقنيطرة وقتئذ ولم تكن قد تعرضت لأى هجوم، والقوات سليمة، والحياة عادية ... فهاله الأمر وحسب أن خطأ ما حدث وصدر البيان الكاذب، فاتصل تليفونيا بدمشق ليؤكد لهم عدم سقوطها، فاستدعى الرجل لحضور اجتماع مجلس الوزراء الذى عقد ليلا. وفى الاجتماع حكى الوزير ما رأى فى القنيطرة، وقام أحد الموجودين من الوزراء بضربه وطرده من الاجتماع قبل أن يطرد من الوزارة !!!

وسط الأحداث العصيبة التى تساقطت على رؤوسنا كجلاميد الصخور كان الحوار يدور حول ضرورة وحتمية قرار الانسحاب بهذه السرعة خاصة أن الموقف كان متماسكا ... صحيح كانت هناك اختراقات هنا وهناك بأعداد محدودة من المدرعات، إلا أن هذا يعتبر أمرا طبيعيا يحدث فى مثل تلك المعارك التصادمية. إذ يمكن صد الاختراق ثم القيام بالهجوم المضاد والالتحام مع العدو لاسترداد المواقع، وتكبيد العدو خسائر، ولامتصاص قوة اندفاعه وإجهاده لكسب الوقت حتى تتحسن أوضاعنا قبل تدخل مجلس الأمن بقراراته المتوقعة ... كل هذا كان حجة فى يد المنادين بالدفاع لآخر طلقة وآخر رجل دون التفكير فى أى انسحاب ... آخرون – وأنا منهم – كانوا يرون ألا ضير من الانسحاب أو إعادة الانتشار، ولكن إلى أين ؟ وكيف ؟ ربما إلى خط المضايق المنيع مع إبقاء الفرقة المدرعة فى الخلف فى المسافة بين قناة السويس وخط المضايق.

وكيف ؟ على وثبات تتم ليلا، وفى كل وثبة يتم الدفاع الشرس لستر الوثبات الأخرى أثناء اتخاذها مواقعها الجديدة. ولكن الأمر كان يحتاج إلى قيادة ماهرة واعية جسورة، وهو ما لم يكن متاحا وقتئذ.

ويبدو أن قرار الانسحاب الذى أخذه عبد الناصر عام ١٩٥٦ فى مركز القيادة فى الدور تحت الأرض فى المبنى الحالى لوزارة الدفاع – وكنت حاضرا وقتئذ بصفتى ضابطا فى قسم الخطط بالعمليات الحربية – كان مسيطرا على أفكار المشير، ولكنه لم يدرك أن الظروف اختلفت والقيادات تغيرت وأن القائد النابه لا يكرر نفسه ... لم يدرك الرجل أنه لا يحرك قطع شطرنج بنقلة بسيطة على الرقعة الصماء ... قوات ضخمة بمعداتها الثقيلة والخفيفة سوف تتحرك على طرق لها سعة محدودة كأنابيب المياه

لايمكن أن يمر فيها أكثر من سعتها، فإذا « ساحت » على الجانبين غرست فى الأراضى الناعمة خاصة فى الطريق الشمالى فى سيناء حيث الرمال ناعمة كالدقيق.

وبعد أربعة أيام من بداية القتال تغيرت جغرافية مسرح العمليات، فأصبحت الجبهة المصرية غرب قناة السويس، وأصبحت القناة التى كان قد تم قفلها أمام الملاحة الدولية منذ بدء القتال تدافع عنا كمانع بدلا من دفاعنا عنها كشريان مواصلات، وانتقل المسرح ليكون شرق نهر الأردن، ومرتفعات العدو على بعد ٤٠ كم من دمشق ومنابع المياه فى يده فى الجولان وجبل الشيخ.

موقف حرج بحق ... المفروض أن الدول تخوض الحروب للوصول إلى حالة سلم أفضل، إلا أن الجولة انتهت والعرب يواجهون إسرائيل وقد أصبحت فى الموقف الاستراتيجى الحاسم الذى يعنى موقفا متميزا فى حالة استئناف القتال أو إذا بدأ الحوار على مائدة المفاوضات.

كانت الهزيمة عسكرية أولا وسياسية ثانيا . عبد الناصر اعترف بمسئوليته، ولكن لم يعترف القادة العسكريون ... ثم كانت الهزيمة عربية ولم تكن مصرية فقط، بينما يتحدث الجميع عن هزيمة مصر ولا يتحدثون عن العرب ... وكما لم تحسم حرب ١٩٥٦ ما خلفته حرب ١٩٤٨ من واقع مرفوض، فإن حرب ١٩٦٧ خلفت واقعا أشد تعقيدا يفتح الطريق لحروب قادمة.

وسط هذا الركام صدر قرار بتعيينى وزيرا للحربية فى أخطر مرحلة مرت بالبلاد... سيناء تحت الاحتلال، وقيادة عسكرية نصفها فى حالة عصيان ضد الشرعية، ونصفها الآخر يفتقر إلى الاستقرار لأن كثيرا من الأصابع تشير إلى جزء منها بالاتهام، وجيش فقد سلاحه والمساعى تبذل لسد بعض الفجوات التى حدثت، وجزء من القوات المسلحة فى اليمن لم يتحدد مصيره بعد، وقناة السويس مغلقة فى وجه الملاحة الدولية والعدو يلعب الكرة فى الشاطئ الشرقى لها والجنود والمجندات يسبحون فى مياهها تحت سمع وبصر وحداتنا فى الشاطئ الغربى التى تحاول أن تبنى دفاعاتها، وموشيه دايان بجوار التليفون ينتظر مكالمة من القاهرة لبدء حوار السلام أو الاستسلام.

وبدأت استعد لتولى مسئولياتى الاستراتيجية بملابسى المدنية ... فليس هناك أصعب على الإنسان من أن يواجه احتلال جزء غال من وطنه وهو وزير للحربية بلغة زمان أو وزير الدفاع كما يطلق عليه الآن ...!!!

الفصل السابع

وزيرا للحربية

بعد منتصف ليلة ١٨ يوليو ١٩٦٧ دق جرس التليفون B.X فى منزلى، وهو خط يصل الرئيس بحفنة من رجال الدولة، وكان الرئيس هو المتحدث. كان من عادته أن يبدأ حديثه بالبسيط من الأمور وينهيه بما يريد قوله... قال: «ما رأيك فى أن تكون وزيرا للحربية؟!» لم يكن الخبر مفاجأة بالنسبة لى، فمن يوم دخولى الكلية الحربية عام ١٩٣٩ وأنا متأكد أننى سأكون وزيرا للحربية... لماذا؟ لا أعرف... كان هذا شعورى وبس. ودار حوار عاجل انتهى بتحديد موعد لقاء مع سيادته فى اليوم التالى، على أن يظل التكليف سرا حتى لا ينشر فى وسائل الإعلام... !!! ربما يكون الرئيس لم يحزم أمره بعد... ولكن لم أنا بالذات فى هذا الوقت العصيب خاصة بعد أن بعدت عن القوات المسلحة لمدة ١٠ سنوات كاملة؟! ما هو المطلوب منى بالضبط فى هذه المرحلة الصعبة التى لا أظن أن أحدا ممن سبقونى فى المنصب الخطير قد واجهها؟! ودون استطراد كان الاسم فى ذلك الوقت وزارة الحربية وليس وزارة الدفاع كما يطلق عليها الآن.

كان أول عمل قام به الرئيس بعد عدوله عن التنحى هو إعادة تنظيم قيادة القوات المسلحة بتعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما يوم ١٩٦٧/٦/١١ بنفس اختصاصات المشير عامر، والفريق عبد المنعم رياض رئيسا للأركان، وقبلت استقالة بعض القادة الكبار وأحيل إلى المعاش آخرون، ثم جاء تعيينى وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة فى نفس الوقت بعد أسابيع من ذلك.

تمت مقابلتى مع الرئيس صباح اليوم التالى، وبيّن لى أن الغرض من تعيينى هو الإشراف الكامل على كل ما يخص شئون الدفاع، على أن يكون الهدف ذو الأسبقية هو

إدخال القوات المسلحة ضمن إطار الدولة بعد أن ظلت شاردة تشكل ورما ينمو خارج هذا الإطار، كذلك الإشراف على إعداد الدولة للحرب بما فى ذلك طبعا القوات المسلحة لاستعادة الأرض. وفهمت منه أثناء الحوار أن فوزى عين قائدا عاما لبناء القوات المسلحة لما يتمتع به من انضباط والقدرة على الالتزام، أما القيادة أثناء العمليات الفعلية فمن مسئولية الفريق عبد المنعم رياض. وأخبرنى الرئيس أن هذا معروف لكليهما، ولكن لا بد أن يبقى هذا التصور فى صدر من يعرفونه حاليا- وبصراحة قلقت لأن ما اتفق عليه حتى الآن فيه تفتيت للقيادة فى قمتها من جانب... ثم كان إعطاء القائد العام الجديد نفس اختصاصات المشير سوف يضع أمام وزير الحربية مشاكل، لأن المشير بصفته نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة كان قد أصدر أغرب قرار غير دستورى برقم ١٩٦٦/٣٦٧ بتحديد اختصاصات وزير الحربية شمس بدران، وبمقتضى هذا القرار أصبحت القيادة العسكرية هى التى تحدد دور ممثل القيادة السياسية على قمة المؤسسة العسكرية، مما يقلب الأوضاع المتعارف عليها وكان من أهم أسباب النكسة... لم يكن المهم فى نظرى تغيير شخص وزير الحربية أو القائد العام، إذ كان الأهم تغيير أسلوب العمل بمفاهيم جديدة تحدد العلاقات الرأسية والجانبية فى المؤسسة العسكرية... من جانبى قررت ألا أسمح بأى تجاوزات ولا بد أن يصطف الجميع فى «الطابور».. وفهم الرئيس ذلك بمنتهى الوضوح إذ بادرت بالتعبير عن قلقى للسيد الرئيس، إلا أنه أكد أنه لن يسمح بذلك خاصة أن بقاء القائد العام رهن بإتمام الواجب المنوط به. ولكنى فهمت ما بين السطور، فالواجب الرئيسى للقائد العام كان تأمين النظام من أى تحركات مضادة من داخل القوات المسلحة فى تلك الظروف المقلقة، الأمر الذى لم يغير من رأيه فى أن يتولى إدارة العمليات الفريق عبد المنعم رياض. وحينما استشهد رياض، انتوى تعيين محمد حافظ إسماعيل فى تأدية المهمة بعد استدعائه من باريس حيث كان يعمل سفيرا لنا هناك.

فى تقديرى أن اختيار الرئيس للفريق فوزى لغرض الضبط والربط فى القوات المسلحة فى ذلك الوقت كان مناسبا رغما عن مسئوليته الجسيمة فى النكسة، ومسئوليته بصفته رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى عدم إعداد القوات للحرب، بل وعن سوء التخطيط وتنفيذه، وعن التعبئة الخاطئة.. ناهيك عن أنه لم يكن أمام الرئيس إلا هذا الخيار. فالرجل بحق كان قادرا على القيام بالمهمة التى كلفه بها الرئيس بما

اكتسبه من وجوده بالكلية الحربية مدرسا وقائدا لفترة طويلة من خبرة فى مثل هذه الأمور.

فى نهاية المقابلة ذكر الرئيس أنه يفكر فى منحى رتبة عسكرية رفيعة حتى يسهل تعاملى مع القادة الكبار، ولكنى شكرت واعتذرت لإيمانى بأن وزير الحربية يجب أن يكون مدنيا لأنه يمثل القيادة السياسية على قمة المؤسسة العسكرية.

فى نفس الليلة وقبل الإعلان عن تعيينى وزيرا للحربية فى الصحف ووسائل الإعلام زارنى فى منزلى دون سابق موعد أحد أصدقائى من الضباط، وذكر أن الفريق فوزى اجتمع مع بعض القادة واتفقوا على اقتراح باختصاصات الوزير... لأنه لا يوجد للأسف هيكل لوزارة الحربية ولا لعلاقاتها مع القوات المسلحة، فلم يهتم أحد من الوزراء السابقين بضبط الأمر تلافيا للمشاكل... وسلمنى الزميل ورقة بنص الاقتراح. وكان معنى هذا أن القائد العام يكرر نفس قرار المشير عامر للسيد شمس بدران، ولكن بطريقة غير رسمية حتى يتفادى عدم دستورية الإجراء. وقدرت صعوبة الوجود فى دهاليز هذه المؤسسة قبل أن أخطو الخطوة الأولى. وفى يوم ١٩٦٧/٧/٢١ أصدر الرئيس القرار ونشرته الصحف ووكالات الأنباء. ولم أسارع فى القيام بمسئولياتى لأيام لأتبين رد الفعل... كان رد فعل كبار القادة عدم الارتياح، إذ اعتبروا أنه «لا توجد بطحة على رأسى»، وخشوا من إثارتى لمسئولياتهم فى النكسة. كنت أفكر فى أن يكون مكان الوزارة منفصلا عن مبنى القيادة، وكنت أفكر فى البناء التنظيمى لها... وقبل كل ذلك كنت أفكر فيما حدث ولماذا حدث؟ وكيف نخرج مما نحن فيه؟

طلبت بعض المذكرات من الجهات المختلفة، وكانت جميعها بمثابة الدفاع عن النفس أو تبادل الاتهامات وإلقاء المسئولية على الغير... مذكرة الفريق صلاح محسن كان فيها من المداراة والغموض ما كان كافيا لحجب الحقيقة.. ولا غرابة فى ذلك فقد كان الرجل مسئولا عن قيادة القوات أثناء المعركة، مذكرة «أمانة» التى كلفت الفريق مرتجى بعد أن استغنى عن خدماته بكتابتها كانت محاولة لتبرئة القيادة العسكرية من مسئولياتها وإبعاد المسئولية عن شخصه، ومحاولة إلقاء تبعة ما حدث على القيادة السياسية بطريقة غامضة... كانت روح المداراة وتجنب قول الحقيقة، وعدم الإحساس بالمسئولية، والشللية ما زالت تسيطر على مبنى القيادة العامة... حينما تم وضع سياسة التدريب

لم يهتم واضعوها بالدروس المستفادة ولا بأساليب العدو ولا بالسلبيات لمواجهتها، مسئولو التنظيم والإدارة لا يعالجون مشاكل الأفراد أو بناء التنظيمات المختلفة.. فبينما كان اللواء أحمد إسماعيل قائد الجبهة يشكو حينما زرت وحداته من العجز الكبير فى عدد الضباط بالوحدات، كان مبنى القيادة بمدينة نصر ينعم بتضخم عدد الضباط «ذوى الظهر» بما يزيد على حاجته. ووجدت مقاومة شديدة لإعادة التوازن من نفس الضباط الذين أصدروا أوامر التعبئة الفاشلة قبل بداية العمليات، واضطررت إلى اتخاذ إجراءات غير تقليدية وربما غير علمية لتصحيح جزء من الأوضاع... أثناء مرورى وجدت أن ٨٠٪ من جنود الوحدات لم يتسلموا رواتبهم لأشهر عديدة، فأمرت بتشكيل خزائن متحركة لصرف ما تأخر من مرتبات.. فى إحدى الفرق وجدت ٨٠٪ من الأفراد مصابين بالبلهارسيا والانكلستوما ومئات يحتاجون إلى إجراء عمليات «فتاق»، وأمرت بإخراج الفرقة من خطة الدفاع أمام معارضة من القائد العام الذى حاولت إقناعه بألا جدوى من وجود تشكيل على هذا الحال فى موقع دفاعى، وأمرت بدفع الوحدات الطبية للعلاج فى الأمام بدلا من إخلاء الأفراد إلى الخلف، وترحيل مرضى «الفتاق» إلى مستشفيات القاعدة لإجراء العمليات اللازمة... كانت ملابس بعض الأفراد قصيرة وضيقة بينما البعض الآخر ملابسه واسعة طويلة، فأمرت «الترزية» بإعادة الأمور إلى وضعها اللائق... تجهيز الطعام للجنود لم يكن بالكمية الكافية أو بالطريقة اللائقة، فلم يكن أحد من الضباط يشرف على المطابخ التى تعد وجبات الجنود، فأمرت بتصحيح هذا الوضع.

فى الوقت الذى كانت فيه جبهة القناة مشتعلة بالاشتباكات مع العدو وبالرغم من أن القوات المسلحة كانت تلعق جراحها، كانت القيادة العسكرية تعانى الاضطراب الكامل فى أمور القيادة والسيطرة بالرغم من جسامة المسئوليات... فى هذا المجال كانت أمامى ٣ قضايا تحتاج إلى قرارات:

□ **القضية الأولى**: كانت تتعلق ببعض الضباط من دفعة ١٩٤٨ وهى دفعة الوزير شمس بدران، وكان مطلوبا منى توقيع قرار يقدمه لى الفريق فوزى بتحديد إقامتهم لاعتبارات تتعلق بتأمين الأوضاع داخل القوات المسلحة. كانت إقامتهم محددة فعلا وموزعين على عدة أماكن: قصر صبرى بالدقى، استراحة الهرم، جناح بمستشفى

المعادى، إحدى فيلات الجامعة الأمريكية، وفيلا الشبراويشى بالمعادى. ولم أر حاجة لتوقيع قرار سبق تنفيذه فعلا.

□ **القضية الثانية**: كانت بشأن اقتراح القائد العام عن علاقات الوزير مع القيادة... كانت الورقة هى نفسها الورقة التى قدمها الضابط الزميل لى فى منزلى منذ أيام، ونحيتها جانبا دون الاطلاع عليها ذاكرا أن هذا الموضوع جزء من قضية عامة سنواجهها بالممارسة.

□ **القضية الثالثة**: كانت تختص بقرار يقضى بإحالة الفريق مدكور أبو العز الذى تولى قيادة القوات الجوية بعد النكسة ــ وكان ذلك بترشيح منى ــ إلى التقاعد، لخلافات شخصية بينه وبين القائد العام على أسلوب القيادة. كان القرار موقعا فعلا من الرئيس والمطلوب إعلانه... ورأيت تأجيل البت فيه لأن تنفيذه كان يعنى خسارة كبيرة للقوات الجوية لكفاءة الرجل المشهور بها... وكلمت الرئيس تليفونيا، فوافقنى على رأيى قائلا: «قطّع القرار».. ووعدته بحل الخلافات ضمن محاولتى مواجهة أسلوب التعامل رأسيا وعرضيا فى قيادة القوات المسلحة.

بخصوص هذا الموضوع كتب الفريق مدكور أبو العز فى مقال له بجريدة الوفد يوم ١٩٨٧/٩/٢٥ وهو أحد مقالاته عن تجربته فى قيادة القوات الجوية... «كنت دائم الاتصال بالسيد أمين هويدى وزير الحربية كما كان هو دائم الاتصال بى، وكنت أحس بأن تعيينه وزيرا للحربية كان بمثابة عامل تهدئة للموقف المتأزم بين القائد العام وبينى. وقد استطاع بأسلوبه الهادئ وطريقته المنطقية فى تحليل الأمور، وتفهمه المشاكل والطريقة المثلى التى يتناول بها حل هذه المشاكل أن يحصل على ثقتى الأكيدة به، ولهذا فتحت له صدرى وكان حديثى معه دائما يتسم بالصراحة والوضوح، وكنت أضعه دائما فى الصورة الكاملة عن القوات الجوية. وكم عمل على تنقية الجو وتقريب وجهات النظر بعد أن لمس كل شىء على حقيقته. ويبدو أن كل ما كنت ألاقيه من متاعب كان ينقله إلى السيد الرئيس، فقد أنبأنى فى محادثة تليفونية أن الرئيس يطلبنى لمقابلته وحدد لى الموعد، وتمت المقابلة وقدمت للرئيس الموقف كاملا... تحدث إلىَّ أمين هويدى فى اليوم التالى للمقابلة وأخبرنى أن اللقاء كان موفقا، وتمنى لى التوفيق فشكرته على شعوره النبيل نحوى. ولا شك أن القائد العام بدأ بعد لقائى مع الرئيس يغيّر من

سياسته وأسلوب تعامله معى، وقد ظهر فى الأفق تحسن كبير فى أسلوب العمل مع القيادة العامة لدرجة أن القائد العام أبلغنى أن أى عمليات تتطلب اشتراك القوات الجوية فيها لن تنفذ إلا بعد موافقتى عليها... ولكن لم تنته المشاكل وأصبح التعامل مع القائد العام مستحيلا.»

كان الخلاف ينحصر فى تسيير الأمور فى سلسلة القيادة وسلسلة الأركان... فهيئة الأركان على كافة المستويات تعد القائد لإصدار قراره، وهنا تصدر القرارات إلى القيادات على كافة المستويات... كان مدكور يرى أنه لا يتلقى أى أمر أو قرار إلا من القائد وليس من كل من يعمل فى هيئة الأركان... كنا فى مرور فى عربة جيب، وكنا ثلاثة: مدكور وعبد المنعم رياض رئيس الأركان وأنا، وفى تخابث قام عبد المنعم بسؤال مدكور: «ماذا تقول فى زيارة أقوم بها للتفتيش على إحدى قواعد القوات الجوية؟» كان عبد المنعم من الذكاء ليعرف الرد سلفا، وقال مدكور: «أقطع رجلك» .. وضحكنا جميعا إلا أن السؤال كان يحدد القضية بالضبط، وكانت الإجابة تحدد مضمونها بالضبط أيضا، بينما كانت مسئوليتى محاولة ضبط الأمور وتوضيحها حتى لا يقطع أحد رجل أو رقبة الآخر.

كان غموض العلاقات داخل قيادة القوات المسلحة وعلى رأسها وزير الحربية أعقد مما كنت أتصور... فقد أصدر الرئيس قراراته بنقل اختصاصات المشير عامر إلى القائد العام الجديد، وبذلك ثبتت القرارات الجديدة الأخطاء القديمة... فالموضوع ليس تغيير أفراد ولكن تغيير أساليب... وأصبح الأمر يحتاج إلى جراحة كبرى. لم أتردد فى التصدى للقضية، وكنت فى حوار مستمر مع الرئيس لتصحيح الوضع على أساس المبادئ الآتية:

تكوين جهاز متناسق يعمل فى يسر وسهولة لرفع كفاءة وتجهيز وقيادة القوات المسلحة فى زمن الحرب والسلم، الرقابة الفعالة على القوات المسلحة ليضمن الشعب دائما أن قواته قادرة على الدفاع عن أمانيه، تنسيق المجهود المدنى اللازم لمواجهة المجهود الحربى أى إعداد الدولة للحرب، إدارة القوات المسلحة المتاحة لمساعدة سياستنا الخارجية، تغيير مفهوم تأمين القوات المسلحة بأساليب جديدة تعتمد على وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، مع تبادل القيادات لدفع الدماء الجديدة وطرد

ما يتخلف عن بقاء القيادات القديمة فترة طويلة فى مواقعها... باختصار شديد فإن وزير الحربية مسئول عن إعداد الدولة ـ بما فى ذلك القوات المسلحة ـ للحرب. أما القائد العام ـ والأصح رئيس الأركان، لأن المنصب الأول لا لزوم له وأنشئ بغرض ترضية المشير عامر ـ فواجبه إعداد القوات المسلحة من تنظيم وتدريب وعمليات للحرب تحت مباشرة ومتابعة وزير الحربية.

وفى أوائل أكتوبر ١٩٦٧ – أى بعد أقل من ثلاثة أشهر لعملى كوزير للحربية، وكنت فى نفس الوقت أعمل رئيسا للمخابرات العامة منذ ١٩٦٧/٨/٢٦ – رفعت إلى الرئيس مذكرة بآرائى(*):

«فى رأيى لم يكن لدينا وزارة حربية طوال السنوات الماضية بالمعنى المفهوم مما ينعكس علينا الآن... لا بد من الحزم الكامل لإدخال كافة الأجهزة التابعة للوزارة ضمن إطارها لتعمل جميعها تحت رئاسة واحدة... وزير الحربية شأنه شأن أى وزير آخر مسئول عن سياسة وزارته مسئولية كاملة حددها الدستور، وبقدر هذه المسئولية يجب أن يعطى السلطة الكاملة لتنفيذ سياسة الدولة فى هذا القطاع... بوجه عام وزير الحربية مسئول عن التأكد بصفة دائمة من كفاءة القوات المسلحة للدفاع عن البلاد تبعا لسياسة الدولة، كذا فإن من بين واجباته تعبئة كافة الجهود المتيسرة لتحقيق ذلك. ولتنفيذ الواجب الأول، فإن السياسة العامة للدفاع عن البلاد يجب أن تناقش وترسم داخل مجلس الدفاع الوطنى، ولتحقيق الواجب الثانى فإن الأمر يقتضى إنشاء مجلس احتياجات الدفاع الوطنى. أما القائد العام فمسئوليته تنحصر فى قيادة قواته وإعدادها للقتال، وأن يكون مسئولا مباشرة أمام وزير الحربية».

وسلمت المذكرة باليد للسيد الرئيس وشرحت له الخط العام لأفكارى ... ووافقنى عليها واعدا بالبت فيها فى أسرع وقت، وأفصح لى عن نيته فى إجراء تعديلات جذرية فى قمة المؤسسة العسكرية لشعوره بأن هناك محاولات تجرى لتركيز السلطة والعودة بالأمور إلى ما كانت عليه أيام المشير عامر.

(*) انظر الوثيقة رقم (٤): نص المذكرة عن تنظيم العمل فى الأجهزة العليا لوزارة الحربية، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

فى إحدى المرات وأنا أحاوره سألنى فجأة: «هل قرأت كتاب «*رجال البنتاجون*؟» أسقط فى يدى وأجبت بالنفى، فنصحنى بقراءته. متى ياريس؟ أنا لا أجد وقتا للنوم وأنا أمر على المطارات بالهليكوبتر من الفجر ثم على مواقعنا الدفاعية، ثم أنظر فى قضايا التسليح والميزانية وإعادة التنظيم، ثم أعالج مسئولياتى الجسيمة فى رئاستى للمخابرات العامة. قرأت الكتاب: C.W. Borklund, Men of The Pentagon from Forestal: To McNamara, 1966, Frederick A.Preager, Publishers, New York, Washington, London. كيف قرأته وأنا فيما أنا فيه؟! بل وكيف ترجمت كل أوراقه فى إحدى الكراسات؟! لا أدرى ... سألنى مرة: هل قرأت الكتاب؟ نعم قرأته. ما رأيك؟ قلت له: «أعجبنى قول ماكنمارا حينما قال إن بقاءه لمدة ساعة واحدة فى البنتاجون كان مستحيلا لولا مساندة الرئيس له». وأضفت: «ولولا ذلك لفعل مثل ما فعله الوزير جيمس فورستال حينما قفز من شرفة حجرته رقم ١٦١٨ بالدور ١٦ فى مستشفى البحرية بواشنطن ومات منتحرا» .. وفهم الرئيس الرسالة وهو يضحك ضحكته المكتومة.

كنت أحاول تصحيح الأمور من وجهة نظر العمليات الحالية والمقبلة... ولكن الرئيس كان يضيف بعدا ذا أهمية خاصة عنده هو تأمين القوات المسلحة، وهو محق فى ذلك شرط ألا يكون ذلك على حساب الأمن القومى للبلاد خاصة والعدو على الضفة الشرقية للقناة ... بعد أن توليت الوزارة مباشرة طلب المقدم (الفريق بعد ذلك) إبراهيم العرابى مقابلتى – كان أحد الضباط من دفعة ١٩٤٨ المحددة إقامتهم كما سبق أن ذكرت، وكان قد عمل معى فى بغداد أيام أن كان قائدا لوحدة الدبابات المصرية التى طلبها الرئيس عارف لحماية الأوضاع أيام كنت سفيرا فى العراق – وطلب تصحيح الأوضاع بالنسبة له ولزملائه ... ولما عرضت الأمر على الرئيس رفض وقال: «موضوع التأمين ده مهم عندى جدا، لولا ذلك ماستمرت الثورة حتى الآن». واكتفيت وقتئذ بالحصول على موافقته بأن يخرج الضباط فى تصاريح لزيارة عائلاتهم يعودوا بعدها إلى أماكنهم. وقد كان واحترم الضباط مواعيد رجوعهم دون استثناء.

قضية أخرى قفزت أمامى هى التعامل مع الخبراء السوفيت الموجودين فى القوات المسلحة منذ اتفاقية السلاح الأولى قبل عام ١٩٦٧... كانت واجباتهم غامضة بالرغم من أن الكثيرين منهم قد أدوا خدمات كثيرة يجب أن تذكر، إلا أن الغالبية منهم كانوا

يجلبون الكراهية والنقد من تصرفاتهم. كتب لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو خطابا فى ١٩٦٧/٩/١٥ قال فيه: «يشكون مر الشكوى هنا فى موسكو من معاملة خبرائهم وعدم تمكينهم من إتمام مهمتهم وممارسة عملهم كما يجب، وذكروا أن هناك عناصر من الجيش بالغة الحساسية بالنسبة للكرامة والـ Prestige ... وكان بريجنيف صريحا وواضحا فى شكواه، وذكر لى فى كياسة وأدب أنهم لن يسكتوا هذه المرة على شل عمل الخبراء السوفيت لأن العالم يعرف أنهم يدربون القوات المسلحة المصرية، ولا بد أن تتحول قواتنا إلى نفس مستوى الجيش السوفيتى، وأن يكون التدريب بأحسن الوسائل وأعنفها، ولن يسمحوا بما حدث لخبرائهم قبل ٥ يونيو وشماتة الغرب من نتيجة عمل خبرائهم وأسلحتهم. وبلغ استياء الاتحاد السوفيتى من وضع خبرائه إلى حد أنهم ذكروا صراحة بأنهم على استعداد لسحبهم كليا إذا كنا لا نريدهم أو لا نريد تمكينهم من عملهم». وفى خطاب آخر ذكر مراد: «أثناء مقابلتى مع وزير الدفاع المارشال جريتشكو فى موسكو يوم ١٩٦٧/١١/١٠ وأثناء حديثنا عن الخبراء السوفيت ذكر المارشال أنه يشعر بأن هناك أفرادا من جهتكم لا يرغبون فى وجود خبرائنا».

فى هذا المجال أيضا أذكر أنه بعد أن تسلمت عملى فى وزارة الحربية يوم ١٩٦٧/٧/٢١ كانت هناك ترتيبات قد أعدت على شكل اتفاق جاهز للتوقيع عليه من الطرفين فى اليوم التالى عن تقديم تسهيلات لسفن الأسطول السوفيتى «من بورسعيد إلى السلوم»، وكذلك اتفاق خاص بالخبراء السوفيت، وكان الذى أعدهما الفريق صلاح محسن مساعد القائد العام، وهو أحد المسئولين الكبار عن النكسة... حينما قرأت الاتفاق الخاص بالتسهيلات هالنى حجمها إذ جعلت من موانينا قواعد بحرية بكل ما تحمله من معنى، واعترضت على الاتفاق جملة وتفصيلا... واتصلت بالرئيس بعد منتصف الليل وشرحت له موقفى الرافض للاتفاق واقترحت عليه أن أرسله له للاطلاع عليه، فوافق على أن أرسل له موجزا للاتفاق، فاقترحت عليه الاطلاع عليه بالكامل حتى لا يخل اختصاره بالمعنى، وأرسلته مع أحد ضباط مكتبى ــ وهو الآن محافظ الإسكندرية «محمد عبد السلام محجوب» ــ ليسلم لسيادته للاطلاع عليه شخصيا. وفى نفس الليلة اتصل الرئيس بى تليفونيا وأخبرنى بموافقته على رأيى، وأن أؤجل

توقيع اتفاقية التسهيلات والاكتفاء بتوقيع اتفاقية الخبراء مضيفا: «معلهش يا أمين ياخدولهم يومين ... انفراد لص واحد بالغنيمة خطر كبير ولكن صراع لصين فيه شىء من الأمان». وفعلا حدث حينما تم اجتماعنا فى مكتبى مع السفير فينوجرادوف والجنرال لاشنكو كبير الخبراء، أن ذكرت لهما أنى سأكتفى اليوم بتوقيع اتفاقية الخبراء مؤجلا توقيع اتفاقية التسهيلات لأننى لم أدرسها لضيق الوقت. وكان وقع ذلك سيئا لدرجة أن السفير فينوجرادوف قال: «ولماذا لا تؤجل اتفاقية الخبراء أيضا؟» ... لم يخطرنى الرئيس أبدا بما دار من مباحثات بين وفد برئاسة بودجورنى زارنا يوم ١٩٦٧/٦/٢١ ووفد مصرى آخر برئاسته، وعضوية السادة زكريا محيى الدين وعلى صبرى ومحمود رياض وزير الخارجية ومحمد فوزى القائد العام، وقام بالسكرتارية عبدالمجيد فريد، وتم فيه: عرض الرئيس تحالفا مع الاتحاد السوفيتى يتم سرا أو علنا كاختيارهم، وعرض أيضا تقديم تسهيلات «لسفنكم من بور سعيد إلى السلوم، وبعد ذلك من العريش إلى غزة» ... لم يوافق السوفيت على العرض الأول، ووافقوا على العرض الثانى... وترك للعسكريين من الجانبين الاتفاق على التفاصيل، إلا أننى رفضت ووافقنى الرئيس على رأيى.. ولم أكن قد عرفت بالعروض السابقة بعد. ومما يذكر أن حوارا دار بينى وبين المارشال جريتشكو وزير الدفاع أثناء زيارتى للاتحاد السوفيتى فى ١٩٦٧/١١/١٠ حول هذا الموضوع، ولم أعرف مغزاه إلا بعد أن اطلعت على وثائق محادثات الرئيس مع بودجورنى. ويدل الحوار على أن جريتشكو كان على علم بموقفى وغير راض عنه:

- ■ **جريتشكو:** تعلمون أن لديكم قطعا بحرية من عندنا تزور بورسعيد والإسكندرية حاليا.. ما رأيكم فى المدة المناسبة لبقائها هناك؟ هل ترغبون فى استمرار الزيارة أو عودة القطع المذكورة؟ (فهمت فى الحال ما يقصده المارشال).
- □ **أمين هويدى:** هل سمع المارشال عن صعوبات حالية بخصوص الزيارات؟
- ■ **جريتشكو:** أبدا.. هل هناك موقف سياسى معين بخصوصهم؟ هل يضايق وجودهم الرئيس ناصر؟

□ **أمين هويدى:** إنهم حصلوا على إذن بالزيارة وهم موجودون هناك على هذا الأساس.

■ **جريتشكو:** فى الواقع تلقينا معلومات بنية إسرائيل فى احتلال بورسعيد، ولذلك فالقطع هناك لمواجهة ذلك والاشتراك فى القتال فى هذه الحالة.. ولكن هل تودون استمرار وجودها أم لا؟ (تهديد مقنع لم يكن له أى رد فعل عندى).

□ **أمين هويدى:** هل شعر الماريشال بشىء فى هذا الموضوع؟

■ **جريتشكو:** أبدا.. قائد البحرية سيسألنى عن الوقت الذى يمكنهم أن يبقوه هناك.

□ **أمين هويدى:** عند رجوعى إلى القاهرة سأخطركم بالإجابة على سؤالكم.

■ **جريتشكو:** أرجو إخطارى.. إن عيونهم مفتوحة لملاقاة أى عدوان وليس وجودهم هناك مجرد زيارة.

□ **أمين هويدى:** إننا نرحب بهم كأصدقاء على أى حال.

واضح أن الماريشال كان على علم بموقفى... من أخطره؟ وواضح أيضا أنه كان يبالغ فى تفسير وجودهم فى بورسعيد بأنه كان بغرض القتال، لأن بودجورنى اعترض على توريطهم فى أى قتال، وهذا لا يقلل أبدا من أهمية وجود سفنهم هناك فى تلك الظروف.

هذا الحوار الذى تم فيه التراشق بالكلمات لم يمنعنى من تقديم طلباتنا من السلاح التى كنت أحملها معى لسد بعض النقص الذى كنا نعانيه. وكعادة السوفيت فإنهم كانوا دائما يحتاجون إلى وقت طويل لإصدار قراراتهم. وقد أخبرنى الفريق فوزى فى يوم ١٩٦٨/٣/١٧ أى بعد مباحثاتى فى موسكو بأربعة أشهر وتركى مسئولياتى فى وزارة الحربية للتفرغ لمسئولياتى فى المخابرات العامة، أن السوفيت وافقوا على طلباتى بتسليح فرقتين، كما وافقوا على تزويدنا بست طائرات استطلاع استراتيجى.

مضت أشهر قليلة بعد تعيينى وقفت فيها على معظم احتياجات القوات المسلحة وأوضاعها... رأيت أن الوقت قد حان للقيام بأول زيارة لى إلى موسكو للحصول على

طلباتنا الملحة. وتم الاتفاق على أن تبدأ الزيارة فى ١٩٦٧/١١/١٠... عقدت عدة اجتماعات لمناقشة هذه الاحتياجات حضرها القادة المختصون كان نتيجتها ملف كبير يصحبنى أثناء الزيارة... كان ينقصنا الكثير.

قبل سفرى بأيام كلفنى الرئيس بتشكيل حكومة أتولى رئاستها على أن أعرض عليه أسماء الوزراء الذين يقع عليهم الاختيار بعد عودتى من موسكو، إلا أن الأوضاع لم تسمح بتنفيذ ذلك لأن الرئيس كانت له حساباته مما سأذكره فى أوراقى التالية... وعلى أى حال فقد حمدت الله كثيرا على ذلك... والشىء الغريب الذى كان محل تفكيرى بين وقت وآخر هو أن التكليف تم من الرئيس وهو يحادثنى فى التليفون الخاص B.X إلا أن السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات اتصل بعد انتهاء المحادثة مباشرة وقال: «إيه يا أفندم الكلام اللى زى الورد ده» ... كان الرئيس يتحدث من داره، وكان سامى يتحدث من مكتبه على الجانب الآخر من الشارع... السيدة حرمى كانت حاضرة وضربت كفا على كف وهى تقول: «غريبة؟ بس مش نافعة».

حدثنى الرئيس أيضا قبل سفرى عن العلاقات بين كل من الفريق فوزى والفريق مدكور أبو العز التى أصبح من المتعذر علاجها مما يحتم التغيير فى قيادة القوات الجوية... كانت العلاقة بين مدكور والخبراء السوفيت لا تسمح بالتعاون ونحن نعتمد عليهم فى سد الكثير من الفجوات، علاوة على ما كان ينقل للرئيس من التعاون «الزائد على الحد» بين الوزير ومدكور مما يتعارض مع التوازنات المفروض الحفاظ عليها... كان الرجل قد أدى مهمته فى بناء القوات الجوية بشرف وأمانة ورجولة... إذن حان وقت التغيير... عرض الرئيس اسم اللواء على بغدادى وأظن أن ذلك كان اقتراح فوزى له، ولكنه وافق على اقتراحى بتعيين اللواء الحناوى قائدا للقوات الجوية واللواء على بغدادى رئيسا لأركان حرب القوات الجوية... الحناوى عنده حزم وربط، والبغدادى عنده العلم والمعرفة... «دويتو» يكمل بعضه بعضا. اقتضى الأمر أيضا إحالة بعض القادة إلى التقاعد فى نفس الوقت، وكان تعليق مدكور حينما أبلغته بأسمائهم: «خسارة دول من أحسن القادة». وكان ردى: «مدكور.. إنهم كانوا موجودين فى نفس أماكنهم الحالية حينما ضربت طائراتنا على الأرض»... كان اقتراحى أن يعود مدكور محافظا لأسوان كما كان، فقد استدعى من هناك وقام بمأموريته هنا على خير ما يرام ثم يعود حيث كان والعود أحمد. ولكنه فضل أن يبقى فى رئاسة الجمهورية... اتصلت

بالرئيس فى حضور مدكور تليفونيا وأبلغته برغبته فقال: «حيعمل إيه فى رئاسة الجمهورية؟! أنا موافق». وطلبت منه أن يقابل مدكور.. «أوافق»... وتمت المقابلة.

أثناء زيارتى الاتحاد السوفيتى قابلت كلا من الماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى يوم ١٩٦٧/١١/١٠، والماريشال زاخاروف نائب وزير الدفاع السوفيتى ورئيس أركان حرب الجيش بعد ظهر نفس اليوم (*). كنت أطالب بمساعدتهما فى تقوية القوات المسلحة، فهذا هو المخرج الوحيد لتخطى الأزمة، بزيادة خفة حركة القوات وقوة نيرانها وقدرتها على الردع... وطالبت بتسليح فرقتين وقدمت منف الاحتياجات، كما طالبت بإلغاء عقد مدمرتين كان قد تم التعاقد عليهما منذ عام ١٩٦٤؛ إذ ثبت لنا بعد إغراق المدمرة إيلات أن خفة حركة زوارق الطوربيد وسرعتها الهائلة تعوض النقص فى قوة النيران التى تتمتع بها القطع الكبيرة.

واتفق كل من جريتشكو وزاخاروف على أن المشكلة يمكن أن تحل سياسيا لو زادت القوة العسكرية... إذا كان فى إمكاننا إزالة وتدمير إسرائيل باكرا فإنهم يرفعون أيديهم بالموافقة ولكن لا توجد لدينا القدرة لذلك، فترة الاستعداد لن تقل عن سنة، لا بد من فصل قوات الدفاع الجوى عن القوات الجوية وزيادة عدد الجيش والمطارات، ولا بد من توزيع الطائرات بحيث لا تزيد على ٢٥ طائرة فى أى مطار مع استكمال الدشم، طلباتنا تحت الدراسة ولو أن زاخاروف وافق دون تردد، لن يكونوا خارج المعركة، لا بد من التنسيق الكامل مع سوريا والعراق وقد أرسلوا مستشارين إلى سوريا، لا بد من توزيع الخبراء حتى مستويات السرايا، لا يوجد عمل سياسى فى الجيش حتى يغرس فى الجنود حب الوطن والشعب، الأسطول الروسى موجود فى الموانى ليس للزيارة ولكن للاشتباك عند اللزوم، عدم توافر الطيارين، تساءل زاخاروف هل يمكن إعطاء نقود للجنود لشراء الطعام وقت الحرب؟ هذا غلط.

وقد زرت قاعدة كوبيكنا الجوية، ولاحظت عدم وجود دشم للطائرات وأنهم أخذوا تصاميم دشم ستبنى فى المستقبل من تصاميمنا، وأنهم يجهزون الحوائط المعدة من قبل لإقامة الدشم حينما يقررون ذلك.

(*) انظر الوثيقة رقم (٥): محضر الاجتماع مع الماريشال جريتشكو يوم ١٩٦٧/١١/١٠، والوثيقة رقم (٦): محضر الاجتماع مع الماريشال زاخاروف يوم ١٩٦٧/١١/١٠، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

وفى تقريرى للرئيس عن الزيارة ذكرت أنهم أصبحوا أكثر فهما لطبيعة المشكلة وأكثر ميلا للمساعدة، سيحاولون الحل السلمى، بقدر اندفاعنا فى العمل سيكون حجم مساعدتهم لنا، لا مانع من إرسال طيارينا إلى هناك للتدريب، لا داعى لزيادة عدد الخبراء ووجودهم حتى مستوى السرايا، هناك شبه استجابة لمطالبنا ولكن لا مانع من الضغط السياسى، موضوع التعاون مع سوريا وبغداد يحتاج إلى اهتمام كامل، يجرون حساباتهم للتوفيق بين استراتيجيتهم العالمية وأغراضنا الإقليمية.. وهم يراعون ذلك بكل دقة فى إمدادنا بالسلاح حجما ونوعا.

فى تلك الأثناء كانت قواتنا تشتبك مع القوات الإسرائيلية شرق القناة.. توجعهم وتحدث فيهم الخسائر. وفى يوم ١٩٦٧/١٠/٢١ اتصل بى القائد العام: «المدمرة إيلات تعبث فى مياهنا الإقليمية شرق بور سعيد وقد قررنا الاشتباك معها».. لم يكن القرار سهلا فقد كان قرارا سياسيا قبل كل شىء... كانت هناك أسباب ملحة لضرب المدمرة: فهى غرض ثمين، زوارق الطوربيد جاهزة، القوات المسلحة والشعب المصرى والشعوب العربية فى حاجة إلى نصر يعيد الثقة إلى النفوس، والعالم كله يحتاج إلى أن يعرف أننا لم نصبح جثة هامدة وأن فى جعبتنا الكثير مما يمكن عمله... ولكن من ناحية أخرى ما رد فعل العدو؟ الفعل يتحدد دائما برد الفعل المنتظر، وقدرتنا الذاتية ما زالت هشة والصراع يدور بطريقة «البنج بنج» فعل ورد فعل، إغراق المدمرة سيوجعه وسيرد بقسوة. قد يضرب العدو إحدى المدن أو إحدى مناطقنا الصناعية أو معامل التكرير فى السويس... حدثت الرئيس بكل ذلك واتفق معى على ضرورة الاشتباك وأن العدو سيرد وأن الغرض ذا الأسبقية هو معامل تكرير البترول... اتصلت بشعراوى جمعة وزير الداخلية لتعزيز وحدات المطافئ بمنطقة السويس، وكذلك أمرت وحدات مطافئ القوات المسلحة بالوجود هناك. وقبيل الغروب انطلقت زوارق الطوربيد لتصيب المدمرة فى مقتل... وبدأ العدو اتصالاته عن طريق الصليب الأحمر لكى تبدأ عملية الإنقاذ على أضواء المشاعل التى أسقطتها الطائرات أو أطلقتها المدفعية لتنير المكان للمساعدة فى العملية التى استمرت طوال الليل... كان من رأيى جعل المنطقة مجزرة فلا نستمع إلى نداءات الصليب الأحمر. لم يوافق الرئيس على ذلك: «نحن سنتعرض لنفس الموقف باكر أو بعد باكر حينما يرد العدو على ضربتنا الموجعة»... وفعلا فى اليوم التالى ضرب العدو معامل التكرير واشتعلت فيها النيران. وبدأت معركة بين قوات المطافئ والنيران

المشتعلة وكنا على استعداد. وقد بذل هؤلاء الرجال جهودهم الجبارة فى صمت، وجرح من جرح واستشهد من استشهد، ولكنهم تمكنوا من حصار النيران ثم إطفائها بأقل خسائر ممكنة.. وبعد أيام كنت أوزع عليهم النياشين التى أنعم بها عليهم الرئيس، وجوائز أخرى مادية فى إحدى القاعات بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة دون طبل أو زمر.

فى نفس اليوم بدأنا التفكير فى ضربة مضادة... قلت إنها لعبة «بنج بنج»... الاختيار ضرب ميناء إيلات بأى ثمن. فإيلات بها فناطيس البترول أيضا، وبها السفن وبها ناس ومخازن، وفوق ذلك فهى غرض استراتيجى للعدو، وبذلك فالضربة موجعة. وأترك الحديث للفريق مدكور أبو العز عن هذه العملية حتى أبعد عن الحديث عن نفسى.. أنقله من الحلقة ١٦ من مذكراته التى نشرها فى جريدة الوفد.. «أصر القائد العام على تنفيذ العملية بواسطة القوات الجوية رغم تأكيد جميع الخطط الجوية بأنواع الطائرات المختلفة النتائج السلبية لها، وبأن الفشل الذريع متوقع لها فى كل مرحلة من مراحلها. كان ذلك فى اجتماع بمكتب القائد العام برئاسته، وبحضورى واللواء طلعت حسن على رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة واللواء طيار محمود بركة رئيس عمليات القوات الجوية وأحد ضباط المخابرات الحربية (يقصد اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية) لبحث القيام بالعملية الجوية التى نحن بصددها. ولما كنت متأكدا من النتائج الوخيمة التى تترتب على القيام بهذه العملية، وجدت نفسى فى موقف صعب بين عدم التنفيذ والتنفيذ. ولم أشأ أن أصعِّد الموقف وقمت بتنفيذ الأمر رغما عنى، على أن أقدم له الاعتراض كتابة مع الاستقالة المسببة وهذا أضعف الإيمان. فأصدرت بدورى الأوامر إلى الوحدة المختصة للاستعداد لحين صدور الأمر بالتنفيذ. وقبل نهاية الاجتماع دخل علينا أمين هويدى وزير الحربية وسأل عما استقر عليه الأمر، فرد القائد العام بأننا قررنا تنفيذ العملية الجوية وكلفنى بشرح العملية للوزير. فبدأت حديثى بأننى لم أوافق على تنفيذ العملية ولم يوافق أحد المجتمعين عليها، وأوضحت الأخطار التى تتعرض لها ونتائجها الوخيمة التى توقعناها. وفى هدوء يتصف به أمين هويدى شرح الظروف، وانتهى إلى إرجاء تنفيذ العملية لتنفذ بوسيلة أخرى فى الوقت المناسب. وكان من غير المعقول أن أسمع من القائد العام قوله للوزير: تعرف يا سيادة الوزير أن هذا الرأى هو أحسن رأى!!.. وبعد دقائق اتصل الرئيس عبد الناصر بالقائد العام،

فقال له إن الفريق أبو العز من رأيه الضرب» .. ثم علق الفريق مدكور على ذلك بما عنّ له من تعليقات ... النظرة السياسية لا غنى عنها إطلاقا فى إدارة العمليات الحربية، إذ لم يكن موقفنا فى تلك الفترة يحتمل تصعيد الموقف والتصدى لعمليات كبيرة.

واستقر الرأى على ضرب ميناء إيلات بعملية يقوم بها رجال الضفادع البشرية، وكلفت المخابرات الحربية بالإعداد لها وتنفيذها... فالحرب تعتمد فى جوهرها على وسائل نقل تنقل المواد المتفجرة إلى الهدف. فالطائرة والصاروخ والمدفع والهاون والبندقية والفرد، كلها وسائل نقل تنقل المواد المتفجرة إلى الغرض الذى نريد تدميره... وبعد أسابيع نفذت العملية من ميناء العقبة الأردنى دون علم السلطات الأردنية. وقد سجلت العملية بعد ذلك فى شريط سينمائى يؤكد الأعمال المجيدة للعسكرية المصرية.

كان نجاح هذه العملية هو الخبر الأخير الذى أنقله إلى الرئيس جمال عبد الناصر بعد أن تقرر تركى لمسئولياتى كوزير للحربية والاكتفاء بإشرافى على المخابرات العامة... وكان هذا أعظم احتفال يقام فى مثل هذه المناسبات... إذ تنتهى مسئولياتى باحتفال يقام فى ميناء إيلات حيث النيران مشتعلة فى فناطيس البترول، وحيث عدد من القطع البحرية يغرق فى المياه وحيث تصبح أطقمها طعاما للحيتان... ما أروعه من تكريم لرجل يترك مسئوليات خطيرة للتفرغ إلى مسئوليات أخطر.

وشهدت نهاية عام ١٩٦٧ تحولا إيجابيا فى إعادة بناء القوات المسلحة، فارتفعت نسبة صلاحية الطائرات فى القوات الجوية إلى٨٦٪ من المقاتلات القاذفة، ٨٧٪ من المقاتلات، ٩٣٪ من القاذفات، ٢٨٪ من الطائرات «تى يو ١٦»، ٨٠٪ من طائرات المواصلات... لكن كانت النسبة أقل من ذلك فى الطائرات الهليكوبتر إذ بلغت ١٦٪ من طائرات «سى ١»، ٣٣٪ من طائرات «سى ٦»، ٩٠٪ من طائرات «سى ٤»، ١٠٠٪ من طائرات «سى ٨».

كما تم استكمال الدشم فى المطارات الموجودة، وأنشئ عدد آخر من المطارات وأراضى الهبوط الجديدة، كما تم إلغاء عدد من المطارات تبعا لخطط العمليات.

أما القوات البحرية فقد بلغت نسبة الصلاحية ٥٠٪ للمدمرات، ٢٥٪ للغواصات، ٦٦٪ لزوارق الصواريخ، ٢٦٪ لزوارق الطوربيد، ٨٧٪ للكاسحات، ٣٣٪ للقناصات.

كما بدئ فى تقسيم المنطقة الدفاعية فى منطقة القناة إلى جيشين بدلا من جيش واحد كان يقوده اللواء أحمد إسماعيل على، وأوكل أمر الجيش الآخر بعد تقسيم المنطقة إلى اللواء عبدالقادر حسن، وذلك لتسهيل السيطرة... وتمت معظم أعمال إقامة الدشم ونقط الملاحظة، واستكملت خطوط الفتح للهجمات المضادة، وتم إنشاء حقول ألغام فى النطاق الدفاعى الأول بها ٩٥٠٠٠ لغم مضاد للدبابات، ١٢٥٠٠ لغم مضاد للأفراد، ٤٠٠٠ لغم مائى... كما أوشك إتمام خط الدفاع الثانى على محورى القاهرة ـ السويس والقاهرة ـ الإسماعيلية.. مع تشوين ٣٤٠٠٠ لغم على المحور الأول،٣٠٠٠٠ لغم على المحور الثانى، علاوة على ١٣٠٠٠ لغم على محور الصالحية.

وبناء على طلبى رفع لى الفريق عبد المنعم رياض تقريرا فى ١٩٦٧/١٢/٣١ عن الحالة الحقيقية لخطتنا الدفاعية، أرى ـ للتاريخ ـ ذكر بعض فقراته:

«إن المنطقة الدفاعية رغم تطورها إلا أن الدفاع ما زال خطيا وضعيفا ينقصه خفة الحركة، ولا توجد حملة كافية أو جنازير او عربات BTR، ولا تزيد كفاءة القوات فى الجبهة على ٥٠٪. ويمكن أن نحد من العجز القائم بعد تعزيز قطع المدفعية والدبابات. وقد تزيد الكفاءة إلى ٦٠- ٨٠٪ بعد إتمام إخلاء قواتنا فى اليمن ووصول الأسلحة التى اتفقتم عليها مع الاتحاد السوفيتى فى زيارتكم الأخيرة». ثم عبر الفريق رياض عن قلقه «بخصوص الدفاع الجوى، فهو غير منظم والقائمون عليه تنقصهم الخبرة والمعرفة، كما تفتقر الوحدات إلى الضبط والربط، ولذلك يجب فصله عن القوات الجوية وإنشاء قيادة منفصلة له». ويستطرد: «قسمت المنطقة الدفاعية إلى قطاعين: قطاع الجيش الثالث وقطاع الجيش الثانى. وتولى قيادة الجيش الثانى اللواء أحمد إسماعيل ورئاسته فى القصاصين، ويضم الفرقة ٢ مشاة والفرقة ٣ مشاة واللواء ٣ المستقل فى بورسعيد، والمجموعة الأولى المدرعة من اللواءات ١٥،١٤،١ مدرع فى منطقة المثلث بين طريقى الإسماعيلية الزراعى والصحراوى، ولواء جزائرى وكتيبة عراقية وأخرى كويتية، و٣ كتائب صاعقة. أما الجيش الثالث فيقوده اللواء عبد القادر حسن ورئاسته فى شمال غرب جبل عويبد، ويضم الفرقتين ٧،٦ المشاة واللواء ١٣٤ من الفرقة ١٨ مشاة والفرقة ٤ المدرعة، وكتيبة سودانية، وكتيبة مظلات. كما تتكون المنطقة المركزية من الفرقتين ٨، ١٩ مشاة واللواء ١٨ مشاة فى الإسكندرية».

تقرير صريح وأمين ليس على نسق الطريقة التى كان معمولا بها من قبل «كله تمام يافندم» ... أشعرنى بالرضا– ولا أقول الاطمئنان– وأنا أقارن الحالة التى كنا عليها يوم أن عينت وزيرا للحربية بالحالة التى وصلنا إليها الآن قبل أن أترك المنصب بأسابيع.

موضوع خفة الحركة الذى كان يقلق الفريق رياض كان موضوعا عسكريا له خلفية سياسية. فقد كان حقيقة واقعة تردد السوفيت فى معالجته، خوفا من أن يدفعنا ذلك إلى القيام بعمليات تعرضية قبل استكمال إعادة بناء القوات المسلحة... كانوا يعملون لذلك ألف حساب لأن أى رد فعل عليهم فى حالة فشل هذه العمليات سيكون سلبيا على «الترويكا» الحاكمة فى موسكو... وقد أثرت هذا الموضوع مع كل من الماريشال جريتشكو والماريشال زاخاروف فى زيارتى لموسكو فى نوفمبر ١٩٦٧ كما سبق أن ذكرت، وفى اجتماعى معهما كل على انفراد فى ١٩٦٧/١١/١٠... كان مع الماريشال جريتشكو الجنرال راجاييف مساعد وزير الدفاع، واللواء خاسيلوف مدير العلاقات الخارجية بوزارة الدفاع– كنت قد طلبت أن يكون الاجتماع ضيقا على غير عادة السوفيت– وحضر معى اللواء محمد رفعت حسنين مدير مكتبى، واللواء أحمد فتحى عبد الغنى المستشار الصناعى الحربى بموسكو، قلت: «لقد آن الأوان أن نضيف خطوات جديدة فى مجال خفة الحركة وزيادة قوة النيران وكذلك القدرة على الردع ووسائل السيطرة، وكلما أمكنكم مساعدتنا فى زيادة قدراتنا فى هذه المجالات بالتسليح المناسب زادت الفرصة للوصول إلى حل سلمى من مركز القوة. ودفاعنا الآن يحتاج إلى خفة الحركة لمواجهة أى احتمالات يقوم بها العدو لعبور القناة بالمظلات أو الهليكوبتر، كما يحتاج إلى قوة النيران لتوقيع أكبر خسائر ممكنة به، وإلى وسائل سيطرة تكفى لمواجهة دفاعية عرضها ١٥٠ كم. ولقد بدأ العدو بضرب أهدافنا المدنية بعد أن أغرقنا له إيلات، ونحن لا نملك قدرة انتقامية، فإذا شعر العدو بقدرتنا على العقاب وضرب مواقعهم المدنية فإنهم لن يجرءوا على ذلك... فعندما ضربنا لهم إيلات ضربوا معامل التكرير فى السويس، وعندما ضربناهم فى مواقعهم شرق القناة ضربوا السويس والإسماعيلية... ثم طائراتهم عندها حرية التحرك ونحن نقاومها بما تيسر لنا من وسائل مضادة مثل الدخان والبالونات، وهم يقتربون من أغراضنا على ارتفاعات منخفضة لا تزيد على ٥٠٠ متر و راداراتنا المتاحة لا تكشفهم على هذا الارتفاع».

والموضوع واسع والذكريات كثيرة تنقلني إلى جانب آخر من الاستعدادات... فقد اتخذ مجلس الوزراء برئاسة المهندس محمد صدقى سليمان فى جلسة بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٢ قرارات كثيرة منها: المعركة طويلة وهى معركة سياسية واقتصادية وعسكرية، ضرورة الاهتمام بالجبهة الداخلية، ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى، بناء القوات المسلحة وتحديد المجهود المدنى والقطاع العام لمساندة ذلك، إنشاء المقاومة الشعبية، زيادة ساعات العمل فى كافة الأجهزة، إلغاء الإجازات السنوية، تنازل العمال عن أرباحهم السنوية كذلك العلاوات- وقد تقدم العمال بذلك طواعية، تنازل الوزراء عن بدلات التمثيل المحدودة، الاهتمام بمقاومة دودة القطن.

وشكلت لجنة وزارية لإعداد الدولة للحرب. وكانت هذه اللجنة - وكنت أداوم على حضورها- تجتمع بصفة دورية. ولمواجهة قلة عدد الموانى وكذلك لفصل ملاحتنا فى البحرين المتوسط والأحمر بعد إغراقنا الموانع فى قناة السويس لغلقها فى وجه الملاحة العالمية، قررت اللجنة بناء احتياطى استراتيجى من المواد الاستراتيجية اللازمة للإعاشة ولتشغيل المصانع والأدوية، وتقرر إعداد ميناءى مطروح و«أبوقير» على البحر المتوسط، وميناء سفاجا على البحر الأحمر للشحن والتفريغ. وكان من أهم الإجراءات التى قامت بها اللجنة فك المصانع الموجودة فى منطقة القناة ونقلها إلى الخلف لإعادة تركيبها... فنقلت معامل تكرير البترول ومصانع السماد والورق بمنطقة السويس والزيتية والأدبية، والمصانع الموجودة بمنطقة الإسماعيلية، وورش هيئة قناة السويس فى الإسماعيلية وبورسعيد إلى الخلف ... وتم تشغيلها جميعا فى أماكنها الجديدة بنفس طاقتها الإنتاجية السابقة، مما وفر ملايين الجنيهات فى صورة معدات تم إنقاذها من التدمير المحقق، وفى صورة إنتاج للاستهلاك المحلى والتصدير. كما تم إنشاء العديد من الطرق العرضية التى توصل داخل البلاد بالجبهة كذلك خطوط المياه والتليفونات التى تحتاجها خطة العمليات، وتم تهجير بعض سكان القناة واستيعابهم فى مختلف القرى والمدن.

وكان تدبير الموارد المالية اللازمة للمجهود الحربى مع تقدير الظروف التى تمر بها البلاد أمرا شاقا. فالميزانية هى الوسيلة الفعالة التى يسيطر بها وزير الحربية على أفرع القوات المسلحة، وهى تترجم بناء الوحدات وخطط العمليات وإدارتها ترجمة

رقمية، وعن طريقها يمكن تحقيق التوازن المطلوب بين الأفرع الأربعة للقوات المسلحة. وقد خصصت ميزانية خاصة لنفقات الدفاع الجارية يتم الإنفاق منها بواسطة وزير الحربية: فعلى سبيل المثال كان يلزم لتدعيم المطارات القائمة وتحصيناتها ٢٦٧٨٠٠٠ جنيه، وخصصت للإنشاءات الجديدة من مطارات وممرات وأراضى هبوط يتحتم إقامتها حتى نوفمبر ١٩٦٧ اعتمادات قدرها ٤٩٤٥٠٠٠ جنيه، كما تم التصديق على إنشاءات جديدة للقوات الجوية بنحو ٩ ملايين جنيه. وكان عدد الدشم التى كان من المحتم إنشاؤها حتى منتصف أغسطس ١٠٠ دشمة.. والشىء اللافت للنظر أن بناء الدشمة كان يتكلف ٥٠٠٠ جنيه. كان يمكن تدبير الاعتماد اللازم لبناء ما تحتاجه القوات الجوية وتدبير قطع غيار فى حدود ٧,٥ مليون جنيه، وكان مطلوبا إنشاء ٣ فرق مشاة جديدة تحتاج إلى ٤٥٠٠ ضابط يتدربون لمدة عامين بتكلفة ٦٦ مليون جنيه... ثم تكلفة قانون تجنيد ذوى المؤهلات لرفع مستوى الأفراد ليتناسب مع تعقيدات المعدات... ثم كانت هناك ضرورة لوضع سياسة خاصة بإنتاج مصانع وورش القوات المسلحة مثل مصانع الأحذية والملبوسات والأثاثات والخيام والسروجية والمظلات وأغطية الرأس، وكذلك مصانع العبوات الفارغة «الجيركانات» وورش المهمات والإصلاح... مع العمل على زيادة ساعات العمل لتتماشى مع الزيادة المطلوبة فى الإنتاج. وعلى سبيل المثال، فقد زاد إنتاج ورش المعادى ٣٣٪ بزيادة ساعتى عمل فى اليوم. وكنت قد أصدرت قرارا بزيادة ساعات العمل زيادات متفاوتة فى كل المناطق حسب الإنتاج المطلوب.

ولا شك أن قرارات مؤتمر الخرطوم فى نهاية أغسطس ١٩٦٧ وتخصيصه المساعدات السخية لمصر كان عاملا مساعدا لمواجهة التحديات المالية التى كنا نواجهها، خاصة مع فقدنا إيرادات قناة السويس بعد إغلاقها، وبترول آبار سيناء بعد استيلاء العدو عليها.

ووسط الحاجة الملحة لإعادة تسليح قواتنا، كان تطلعى إلى الاستفادة من الطاقة المتوفرة لمصانعنا الحربية التى أنشأتها الثورة وعززتها فى الخمسينيات وأوائل الستينيات، والتى كانت تعمل وقتئذ تحت إدارة المهندس عبد الوهاب البشرى وزير الإنتاج الحربى وزملائه الممتازين... ولكن فى عام ١٩٦٧ كانت المصانع الحربية تعانى تراجعا كاملا فى إنتاج المعدات الحربية، وركزت على الإنتاج المدنى. وكان من الطبيعى أن نعقد اجتماعات مشتركة بين وزارتى الحربية والإنتاج الحربى برئاسة الوزيرين



□ مع إنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند □

لتقدم المصانع ما يمكنها إنتاجه بعد حل مشكلة العملة الصعبة، واتخذت عدة قرارات توافقت مع الظروف القائمة ورغبات المستخدم الذى هو القوات المسلحة. واتفق على إيقاف إنتاج طائرة التدريب HA٢٠٠ والتى تستخدم فى وقت الضرورة كطائرة معاونة للقوات الجوية، لأن القوات الجوية رفضت الطائرة رفضا باتا، وكذلك الحال مع الطائرة HA٣٠٠ وكانت إنتاجا مشتركا مع الهند- وذلك للضغوط الطاحنة التى كانت تعانيها الميزانية خاصة فى العملة الصعبة. وفرضت الظروف التركيز على إنتاج الذخيرة بأنواعها تبعا لأسبقية احتياجات القوات المسلحة... لم تكن إجراءات إلغاء ولكنها كانت إجراءات توقف لإنتاج الأهم بالنسبة للظروف القائمة.

وتركز اهتمامى فى تلك الفترة العصيبة على ضرورة حشد الجهود العلمية لخدمة مجهودنا الحربى. وصدر قرار جمهورى بإنشاء هيئة بحوث القوات المسلحة برئاسة

الدكتور صلاح هدايت وزير البحث العلمى السابق، واهتمت الهيئة بعدة موضوعات أهمها: مواجهة عمليات التشويش والتداخلات التى يقوم بها العدو على وسائل اتصالاتنا السلكية واللاسلكية، تصنيع بالونات للدفاع عن القواعد الجوية ضد الطيران الواطئ، إدخال عدسات خاصة على كاميرات الاستطلاع والتصوير الجوى، محاولة إجراء عمليات العمرة للصواريخ المضادة للطائرات للتغلب على مشكلة بقائها مدة طويلة فى ورش الاتحاد السوفيتى، تطوير الأسمنت سريع الشك لاستخدامه فى إصلاح ممرات المطارات، زيادة مدى الطائرات عن طريق استبدال عدد من الصواريخ التى تحملها الطائرات بخزانات وقود إضافية.

وقد حشد الدكتور هدايت بطارية من خيرة علمائنا ليبذلوا جهودا خارقة تذكر لهم بكل امتنان وتقدير وعرفان، خاصة إذا كانت جهودا عن طريق التطوع.

وطارت البالونات فعلا فى سماء القاهرة تمهيدا لتعميمها فى أجواء بعض المناطق. وتمت تجربة ناجحة ودقيقة حضرتها فى مطار أنشاص على زيادة مدى طائرة ودقة تصويبها بعد إدخال التعديلات عليها، مما كان محل دهشة من الخبراء السوفيت الذين لم يعلموا شيئا عن هذه التجارب.

وبعد تركى الوزارة بأسابيع قليلة ألغيت الهيئة، واستغنى عن خدمات رئيسها يرحمه الله. أما البطارية التى كان يقودها فقد سكتت هى الأخرى عن الحركة... لماذا؟ لا أعرف.

لم تحل مشكلة اختصاصات وزير الحربية... فقد كان للرئيس حساباته التى تغلِّب مشكلة الأمن الذاتى، بطريقة تخالف حساباتى تماما... فلم يفصل الرئيس فى المذكرة التى قدمتها له بتصوراتى لعلاج الأمور، فامتنعت عن الذهاب إلى مكتبى فى وزارة الحربية لأعمل من مكتبى فى المخابرات العامة. وحضر الفريق فوزى وكذلك الفريق رياض ليقنعانى باستئناف العمل ولم تكن هذه هى المشكلة.. فالمشكلة كانت ماذا أعمل؟ وكيف أعمل؟ فاتح الرئيس السيد زكريا محيى الدين ليكون وزيرا للحربية فاعتذر.. «وما المفروض أن أفعله ولم يفعله أمين هويدى».

فى يوم ١٩٦٨/١/١٠ استدعانى الرئيس لمقابلته وكان قد حزم أمره أخيرا، وأخبرنى أن قراره قد استقر على تعيين الفريق فوزى وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات

المسلحة – جاء ذلك فى أعقاب إلحاحى المستمر على الرئيس أن يعفينى من الاستمرار فى منصب ظلت اختصاصاته باهتة لفترة طويلة – فقلت له بالإنجليزية: «He is not the right man in the right place» («رجل غير مناسب فى المكان المناسب»)، فقال: أنا لا أريد أن أحدث رجة فى القوات المسلحة، وانتوى إحكام قبضتى عليها... وعلىّ أن أكون كما كان الحال من قبل وزيرا للدولة ومشرفا على المخابرات العامة.

وفى يوم ١٩٦٨/١/٢٤ اتصل بى سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات من مكتب عبد المحسن أبو النور، وكان معهما شعراوى جمعة، ليخبرنى أن الرئيس أمر بإجراء عدة تعديلات ستذاع بعد قليل: على صبرى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى، عبد المحسن أبو النور وزيرا للإدارة المحلية، أمين هويدى وزيرا للدولة، ومحمد فوزى وزيرا للحربية. كان التعديل عودا على بدء.. فيما عدا التعديل الخطير بأن يجمع فرد واحد مسئوليته السياسية وهى منصب وزير الحربية، ومسئوليته العسكرية وهى منصب القائد العام. من مسئول أمام من؟ تركيز المسئوليتين بموجب القانون جعل سعد الشاذلى أيام كان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة يذكر فى كتابه «*حرب أكتوبر*» ما يلى: «حينما حدث بينى وبين الفريق محمد صادق وزير الحربية والقائد العام خلاف على اختصاصاته (حينما شعر الشاذلى أنه يقوم بأعمال مجرد مدير مكتب وليس رئيسا للأركان) أخرج الوزير من مكتبه القرار الجمهورى الذى استصدره سلفه الفريق فوزى، وقال لى: اتفضل وأقرأ هذا القرار وأنت تعرف أننى أعمل فى حدود سلطاتى. لقد كان القرار غامضا فى بعض النواحى، ولكنه كان يعطى سلطات واسعة للقائد العام الذى قام هو نفسه بتحريره والتصديق عليه من الرئيس دون دراسته من الأجهزة الفنية، وهذا أحد الدروس التى ننقلها من الماضى... فعندما يكون شخص ما فى السلطة فإنه يقوم باستصدار قرار جمهورى يخدم أغراضه ويقنن تصرفاته. ولإصلاح هذا الوضع دعوت لجنة لدراسة الموضوع... وكان رأى الجميع دون استثناء هو أن تكون هناك شخصية سياسية هى شخصية وزير الحربية لاتخاذ القرار السياسى والاستراتيجى، أما القرارات الأخرى بما فى ذلك إدارة العمليات والسيطرة والإدارة اليومية فإنها تكون من اختصاص وظيفة عسكرية هى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة. وعرضت هذه القرارات على الوزير فرفضها.»

أقرأ من كتاب موشيه دايان «*قصة حياتى*» صفحة ١١٢ .. «فى دولة ديمقراطية كإسرائيل تخضع القوات للسيطرة الكاملة للحكومة المدنية من خلال وزير الدفاع، ولكن سلطة الوزير لا تتعدى القرارات الخاصة بالسياسة إلى قرارات العمليات. فعلى سبيل المثال، فالحكومة – وعادة من خلال وزير الدفاع – تعطى أوامر باختراق الحدود اللبنانية، كما يمكننى بصفتى وزيرا للدفاع إعطاء الأوامر بضرب القواعد بالقرب من دمشق، ولكن ليس فى استطاعتى أن أجبر الجيش كيف ينفذ ذلك– ولو أنه يمكن إبداء وجهة نظرى– إذ أن ناحية العمليات اختصاص رئيس الأركان. ووزير الدفاع هو القائد السياسى للمؤسسة العسكرية، وهو ليس رئيسا للأركان أو رئيسا أكبر لرئيس الأركان... حتى لو كان يتمتع بالمعرفة الفنية فإنه يفتقر إلى السلطة الفنية أو أدواتها، فالسلطة الفنية هى لهيئة الأركان لقوة الدفاع الوطنية، يرأسها رئيس الأركان وله مساعدون عسكريون عليهم التخطيط أو رفضه أو التصديق على الاقتراحات العسكرية وجعلها قابلة للتنفيذ».

حينما تولى أحد رؤساء الولايات المتحدة وهو الرئيس هاردنج الرئاسة ودخل البيت الأبيض قال:«يا إلهى ما أسوأها وظيفة».. ولما تخففت من مسئولياتى كوزير للحربية قلت: «الحمد لله ما أثقلها من مسئولية»... تجربة مررت بها ولن تتكرر، وكان الله فى عون من يحملون مسئوليتها... فما أثقلها خصوصا إذا كان من يشغلها يتحرك فى مساحة ليس لها حدود.

وبمناسبة المسئوليات الثقال، أذكر أن الرئيس عبد الناصر فاجأنى ذات يوم وهو يجرى أحد التعديلات الوزارية بإضافة أعباء وزارة الدولة لشئون الأزهر إلى مسئوليات أخرى كنت أنوء بحملها... المجال جديد بالنسبة لى مما جعلنى أتهيب من ولوجه وكاشفت الرئيس بذلك... ولكنه لكى يشجعنى على قبول المغامرة ذكر لى «إن المنصب يكاد يكون شرفيا، فرجال الأزهر أدرى بشعابه... واجب الوزير الأساسى إعفاء شيخ الأزهر من الأعمال التى قد تعرضه للحرج العام، حفاظا على هيبة المنصب وجلاله... ويا أمين الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها.» ...الكلام لم يزل التهيب من نفسى، خاصة وأنا أعلم أن أغلب المسئولين الأزهريين لا يرحبون بوجود دخيل بينهم. كانت لى تجربة سابقة حينما رشحت الدكتور حلمى مراد – وكان وقتها وكيلا لجامعة القاهرة – ليعمل مديرا لجامعة الأزهر. ورفض الرئيس ذلك فالجامعة أزهرية لا بد أن يتولى شئونها أحد

الأزهريين، وبدلا من ذلك عين حلمى مراد وزيرا للتربية والتعليم، وتولى الشيخ أ.ح الباقورى(*) منصب مدير الجامعة الأزهرية.

وبينى وبين نفسى قررت حساب خطواتى مع تجنب المواجهة مع القضايا الشائكة قدر الإمكان، إلا أن الشيخ عبد الله عيسى مدير المعاهد الأزهرية - وعمل بعد ذلك شيخا للأزهر - فاجأنى بقضية حساسة وعاجلة كان لا بد من مواجهتها... كان قلق الشيخ عظيما من انصراف الطلبة عن المعاهد الأزهرية رغم تعدد مبانيها، لدرجة خلو بعضها من الطلبة وكثرة الأعداد التى تتحول من التعليم الأزهرى إلى التعليم العام... وتبين أن السبب فى ذلك يرجع إلى وجود سنتين إضافيتين فى السلم التعليمى الأزهرى لا يوجد مثلهما فى السلم التعليمى العام، إلى جانب أسباب أخرى كثيرة. وبعد محاولات معقدة فشلت فى التغلب على المشكلة لأسباب كثيرة، كان أهمها المقاومة العنيدة للمسئولين فى الأزهر، وعدم رغبتهم فى إثارة المشاكل. ووجدت لزاما علىَّ مواجهة المشكلة فأوعزت إلى عضوين فى مجلس الأمة بإثارة الموضوع على شكل طلب إحاطة يطلبون عنه ردا... طلبت ردا على طلب الإحاطة من المسئولين، وحينما احتاروا فى ذلك طلبوا منى نفى وجود المشكلة أصلا. وفى مواجهتى للمجلس أبديت قلقى من وجود المشكلة، وكلفت بوضع سياسة للعلاج بالتعاون مع اللجنة المختصة فى المجلس... ووضعت الخطة المقترحة وعرضتها على مؤتمر موسع من المسئولين بالأزهر، ومن بعض المهتمين بشئونه، وكذلك من بعض الوزراء ذوى العلاقة. اعترض أغلب الحاضرين على الخطة المقترحة على أساس «عدم وجود أى مشكلة».. وأنه «ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن».. وأن «مشاكل الأزهر لا يمكن لغير الأزهريين التصدى لها.. فدعوا الأزهر لرجاله». ووضعت أنا والوزراء فى زاوية حرجة، ولكنى ختمت المؤتمر بسؤال واحد: « ومن منكم يعلم أولاده فى المعاهد والكليات الأزهرية؟».. لم يكن هناك واحد يفعل ذلك. وتساءلت «عن السبب»، ولم يكن هناك إجابة... وهنا قررت السير فى تنفيذ السياسة المقترحة بعد أن انضم كثيرون من المعترضين إلى جانب التأييد...

(*) عين الشيخ الباقورى وزيرا للأوقاف بعد قيام الثورة، وكان كل قادة الثورة من الضباط يحملون لقب أركان الحرب واختصاره أ.ح، وكان اسم شيخنا أحمد حسن الباقورى فاختصره إلى أ.ح الباقورى.

ما زلت أعتقد أنه إذا كان التعليم فى مصر يحتاج إلى ثورة، فإن التعليم الأزهرى لا يستثنى من ذلك، خاصة والدولة لا تبخل...

أذكر أيضا أن جامعة الأزهر أضافت إلى كلياتها التقليدية: وهى كلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين، وكلية الشريعة، بعض الكليات الحديثة فى وجه معارضة من المحافظين.. كان من بين الكليات الحديثة كلية الطب ولم يكن لها مستشفى تعليمى، وكان مستشفى الحسين قد تم بناؤه وكان يتبع وزارة الصحة. وفشلت محاولاتى مع وزير الصحة الدكتور نبوى المهندس لتخصيص مستشفى الحسين كمستشفى تعليمى لكلية الطب فى جامعة الأزهر.. وانتهزت فرصة احتفال أقامته جامعة الأزهر لمنح الرئيس الموريتانى «ولد دادا» الدكتوراه الفخرية،وحضور الرئيس عبد الناصر ذلك الحفل، واقترحت على سيادته أن يوافق على ضم المستشفى بهذه المناسبة، فوافق دون تردد بعد مناقشة قصيرة مع وزير الصحة. وعقب الاحتفال صرحت لمندوبى أجهزة الإعلام والصحافة بموافقة الرئيس، وبالفعل ضم مستشفى الحسين إلى الجامعة الأزهرية مباشرة بعد ذلك.

الفصل الثامن

المشير عامر يعلن العصيان
ثم ينتحر بعد ليلة عصيبة

مر على الليلة العصيبة التى سوف نتحدث عنها أكثر من ٣٥ عاما بالتمام والكمال. كانت الليلة ليلة ٢٥/٢٦ أغسطس ١٩٦٧ وفيها تم نزع سلطات المشير عبد الحكيم عامر وزالت عنه كل صفاته الرسمية، ولم يكن تنفيذ ذلك بالأمر السهل عن طريق إجراءات عادية، خاصة بعد النكسة الخطيرة التى حلت بالبلاد والتى تسببت فيها القيادة العسكرية وعلى رأسها القائد العام للقوات المسلحة الذى هو المشير عامر. كانت الهزيمة وحدها كافية أن تسهل أمر إبعاده وتنحيته، ولكن لم يقبل المشير عامر – حتى والآلاف من أفراد القوات المسلحة يذبحون ويؤسرون فى سيناء أو يموتون عطشا – أن يتخلى عن منصب قيادة القوات المسلحة، بل لم يقنع بمنصب نائب رئيس الجمهورية الذى عرضه عليه عبد الناصر فى ذلك الوقت. بل أصر رغما عن كل شىء أن يظل محتفظا بكافة مناصبه وسلطاته، معتمدا فى ذلك على أفراد قيادته العسكرية الذين ساندوه دوما فى اعتداءاته المتكررة على السلطة الشرعية قبل النكسة، والذين أصبحوا معه فى سفينة واحدة بعد النكسة إن تركها قائدها غرقت بمن فيها وحينئذ يصبح وضعهم فى قفص الاتهام سهلا ميسرا. فالخوف من المصير جعلهم يتكتلون وراءه مما جعله يتصلب فى موقفه ويعلن العصيان.

وبالرغم من أن القوات المسلحة فقدت كل شىء فى سيناء إلا أنه جمع أعوانه من الضباط فى منزله بالجيزة لا يغادرونه ليل نهار، بل شدد وكثف الحراسة على هذا المنزل «بحرس خاص» تكون من وحدات الشرطة العسكرية والعربات المصفحة، كما أحضر من بلدته «أسطال» بمحافظة المنيا أكثر من ٣٠٠ فرد مدنى معظمهم من الفلاحين لتعزيز الحراسة على منزله. وبدأ هؤلاء فى تحصين المنزل بشكائر الرمل وإقامة المزاغل وسد الطرق الموصلة إلى المنزل. وأصبح المكان بمن فيه «ورما» خارجا

على الشرعية القائمة. والأخطر من ذلك أن الغالبية العظمى من وحدات وأفراد القوات المسلحة كانت متعاطفة معه ... وأذكر بعد تعيينى وزيرا للحربية بعد النكسة كيف كانت صور المشير عامر معلقة فى الوحدات رغم زوال سلطاته الرسمية عنه، ولم تكن أى سلطة فى البلاد بقادرة حينئذ على أن تعطى الأوامر بإزاحة صورة الرجل الذى لم يعد له صفة رسمية توجب استمرارها فى أماكنها ... كما أذكر أنه فى أول مؤتمر للقادة الكبار عقدته فى مكتبى بحضور الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، والفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان الحرب، أننى كنت أعطى تعليماتى بخصوص موضوعات على جانب كبير من الخطورة: الموقف الراهن، إجراءاتنا فى المدى القريب، التسليح، إعادة تنظيم القوات، أوضاعنا فى اليمن، علاقاتنا العربية ... أقول وسط كل هذه الموضوعات الخطيرة تساءل أحد القادة الكبار عما إذا كان «من الممكن تلقى توجيهات بخصوص استمرار وضع صورة المشير فى الوحدات؟!» كان الرجل وهو يوجه سؤاله يعلم تماما حساسية ما يطلب الإجابة عنه. ولم يكن من السهل فى ذلك الوقت معرفة الموطئ الصحيح للقدم ... تظاهرت بالغضب وأجبت : «يا أخى نحن نتكلم عن هذه الموضوعات الخطيرة ثم يأتى سؤالك عن هذا الموضوع الفرعى ؟!» كتب لى عبد المنعم رياض على ورقة صغيرة دفعها لى «الحمد لله لقد تخطينا أول حفرة».

وأحب أن أحدد موقفى من البداية. فإننى أعترف أننى لست ملما بتفاصيل العلاقة المعقدة التى كانت بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر، ولذلك فلن أخوض فيها إلا بالقدر الذى أعلمه تمام العلم. ولكن يمكننى – وبكل ثقة – أن أتحدث عن تلك الليلة العصيبة بتفاصيلها لأننى كنت، مع آخرين، شهودا على أحداثها بل مشاركين فى صنعها. هؤلاء المشاركون لم يكونوا «جماعة واحدة أو شلة متضامنة»، ولكنهم كانوا جميعا ممن يعملون مع عبد الناصر والذين كانت تربطهم به علاقة العمل أو الحب والولاء أو الإيمان بمبادئه. أقول هذا بالرغم من أن كثرة من المشاركين حوكموا بعد ذلك فيما سمى «بأحداث مايو ١٩٧١»، والذين أطلق عليهم «مراكز القوى» ... وبالرغم من أن هذا حدث لهؤلاء فإنهم لم تضمهم «جماعة أو شلة واحدة» بل كانوا على الأصح متناقضين، ولعل هذا التناقض هو الذى جعل هذه الجماعة تصبح فريسة سهلة للجانب

المتربص الذى كان يعرف تماما حقيقة العلاقات القائمة بين هؤلاء، فاستغل ذلك بذكاء فى القيام بالثورة المضادة على مبادئ عبد الناصر.

وبالرغم من ذلك كان هناك دافع مشترك بينهم للمشاركة فى أحداث تلك الليلة، فقد هالهم الموقف الذى أصبحت فيه البلاد بعد النكسة مما كان يحتم تصحيح المسار، ولم يكن هذا ممكنا إلا بتنحى عامر عن السلطة أو على أقل تقدير إبعاده عن القوات المسلحة. ولم يكن هناك لتنفيذ ذلك إلا طريقان : طريق الشرعية بأن ينفذ عامر قرار القيادة السياسية بأن يترك قيادة القوات المسلحة، ولكنه أبى ورفض، وإزاء ذلك لم يكن هناك إلا الطريق الآخر وهو استخدام القوة لإعادة الشرعية لممارسة سلطاتها بالطريقة السليمة.

يمكن أن يقال إن الخطوة التمهيدية لهذه الليلة العصيبة التى تم فيها إبعاد المشير تمت يوم ١٩٦٧/٦/١١ وفى مكتب السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات. دخلت عليه ظهرا فى مكتبه والانكسار يثقل أكتافنا من هول ما نحن فيه ... العدو على الشاطئ الشرقى للقناة التى تعطلت فيها الملاحة من جديد، وخسرنا سيناء والضفة الغربية وغزة والقدس والجولان، والآلاف من الضباط والجنود يواجهون مصيرهم دون أن يتمكن أحد من تقديم المعونة لهم ... الجيش أصبح دون سيطرة عليه وبعض جنوده يهيمون فى الشوارع بملابسهم الرثة، وعيونهم الزائغة، وحينما يتعبون يلقون بأنفسهم فى الحدائق بالمئات. والبعض الآخر استقل القطارات أو وسائل النقل الأخرى إلى بلادهم التى أتوا منها. والأعزاء الآخرون يقتلون ويؤسرون فى سيناء. لقد فقدنا كل شىء ...

كان هناك كل من اللواء عماد ثابت والعميد أحمد سيد أحمد نصر، وهما من خيرة ضباط القوات المسلحة بوجه عام وضباط المدرعات بوجه خاص. حضرا ومعهما كنز ثمين. إذ أكدا أنه فى إمكانهما حشد أكثر من ١٥٠ دبابة فى الضفة الغربية للقناة لصد أى محاولة يقوم بها العدو لعبور القناة فى طريقه إلى القاهرة ... مائة وخمسون دبابة!!! قوة كبرى بالنسبة لما كنا فيه.

وكتب سامى شرف المعلومات فى «النوتة» ليبلغها للرئيس. وانصرف الضابطان ليؤديا واجبهما. وسألنى سامى : «ما رأيك فى هذه القوة التى هبطت علينا من السماء؟!»

وكان ردى : «قوة إيه يا سامى ؟ كان عندنا مئات من المدرعات فأين هى؟ لا بد من التغيير ولن يحدث أى تصحيح فى ظل الظروف القائمة. يجب أن يترك المشير القوات المسلحة كخطوة أولى لا بد منها إن أردنا مواجهة الهزيمة مواجهة جادة.»

وقام سامى من كرسيه ليقبلنى ويؤمن على ما قلت، ونقل سامى الحوار إلى عبد الناصر وفى نفس الوقت والساعة. وانصرفت وأنا مثقل بهمومى.

وكان المشير قد تورط فى أحداث كثيرة وكبيرة : الهزيمة النكراء التى منى بها الجيش على يديه – التمادى فى العدوان على الشرعية القائمة ... فبعد أن قبل الرجل أن يتنحى يوم ١٩٦٧/٦/٨ عن قيادة القوات المسلحة، عاد فتشبث بمناصبه حتى لا تفسر استقالته تلك على أنه المتسبب فى الهزيمة العسكرية. ولذلك فإن الرجل لم يقبل بأى حال من الأحوال أن يكتفى بمنصب نائب رئيس الجمهورية، بل تمسك بكل قواه بالمنصب الأهم – خاصة فى تلك الفترة – وهو منصب القائد العام للقوات المسلحة. بدأ الرجل فى تحويل منزله بالجيزة إلى قلعة حقيقية، وكثف قوات الحراسة الموضوعة على منزله بقوات الشرطة العسكرية، بل استدعى، وكما سبق القول، ٣٠٠ رجل من بلدته بالمنيا لمضاعفة الحراسة. ولا شك أن هذا التصرف لم يكن حكيما ولا لائقا ولكنه حدث. وكان الخطر الأكبر لهذا العصيان على الشرعية هو الانقسامات التى بدأت تحدث فى القوات المسلحة ... فقد تحركت بعض الوحدات بقيادة ضباطها فى مظاهرات صاخبة تهتف بحياة المشير، وبدأ ولاء الضباط يتزعزع، وأصبحت القوات المسلحة حقلا خصبا للشائعات بل للاستقطاب – انكشاف زواجه العرفى من السيدة برلنتى عبد الحميد – ثم تحديه لكل التقاليد والقوانين عندما أمر يوم ١٩٦٧/٧/٢١ وبعد أن استقر فى منزله بالجيزة بنقل الأسلحة التى كانت موجودة فى منزله الأصلى بالحلمية إلى محل إقامته الجديد، وفى الوقت نفسه بدأ فى توزيع استقالته التى سبق وقدمها إلى الرئيس فى أزمة ١٩٦٢ والخاصة بتعيينات الضباط من الرتب الكبيرة. ومن الملاحظ أن المشير لم يقدمها إلا بغرض الإحراج والضغط بدليل أنه لم يطالب بما ورد فيها حينما حلت الأزمة، وأيضا أنه لم يعد للمطالبة بما فيها إلا بعد النكسة عام ١٩٦٧. وللتاريخ نثبت هذه الاستقالة:

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أرى من الواجب وأيضا الوفاء يقتضينى أن أكتب إليك معبرا عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة. فبعد عشر سنين من الثورة، وبعد أكثر من عشرين سنة من الصلة بينى وبينك لا يمكننى أن أتركك وأعتزل الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى نفسى كعادتى دائما.

إننى أعتقد أن الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى الحكم أمر ضرورى، وأوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين أفراد هذه المجموعة. وقد وجدت فى هذه الفترة الأخيرة أن الأسلوب الغالب هو المناورات السياسية ونوع من التكتيك الحزبى، فضلا عما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى الذى قد أكون مخطئا فى تصوره ولو أن الحوادث كلها والمنطق تدل على ذلك. والنتيجة التى وصلنا إليها اليوم خير دليل على هذا التصور، فقد استطاع هذا الأسلوب أن يتغلب على ما كنت أعتقده مستحيلا وهو تحطيم صداقتنا، وما نتج عن ذلك من أحداث لا داعى لسردها فكلها لا تتفق مع المصلحة العامة فى شىء.

المهم فى الموضوع أننى لا أستطيع باى حال أن أجارى هذا الأسلوب السياسى، لأننى لو فعلت ذلك لتنازلت عن أخلاقى وأنا غير مستعد لذلك بعد أن انقضى نصف عمرى.

الذى أريد أن أحدثك عنه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل. إننى أعتقد أن التنظيم السياسى القادم ليكون مستمرا وناجحا يجب أن يبنى على الانتخابات من القاعدة إلى القمة، بما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى، وإن أتت اللجان العليا بدون انتخابات حقيقية فستكون نقطة ضعف كبرى فى التنظيم الديمقراطى للاتحاد. وإن ما يجب أن نسعى إليه هو تدعيم الروح الديمقراطية بعد عشر سنوات من الثورة والتى لا أتصور بعد كل هذه الفترة، وبعد أن صفى الإقطاع ورأس المال المستغل، وبعد أن منحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ أن يكون هناك ما أخشاه من ممارسة الديمقراطية بالروح التى كتب بها الميثاق، وخصوصا أن الملكيات الفردية الباقية والقطاع الخاص لا يشكلان أى خطر على نظام الدولة، كما أنه ليس هناك ما يمنع إطلاقا أن تنسجم هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى. كذلك الأمر

بالنسبة للصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم، وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحررين من الكتابة دون حذف أو تحفظ، وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا مثلا أو أى نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة وتوهم الكاتب أنه سيطارد أو يقطع رزقه، وخصوصا أن الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى، وفى هذا فائدة كبيرة لأنه سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد المواطنين.

دعنى وأنا أودعك أن أحدثك عن الحكومة ورأيى فيها. قبل كل شىء لا يمكن أن تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى وهو الحكم السليم إذا كان نظام الحكم فى حد ذاته ممسوخا ومشوها، فيجب أولا أن نستفيد من تجارب العالم وحكوماته التى عاشت مئات السنين مستقرة منتظمة دون حاجة لتغيرات شاملة كل فترة قصيرة من الزمن. ففى رأيى أن النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى : إما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه، وبدون الدخول فى التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس، ويجب أن تكون أنت رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة، أو حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكى هو رئيس الوزراء أو ربما يكون رئيس الوزراء ليس رئيسا للاتحاد الاشتراكى، ولا أريد أن أدخل أيضا فى التفاصيل لكن تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان كما ورد فى الميثاق.

على كل، أى من هذه الحلول ووجودك فى النظام أو على رأسه على الأصح ضرورة وطنية.

أنا لا أقول ذلك مجاملة، فهناك كثيرون مستعدون للمجاملة أو الموافقة على رأيكم بمجرد إبدائه، ولكن أعتقد أن أى تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها.

ودعنى أيضا قبل أن أودعك إن أقول لك إن اختلاطك الشخصى بالناس ضرورى فإنه يعطى الثقة المتبادلة، ويعطى إحساسات متبادلة، ويعطى أيضا أفكارا متبادلة. وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا فى المستقبل، أما انعزالك التام

فإنه سيجعل صور البشر عندك أسطرا على الورق أو أسماء مجردة لا معنى لها. وهذا فى رأيى لا يمثل الواقع. فالعقل والعاطفة من مكونات الإنسان ولا نستطيع أن نفصل بينهما كلية، لكن يجب الجمع بينهما فى الطريق الصحيح، وهذا لا يمكن إلا بالاتصال الشخصى.

وهذا أيضا هو الطريق الوحيد لإظهار شخصيات قيادية نعتز برأيها دون خوف، ولكنها فى الوقت نفسه تثق بقيادتها وتحترمها. وهذا النوع من الناس أنت فى أشد الحاجة إليه بل وبلدنا كلها محتاجة إليه. نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب ليسكت على الخطأ، ولم تاخذ الأضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش فيها.

وأنا أودعك أيضا أرجو من الله ألا يحدث منى أو منك ما يجعل ضميرنا يندم على الإقدام عليه ويجعلنا صغارا فى أعين أنفسنا.

ويكفى فى رأيى ما حققه أهل السوء حتى الآن، فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا.

لا أريد أن أطيل عليك ولكننى أبديت آرائى لك فيما أعتقده بانه المصلحة العامة، وليكن فراقنا بمعروف كما كانت عشرتنا بالمعروف. والله أسأل أن تتم حياتنا بشرف وكرامة كما بدأناها بشرف وكرامة.

ورغم كل شىء ورغم كل ما أعلم فإنى ادعو لك من قلبى بالتوفيق، وأتمنى لك الخير، وأدعو ربى أن يوفقك فى خدمة هذه الأمة ولخيرها والسلام.

عبد الحكيم عامر

القاهرة فى ١٩٦٢/١٢/١

وثبت بعد ذلك فى التحقيقات أن الذى طبع الاستقالة هى السيدة برلنتى عبد الحميد، وقد ضبطت آلة الطباعة فى قريتها. وكان يتولى توزيعها بعد النكسة بعض ضباط القوات المسلحة داخل الوحدات، وبعض أعضاء مجلس الأمة، وهم ما أطلق عليهم « مجموعة المنيا »، والذين فصلهم السيد أنور السادات الذى كان يرأس المجلس من عضوية المجلس، كما فصل آخرين غيرهم.

بل أخذ المشير يلجأ إلى وسائل ما كان يجب أن يلجأ إليها مهما كانت الظروف، فقد سلم السيد عباس رضوان ٥٠٠٠ جنيه ذهب داخل خمسة أكياس لحفظها طرفه ... وقد تم ضبط الذهب مدفونا فى أرض زراعية « بالحرانية » بلدته داخل حقيبة جلدية. وقد تبين نقص بعض الأكياس، ولكن تم ضبط الباقى منها فى قرية نزلة السمان. ثم وبعد أن توليت رئاسة المخابرات العامة صباح يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ اعترف لى مدير مكتب السيد صلاح نصر الرئيس السابق للجهاز بأن « سيادته » تسلم ٦٠٠٠٠ جنيه من المصروفات السرية للجهاز دون إيصال، وأنه يحاول منذ أيام أن يقنعه بكتابة الإيصال حتى يودعه ملف المستندات إلا أنه رفض !!.. وأضاف المسكين : « أودعنى السجن لأن خزنتى ناقصة ». وقد أبلغنا جهات التحقيق وكانت المخابرات الحربية قائمة به، وتم العثور على حقيبتين مدفونتين « بالحرانية » أيضا، وبفتحهما تبين أن بهما مبلغ ٤٩٣٦٠ جنيها، وكذلك عدد ٤٠ رشاشا قصيرا، ٥ صناديق ذخيرة، ١٠٨ طبنجات. وقد اعترف السيد عباس رضوان فى التحقيق بأنه تسلم المبلغ والأسلحة والذخيرة من السيد صلاح نصر لإخفائها فى « الحرانية »، ولكنه لم يتمكن من إعطاء التبريرات المقنعة لاختفاء باقى المبلغ وقدره نحو ١١٠٠٠ جنيه.

كان المشير عامر يريد أن يهدم المعبد على كل من فيه ... فلم تكفه النكسة الثقيلة التى أصاب بها الأعمال العظيمة لثورة يوليو والتى أضاعت وغطت على حلاوة انتصاراتها الكثيرة والكبيرة، ولكنه تمادى فى أعماله تلك وأخذ يتورط فى أعمال أخرى خطيرة.

فبعد أن قدم المشير استقالته – والذى عاد وسحبها مرة أخرى – بذلت محاولات كثيرة من المحيطين به وبموافقته لإعلان العصيان ... فقد قاموا بجمع عدد كبير من الضباط لعمل مظاهرة للمطالبة بعودة المشير، بل قام ضباط حراسة المشير بمظاهرة عسكرية مسلحة بالعربات المدرعة واتجهوا من الحلمية إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة. وفى غضون ذلك كان يتم اتصال أعوان المشير بقوات الصاعقة الموجودة فى أنشاص فى ذلك الوقت، وكان يتم استدعاء بعض الضباط لمقابلة المشير ليلا فى منزله بالجيزة. وكان المشير يستقبل علاوة على ذلك بعض المدنيين سرا فى منزله، ولزيادة سرية هذه المقابلات أمر المشير بفتح ثغرة فى السور الذى يفصل بين المنزل والمشتل

المجاور، وأخذت المقابلات تتم فى هذا المشتل كل ليلة. وأخذ بعض الضباط يزودون المشير بتقارير عن أوضاع وحداتهم، ويتلقون منه الأوامر لنشر الشائعات وتوزيع استقالته السابق الإشارة إليها. كما لوحظ تردد أعضاء مجلس الأمة عن محافظة المنيا وبعض محافظات الوجه القبلى على منزل المشير، وكلف البعض منهم بإثارة مناقشات سياسية بقصد إحداث بلبلة سياسية فى نفوس أعضاء مجلس الأمة والشعب، ووزع على بعضهم صورة من الاستقالة مع تحريضهم على القيام بنشر أنباء مضللة عن أسباب الهزيمة العسكرية... وبذلك أصبح منزل المشير والمنطقة المحيطة به منطقة عصيان.

لكل هذه الشواهد تم وضع المنطقة كلها تحت المراقبة بواسطة الأجهزة المختصة، بل تم عمل كافة الترتيبات الدقيقة لمعرفة كل ما يجرى داخل المنزل فى كل وقت. وتم تجهيز «رسم كروكى» للمنزل من الداخل والخارج وللمشتل ولكل المنطقة المحيطة بالمنزل تحسبا للظروف.

وبدأت هذه التجهيزات والترتيبات التى يقوم بها المشير تتبلور فى مؤامرة حقيقية لقلب نظام الحكم، حدد لتنفيذها يوم ١٩٦٧/٨/٢٧ وكان الغرض منها الاستيلاء بالقوة على القيادة العامة للقوات المسلحة.

والشىء الغريب أن جهازى المخابرات العامة والمخابرات الحربية كانا على علم بما يدبر، وأبلغت إدارة المخابرات الحربية ما لديها من معلومات للجهات المختصة. ولكن المخابرات العامة وكان يتولى رئاستها السيد صلاح نصر حتى مساء ١٩٦٧/٨/٢٥ لم تبلغ ما لديها من معلومات إلى الجهات المسئولة... ويعد هذا التصرف إخلالا كاملا بمسئولية وأمانة المسئولين عن ذلك ... واستمر هذا التكتم حتى توليت رئاسة الجهاز فى ١٩٦٧/٨/٢٦.

وضعت خطة المؤامرة لتتم على شقين :

□ **الشق الأول**: وهو الجانب التمهيدى والدعائى داخل أفراد القوات المسلحة لإحداث بلبلة فى الأفكار وإثارة الفتن ببث الدعايات المسمومة والمغرضة، والسعى إلى نيل تأييد أكبر عدد ممكن من الضباط، وتهيئة الأذهان لتقبل الوضع الجديد، ودعوة الضباط إلى منزل المشير وتقصى أحوال القوات المسلحة وأسرارها منهم، وتوزيع

استقالة المشير وإقناعهم بأن للمشير قضية عامة هى مطالبته بالديمقراطية وإطلاق الحريات.

□ **الشق الثانى**: ويتمثل فى الجانب العسكرى التنفيذى، ويعتمد على قوات الصاعقة الموجودة فى «أنشاص» والتى كان عليها تأمين وصول المشير إلى القيادة الشرقية فى منطقة القناة، ثم تنصيبه قائدا عاما للقوات المسلحة، ثم يقوم المشير بإعلان مطالبه لرئيس الجمهورية من هناك ... فإذا لم يستجب له الرئيس تحركت قطاعات من القوات المسلحة لفرض هذه المطالب بالقوة، وذلك بمعاونة القوات الجوية لضمان نجاح الخطة ... وتم تحديد القوات اللازمة لتنفيذ العملية، ودرست الطرق التى سوف تتحرك عليها الوحدات، وحددت التوقيتات اللازمة للتنفيذ، كما وزعت المهام والواجبات لكل منهم ... فكان موكولا إلى السيد شمس بدران مثلا تأمين الشرطة العسكرية والفرقة المدرعة، والسيد عثمان نصار تأمين منطقة دهشور العسكرية، والسيد عباس رضوان تأمين منطقة القاهرة واعتقال بعض المسئولين فى الدولة بمعاونة أطقم المخابرات العامة بعد موافقة السيد صلاح نصر– وكان على رأس المعتقلين شعراوى جمعة وسامى شرف وأمين هويدى، وهؤلاء تم اعتقالهم بعد ذلك أيضا بواسطة السادات.

وازداد موقف المشير حرجا إذ ثبت أنه اشترى منزلا فى «ايكنجى مريوط» مركز القسم الشرقى بالعامرية الصحراء الغربية، بحوض برنجى وايكنجى مريوط رقم ٣ ضمن القطعة رقم ٢٠٩، وهو المنزل الذى اشتراه من السيدة أنطوانيت جريك، واختار لنفسه اسما هو محمد عبد الحكيم على بن على حفيد عامر أثناء إتمام الإجراءات الرسمية(*). كان هذا المنزل هو الأقرب إلى قلبه للاختلاء بزوجته وبعض الأصدقاء ... كانت هذه العلاقة سرية تماما لا يعرفها إلا القليلون جدا من دائرة المشير الضيقة ومطبخه الداخلى لأن زواجه من السيدة برلنتى عبد الحميد تم بعقد زواج عرفى .

إذن كان المشير متورطا فى أكثر من اتجاه، وكان بذلك مهيأ للقيام بأى إجراء غير محسوب أو خطوة يائسة إذا ظل هكذا مطلق الحرية يفعل ما يريد، ولذلك فإنه كان

(*) انظر الوثيقة رقم (٧): عقد شراء منزل المشير عامر، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

الواجب إيقاف الأمور عند حدها حتى لا تتطور وتتضخم ... ويا ليته تم منذ وقت طويل قبل أن تصل الأمور إلى هذا الحد، ولكن لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب.

بعد اجتماعى مع سامى شرف يوم ١٩٦٧/٦/١١ الذى تحدثت فيه عن ضرورة إبعاد المشير، صدرت تعليمات الرئيس عبد الناصر إلى كل من شعراوى جمعة – سامى شرف – أمين هويدى بوضع خطة لمواجهة الموقف وتحديد إقامة المشير عامر. وكان اقتناع الرئيس باتخاذ هذه الخطوة فى حد ذاته عملا إيجابيا حقيقة، إذ لم ينجح فى إثنائه عن ذلك أحد من زملائه من الحرس القديم رغما عن تكرار المحاولة ... وكان هذا يرجع إلى أن الأمور وصلت إلى منتهاها، وأن الصراعات على القمة التى كانت موجودة داخل «الحرس القديم» لم يكن لها أثر فى «الجماعة المختارة»، فكانت حسابات الرئيس هنا أسهل وأيسر.

وكانت المأمورية دقيقة وصعبة ولكنها كانت واجبة، وكانت المناصب التى يتولونها فى ذلك الوقت كالآتى : أمين هويدى وزيرا للحربية، شعراوى جمعة وزيرا للداخلية، سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات.

● **كانت المأمورية دقيقة** لأنها كانت تتعلق «بالمشير» ... كان الرجل بسلطاته التى ما زالت تترك بصماتها على كل أجهزة الدولة يمثل قوة حقيقية لا بد وأن نعمل لها حسابا، ثم كان لا بد من التصرف بحكمة تامة حتى لا نجعل من التصفية صداما حقيقيا يمكن أن يتسع فيشعل الحرائق فى كل شىء.

● **وكانت المأمورية صعبة** لأن الأجهزة الحساسة كلها كانت متعاطفة مع المشير عامر ... فالمخابرات العامة وعلى رأسها السيد صلاح نصر كانت قد حددت موقفها إلى جواره، القوات المسلحة متعاطفة وإن كان البعض أظهر جانب الحياد إلا أنه لم يكن ليتردد فى اتخاذ موقفه إلى جوار المشير عند أول بادرة نجاح لجهوده فى سبيل الاستيلاء على السلطة، أما أجهزة وزارة الداخلية فلها حساباتها المعقدة فى مثل هذه الأحوال ولا داعى للخوض فى تلك الحسابات حتى لا نخرج عن الموضوع.

● **وكانت المأمورية واجبة**، فالعدو فى شرق القناة والبلاد تمر بأخطر مراحلها وكان لا بد من ترتيب البيت الداخلى حتى يمكن البدء فى مواجهة العدوان.

ولذلك فقد قررنا أن نلتزم بالسرية المطلقة فى اتخاذ إجراءاتنا وبالسرعة المعقولة، لأننا كنا فى سباق خطير مع الزمن، فلم يكن الجانب الآخر عند بداية وضعنا الخطة قد حدد موعد تحركه بعد وكنا بذلك نتحرك فى المجهول. من ناحية السرية، لم يخطر أحد غير ثلاثتنا فى المراحل الأولى بهذا الأمر، وأى قول غير هذا عار تماما من الصحة وادعاء باطل تورط فيه البعض حتى يظهر أنه كان على علم ببواطن الأمور.

واتفقنا أن نطلق الاسم الكودى «جونسون» على العملية كلها خوفا من التورط أثناء حديث أو مكالمة تليفونية، كما اتفقنا على أن تكون اجتماعاتنا فى «نادى الشمس» بمصر الجديدة. وكانت الاجتماعات تتم فى وقت متأخر من الليل بعد أن يكون النادى قد أغلق أبوابه حول حمام السباحة وأمامنا لفائف من ساندويتشات الفول والطعمية التى كان يحضرها من يكلف بذلك. وكنا نصل دائما إلى مكان الاجتماع فى مواعيد متقاربة وبطريقة فردية.

وكان تقديرنا الأول أنه إذا استدرج «المشير» بحيث يكون منفردا أو معه أقل عدد ممكن من الحراس، فإنه فى هذه الحالة يمكن بسهولة تدبير طريقة نتحفظ بها عليه فى أى مكان أمين حتى يتم تصفية الجيوب الباقية فى منزل الجيزة مثلا. واستقر الرأى على أن أصلح مكان لذلك هو طريق صلاح سالم حيث كان المشير يستخدمه ذهابا وإيابا للقيام ببعض الزيارات الخاصة، ويمكن تحديد الوقت بالتقريب بمراقبة تحركاته على الطريق عدة مرات.

كانت هذه هى الخطة العامة التى وضعناها، والتى قام سامى شرف بعرضها على الرئيس الذى وافق عليها وأمر بدراسة تفاصيلها مع السيد زكريا محيى الدين وقد تم ذلك فى منزله.

ولكن حينما تكررت اللقاءات بيننا نحن الثلاثة بدأت عيوب كثيرة تظهر أمامنا لهذه الخطة.

وهنا قررنا إلغاءها من أساسها واستبدالها بأخرى تتلافى عيوب الخطة السابقة.

وتوالت الاجتماعات وأغلبها فى نفس مكاننا فى «نادى الشمس» بمصر الجديدة، وكنا فى سباق مع الزمن لعدة أسباب : فمؤتمر القمة العربى سوف يعقد فى الخرطوم

فى ١٩٦٧/٨/٢٩ ولا بد أن يحسم الموضوع قبل سفر الرئيس إليها ... وكان الجانب الآخر قد ضاعف نشاطه وأصبح ظاهرا أن عملية ما قد أصبحت جاهزة للتنفيذ ... وكان الموقف فى القوات المسلحة يزداد سوءا فحالة القلق والتميع كانت سائدة. ولن أنسى فى هذه المرحلة زيارتى إلى القاعدة الجوية فى أنشاص وبرفقتى الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة، والفريق مدكور أبو العز قائد القوات الجوية. كان مقررا للزيارة ألا تستغرق أكثر من ساعة نفتش فيها على إنشاء الدشم والدفاعات الأرضية والجوية على القاعدة، وحالة المواصلات والخطط الموضوعة، وطريقة إصلاح الممرات فى حالة ضربها بواسطة العدو، وخطط التمويه والخداع، واستكمال النقص فى الأفراد والأسلحة والمعدات. إلا أن موقف البلبلة السائد بين ضباط القاعدة جعلنى ألغى زياراتى للقواعد الجوية الأخرى، وصممت على عدم ترك أنشاص إلا والاقتناع سائد بين كل الأفراد. فقد كان العدو يركز على انهيار الجبهة الداخلية كوسيلة لإسقاط النظام. وكان لا بد من رأب التصدع الذى حدث بأسرع ما يمكن حتى تعود الجبهة الداخلية إلى تماسكها، وتعود القوات المسلحة إلى وحدتها وانتظامها، ويتفرغ الجميع للمسئولية الثقيلة التى تواجههم.

إذن كان لابد للخطة أن تكون بسيطة وشاملة كل الجيوب التى تشارك فى حالة العصيان القائمة : المشير بشخصه على رأس القائمة، قلعة منزل المشير بالجيزة، جهاز المخابرات العامة بعد أن أصبح من المؤكد أن رئاسته تلعب دورا خفيا فى تغذية وتأييد العصيان.

وكانت الخطة فى إطارها العام كالآتى :

١- يستدعى المشير إلى منزل الرئيس فى منشية البكرى ليلا لأى سبب يراه الرئيس صالحا لهذا الاستدعاء حيث يبلغ بتحديد إقامته.

٢- فى نفس الوقت تتجه قوة من القوات المسلحة إلى منزل المشير بالجيزة لحصاره والقبض على من فيه على أن يتم ذلك قبل أول ضوء.

٣- فى اليوم التالى مباشرة يعاد النظام إلى جهاز المخابرات العامة على أن أقوم بهذه العملية بمفردى.

ووافق الرئيس على الخطة، ورأى أن يحضر معه أثناء لقائه بالمشير فى منزله كل من السادة زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات. ولم يكن أحد من الثلاثة يعلم بما سوف يتم إلا السيد زكريا محيى الدين فقط ... ويظهر هذا واضحا من رواية السيد أنور السادات فى كتابه « *البحث عن الذات* » فى الصفحة ٢٤٨، فبالرغم من أنه على عادته المعروفة يميل إلى أن يجعل نفسه دائما مركز الأحداث أيام عبد الناصر - وهذا غير حقيقى بالمرة، إلا أنه قال : « بعد ذلك فى أغسطس أثناء زيارة « تيتو » لنا استدعانى عبد الناصر فى قصر رأس التين، فذهبت إليه ووجدت علامات الحيرة على وجهه وقال : والله أنا عايز أقول لك على موضوع يا أنور .. أنا مشغول قوى بحكاية عبد الحكيم وأنا تكلمت مع تيتو وحكيت له الحكاية كلها .. تيتو قال لى ضرورى تأخذ إجراء فى العملية دى وإلا البلد مجروحة وبعدين أى صراع داخلى وخصوصا إذا كانت فيه القوات المسلحة حيتوسع وينقلب إلى صراع كبير. قلت له : يا جمال أنت سمعت منا كلنا رأينا فى الموضوع ده .. وفعلا ضرورى أنت بالذات تواجه عبد الحكيم باللى بيعمله وتحسم الموضوع نهائيا. فقال : فعلا أنا لازم آخذ إجراء. كان ذلك فى ١٣ أغسطس ولم يفصح عبد الناصر عن نوع الإجراء الذى سيتخذه، كل ما حدث أن الإجراء تأخر إلى يوم ٢٥ أغسطس. لماذا تردد رغم خطورة الموقف؟ هنا مرة أخرى تظهر علامة الاستفهام الكبيرة فى كل ما يختص بالعلاقة بين عبد الناصر وعامر ». ثم قال السادات : « فى هذه الأثناء كان عامر قد جعل بيته المطل على النيل فى الجيزة قلعة بكل معنى الكلمة، مما جعل عبد الناصر يقرر أخيرا إقامة عامر فى بيته بعد أن تسحب منه جميع الأسلحة. وبناء عليه أرسل إليه يطلب حضوره للقائه فى منزله مساء الجمعة ٢٥ أغسطس، وقال لنا : اسمعوا يا جماعة أنا عاوزها جلسة مواجهة وأنتم تكونوا موجودين، وأنا وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى كنا موجودين فى هذه الجلسة ». وبعد ذلك أخذ السادات يسرد القصة ويركز على أنه هو الوحيد الذى كان يتكلم فى الجلسة، وهو الوحيد الذى اصطحب المشير إلى دورة المياه، وهو الوحيد الذى بقى معه. وكل هذا لم يحدث لأننى كنت موجودا هناك وأرى كل شىء وأسمع كل شىء.

ربما خانته ذاكرته، فكثيرا ما خانته هذه الذاكرة وهو يقص أو يكتب التاريخ والذى كان يؤيده دائما بأشخاص انتقلوا إلى رحمة الله !!!

وصف السادات لعبد الناصر بالتردد هنا ومحاولته إثارة علامات استفهام فيه مبالغة كبيرة لأنه لم يكن يدرى أن الترتيبات كانت تعد قبل ١٣ أغسطس الذى تحدث عنه بوقت طويل. ثم واضح من حديثه أنه كان يجهل كل شىء حتى استدعاء الرئيس يوم ٢٥ أغسطس إلى منزله فى المساء.

ويلاحظ فى قصة السادات أنه أغفل ذكر أسماء الثلاثة الذين قاموا بالعملية لسبب مهم جدا سيظهر من سرد الأحداث لأنه يتعلق تماما بأحداث مايو ١٩٧١. فكان إسقاط الأسماء الثلاثة عن قصد وعمد. ولا نريد أن نسبق الأحداث.

وعذرا لهذا الاستطراد، قرر الرئيس أيضا أن أتولى رئاسة المخابرات العامة بعد حسم موقف المشير وجماعته علاوة على منصبى كوزير للحربية، وقلت للرئيس فى ذلك الوقت إنه ليس فى مقدور بشر أن يقوم بالمسئوليتين فى وقت واحد خاصة فى هذا الوقت العصيب، فأكد لى الرئيس أن هذا الجمع بين المسئوليتين بصفة مؤقتة حتى ينجلى الموقف.

وأصبح كل شىء معدا للتنفيذ ...

اتصل الرئيس تليفونيا وبنفسه بالمشير يوم ١٩٦٧/٨/٢٤ ودعاه للاجتماع به فى المنزل فى منشية البكرى الساعة السابعة مساء يوم ١٩٦٧/٨/٢٥ ووافق المشير على الفور مرحبا. وكان سبب الموافقة المعرفة العميقة التى اكتسبها من تعامله مع عبد الناصر طوال تلك المدة، فهو يعلم أنه فى الأزمات السابقة فإن الرئيس كان يعمل دائما على إصلاح الأوضاع وسد الثغرات.

إلا أن أنصار المشير حينما بلغهم نبأ اللقاء المنتظر انقسموا إلى قسمين : قسم يرى أن يذهب المشير للقاء على أساس أنه فاتحة خير قد تنهى الأزمة القائمة، وقسم آخر أوجس خيفة من اللقاء وعارضه بشدة. واستمر حوارهم مدة طويلة. ولم يكن الحوار الدائر خافيا على الرئيس إذ كان ينقل له كافة التفصيلات التى تحدث داخل منزل المشير أولا بأول.

وقد فضلنا عدم إلقاء الأوامر النهائية إلا فى آخر لحظة ممكنة أى بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٨/٢٥. وفى الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم تم الاتصال بالرئيس لأخذ موافقته النهائية على البدء فى التنفيذ فأمر بأن تدور العجلة.

وقد اتصلت بالفريق محمد فوزى، وكان فى منزله يشعر بوعكة خفيفة، واتفقت معه على أن نتقابل الساعة السادسة فى مكتب السيد سامى شرف، وأن يحضر معه كلا من اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية والعميد سعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، ثم اتفقت مع شعراوى جمعة وسامى شرف على أن نتقابل نحن الثلاثة فى مكتب الأخير الساعة الخامسة بعد الظهر لنواصل حساباتنا.

وفى تمام الساعة الخامسة اجتمعنا حسب الاتفاق السابق لنضع اللمسات النهائية للخطة، واتفقنا على أن يقوم شعراوى جمعة وسامى شرف بالقبض على مرافقى المشير عند وصوله إلى منزل الرئيس وبعد دخوله لمقابلة الرئيس مباشرة، اتفقنا أيضا أن تكون عربتى وسائقها « الأسطى عثمان » فى الانتظار على باب منزل الرئيس الداخلى لنقل المشير فيها إلى منزله بعد الانتهاء من تصفية منزل الجيزة.

وفى الساعة السادسة مساء تم عقد المؤتمر المتفق عليه فى مكتب «سامى»، وكان الحاضرون هم : أمين هويدى وزير الحربية، شعراوى جمعة وزير الداخلية، الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية، العميد سعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات.

وبدأت بصفتى وزيرا للحربية إعطاء التعليمات والأوامر لتنفيذ الجزء العسكرى الخاص بمحاصرة منزل المشير بالجيزة وتصفية المقاومة، وشددت على تجنب أى صدام أو تبادل لإطلاق النيران، كما أمرت باللجوء إلى الحيلة والصبر. واتفقنا على أن يكون القائد العام على اتصال مستمر معى طوال تنفيذ العملية على أن يبلغنى فور الانتهاء من تصفية منزل الجيزة.

وقد حضر المشير مبكرا عن الموعد بحوالى ثلث ساعة، فقام كل من شعراوى جمعة وسامى شرف بتنفيذ الجزء المخصص لهما فى العملية، وبقيت مع الآخرين حتى أنهيت تعليماتى على عجل وانصرف ثلاثتهم للتنفيذ. لم تكن هناك مشكلة فى تجهيز القوات لأن قوات الشرطة العسكرية وعربات المخابرات الحربية كانت فى حالة استعداد دائم.

وعاد شعراوى وسامى بعد أكثر من ثلث ساعة وتم القبض على سائق عربة المشير، كما تم القبض على العقيد محمود طنطاوى أحد أفراد مكتب المشير... وهو من خيرة

ضباط القوات المسلحة خلقا وعلما، ولكن للضرورة أحكامها إذ دفعته الظروف دفعا ليجد نفسه فى الصف المناهض للشرعية ... ولما سألت شعراوى وسامى عن سبب طول مدة تنفيذ العملية أخبرانى بأن الأخ محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس أثار ضجة كبرى، إذ بمجرد شعوره بما حدث استنكر أن يتم ذلك من وراء ظهره ودون إخطاره واعتبر ذلك عدم ثقة من الرئيس بسكرتيره الخاص، وقد تمادى محمد أحمد فى احتجاجاته فاضطرا إلى البقاء معه حتى يهدئا من ثورته.

تم وضع عربة المشير فى الجراج الخاص. وأمرت السائق « عثمان » أن يقف بعربتى على الباب الداخلى لمنزل الرئيس. والرجل لا يدرى ماذا يحدث لا فى الخارج ولا فى الداخل، إلا أنه لابد أنه شعر بأن شيئا غير عادى يجرى تنفيذه.

وفى نحو التاسعة مساء فضلت أن أدخل منزل الرئيس، وبقى سامى وشعراوى فى مكتب الأول، واتفقت مع سامى أن يحول لى المكالمة التليفونية المنتظرة من محمد فوزى بمجرد اتصاله. وفعلا دخلت منزل الرئيس ووجدت فى الصالة الخارجية بعض ضباط الياوران، وجلست بجوار حجرة الصالون حيث كان اجتماع الرئيس بالمشير لألتقط أنفاسى ... كان فى الداخل خلاف الرئيس والمشير كل من السادة زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات ... وكان الذى يتكلم هو الرئيس وكان الذى يرد هو المشير... وقد سمعته وهو يقول للمشير : « عليك يا عبد الحكيم تقدير الموقف الصعب الذى تمر به البلاد . وعليك أن تلزم منزلك فى هذه الفترة الحرجة » ... كان الحديث يدور هادئا فى معظم الأحيان ولكن كانت الأصوات ترتفع فى حدة فى أحيان أخرى، ولكن لم يكن فى مقدورى متابعة كل ما يجرى لأنه لم يصل إلى أذنى إلا بعض الكلمات بين وقت وآخر، وكنت منهكا ومتعبا بحيث كنت أميل للاسترخاء قليلا قبل ما ينتظرنى فى اليوم التالى.

وكان المشير – حتى منتصف الليل – مصرا على موقفه المتعنت، ولا شك أن «تجمع أصدقائه » فى الجيزة كان له دخل كبير فى إصراره هذا. كان الرجل يلعب على عامل الوقت لعل وعسى أن يلين الرئيس كما حدث فى المرات السابقة.

وفى هذه الأثناء كان « فوزى » قد اتصل بى مرتين : مرة حينما وصل إلى منزل الجيزة على رأس قواته ليخبرنى بإتمام حصاره المنزل، ومرة أخرى ليبلغنى أن حرائق

شوهدت فى المنزل، والتى ظهر بعد ذلك أنها عبارة عن عملية حرق الأوراق المهمة بواسطة بعض الضباط الموجودين فى منزل الجيزة والتى قد تدينهم لو تم القبض عليهم. وقد أخبرت الرئيس بذلك وأكدت له أن هذه علامة على حالة الانهيار التى أصبح فيها هؤلاء الضباط.

وفى منتصف الليل تقريبا خرج الرئيس من حجرة الصالون، ولما وجدنى بالخارج اصطحبنى معه واضعا ذراعه فى ذراعى إلى حجرة المكتب على الجانب الآخر من الردهة الخارجية، وكان كلانا يدخن بشراهة وخيل لى أن الرئيس يكاد يقضم سيجارته. وفور دخوله إلى المكتب طلب عباس رضوان تليفونيا من رقم مباشر من الذاكرة، وقال له : « عباس أنت المسئول عن فض الموقف فى الجيزة»... ولست أدرى هل تم اتفاق الرئيس مع عباس قبل هذا الاتصال أم لا، لأن كلام الرئيس لعباس كان موجها لشخص يعرف ما يجرى ... وبعد ساعة أخرى خرج الرئيس من الصالون للمرة الثانية واتجهت معه إلى المكتب ليعاود الاتصال مع « عباس »، وكان حديثه هذه المرة محتدا قاطعا وهو يقول له : « أنت يا عباس مسئول عن عدم فض الموقف ». وبعد انتهاء المحادثة ذكر الرئيس أن الموقف فى نظره يتعقد وأن عباس يتلاعب. ورددت على الرئيس: « مازال أمامنا أربع ساعات حتى الفجر، وحل الموقف هناك فى منزل الجيزة لأن المشير سيبقى على عناده ما دام منزل الجيزة باقيا على أوضاعه ». وأمن الرئيس على ذلك وصعد إلى الدور العلوى بمفرده ليستريح بعض الوقت ... وليس صحيحا ما ذكره الرئيس السادات فى كتابه « *البحث عن الذات* » من أن السيدين زكريا محيى الدين وحسين الشافعى صعدا مع الرئيس إلى الدور العلوى، وأنه بقى وحده مع المشير فى حجرة الصالون. ولكن هى عادة الرئيس السادات فى أن ينسب كل شىء إلى ذاته ولو تم ذلك على حساب الحقيقة.

ودخلت حجرة الصالون وسلمت على الجميع. كان المشير جالسا على أريكة من الآرائك وحينما رآنى قال : « أهلا وسهلا بوزير حربيتنا، الله ده الموقف مجهز تماما والمسألة محبوكة على الآخر. » كان أنور السادات هو الوحيد الذى يجلس صامتا والدموع على خديه، أما السيد حسين الشافعى فكان يبدو غير مهتم بما يجرى، أما السيد زكريا محيى الدين فكانت ملامحه جامدة لا تدل على شىء.

وهنا خرج المشير ذاهبا إلى دورة المياه وخرجت معه، وكان الرجل ودودا معى يتحدث فى ابتسامته الهادئة. كانت أعصابه هادئة ولم يكن منفعلا بالرغم من أنه كان يدرك الموقف الحرج الذى أصبح فيه. وفجأة خرج المشير من دورة المياه وفى يده كأس زجاجية بها بعض المياه، وقال بأعلى صوته وهو يرمى الكأس على طول ذراعه: «اطلعوا بلغوا الرئيس أن عبد الحكيم خد سم لينتحر » .. ودخل فى هدوء إلى حجرة الصالون ليجلس على الأريكة ذاتها وهو يبتسم فى هدوء وكأنه لم يفعل شيئا. وقد انزعجت أشد الانزعاج حينما سمعت بذلك، وصعدت إلى الدور العلوى حيث يوجد الرئيس قفزا فوق الدرج، واستقبلنى الرئيس من أعلى السلم وقلت له : « المشير خد سم وانتحر » .. فقال لى الرئيس : « عبد الحكيم أجبن من أن ينتحر .. لو كان عاوز ينتحر كان انتحر لما ودانا فى داهية فى سيناء » . ويبدو أن درجة انزعاجى كانت شديدة لدرجة أن الرئيس كان يحلو له بعد ذلك أن يحكى ذلك فى مناسبات عديدة، وكان يضيف قائلا : « تمثيلية عبد الحكيم خالت على أمين ».

حدث هرج ومرج بين الموجودين، أما « الثلاثة الكبار » فكانوا على حالهم لم يتحركوا أو ينفعلوا، ولكن خيل لى أن عبرات الرئيس السادات زادت كثافة. ودخل الدكتور « الصاوى » طبيب الرئاسة مسرعا وفى يده شنطته العتيدة، ولما لم يستجب المشير للعلاج الذى كان يريده الدكتور الصاوى تقدم السيد حسين الشافعى « ليعبط » المشير حتى أعطاه الدكتور الحقن اللازمة، وهدأ كل شىء من جديد.

ورأى المشير أن يخرج إلى الحديقة ليشم بعض الهواء وخرجت معه. كان الرجل وفى حركات تمثيلية يكثر من النظر إلى السماء ثم يتنهد ثم يعود لينظر إلى السماء، وهنا دار بينى وبينه الحديث الآتى :

□ **أمين: كيف حالك ؟**

■ **عامر: أنا كويس والحمد لله.**

□ **أمين: سيادة المشير، هل يصح هذا الذى يحدث ؟ هل يمكن أن يطور المشير الموقف إلى هذا الحد ؟ أنا أكاد لا أصدق أن الأمور تصل إلى ما تصل إليه الآن.**

■ **عامر: يا أمين أنت لا تعرف شيئا .**

□ **أمين: كيف لا أعرف ؟ الوقت يمر ولا بد من حسم الموقف.**

■ **عامر: لحساب من يا أمين يحسم الموقف ؟ اسكت أنت لا تعرف أى شىء.**

وساد الصمت بيننا وأخذ يمشى جيئة وذهابا وعدنا ثانية إلى حجرة الصالون. ولم أجد هناك السيد حسين الشافعى، وحينما خرجت إلى الصالة الخارجية وجدته جالسا وأمامه طبق من الفاكهة وهو مقبل عليه فى اطمئنان، ودعانى إلى تناول بعض الفاكهة ولكن لم يكن لى شهية لأى شىء وأنا أرى ما أرى. وأخيرا قال : أنا رأيى أن المشير يعود إلى منزله والموضوع «مش نافع» .. الفجر قارب الظهور فماذا سيقول الناس عندما يرون ما يحدث فى منزل الجيزة؟!..

وبقينا ندور فى حلقة مفرغة. كان الجميع يلعبون على عامل الوقت. وفى نحو الساعة الخامسة صباحا استدعانى أحد ضباط الياوران إلى التليفون ذاكرا أن «الفريق محمد فوزى على الخط». وأخذت التليفون وكان فوزى على الجانب الآخر من الخط يقول : « المأمورية انتهت يا أفندم دون أى صدام والمنزل خال الآن »، فقلت له : «الحمد لله ومتشكر». وأسرعت إلى الدور العلوى لأبلغ الرئيس بالسيطرة على الموقف دون صدام، فرد الرئيس : « الحمد لله ». ولم أدخل حجرة الصالون ولم أشاهد أحدا بعد ذلك، بل غادرت منزل الرئيس وعبرت الشارع إلى مكتب « سامى » حيث وجدته جالسا هو و« شعراوى »، ومن خلال النافذة رأينا إحدى العربات تتحرك بعد فترة من الوقت وفيها ثلاثة : المشير عبد الحكيم عامر والسيد زكريا محيى الدين والسيد حسين الشافعى.

ولا أدرى ماذا كان يعتمل فى صدر المشير ولكنه أصبح الآن شخصا غير الذى وصل أول الليل إلى منزل الرئيس، كان شخصا نزعت عنه سلطاته وعاد إلى الشرعية بعد ليلة عصيبة ورغم أنفه.

وأترك للفريق فوزى الحديث عن تفاصيل ما قامت به قواته وهى تحاصر منزل الجيزة نقلا من كتابه « حرب *الثلاث سنوات* ١٩٦٧ - ١٩٧٠ » ... « بعد أن صدر الأمر توجهت إلى منزل الرئيس بمنشية البكرى، وعلمت أن المشير قد حدد له موعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر فى الساعة ٧ مساء نفس اليوم بمنزل الرئيس، وأن المشير سيبقى هناك حتى انتهاء مهمتى فى تطهير المنزل ... وعندما وصلنا إلى الباب الرئيسى لمنزل المشير وجدته مقفلا بسلسلة حديدية وقفل، وخلف الباب كان يقف شمس بدران

وعثمان نصار وعبد الحليم عبد العال وجلال هريدى وآخرون، وجميعهم مسلحون بالرشاشات القصيرة وفى أيديهم وجيوبهم قنابل يدوية. وأخطرت شمس بدران فلم يذعن للأمر. وفى تلك اللحظة وصل عباس رضوان – وهو يقيم بمنزل قريب من منزل المشير – ليسأل عليه، وعندما علم بعدم وجوده بالمنزل طلب منى الانتظار فترة لحين معرفة الموقف داخل منزل المشير، واصطحب معه شمس بدران بينما بقى الآخرون خلف باب الحديقة الخارجى. خلال النقاش صدرت بعض طلقات الرصاص من فوق سطح المنزل للإزعاج، ولم يرد عليها أحد من القوة حسب أوامرى، كما وصلنى بلاغ عن مشاهدة دخان حريق علمت فيما بعد أن مجموعة شمس بدران قامت بحرق وثائق وخرائط سرية تجرمها لو وقعت فى يدى. ثم خرج عباس رضوان وشمس من داخل المنزل، وفتحا باب الحديقة الخارجى وطلبا منى الدخول مع قائد القوة قائلين: مستعدين لتنفيذ ما تطلبه، وشاهدت ضباط شمس بدران يلقون أسلحتهم والقنابل اليدوية على الأرض. أصدرت الأمر رقم (١) من الميكروفون اليدوى طالبا نزول جنود سريتى الشرطة العسكرية بدون أسلحة وذخيرة أولا، حيث كانت لوارى حمولة ٣ أطنان جاهزة لركوبهم بعد تفتيشهم حيث أخذوا إلى السجن الحربى. تلا ذلك صدور الأمر رقم (٢) وهو يخص نزول الأفراد المدنيين بدون أسلحة أو ذخيرة، وانتظرت تنفيذه مثل الأمر الأول ... ثم أصدرت بقية الأوامر على التوالى، كل أمر يأخذ وقته فى التنفيذ قبل صدور الأمر الذى يليه وهكذا ... رحلت الضباط المتقاعدين إلى السجن الحربى، وكان آخرهم شمس بدران الذى رحل إلى سجن القلعة، ثم بدأنا فى جمع الأسلحة من البدروم والدور الأول والسطوح والجراج ورحلت إلى معسكر عابدين فى حمولة ١٣ لورى سعة ٣ أطنان واستغرقت هذه العملية طوال الليل. ثم عينت الحراسة على منزل المشير وعينت اثنين من العمداء للحراسة ٢٤ ساعة على المنزل، وتم تركيب تليفون خارج المنزل للاتصال، وعند وصول المشير إلى منزله تم تحديد إقامته بين أهله وأولاده تحت الحراسة الشرعية للدولة ».

هذه رواية الفريق فوزى عن مأموريته التى كلف بها فى إطار العملية. وقد يكون سرد بعض المعلومات الأخرى والتى تعيها الذاكرة فيه استكمال للصورة ... فقد أعلن الضباط عند وصول القوات أنهم سوف يقاومون بالقوة، واحتلوا أماكن داخل المنزل سبق إعدادها لذلك بالاشتراك مع المدنيين المسلحين الموجودين داخل المنزل، وقام كل

من شمس بدران وجلال هريدى بتوجيه الحديث إلى أفراد القوة التى تحاصرهم بغرض استمالتهم إلى جانبهم وعدم تنفيذ الأمر الصادر باعتقالهم.

وفى أثناء التفتيش عثر على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والقنابل اليدوية، كما عثر على نسخ كثيرة من استقالة المشير عام ١٩٦٢ وكانت معدة فى مظاريف لتوزيعها، كما عثر أيضا على بعض ماكينات الكتابة وآلات الطبع.

وفى حوالى الساعة السادسة صباحا يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ وبعد انتهاء الليلة، اتصل الرئيس تليفونيا بسامى شرف ليطمئن على الأحوال وأخبره بأنه يريد أن يحدثنى، وفعلا بدأت الحديث مع الرئيس. كان يسأل ليطمئن وقال : « شكرا على ما بذلته، والله كانت ليلة عصيبة، هل أفطرت؟ » فقلت له : « نعم الحمد لله » .. ولم نكن قد ذقنا للأكل أو النوم طعما، ثم سأل عن المأمورية الأخرى وهل كل شىء جاهز، فطمأنته أن كل شىء معد – كان يقصد ذهابى إلى جهاز المخابرات العامة وتسلمى السلطات هناك. جلسنا نعيد ترتيباتنا لهذه المأمورية الثقيلة الجديدة، وكان علىَّ أن أبدأ الساعة العاشرة فى الذهاب إلى هناك.

وحتى نكمل صورة ما حدث بعد ذلك من تطورات خطيرة وجدتنى فى حيرة من الطريقة التى أكمل بها سرد الأحداث ... فقد شاركت بنفسى فيها كما شارك غيرى، ويمكن أن أكتب سرد ما تم لتكون معلوماتى هى المنبع الوحيد، ولكن قد يكون هذا الإجراء غير محايد فى نظر البعض، ولذلك اخترت مصدرا يقص علينا الحقيقة، هذا المصدر هو كتيب صغير أسود الغلاف كتبه المستشار محمد عبد السلام اسمه « *سنوات عصيبة – ذكريات نائب عام* »، والسبب فى هذا الاختيار يرجع إلى عوامل كثيرة موضوعية : مؤلف الكتاب مستشار من رجال العدالة، ثم هو نائب عام فى فترة الأحداث التى تضمنها كتابه، ثم كان هو المحقق فى تلك الأحداث التى تلت « الليلة العصيبة » ... ثم يبدو من كتاباته أنه لم يكن مقتنعا بالعهد الذى خدم فيه العدالة فى أخطر مناصبها، فرسم الغلاف نفسه يدل على ذلك؛ إذ تصور « خنجرا » مصوبا إلى كتاب ضخم ربما يرمز إلى الدستور والدماء تسيل بغزارة ... شخص بهذه المشاعر لا يمكن أن يتهم بالتحيز لنظام هذه شهادته عنه ... ثم نجد أن الرجل تقديرا منه لخطورة الأحداث التى سيتولى تحقيقها بعد الليلة العصيبة، يتخذ من الإجراءات التى تجعل

«التحقيق مجردا من أى رأى مسبق، رغما عن أن التحقيقات وأقوال الشهود والتقارير الطبية والكيماوية وظروف الحال أكدت أن المشير عامر مات منتحرا بتناول مادة سامة هى مادة الأكونتين»، فحرص النائب العام أن يتولى « بنفسه التحقيق، بل وينبه على معاونيه من أعضاء النيابة أن يلتزموا فى تحقيقاتهم أقصى ما يطالب به المحقق النزيه من الحيدة وعدم التأثر بفكرة معينة، وإفساح المجال لإثبات أى أقوال تبدى مهما تكن خطورتها لتكون بعد ذلك محلا للفحص والاستنباط واستخلاص النتائج الصحيحة منها » .. ويستطرد قائلا : « رأيت أن أسأل – انطلاقا من هذه الاعتبارات – الفريق أول محمد فوزى والمرحوم الفريق عبد المنعم رياض وغيرهما من الضباط والأطباء، ومن الناحية المضادة سؤال أسرة المشير الذين اتهموا السلطات الحاكمة بقتله. وقد رأيت أن أسأل أفراد الأسرة فى منزلهم حتى يكون التحقيق بعيدا عن أى مظهر من مظاهر السلطان أو أى مظنة من مظان الإرهاب. وطلبت لنفس الاعتبارات من ضباط المباحث العامة وغيرهم من رجال الشرطة الذين صاحبونى فى الطريق أن يبقوا بعيدا عن المنزل مسافة تزيد على المائة متر ... » ثم يقول : « ولما كان كل فرد من أسرة المشير يبدى استعداده للتوقيع على أقواله بعد تسجيلها، فكنت أصر على ألا يوقع إلا بعد أن يطالع ما أثبت على لسانه » ... إذن فالرجل اتخذ كل حيطة يمكن أن يتخذها لكى يكون تحقيقه عادلا لا شبهة عليه.

سرد الرجل فى كتابه الحقائق التالية :

● **الحقيقة الأولى**: استدعى المشير من منزله يوم ١٩٦٧/٨/٢٥ إلى منزل رئيس الجمهورية حيث أفهم أن النية اتجهت إلى تحديد محل إقامته، فحاول الانتحار بمادة سامة وأسعف بالعلاج، وأعيد إلى منزله وقد أيقن أن حريته قد تتعرض فى وقت ما لمزيد من القيود، فظلت فكرة الانتحار مسيطرة عليه وهيأ نفسه لتنفيذها إذا ما وصل الأمر إلى تقييد حريته بدرجة تفوق قوة تحمله.

● **الحقيقة الثانية**: فى يوم الأربعاء ١٩٦٧/٩/١٣ أصدر رئيس الجمهورية أمرا بنقل المشير عامر من منزله إلى استراحة أعدت بالمريوطية فى منطقة الهرم، ليقيم فيها منفردا تحت الحراسة تمهيدا للتحقيق معه فى شأن ما أسند إليه. وقد نقل وزير الحربية هذا الأمر إلى الفريق أول محمد فوزى لتنفيذه، فقام ومعه الفريق عبد المنعم

رياض والعميد سعد عبد الكريم وعدد من الضباط والجنود ووصلوا إلى منزل المشير الساعة الثانية والنصف بعد ظهر ذلك اليوم، وانضم إليهم قائد الحرس المحلى العميد محمد سعيد الماحى. وقابل العميدان سعد والماحى المشير فى غرفة الاستقبال وأخطراه بأمر رئيس الجمهورية فأبى تنفيذه. ودخل الفريق رياض ليحاول بنفسه إقناعه، ولكنه أصر على الرفض وغافل الحاضرين وتناول بقصد الانتحار مادة الأكونتين السامة ممزوجة بقطعة من الأفيون وورقة من السلوفان للتخفيف من آلام التسمم، وعندئذ شوهد وهو يلوك فى فمه مادة أدرك الفريق رياض والسيدة نجيبة كريمة المشير على الفور أنها مادة سامة وأنه تناولها بقصد الانتحار. ونقل المشير إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى، وكان يلوك أثناء الطريق تلك المادة، وقبل بعد إلحاح شديد من الفريق رياض إخراجها ولفظ ما فى فمه فى يد الرائد عصمت محمد مصطفى من الشرطة العسكرية والذى كان يرافقه فى العربة، وكانت عبارة عن ثلاث ورقات سلمها الرائد عصمت إلى المستشفى عند وصوله. وقد أجريت الإسعافات اللازمة هناك، وأصر الفريق أول فوزى على نقله إلى استراحة المريوطية بعد هذه الإسعافات.

● **الحقيقة الثالثة**: وصل المشير إلى المريوطية الساعة الخامسة والنصف مساء يوم ١٩٦٧/٩/١٣ وترك هناك تحت رعاية النقيب طبيب مصطفى بيومى حسنين الذى ظل يتردد عليه طوال الليل، ولاحظ أنه يشكو من سعال وقىء فأعطاه عقاقير مهدئة وبعض الإسعافات. وفى الساعة العاشرة صباح يوم ١٩٦٧/٩/١٤ تسلم الرائد طبيب إبراهيم البطاطا نوبته فى الرعاية الطبية، ولاحظ توالى القىء وأصيب المشير بحالة هبوط لم يتمكن بسببها من تناول طعام الغداء، فأضطر الطبيب إلى تغذيته عن طريق الحقن فى الوريد بمحلول الجلوكوز. وفى السادسة مساء دخل المشير إلى دورة المياه وكان يتقيأ ثم عاد إلى فراشه، ولكنه مات فى حضور الطبيب الساعة ٦,٣٥ مساء.

● **الحقيقة الرابعة**: تولت النيابة التحقيق قبيل منتصف الليل بواسطة النائب العام، وفحص الجثة ظاهريا بحضور وكيل وزارة العدل لشئون الطب الشرعى ووكيل عام المصلحة. ووجد أسفل جدار البطن من الناحية اليسرى قطعة مستطيلة من ورق لاصق يخفى شريطا معدنيا يحتوى على ثلاث فجوات بكل منها مسحوق من مادة ثبت من التقرير الطبى الشرعى والتحليل أنها مادة الأكونتين السامة، وأن المشير توفى

بسبب تناول هذه المادة ممزوجة بالأفيون منذ محاولة نقله من منزله فى الساعة ٢,٣٠ بعد ظهر الأربعاء ١٩٦٧/٩/١٣.

وتحدث المستشار محمد عبد السلام فى كتابه عن تقرير الطب الشرعى الذى أورد أن سم الأكونتين مخبأ وهو ممتزج بالأفيون على جسد المشير، وأن ما تناوله مغافلا الحراس فى منزله كان من هذه المادة، وأن الشريط اللاصق الذى يخفى مادة الأكونتين السامة والمخبأ فى موضع دقيق من جسم المشير قد تكرر نزعه وتثبيته بما يصلح تفسيرا لمحاولة الانتحار أكثر من مرة، وأن استمرار أعراض القىء يومى ١٣، ١٤ يحتمل معه أن تكون وفاة المشير قد حدثت نتيجة تسمم من مادة الأكونتين التى تناولها فى منزله ممزوجة بالأفيون يوم ١٣ - وهى مادة يمكن أن يكون أثرها فوريا أو يتراخى إلى أكثر من ١٨ ساعة - وأن هناك احتمالا أن يكون المشير قد استبطأ مفعول السم فتعجل النهاية وأخذ قدرا آخر منه عندما دخل دورة المياه يوم ١٤ قبيل وفاته. ثم ربط التقرير بين بعض ما أثبته فحص أوراق السلوفان التى لفظها المشير فى السيارة من احتوائها على أجزاء مفضضة لامعة بها آثار مضغ، وبين ما هو ثابت من وجود مسحوق الأكونتين معبأ فى جزء من شريط معدنى مفضض لامع ومخبأ على جسم المشير بورق لاصق، مستخلصا من ذلك أن المشير تناول فى منزله قدرا من مادة الأكونتين الموضوعة فى الشريط المعدنى المفضض، مع احتمال أن يكون هذا القدر وحده هو الذى تسبب فى حدوث الوفاة، واحتمال أن ما عجل بها هو القدر الآخر الذى أخذه فى الاستراحة.

● **الحقيقة الخامسة:** أما عن مصدر المادة السامة فقد ثبت « أن المشير حصل عليها من هيئة المخابرات العامة(*). إذ إن السيد صلاح نصر تسلم فى ١٩٦٧/٤/١٠ ستمائة ملليجرام من مادة الأكونتين السامة معبأة بمقادير متساوية فى ست فجوات كانت معدة أصلا لوضع حبات الريالتين فى الأوراق المعدنية الخاصة. واعترف السيد

(*) قابلنى قائد المجموعة الفنية ومعه ضابط «قسم السموم»، واخبرنى ان السيد صلاح نصر اخذ منه كمية من المادة السامة (الاكونتين) منذ مدة، وأمره بتفريغ كبسولات ريالتين ووضع السم فيها، فاتصلت بالسيد عصام حسونة وزير العدل فذكر « إننا وصلنا إلى الحلقة المفقودة فى التحقيق»، واشار بتحويل الموضوع إلى النائب العام.. وقد كان.

صلاح نصر بتسلمه مادة سامة وضعها فى مكتبه، وظلت فيه بحالتها إلى أن مرض يوم ١٩٦٧/٦/١٣ وانتقل من مكتبه يوم ٧/٣ إلى إحدى الاستراحات حتى أعفى من منصبه يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ دون أن يدرى شيئا عن مصير المادة التى تركها فى مكتبه. وقد ضبط بهيئة المخابرات العامة باقى المادة ومعها ورقات معدنية كانت معدة لوضع حبات الريالتين، وثبت من التقرير الشرعى والصور الشمسية أن إحدى هذه الورقات تكمل الورقة المضبوطة على جثمان المشير وبها مادة الأكونتين ... وبذا تحقق أن المشير حصل على المادة السامة التى انتحر بها من إدارة المخابرات ».

● **الحقيقة السادسة:** نفت أسرة المشير فى أقوالها انتحاره، إلا أن النائب العام «يرد على ذلك بأن هذه الشبهات فوق أنها مردودة بما سبقت الإشارة إليه من أدلة قاطعة بوقوع الحادث انتحارا، فإنها لا تعدو أن تكون ظنونا ليس من شأنها أن تؤدى إلى النتيجة التى تصورتها ابنتا المشير بوفاة والدهما فى ظروف أليمة من جهة أخرى. ولا جدال فى أن المشير مات منتحرا، ولا جدال فى أن ابنتيه كانتا على غير حق فى تصوير الحادث على أنه فعل عمد ».

● **الحقيقة السابعة:** وأخيرا يقرر النائب العام أن المشير هو الذى تناول بنفسه وبمحض إرادته المادة السامة التى أدت إلى موته، ولا جدال فى أن المشير مات منتحرا، وختم حديثه بالآتى :

« ومن وقت أن بدأ التحقيق إلى ما بعد انتهائه بزمن طويل وحتى كتابة هذه الذكريات، والتساؤل يلاحقنى فى كل مجلس يضمنى مع آخرين ويأتى فيه ذكر الحادث: هل انتحر المشير حقا ؟ وكثيرا ما كان التساؤل يرد فى لهجة استنكارية مفعمة بالشك، بل كان البعض يؤكد أنه قتل رميا بالرصاص على الرغم من الماديات التى قطعت بأن جسده كان خاليا من أية آثار للمقاومة أو العنف أو الإصابات الظاهرة أو الباطنة، وعلى الرغم من أن التحقيقات وأقوال الشهود والتقارير الطبية والكيماوية وظروف الحال أكدت أنه مات منتحرا بتناول مادة سامة هى مادة الأكونتين ».

وقام عصام حسونة وزير العدل بإبلاغ مجلس الوزراء فى جلسة ١٩٦٧/١٠/١٠ بقرار النائب العام ... وكان انتحار عامر مأساة لشخصه بدأها بمأساة تسبب فيها للبلاد.

ولا شك أن يومى ٢٥، ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ من الأيام الخطيرة التى مرت بها ثورة يوليو ١٩٥٢ . فما تم فيهما وما تلى ذلك من أحداث شكّل منحنى فى مسار الثورة خاصة وهى تمر بأقسى الاختبارات والتحديات التى واجهتها بعد النكسة.

بقاء المشير عامر رحمه الله على رأس القوات المسلحة مدة طويلة أشعره أنه غير قابل للعزل، فعصى أوامر السلطة الشرعية. تولى المشير سلطات مدنية خطيرة إلى جانب مسئولياته العسكرية الأشد خطرا، جعله لا يعطى أيا من المسئوليتين حقها من الاهتمام ... انفراد المشير بسلطاته المتعددة دون رقابة على ما يجرى فى هذه الآلة المعقدة وهى القوات المسلحة، جعل أمن البلاد معلقا على تقدير شخص يخطئ فى أغلب الأحيان، مما يودى بمستقبل البلاد فى هوة سحيقة... تولى القيادات على مختلف المستويات لمواقعها على أساس الولاء وليس الخبرة والكفاءة يؤدى إلى الهبوط بمستوى القدرة القتالية للقوات ... وأخيرا فإن تحديد الفواصل القاطعة والواضحة بين المسئوليات المدنية والعسكرية أمر حتمى، وإلا بقى السؤال الخطير قائما : من مسئول أمام من ؟ والدول التى لا تتعلم من أخطائها أو أخطاء غيرها مصيرها إلى الفناء.

الفصل التاسع

عودة القوات المصرية من اليمن

كنت على علم بالأحداث التى أدت إلى ثورة اليمن، وشاركت فيها حينما كنت نائبا لرئيس المخابرات العامة وحينما نقلت للعمل برئاسة الجمهورية سفيرا منتدبا من الخارجية بعد ذلك لشغل المكان الذى كان يعمل به السيد محمود رياض كمستشار سياسى لرئيس الجمهورية وقبل نقله للعمل كرئيس لوفدنا فى الأمم المتحدة، ثم بعد ذلك للمصادفات الغريبة أشرفت على عملية سحب قواتنا من اليمن وأنا وزير للحربية والتى بدأت يوم ١٩٦٧/٩/١٠ وانتهت ١٩٦٨/١/٣٠ وهو اليوم الذى تم فيه سحب آخر قواتنا من اليمن بعد أن أدت دورها فى تثبيت ثورتها تحقيقا لإحدى ركائز مبادئ ثورة يوليو ١٩٥٢ لخدمة شعار القومية العربية التى رفعت أعلامها، وتنفيذا للاستراتيجية بعيدة المدى التى ظهرت صحتها بمرور الأيام.

كان آخر تقدير للموقف وقعته عن الأحداث المضطربة فى اليمن قبل نقلى إلى رئاسة الجمهورية يتوقع قيام ثورة فى اليمن لإسقاط الحكم المستبد للإمام أحمد حميد الدين، فقد تكونت خلايا عديدة فى القوات المسلحة اليمنية وفى أوساط المدنيين تهدف جميعها إلى تحقيق ذلك متطلعة إلى الجمهورية العربية المتحدة لمساعدتها فى إسقاط حكم الإمام ... وكان آخر من قابلت من هؤلاء حسن العمرى أحد ضباط الجيش، والذى ناضل من أجل الجمهورية نضالا صادقا ثم أصبح رئيسا للوزراء فى أحرج الأوقات التى مرت بالثورة ... وعبد الرحمن الإيريانى عضو الهيئة العليا الشرعية، والذى اشترك فى ثورة ١٩٤٨ وحكم عليه بالإعدام ثم صدر عفو عنه وأصبح من بين الذين يعتمد عليهم الإمام فى مهام يعهد بها إليه ... وكان حضورهما سرا دون أن يعرف أحدهما بوجود الآخر ... كانا يريدان معرفة رأى القاهرة إذا وقعت الواقعة ... وكان

ردنا أن الأمر مازال تحت الدراسة ... كان تقديرنا للموقف يوصى بعدم التورط باستخدام القوات المسلحة المصرية فى الأحداث، لأن اليمن بئر بلا قاع سواء من الناحية الجغرافية أو الديموجرافية.

فى إحدى ليالى شهر رمضان عام ١٩٦٢ كنت أتناول طعام الإفطار مع بعض الأصدقاء خارج المنزل، وعندما عدت قرب منتصف الليل أخبرتنى السيدة حرمى أن السيد أنور السادات طلبنى تليفونيا أكثر من مرة وطلب أن أتصل به بمجرد عودتى ... كان الوقت متأخرا وقدرت أنه من غير المناسب الاتصال به فى تلك الساعة ... ولكن بادرنى السادات بالاتصال وطلب أن أقابله فى منزله بشارع الهرم الليلة ... وأنا أسكن فى مصر الجديدة والمشوار صعب وبعيد، ولكنه أصر فلبيت طلبه لأنى توقعت أهمية ما يريد قوله فى هذا الوقت من الليل.

كان الدكتور عبد الرحمن البيضانى هناك - عمل بعد ذلك نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء عند قيام الثورة - وتحدث السادات قائلا: من المتوقع حدوث ثورة لإسقاط حكم الأئمة، والبيضانى عنده كلام فى هذا الأفضل أن تسمعه منه فقد قاله لى مرات ومرات ... أمر الرئيس بأن تتولى العملية وتطلب من يساعدك من الأفراد وما تحدده من اعتمادات ... فأنت الآن فى الرئاسة متخففا من أعبائك التى كنت تتحملها فى المخابرات العامة. وسكت ليشعل غليونه للمرة الثالثة.

وتحدث البيضانى - وكنت أعرفه قبل أن يستقيل من عمله بالسفارة اليمنية فى بون - معلنا رفضه خدمة الإمام وعهده الرجعى المتخلف وقال: هناك خلايا قد تكونت فى كل من تعز وصنعاء والحديدة علاوة على خلية مركزية بالقاهرة، ستقوم الثورة سواء مات الإمام نتيجة إصابته فى حادث الاغتيال الذى وقع فى الحديدة أو عاش فاقد الحركة، الاستعدادات قائمة... تحدث عن تفاصيل أخرى كثيرة كان يقرؤها من أوراق سلمنى إياها بعد أن انتهى من حديثه ... سمعت ولم أعلق. فى طريق عودتى إلى منزلى خشيت من قرب إطلاق مدفع الرفع، فجلست فى مقهى سان سوسى بميدان الجيزة وأخذت ساندويتش فول وطعمية مع الشاى وشربت ثم نويت الصيام ووصلت إلى المنزل فى الفجر.

فى الصباح الباكر اتصلت بالسيد أنور السادات وطلبت أن أراه فاعتذر لأنه سيغادر مع العائلة إلى « ميت أبو الكوم »، ولكنى رجوته الانتظار وقابلته فى المنزل ...

عربتان جاهزتان للسفر... الأولاد والسيدة حرمه فى الحديقة فى انتظار انصراف الضيف ... تحدثت عن عدم ثقتى فى البيضانى، فكلامه أكثر من قدرته على الفعل، علاوة على أنه يفتقر إلى قاعدة فى اليمن لأنه عاش خارجها أكثر مما عاش فى الداخل، ثم هو من الزيود ولكنه لا يكتسب ثقة أحد منهم ولا من الشوافع، ثم هو رجل متقلب لا يثبت على رأى، وطلبت أن يتأكد مما قيل له ... وسواء تم التأكد أو لم يتم اعتذرت عن القيام بالمهمة، فليس معقولا أن أشرف على عملية اقترحت عدم التدخل فيها من جانب القاهرة من أسابيع، ثم لماذا نكوِّن جهازا آخر وعندنا جهاز المخابرات قائم فعلا ويمكنه القيام بذلك، وإذا كان الرئيس يكلفنى بذلك عن طريقه فلم لم يتم ذلك منه مباشرة وأنا اعمل مستشارا له؟!!!

ناقشنى السيد أنور السادات فيما قلت ولكنى لم أقتنع، وسلمت على العائلة وعليه وخرجت. وذهبت إلى منزل السيد على صبرى رئيس الوزراء دون موعد، وأخبرته بما حدث ولكنه كان آخر من يعلم كالعادة، إلا أنه علق: « هوه أبو اللخبيط مش هيبطل لخبطة ».. أشك كثيرا فى أنه فاتح أحدا فى ذلك فهو لا يحب المواجهة ولا يقدر عليها، إلا إذا كان قد فعل ذلك من « تحت لتحت ».

ومات الإمام أحمد متأثرا بجراحه يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ وتولى الحكم بعده ولده البدر الذى انقض عليه الثوار بعد ذلك بأسابيع قليلة. وقد حدث أن زارنى فى منزلى فى أول أيام حكم البدر كل من الأستاذ أحمد النعمان والأستاذ محمود الزبيرى ... وكانا فى القاهرة كلاجئين سياسيين هربا من حكم الإمام بعد أن سجنا فى سجونه سنوات، وكانا يمثلان وحدة الزيود (الزبيرى) والشوافع (النعمان) ... وقد اقترح النعمان إرسال برقية مشتركة منه ومن الزبيرى ينصحان فيها الإمام الجديد « الولد البدر » بترك سياسة أبيه، إلا أن الزبيرى امتنع عن التوقيع. وقد فهمت فى الحال أن الزبيرى قد اتصل من وراء ظهر النعمان بالخلية المركزية بالقاهرة التى تعمل مع الخلايا الثورية الأخرى داخل اليمن على تقويض حكم أسرة حميد الدين. وأرسل النعمان البرقية التى كتبها فى مكتبى « إلى الولد البدر »، ينصحه بترك طريقة وأساليب حكم والده وإلا فالويل له والثبور. وقد أسىء فهم إرسال البرقية عند الإخوة اليمنيين، إذ إنه حينما استولى الثوار على الحكم فى صنعاء أرسلوا فى طلب الزبيرى للمشاركة فى الحكم الجديد وأهملوا دعوة النعمان الكبير وولده محمد، وسافر الزبيرى فى الطائرة إلى

صنعاء. وجاءنى أحمد النعمان وولده محمد يشكوان، فذهبت إلى السيد أنور السادات وقابلته فى المؤتمر الإسلامى - وكان يشرف على النواحى السياسية للتعاون الذى بدأ بين القاهرة وصنعاء - وصححت له الوضع والصورة وسافر النعمان وولده فى طائرة الغد إلى صنعاء ليشاركا فى ثورة سجنا ونفيا من أجلها. كان النعمان يعارض تورط القاهرة فى أى مساعدات عسكرية لليمن، فقد كان يخشى على القاهرة من ذلك لإيمانه بأنه ما دامت أعلام القاهرة مرفوعة كان ذلك أكبر ضمان للعروبة. ودارت عجلة الثورة والقوات المسلحة المصرية تقاتل إلى جوارها ضد القبائل الملكية التى تعاونها جنود المرتزقة من الأجانب بأموال سعودية، إلى أن توطد الحكم الجمهورى فى شبه جزيرة يحكم دولها ودويلاتها ملوك وأمراء. أثناء ذلك قتل الزبيرى فى شوارع صنعاء «عاصمة بلاد الواق الواق » كما يسميها فى كتبه التى كان يصدرها من القاهرة وهو فى المنفى. وابتعد النعمان إلى السعودية ومتجولا فى أوروبا إلى أن مات ... رحم الله الزبيرى والنعمان وجزاؤهما عند الله الذى يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به ... ويعلم الله أنهما لم يشركا. كتبت ذلك وما رأيته حتى أصحح ما يقال سواء بقصد أو عن غير قصد.

ودارت الأيام والقتال يدور، والعسكرية المصرية تقاتل فى اليمن ويسقط الشهداء ليتوطد الحكم الجمهورى هناك إلى أن اقتضى الأمر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قفل باب المندب أمام الملاحة المعادية، فقفل وكان هذا من المستحيلات لولا قيام الجمهورية. وثبت أن مفتاح قناة السويس وكذلك مضيق تيران هناك فى الجنوب فى باب المندب، بل وثبت أن نفط الخليج المتجه إلى أوروبا مفتاحه هناك... أقول العجلة تدور، فقد أصبحت فى ذلك الوقت فى منتصف الستينيات سفيرا لمصر فى العراق، واستدعانى الرئيس عبد الناصر لمقابلته لأمر مهم فحضرت إلى القاهرة وكان الموعد فى القطار المتجه إلى الاسكندرية ليستقل إحدى سفن الأسطول وهو يتجه لزيارة الجزائر. وقابلت الرئيس فى مقصورته وكان معه المشير عامر، وبعد اللقاء عدت إلى مقعدى فى القطار وحضر السادات ليجلس بجوارى وبادرنى قائلا: « شفت يا أمين الواد البيضانى عمل إيه ؟» كان الدكتور البيضانى قد ترك السرب فى اليمن وهاجر إلى عدن، ومن هناك - ولأسباب لا محل لذكرها - أخذ يهاجم الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها وأنور السادات. فقلت له: « هذا هو عبد الرحمن البيضانى، وقد حدثتك عنه فى منزلك وثبتت صحة أقوالى ». فقال: « والله صحيح يا أمين، كلامك صح. أنا لازم أخطفه ». لم أعلق

وقلت: « تخطفه !!! الأمر لك ». قال: « بس إنت الذى ستقوم بخطفه. مكانك فى بغداد مناسب جدا للعملية، أصدقاء العراق كثيرون هناك فى عدن واليمن. فإذا تمت العملية إما أن تنقله إلى بغداد أو القاهرة حسب ما تقودنا الأمور ». وقلت له: « يا سيدى قلت لك من قبل هناك جهاز مخابرات يقوم بمثل هذه الأعمال. أما أنا فسفير لبلادى فى بغداد ومسئولياتى وما أقوم به من أعمال فى بلاد الرافدين لا تترك لى فرصة للقيام بذلك، علاوة على أن هذا العمل يحتاج إلى نوع خاص من الرجال ». فقام الرجل غاضبا وهو يقول: « أنت دائم الرفض لكل ما أقترحه عليك من أعمال !!! » ... ربما كان الرجل متأثرا بمحاولة قامت بها أجهزة المخابرات لخطف عميل مزدوج من روما وشحنته فى أحد الصناديق، إلا أن الأمر اكتشف فى مطار روما مما أحدث ضجة كبرى فى ذلك الوقت.

وحينما قصصت ما جرى على الرئيس ضحك كثيرا بضحكته المكتومة ولم يعلق بشىء. كان السادات طرازا خاصا من الرجال لم ينس أبدا حتى وهو فى قمة السلطة أنه عمل فى شبابه فى كثير من الخلايا السرية تحت الأرض ... سمعته مرة يقول أيام مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨: « هم عاوزين أيه؟! والله أعود إلى المسدس وأنزل إلى الشارع مرة أخرى ».

وأعود مرة أخرى لأتعامل مع اليمن وأنا وزير للحربية بعد نكسة ١٩٦٧ ... بعكس ما يردده البعض فقد شاءت إرادة الله أن تنجو قواتنا هناك من الكارثة التى حدثت لقواتنا المسلحة فى سيناء، فوجودها على بعد مئات الأميال جنوبا فى جبال اليمن وأوديته. وما كان يضيف شيئا إلى قدرتنا القتالية فى سيناء وجودهم هنا تحت قيادة من نوع القيادة العسكرية التى ورطتنا فى حرب لم نقاتل فيها بطريقة فعلية. فلم يكن قلة حجم القوات أو نوع العتاد والسلاح هو السبب فى الكارثة التى حدثت حتى يستخدمها البعض كشماعة يعلق عليها أسباب الهزيمة ... فكانت اليمن والحالة هذه بمثابة منطقة حشد استراتيجى لقوات احتياطية يمكن إدخالها إلى المعركة فى أيام سوداء عز فيها توافر السلاح والوحدات، ولم يكن الفضل فى ذلك لتخطيط أو تدبير، ولكن كان الفضل كله لله سبحانه وتعالى.

وعلى أى حال فقد بذلت القاهرة محاولات عديدة حتى قبل النكسة للوصول مع المملكة العربية السعودية إلى حل يحقق للشعب اليمنى أمانيه وآماله، مما يفتح الطريق

أمام رجوع قواتنا من اليمن إلى الوطن الأم. ودون الدخول فى تفاصيل معروفة، فقد أمكن الوصول إلى اتفاق بين الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك فيصل آل سعود فى مؤتمر الخرطوم فى ١٩٦٧/٨/٢٩ وكان ذلك إيذانا بعودة قواتنا إلى مكانها الطبيعى فى ميدان القتال لمواجهة الموقف الخطير فى سيناء. وكان من ضمن بنود الاتفاق تعهد السعودية بتوفير ٥ سفن من حمولات متنوعة للمساعدة فى عملية الإخلاء. وانتهى التخطيط لهذه العملية لتتم على مرحلتين:

●● **المرحلة التحضيرية:** وتبدأ فى ١٩٦٧/٩/١٠ وتنتهى فى ١٩٦٧/١٠/١٥ أى أن مدتها ٣٥ يوما، ويتم فيها إخلاء الاحتياجات الزائدة على الحاجة من صنعاء والأماكن الأخرى إلى الحديدة قبل يوم ١٩٦٧/١٠/١، وتسليم المستشفيات والورش ومستودعات الوقود ومخازن الأدوية والمزارع التى كنا نزرعها لتوفير تكاليف شحنها من مصر إلى السلطات اليمنية، وكذلك نقل جميع الأسلحة والذخائر والمعدات بما فى ذلك ما يحتاج إلى إصلاح ... كان حجم هذه الاحتياجات كبيرا بحق، واحتاج الأمر إلى تخطيط دقيق لسحبها ونقلها وتشوينها فى ميناء الحديدة.

●● **المرحلة التنفيذية:** وتبدأ من ١٩٦٧/١٠/١٦ إلى ١٩٦٧/١٢/١٥، ويتم فيها شحن الوحدات والمعدات من ميناء صنعاء وهو ميناء الإخلاء إلى كل من ميناء برنيس لتفريغ الأفراد والعربات، ميناء أبو الغصون وهو يقع شمال ميناء برنيس على البحر الأحمر بمسافة ٧٥ كم لتفريغ المعدات الثقيلة والدبابات وكذلك الأفراد. وقد تأجل موعد انتهاء المرحلة ليصبح ١٩٦٨/١/١٨ ثم تأجل مرة أخرى حتى ١٩٦٨/١/٣٠ لتعقيدات كثيرة من المعتاد وجودها فى مثل هذه العمليات، ولكن كان ما عرف وقتها «بأزمة العلم» أكثرها تعقيدا ...

أصرت السعودية أن تدخل المراكب الخمسة التى استأجرتها من شركات أجنبية للمساعدة فى عودة قواتنا من اليمن إلى ميناء الحديدة وهى رافعة الأعلام السعودية، لكن قيادة الثورة اليمنية رفضت ذلك رفضا باتا إلا إذا اعترفت الرياض بالجمهورية الوليدة. ولم تفلح أى جهود لحل المشكلة، وظهر لنا أن الطرفين ربما لا يريدان لقواتنا أن تعود... فالحكم الجمهورى يفضل بقاءها كرادع للعدوان المستمر الذى يريد أن يقوضه قبل أن يعمق جذوره، والسعودية تريد بقاءها بعد أن أصبح وضع القوات

معرضا ومكشوفا وهى فى مكان حشدها بميناء صنعاء، وهى تنشر المال والذهب على رجال القبائل. وأصبح الوضع خطيرا على قواتنا التى تجمعت فى « رأس الشاطئ » استعدادا للإبحار، وكان لابد من حل بديل وعاجل.

لم أكن مرتاحا منذ البداية لمشاركة السعودية فى عودة قواتنا من اليمن ولو بتقديمها المراكب الخمسة التى تعهدت بتقديمها، لأسباب واضحة: فقد ظلت تقاوم وجود قواتنا عن طريق القبائل بالوكالة حتى بعد اتفاقية الخرطوم، وعن طريق فتح مكاتب فى العواصم الأوروبية لتجنيد المرتزقة الأجانب بأجور خيالية، فإن تشحن قواتنا وتخليها من صنعاء فذلك له معناه غير المقبول. وفى نفس الوقت كنت قلقا من احتمال خلخلة الوضع بالنسبة لقواتنا نتيجة لزيادة ضغط القوات الملكية من جانب، ولتجمع قواتنا فى مكانها الضيق بميناء الحديدة من جانب آخر. فاتصلت بالمهندس محمود يونس وزير النقل والمواصلات أسأله المعونة لتوفير المراكب التى قد تكون موجودة فى ميناءى السويس والأدبية. وكعادة محمود يونس، الذى لولاه لزاد تعقد الموقف أيام أزمة تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ لقيادته الحاسمة لما سمى وقتئذ « بمعركة سحب المرشدين »، فإنه واجه الموقف بحسم ووطنية؛ إذ أنه بعد وقت قصير من اتصالى به، حدثنى من السويس التى ذهب إليها ليدير الأمر بنفسه مؤكدا توفير المراكب المطلوبة. واتصلت بالرئيس عبد الناصر لأخبره بالموقف فى الحديدة وبالحل البديل الذى كان لمحمود يونس الفضل فى تدبيره، ووافق الرئيس على الحل البديل مؤكدا ضرورة إرسال برقية باسمه لشكر السعودية على تعاونها، وبأننا وجدنا حلا يحلها من وعدها الذى التزمت به فى مؤتمر الخرطوم. وتمت عودة قواتنا من الحديدة بسفن ترفع أعلاما مصرية وتحت إدارة مصرية إلى قواتنا على جبهة سيناء التى خصصت لها تبعا للخطة الموضوعة.

وعادت اللواءات الستة المشاة ٢، ٥، ٧، ١٧، ١٨، ١١٩، وأخذت مواقعها فى أماكن تجمعها الجديدة لإعادة تجهيزها وتسليحها لتوزيعها فى أماكن القتال تبعا للخطة الموضوعة، ولم يبق هناك بالحديدة إلا بعض كتائب الصاعقة وإحدى كتائب المشاة.

وكلمة نقولها للتاريخ من واقع معايشتنا للأحداث ومشاركتنا فيها، تتعلق بما يتردد عن أن حرب اليمن كانت جبهة مشتعلة تمنع القيادة السياسية من فتح جبهة جديدة فى

سيناء، وأنها هبطت بمستوى الضبط والربط فى القوات المسلحة نظرا لطبيعة العمليات التى كانت تحتم انتشار الوحدات على مساحات واسعة، وأن جبهة اليمن المتحركة كانت من أهم أسباب النكسة لأنها اقتطعت جزءا كبيرا من القوات كان يمكن استخدامه لمواجهة العدو فى سيناء ...

■■ من المسلم به أنه من الواجب تحاشى الحرب فى أكثر من جبهة، تنفيذا لأهم مبدأ من مبادئ الحرب وهو مبدأ الحشد، وكان من الأنسب ترتيبا على ذلك عدم فتح جبهة سيناء ... وهذا قول لا غبار عليه، ولكن لم يكن اختيار فتح جبهة سيناء فى ذلك التوقيت فى أيدينا تماما ... فالعدو يهدد باجتياح سوريا والاستيلاء على دمشق لإسقاط الحكم هناك ثم العودة، فى ظل معاهدة دفاع بين القاهرة ودمشق، وفى ظل معاهدة الوحدة الاقتصادية والدفاع المشترك عام ١٩٥٠، وكذلك فى نفس الوقت فى ظل هجمات إعلامية من بعض الدول العربية على النظام المصرى الذى يعيش تحت حماية القوات الدولية الموجودة على الحدود وفى منطقة خليج العقبة بعد حرب ١٩٥٦. وعلى ذلك فمن الواجب تقييم القرار فى ظل الظروف التى كانت قائمة، فالقرار وليد ظروفه. ثم لم يكن هناك أى اعتراض من القيادة العسكرية على كل مستوياتها على ذلك، ولم يكن هناك ذكر من أحد منهم عن جبهة اليمن، لأن أى تحفظ يفقد قيمته إذا بقى سرا فى صدر صاحبه أو إذا انقضى زمانه مما يعتبر شجاعة فى الوقت غير المناسب.

■■ أما ما قيل بأن الحرب فى اليمن هبطت بمستوى الضبط والربط فى القوات المسلحة نظرا لطبيعة العمليات التى كانت تحتم انتشار الوحدات على جبهة واسعة، فإننا نقول: مسئولية من هذه التى يتحدثون عنها؟! يقتضى انتشار القوات على مساحات واسعة أكبر قدر من الضبط والربط على مختلف المستويات وليس العكس، فإذا كان من المعروف أن فرض الضبط والربط هو من مسئولية القيادات بوجه عام فإنه يصبح واجبا أساسيا حتى مستوى القيادات الصغرى فى حالة توزيع القوات على مساحات واسعة، ولا يكون هذا الانتشار مدعاة لفقدان السيطرة بل على العكس من ذلك يكون حافزا على زيادة الاهتمام بها والعمل على تحقيقها. إذ أن أساس العمليات الحربية بكافة أنواعها هو الضبط والربط، ويؤدى التهاون فيه إلى فشل العمليات وتكبيد الوحدات خسائر فادحة. وعلى هذا الأساس فما هى الترتيبات التى اتخذتها

قيادة مسرح العمليات، أو القيادة العامة للقوات المسلحة، لملاقاة تفكك وحداتها نتيجة لهبوط مستوى الضبط والربط ؟! فهل شعرت القيادة بهبوط مستوى الضبط والربط ؟! إذا كان الجواب بالنفى فإن هذا لا يجوز. وإذا كان بالإيجاب فماذا فعلت، وما هى الإجراءات التى اتخذتها لملافاة ذلك العيب الخطير؟

■■ أما بخصوص التأثير السلبى لحرب اليمن على هزيمتنا فى سيناء عام ١٩٦٧ فالتأثير موجود لا شك فيه، ولكن علينا أن ننظر إلى القضية فى ضوء أنه بعد تحرك جبهة اليمن مباشرة أصبحنا نواجه مجهودين: مجهودا رئيسيا وهو عدونا الأساسى إسرائيل، ومجهودا فرعيا وهو مسرح اليمن. ولم تصدر أى تعليمات فى أى وقت من الأوقات لتغيير هذه الأسبقية أو تعديلها، وكان على القيادة العسكرية وضع عينها طوال الوقت على المجهود الرئيسى بالرغم من الأعباء التى فرضتها حرب اليمن عليها، خاصة أن معظم قواتنا استمر باقيا فى القاعدة الرئيسية فى أرض الوطن ... القوات الجوية اشتركت فى جبهة اليمن بقوات محدودة، أعطت الأسبقية فيه لأسراب النقل وبعض طلعات القاذفات طويلة المدى التى كانت تعمل من قواعدها الأساسية فى الوطن لعدم توافر المطارات ولعدم احتياج طبيعة العمليات للمساعدة الجوية ... أغلب القوات المدرعة ظلت فى أماكنها هنا فى مصر لأن طبيعة حرب العصابات التى كانت دائرة فى جبال اليمن ووديانها لم تكن صالحة لأعمال القوات المدرعة على نطاق واسع، والدليل على ذلك أننا خسرنا فى سيناء أكثر من ٨٥٠ دبابة ... وعددا محدودا من لواءات المشاة كان هناك فى مسرح اليمن، وظلت هنا كل القوات اللازمة لخطة « قاهر » علاوة على لواءات مستقلة، وقدرت تلك القوات بأربع فرق مشاة وأربعة لواءات مستقلة وفرقة مدرعة وثلاثة لواءات مدرعة مستقلة، علاوة على وحدات المدفعية والهاون والمهندسين ... قوات الدفاع الجوى بالكامل كانت موجودة فى مواقعها بالقاعدة الرئيسية بأرض الوطن.

إذن كانت القوة الضاربة كلها فى أرض الوطن متمثلة فى القوات الجوية والمدرعة. فما الذى حال دون التدريب على الخطط الموضوعة والقيام بالأعمال الهندسية فى سيناء من تجهيز المواقع، وزرع حقول الألغام فى مواجهة طرق التقدم، وإقامة الأسلاك الشائكة، وتجهيز المواقع التبادلية والخداعية؟ ما الذى حال دون تجهيز الدشم وخطط

التعبئة، وإجراء مناورات للتدريب المشترك على كافة المستويات؟ وما الذى حال دون قيام القوات الجوية بتدريب طياريها بالمئات؛ إذ ظهر العجز الشديد فى الطيارين يوم بدء القتال، فلم يتعد عددهم وقتئذ ١٥٠ طيارا بينما كانت الطائرات القاذفة والمقاتلة الصالحة للقتال ١٥٤ طائرة.. أى أن عدد الطيارين كان مساويا لعدد الطائرات، بينما كان من الواجب أن يكون عدد هؤلاء ضعف أو ثلاثة أضعاف عدد الطائرات. وإذا قارنا ذلك بإسرائيل فإنه كان لديها ١٠٠٠ طيار للعمل على ٣٧٦ طائرة وهى نسبة معقولة.

الذى نريد أن نؤكده أن حرب اليمن لم تكن أحد الأسباب الرئيسية للنكسة، وأن غياب قواتنا هناك لم يؤثر على توازن القوى فى المعارك الدائرة، لأن قواتنا فى سيناء لم تحارب أصلا لا معركة دفاعية أو هجومية ... كانت القوات موجودة مستعدة للقتال ولكن كانت قياداتها العليا غائبة.

والذى نريد أن نؤكده أيضا للتاريخ أنه لو أضيفت قواتنا باليمن إلى الحشد الهائل الذى تم فى سيناء منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ فلم يكن معنى ذلك بالضرورة زيادة قدرتنا القتالية بالدرجة التى يتعدل بها ميزان القوى، بل إن وجودها بعيدا فى اليمن أنقذها من المصير المحزن الذى واجهته قوات سيناء نتيجة لتصرفات قيادة خذلت وحداتها فى زمن السلم والحرب على حد سواء ...

كانت عملية الانسحاب من سيناء كارثة، ولكن كانت عملية سحب قواتنا من اليمن إنقاذا.

لم أذهب إلى اليمن أبدا أيام حكم الأئمة، ولم أذهب إلى اليمن أبدا وأنا فى السلطة، ولكنى ذهبت إليها بعد ذلك مرتين أو ثلاثة لإلقاء محاضرات أو حضور ندوات قبل أن تتم الوحدة بين اليمنيين وبعد ذلك أيضا.

كان كل شىء يتغير إلا عادة واحدة ظلت كما كانت وهى « جلسات القات » للرجال والنساء على حد سواء ... الملكيون عجزوا عن اقتلاع العادة وكذلك الجمهوريون ... ولما كتبت عن ذلك غضب الأصدقاء حتى ومساحات زراعة القات تتزايد على حساب زراعة البن اليمنى الشهير، وحتى لو أنها تتسبب فى تبديد المال والجهد بالنسبة لأشقائنا فى البلد السعيد.

ذهبنا إلى اليمن لنقاتل إلى جوار شعب عربى يريد الحياة وليصبح مضيق باب المندب عربيا مما يعدل بعض الخلل فى أوضاعنا الاستراتيجية، وانسحبنا من اليمن بعد أن تحقق الغرض لنواجه بالقتال أيضا عدوا شرسا يحتل سيناء وبلادا عربية أخرى. وتطهرت سيناء ومازالت القوى العربية تقاتل لتطهير باقى الأرض. فهل سنرى هذا اليوم؟ العلم عند الله.

الفصل العاشر

رئيسا للمخابرات العامة

مجال

المخابرات العامة مجال مثير وهو من أشرف المجالات التى يمكن للمواطن أن يخدم فيه بلده، فهو كالنور الذى ينير الطريق أمام أصحاب القرار، وفى الوقت نفسه فهو درع يحمى الأمن القومى للبلاد فى زمن السلم والحرب. وإذا كانت القوات المسلحة تقاتل فى زمن الحرب فقط، فإن رجال المخابرات ونساءها يقاتلون فى زمن الحرب والسلام.

أثناء الإعداد لعملية « جونسون » لفرض الشرعية بعد أن أعلن المشير عامر العصيان بعد هزيمتنا المنكرة، مهددا بتصرفاته وحدة القوات المسلحة والعدو رابض على الضفة الشرقية للقناة، قررنا حتمية شمول العملية جهاز المخابرات العامة أيضا حيث ظهر أن السيد صلاح نصر متعاون مع المشير ورجاله، بل تستر على أعمالهم وتآمرهم. وكلفنى الرئيس بأن أتولى رئاسة الجهاز ـ لأننى كنت من الذين شاركوا فى تأسيسه ـ بعد تطهير منزل الجيزة من المشير عامر وأعوانه وحراسه، إلى جانب عملى كوزير للحربية، وهذه سابقة لم تحدث من قبل منذ قيام الثورة ... فإن يجمع فرد واحد بين مسئوليتى وزارة الحربية والمخابرات العامة، وفى مثل الظروف التى كانت سائدة فهذا أمر فوق الطاقة، ولذلك فإننى كنت واضحا حينما قلت للرئيس: « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ... فإن هذا الوضع خارج قدراتى من جانب وضد الصالح العام من جانب آخر، ولذلك فحينما تستقر الأمور فأرجو أن أتخفف من إحدى المسئوليتين أو من كلتيهما، ما دام ذلك تحقيقا للصالح العام » .. ووافق الرئيس، وقد كان. وكلما تذكرت كيف واجهت المسئوليات الكثيرة التى ألقيت على عاتقى وثقت بقدرة الله سبحانه وتعالى على مساندة الفرد، ما دام الإخلاص رائده ويقوم بعمله لا يبغى جزاء ولا شكورا.

علاقتى بالمخابرات العامة علاقة قديمة، وعلى وجه التحديد قبل ذلك بعشر سنوات، وقد كنت وقتئذ مديرا لقسم الخطط بإدارة العمليات الحربية برئاسة القوات المسلحة، وكنا فى فبراير ١٩٥٧ ونحن نواجه توابع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ بسبب تأميم الرئيس عبد الناصر قناة السويس. زارنى شعراوى جمعه وكان بإدارة التنظيم والإدارة فى رئاسة الجيش (كان شعراوى برتبة يوزباشى أى نقيب، وكنت برتبة صاغ أركان حرب أى رائد أركان حرب) وذكر لى أنه يحمل لى رسالة من صلاح نصر نائب رئيس المخابرات العامة لمقابلته فى إحدى حجرات القيادة. وذهبت معه إلى حيث يوجد صلاح نصر، وتركنا شعراوى دون مقدمات، وذكر لى صلاح أنه « يسعده أن أنتقل للعمل معه فى المخابرات العامة، وأنه يعمل الآن كنائب لرئيسها وهو على صبرى بعد أن خلف زكريا محيى الدين، وأن على صبرى سينتقل للعمل برئاسة الجمهورية وأنه هو ـ أى صلاح ـ سيخلفه فى رئاسة الجهاز، وحينئذ سأتولى منصب نائب رئيس الجهاز ». ووافقت دون أن أعرف شيئا من التفاصيل ... كنت مزعزعا بعد ما رأيته من أداء عسكرى سيئ فى الحرب، لأن نتيجة حرب ١٩٥٦ المذهلة كانت نتيجة لأداء سياسى ممتاز بأداء عسكرى سيئ، وذهبنا سويا لمقابلة اللواء عبد الحكيم عامر (القائد العام للقوات المسلحة) لعرض الموضوع عليه وأخذ موافقته. عرض صلاح القضية دون تدخل منى، ولكن « عامر » اعترض قائلا بالحرف الواحد : « نحن نعد أمين لتولى قيادة القوات المسلحة ». وسألنى : ما رأيك ؟ وأجبت بأن وضعى حرج بعد ما قال. وهنا اتفق على أن أنقل عن طريق الانتداب إلى المخابرات العامة. وانتهى الاجتماع، وحينما وصلت إلى باب حجرة « عامر » للخروج نادانى ضاحكا : « لمَ لمْ نتكلم فى النواحى المالية أثناء فترة الانتداب ؟ » ورددت بما لزم، فقال : « على أى حال سيعالج صلاح الموضوع ».

و فى اليوم التالى خلعت الزى العسكرى لآخر مرة، وبدأت أزاول عملى فى المخابرات العامة بالمبنى الملحق بمبنى رئاسة الوزراء بالزى المدنى.

ونقلت بعد ذلك إلى السلك المدنى، وتوليت رئاسة مجموعة المعلومات والتقديرات التى أصبحت هيئة المعلومات والتقديرات. ولم تخل خدمتى تحت رئاسة صلاح نصر من أزمات كثيرة اضطررت فى إحداها لتقديم استقالتى والاعتكاف فى المنزل. ولما

تكررت الأزمات كان لابد من تغيير الخيول وتغيرت مرة واحدة : أمين هويدى سفيرا إلى يوغوسلافيا، وشعراوى جمعه محافظا للسويس، وأحمد كمال أبو الفتوح محافظا للقليوبية.

ولكن بتدخل من السيد زكريا محيى الدين صرف النظر عن تعييني سفيرا في يوغوسلافيا، لأنقل بعدها سفيرا فى رئاسة الجمهورية لأشغل نفس منصب محمود رياض كمستشار للرئيس.

وآسف على هذا الاستطراد .. فقد سبق أن ذكرت أنه فى يوم ١٩٦٧/٨/٢٤ اتفق الرئيس مع المشير لمقابلته فى منزله بمنشية البكرى مساء ١٩٦٧/٨/٢٥، لنبدأ نحن فى تنفيذ عملية « جونسون » التى انتهت بتحديد إقامته ثم انتحاره. وفى اليوم نفسه أى يوم ١٩٦٧/٨/٢٤ تقابلت فى منزلى مع السيد محمود عبد السلام، وهو من الضباط الأحرار الذين شاركونى صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى ضبط الأوضاع بالكتيبة الرابعة المشاة التى كانت موجودة فى رفح، والذى عينته كأركان حرب الكتيبة يوم الثورة ثم نقلته للعمل بجهاز المخابرات العامة منذ أواخر الخمسينيات حينما كنت أعمل نائبا لرئيس الجهاز. والرجل يتمتع بمزايا كثيرة، فهو ليس زميلا وصديقا فحسب ولكنه فوق ذلك يتمتع بكفاءة نادرة فى معالجة الأمور. وقد حدثته فى هذه المقابلة عن تغييرات سوف تحدث فى بعض أجهزة الدولة، وأننى سأتولى رئاسة جهاز المخابرات خلال الساعات القليلة القادمة، وسوف أكون فى مكتب رئيس الجهاز الساعة ١٠ صباحا يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ وعليه أن يكون فى انتظارى لأنه سيعمل كمدير لمكتبى منذ لحظة وصولى. ووافق الرجل دون تردد أو تساؤلات، فالثقة كاملة بيننا علاوة على أنه يعرف أننى لن أزيد حرفا عما قلت. وقبل أن ينصرف اتفقت معه على عدم تبادل الاتصال فى الساعات القادمة وحتى وصولى إلى الجهاز فى الموعد المتفق عليه، وإن حدث تغيير فى الموعد لظروف طارئة فإن الاتصال سوف يكون من جانبى. وكان علىَّ أن أضع خطة ابتدائية لتحديد الخطوات التى تنفذ إن سارت الأمور سيرها الطبيعى، وحددت هذه الخطوات وبتوجيهات عامة من الرئيس فى الآتى :

١- التحفظ على بعض المسئولين ممن تجمعت عنهم معلومات بإساءة فى التصرف للتحقيق معهم فى أمور كان الحديث يدور بشأنها همسا (كان عدد هؤلاء ١١ فردا).

٢- إعطاء بعض المسئولين إجازة إجبارية حتى يتحدد موقفهم ولتسهيل عملية التصحيح المقبلة، فلا يمكن دخول الهواء النقى إلا بعد طرد الهواء الفاسد (كان عدد هؤلاء ٧ أفراد).

٣- إجراء حركة تعيينات جديدة فى الأجهزة الحساسة (كان عدد من شملتهم التعيينات عشرة أفراد).

٤- واجبات سريعة للأجهزة لتنفيذها تبعا لاحتياجات داخلية وخارجية.

٥- تحديد الموضوعات التى يتم التحدث فيها مع « كبار » رجال الجهاز عند اجتماعى بهم فى أقرب وقت ممكن، للحد من حالة القلق الحتمية التى ستسود الجميع نتيجة للإجراءات السابقة، وتوضيح الخطوط العامة الرئيسية للاتجاهات لسير الجهاز وعلاقاته بالأجهزة الأخرى.

وقد سهل لى الإعداد لهذه الإجراءات الحساسة أننى ابن قديم للجهاز شاركت فى تأسيسه - كما سبق القول - وتوليت فيه من قبل أكبر المناصب لمدة لا تقل عن خمس سنوات فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، ولذلك كنت أعرف أفراده وتنظيمه وطريقة عمله وإيجابياته وسلبياته. ولكن كانت هناك أمور كثيرة قد استجدت أعرف عنها القليل وتركت للأيام القليلة القادمة توضيحها، علما بأننى أعرف تماما درجة تعقيدها، لدرجة أن أحد رؤساء الجهاز الذين تولوا قيادته بعد تركى إياه، وفى اجتماع أخير مع رؤساء الإدارات وهو يتأهب لتولى منصب جديد نقل إليه، قال لهم بالحرف الواحد : « والله أنا قعدت معاكم الفترة الماضية ودخلت الجهاز وأنا لا أعرف كيف يعمل، وأغادره الآن وأنا لا أعرف أيضا كيف يعمل !! » والشىء الغريب أنه سمح لنفسه بعد ذلك أن يقيم أعمال الجهاز أثناء فترة رئاستى له.

بعد انتهاء عملية « جونسون » بنجاح كامل وبطريقة سليمة، تأهبت للذهاب إلى مبنى المخابرات العامة. وكان من رأى شعراوى جمعه وسامى شرف أن تسبقنى فصيلة من الشرطة العسكرية تحسبا لأى موقف مفاجئ، إلا أننى استبعدت هذا الحل فى الحال؛ إذ كيف أتولى رئاسة جهاز خدمت فيه من قبل خمس سنوات كاملة وأعرف كل أفراده تقريبا فى ظل حماية من الشرطة العسكرية ؟! هذا غير معقول وغير جائز. وفضلت الذهاب وحدى وبعربتى الخاصة وبدون سائق أو مرافق، فأنا لا أقتحم جهازا ولكنى

وبناء على أوامر من السلطة الشرعية أتولى مسئولياته ولكن فى ظروف استثنائية. ولذلك حين مغادرتى مكتب « سامى » اتفقت معه على أن يتصل بالسيد وجيه عبد الله مدير مكتب السيد صلاح نصر لإخطاره بصدور أوامر الرئيس بتعيينى رئيسا للجهاز، وبأننى فى طريقى إليه. وفعلا كنت على الباب الخارجى الرئيسى للمبنى فى تمام العاشرة صباحا، ولما سألنى رئيس مكتب الأمن عن شخصيتى أخبرته بأننى رئيس المخابرات الجديد، ولم يكن الرجل على علم بذلك وأدى هو ورجاله التحية. وأخذت المصعد إلى الدور الأول فى طريقى إلى مكتب رئيس الجهاز وحدى؛ إذ كنت أعرف طريقى تماما ... كنت أكره هذا المكتب ولا أستريح له، فالطريق إليه خافت الضوء، والمكتب نفسه بالرغم من اتساعه إلا أن أثاثه قاتم وملحق به حجرتان أخريان ... كان أشبه بالشقة الخاصة المقبضة التى تحتم إضاءة الأنوار فيها ليل نهار. وتذكرت وأنا فى الحجرة بعض الأحداث والتصادمات فى فترة خدمتى السابقة كنائب لرئيس الجهاز فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وقد تركت ترسبات فى نفسى. والشىء الغريب أن شعورى بالانقباض من هذا المكتب لازمنى طوال فترة رئاستى للجهاز من ١٩٦٧/٨/٢٦ حتى ١٩٧٠/٤/٢٥، وما زلت أذكر كيف شعرت بالراحة العميقة وأنا أخرج من الباب الرئيسى بعد أن سلمت قيادته للسيد محمد حافظ إسماعيل بعد ثلاث سنوات بدأت بدخولى من نفس الباب بتلك الطريقة الغريبة.

لم يحضر السيد وجيه عبد الله لاستقبالى كما كان مفروضا عليه أن يفعل، ولكن وصل محمود عبد السلام بعدى بفترة قصيرة، وتولى رئاسة مكتبى فى ذلك الوقت الحساس الذى يحيطه الغموض. ولم أضيع وقتى ... اتصلت بالسيد صلاح نصر فى منزله لأبلغه بأننى توليت رئاسة الجهاز إلا أنه فضل ألا يرد، وهذه كانت طبيعته فدائما ما كان يتحاشى المواجهة، وتركت له رسالة. وبدأنا فى تنفيذ القرارات التى كانت معدة من قبل : قرارات التحفظ، ووضع بعض الأفراد فى إجازات إجبارية، وصدور حركة تنقلات ... وتمت كافة العمليات الثقيلة المؤسفة التى كانت الظروف تحتم اتخاذها بالرغم من المشاعر الحزينة التى كانت تسيطر على النفس. وقد تم كل ذلك فى حسم وهدوء وسرعة ... وقد أطلق الرئيس بعد ذلك على هذه العملية «سقوط دولة المخابرات»... وبدأت العجلة تدور ... لماذا تركه ليصبح دولة ؟ سؤال عويص وخطير تخرجنا الإجابة عنه عن الموضوع !!!

وبدأت القضايا تقفز إلى السطح فى تتابع سريع :

□ **القضية الأولى:** وهى القضية الخاصة بتسلم السيدين صلاح نصر وعباس رضوان مبلغ ٦٠٠٠٠ جنيه مصرى - وقد سبق الحديث عنها - وقدمت إلى محكمة الشعب ضمن قضية محاولة قلب نظام الحكم.

□ **القضية الثانية:** وهى ما عرفت « بقضية السموم ». إذ كان السيد صلاح نصر قد تسلم قدرا من سم « الأكونتين » من قسم السموم فى الجهاز، وأمر بوضعها فى كبسولات « الريالتين » وتسلمها منه المشير عامر، وهى التى استخدمت فى الانتحار حسب تقارير الطب الشرعى وتحقيقات النائب العام، وقدمت إلى محكمة الشعب ضمن قضية محاولة قلب نظام الحكم.

□ **القضية الثالثة:** وهى انحرافات مذهلة وخطيرة كانت تتم على مدى سنوات طويلة، وهى التى عرفت بعد ذلك بقضية « انحراف المخابرات »، وقدمت إلى محكمة الشعب وحكم على السيد صلاح نصر فيها بالسجن ٤٠ عاما إلى أن أفرج عنه الرئيس السادات إفراجا صحيا.

□ **القضية الرابعة:** وهى ما عرفت بعد ذلك بقضية « تعذيب المخابرات »، وقدمت إلى محكمة الشعب بناء على تعليمات الرئيس وحكم فيها بالبراءة.

ولكن كانت القضية الكبرى التى تشكل تحديا كبيرا فى تلك الفترة العصيبة هى الحصول على معلومات دقيقة عن العدو بالوسائل السرية و العلنية، وفى الوقت نفسه منع العدو من الحصول على معلومات عنا سواء عن طريق الوسائل السرية والعلنية أيضا. ولكن كان لابد أولا من تحديد بعض المفاهيم التى تتلافى سلبيات الماضى وتعزز إيجابياته :

- ففى اجتماع مع رئيس نيابة أمن الدولة اتفقت معه على ترحيل كافة المتهمين الموضوعين تحت التحفظ من جانب المخابرات العامة على ذمة قضايا خاصة بها وتم تنفيذ ذلك. ومنذ أوائل عملى بالمخابرات العامة حتى مغادرتى إياها، وعلى مدى ثلاث سنوات، لم يتحفظ فى الجهاز على أى فرد سوى السيد عثمان أحمد عثمان، وكان وقتئذ رئيسا لشركة « المقاولون العرب » ثم عمل بعد ذلك وزيرا للإسكان أيام

الرئيس السادات، على ذمة إحدى قضايا الجاسوسية والتى اتهم فيها بنقل معلومات خطيرة إلى إسرائيل ـ وقد ثبتت براءته منها فيما بعد.

- صدرت تعليمات بعدم قيام الجهاز بأى تحقيقات وأن تحال الموضوعات التى تستدعى ذلك إلى النيابة، ونفذ ذلك بدقة تامة، فلم يقم الجهاز بالتحقيق إلا فى قضية واحدة عرفت بعد ذلك بقضية « كاسيماتس » تتعلق بالتلاعب فى إحدى شركات القطاع العام، وكانت التهم تتركز حول مسئولين كبيرين كانا أخوين لعضوين فى اللجنة التنفيذية العليا برئاسة الرئيس عبد الناصر، ووافقت اللجنة على التوصيات التى انتهى إليها الجهاز.
- تم تركيز سلطة الضبطية القضائية التى يخولها لنا القانون فى يد رئيس الجهاز، ولم تستخدم هذه السلطة إطلاقا طوال رئاستى للجهاز سواء بواسطتى أو بواسطة أحد المرءوسين بالوكالة.
- حددنا سلطة الأمر « بالقيام بالأعمال القذرة » للمخابرات Dirty Works وبتنظيم أعمالها مثل عمليات السيطرة Control واستخدام النساء، وتزوير الجوازات أو الوثائق والصور، أو تزييف العملة، أو استخدام السموم، أو التنصت على الاتصالات التليفونية. وكانت النتيجة إيجابية تماما لأن التنظيم وتوضيح الحدود والمسئوليات عوامل لا تتعارض أبدا مع الكفاءة بل تزيد منها.
- أعيد النظر فى كل الموضوعين على قوائم الممنوعين من السفر أو الدخول بواسطة المخابرات العامة ورفعناهم جميعا من القوائم. وقد حرصت على مقابلة من تيسر وجوده بنفسى، وأفهمتهم الأسباب التى وضعوا من أجلها فى القوائم بواسطة المخابرات العامة أثناء رئاستى لها.
- تم وضع نظام دقيق للمصاريف السرية، وكان من نتيجة ذلك توفير المال اللازم لإنشاء نظام الكمبيوتر بمبانيه وأجهزته وأفراده. وعندما تركت الجهاز كان العمل يوشك أن يتم فى هذا المشروع الكبير، وحينما افتتح المشروع بعد ذلك نسبه رئيس الجهاز الذى قام بذلك إلى جهده ولم أدع إلى الافتتاح !!!

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يتفرغ الجهاز للقيام بأعماله الخطيرة فى ظل عودة الثقة إلى أعضائه، وفى ظل التعليمات الواضحة التى حددت الإطار السليم للتحركات، بينما

بدأ ذلك ينعكس على أعماله الداخلية والخارجية على حد سواء. وأجدنى مطالبا بتوضيح بعض أعمال هذا الجهاز الوطنى الذى يعمل رجاله فى صمت ونكران ذات، والذى يتم تجاهله وتجاهل أعماله عند ذكر الحسنات ويتصدر القائمة عند التحدث عن السيئات. ومن الطبيعى أن هذا التوضيح لا يمكن أن يتخطى خطوط السرية الواجبة التى لا يجوز تخطيها.

المخابرات والمعلومات

إن أهم واجب للمخابرات هو الحصول على المعلومات عن الأعداء والأصدقاء على حد سواء. ووسط العواصف التى واجهتنى فى الأيام الأولى لرئاستى لجهاز المخابرات العامة إلى جانب مسئولياتى الجسيمة كوزير للحربية، وأمام العقبات الكأداء التى كانت تواجهنى وأنا مطالب بإعادة بناء مؤسستين خطيرتين كسيحتين بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وهما القوات المسلحة والمخابرات العامة، كان اهتمامى مركزا على معرفة المعلومات المتاحة لدى الجهاز عن العدو قبل النكسة وبعدها. وقد صدمت حقيقة من القدر الضئيل من المعلومات التى كانت متيسرة فى ذلك الوقت من أغسطس ١٩٦٧.

وقد تحدث البعض عن الفشل الأكيد للمخابرات الحربية ـ تحت رئاسة اللواء محمد صادق الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة ثم وزيرا للدفاع ـ فى الحصول على المعلومات اللازمة سواء عن تسليح العدو أو نياته، بل كان هذا الفشل موضع اهتمام من المحاكم التى شكلت لمحاكمة بعض المسئولين عن النكسة، ولكن لم يتحدث أحد من قبل عن موقف المخابرات العامة ـ تحت رئاسة السيد صلاح نصر ـ من هذه القضية رغما عن جهوده الكبيرة فى تطوير الجهاز. وأحب أن أؤكد أن تقصيرا كبيرا قد حدث فى الحصول على المعلومات المهمة المطلوبة بعد أن كنا فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ـ حينما كنت مسئولا عن هيئة المعلومات والتقديرات ـ قد قطعنا شوطا كبيرا فى التعرف على العدو بطريقة علمية. وكان « قسم إسرائيل » يبذل جهودا مضنية فى تنفيذ « خطة الحصول على المعلومات » الموضوعة، وتوجيه المصادر العلنية والسرية للحصول على ما نطلب ... فقد كنا وعلى سبيل المثال أول من اكتشف بناء « المفاعل الذرى الإسرائيلى فى ديمونة بالنقب »، مما جعلنا نستعين بعلمائنا فى الذرة لتحديد الاحتياجات المطلوبة وتحليل المعلومات التى يتم

الحصول عليها ثم إعادة توجيه المصادر المختلفة للحصول على معلومات إضافية، كما كنا أول من نادى « بإحياء الكيان الفلسطينى » حتى لا تضيع الهوية.

وقد قيل إن المخابرات العامة حصلت على معلومات بقرب عدوان إسرائيل عام ١٩٦٧ وهذا غير حقيقى؛ إذ ورد ذلك فى تقرير أخبار واحد من مصدر متوسط القدرة (حددت درجته ب٢) ولكنه لم يؤكد أو يتابع. وهناك فرق كبير بين الأخبار، والمعلومات، إذ أن الأخيرة هى أخبار مؤكدة، ولا يتعامل صاحب القرار مع الأخبار ولكنه يتعامل دائما مع المعلومات. وقد ذهب البعض إلى تأكيد أن « رأفت الهجان » المندوب الذى نجحت المخابرات العامة بجهد طيب فى زرعه داخل إسرائيل قد أرسل أخبارا مؤكدة عن العدوان الإسرائيلى المرتقب. بل وذهب البعض إلى حد تأكيد أنه أرسل خطة العدوان بعد مغامرات تخيلوها وكتبوها. وهذا غير صحيح بالمرة، لأن « الهجان » لم تمتد كفاءته أو قدرته إلى حد القيام بذلك.

وكان من اللازم تعزيز الإدارات المختصة بالمعلومات والتقديرات بكفاءات عالية مع تحديد الاحتياجات التى يتحتم تنفيذها والحصول على معلومات عنها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن اختلافا كبيرا قد حدث ... فقد أصبحنا مطالبين بالحصول على معلومات عن الأراضى المحتلة بعد الهزيمة - بعد أن كانت تلك الأراضى فى أيدينا، وعن تحركات ودفاعات ونيات العدو فى سيناء - وقد كانت أرضنا التى نستخدمها كقاعدة للاندفاع إلى أرض العدو فى إسرائيل. ثم اختلاف كبير آخر هو أننا أصبحنا مطالبين بمعرفة نيات العدو فى عبور القناة وهو على بعد نحو ١٠٠ كيلومتر من العاصمة - بعد أن كنا مطالبين بمعرفة نيات العدو لاختراق حدودنا السياسية فى الشرق على بعد أكثر من ٣٥٠ كيلومترا من العاصمة، مما كان يوفر وقتا لا بأس به للإنذار بتوقع عدوان. بل أصبح من مسئوليتنا الحصول على معلومات عن المعارك الدائرة أثناء ما سمى « بحرب الاستنزاف » لتقييم النتائج الحقيقية للاشتباكات المستمرة.

كنا إذن فى سباق مع الزمن وفى ظروف غير مؤاتية، ولذلك كان علينا أن نتبع طرقا غير تقليدية فى توسيع مصادرنا للحصول على المعلومات :

●● فغيرنا من طبيعة السواتر التى كانت تغطى أعمالنا فى المطارات والموانئ والعواصم المهمة بالنسبة لنا، والتركيز على أعمال كسر الشفرة وعمليات التصوير وإدخال نظام الميكروفيلم والكمبيوتر.

●● وأنشأنا قنوات خلفية مع كثير من أجهزة المخابرات فى العالم. وأهم هذه القنوات كانت القناة الخلفية مع المخابرات المركزية الأمريكية، وهى نفسها القناة التى استخدمها الرئيس السادات بعد ذلك فى الاتصال مع واشنطن بفارق كبير فى غرض الاستخدام ... فى بداية الأمر بقصد التأثير على مجريات الأمور لصالحنا ومعرفة المعلومات المهمة المؤثرة على طريق المخابرات المركزية، بينما تحول الغرض بعد ذلك لإجراء مفاوضات السلام والاتصال بين البيت الأبيض فى واشنطن وبين رئاسة الجمهورية فى القاهرة. كان مندوب المخابرات الأمريكية الذى أدار القناة هو « يوجين ترون »، الذى عمل هنا فى القاهرة بعد مباحثات دارت بينى وبين وليام بروميل رئيس مكاتب المخابرات المركزية فى المنطقة ومقره كان فى إيران، وذلك بعد موافقة الرئيس على ذلك. وكذلك كانت هناك قناة أخرى مع جهاز المخابرات السوفيتي KGB يديرها فاديم كريتشنكو واسمه الكودى « جورج »، وكان يتسم بالطبيعة التقليدية للنظام السوفيتى كله ... كان يقرأ الخبر الذى يصله من موسكو، ثم يدون ما نعطيه له من معلومات بالحرف والكلمة لينقلها إلى رئاسته. وفى هذا المجال كنت حريصا على تنسيق الأمر مع الرفيق أندروبوف رئيس جهاز KGB - والذى تولى بعد ذلك رئاسة الاتحاد السوفيتى قبل تحلله - أثناء زيارتى موسكو فى نوفمبر ١٩٦٧. ولمست أنه يعطى أسبقية للوقوف على معلومات عن النشاط الأمريكى، وكان حريصا فى نفس الوقت على إرسال خبراء من جهازه مع معدات كنت طلبتها منه، إلا أننى أفهمته أن العملية عملية تجارية أى تسلم البضاعة ودفع الثمن. (*) وحينما تركت الجهاز فى أوائل ١٩٧٠ لم يكن به خبير أجنبى واحد، وقد قلت فى كلمة الوداع التى ألقيتها فى حضور رؤساء الإدارات : « إننى تسلمت جهازا ليس به خبير أجنبى واحد، وها أنا أقوم بتسليمه وليس به خبير أجنبى واحد ». وحينما تركت جهاز المخابرات العامة كنا على اتصال مع ٢٦ جهاز مخابرات فى العالم تشرف عليها إدارة الاتصالات الخارجية برئاسة اللواء محمد رفعت حسنين - وهو صديق عزيز أدى خدمات جليلة لبلاده، سواء وهو يعمل مديرا لمكتبى كوزير للحربية أو رئيسا لإدارة الاتصالات الخارجية بعد أن نقلته ليعمل معى فى المخابرات العامة. وأذكر بهذه المناسبة ووسط مسئولياتنا الجسام أننا أنشأنا

(*) انظر الوثيقة رقم (٨): محضر المقابلة مع أندروبوف، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

جهاز المخابرات لمنظمة تحرير فلسطين، كما أنشأنا جهاز المخابرات فى ليبيا بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩، وكانت معاهدنا ومراكز تدريبنا مفتوحة على مصراعيها لتؤدى هذا الواجب القومى.

من ضمن الاتصالات التى كنا نقوم بها تلك التى كانت تتم مع بعض الشيوعيين المصريين فى فرنسا وإيطاليا، بل كنا نمد الكثيرين منهم بآلات تصوير عادية ليمدونا بصور عن بعض الأغراض التى كنا نحددها، وببعض الخرائط لاستكمال تفاصيل نحتاجها ... كان الكل يقدم خدماته دون أى مقابل مادى، لدرجة أن الكثيرين منهم رفضوا أى مساعدات مالية لتغطية نفقات السفر والانتقال والإقامة. من بين من اتصلنا بهم أيضا كان الدكتور ناحوم جولدمان بقصد الحصول على معلومات. والرجل أصلا ولد فى ليتوانيا فى ١٨٩٥/٧/١٠ ثم لحق بأبويه اللذين كانا قد هاجرا إلى فرانكفورت وتركاه فى رعاية جده لأمه، وبذلك فهو يهودى ولد فى أوروبا الشرقية وترعرع فى أوروبا الغربية والتحق بالحركة الأرثوذكسية اليهودية التى كانت تؤمن بعدم اندماج اليهود مع غيرهم حتى لا يذوبوا مع غيرهم من الشعوب. وكان يبذل جهدا كبيرا للدعاية للحركة الصهيونية. ولم يكن طالبا مواظبا لانشغاله بملذاته، ولذلك فإنه كان يستعين بمن يلخص له دروسه فى مقابل أجر زهيد، وبنفس الطريقة التحايلية حصل على الدكتوراه. وكان من أهم المشروعات التى شارك فيها « دائرة المعارف اليهودية » وأصدر منها عشرة أجزاء باللغة الألمانية. وكان أيضا وراء موضوع التعويضات الألمانية لإسرائيل، والمشرف الوحيد على المفاوضات حتى توقيع الاتفاق فى ١٩٥٢/٩/١٠ فى لكسمبرج، وقد وقعه أديناور المستشار الألمانى، وموشى شاريت وزير الخارجية عن إسرائيل، وناحوم جولدمان عن الشعب اليهودى. وكان يدين بمبدأ أن الصراع العربى الإسرائيلى صدام بين حقين، ولذلك فإن لكل من العرب واليهود حقا فى فلسطين، وكان يؤمن أيضا بأن ما لا يمكن الحصول عليه بالعنف يمكن تحقيقه عن طريق السياسة والتحايل.

كان الرجل لا يأخذ الحياة محمل الجد، وفضل العيش بالخارج حتى بعد تكوين الدولة اليهودية، وإن كان لا يتردد فى خدمتها عن أى طريق. وبعد أن استكان إلى حياة الدعة والراحة كان يميل إلى إعطاء نفسه صورة على غير حقيقتها، وكانت حياته حياة

بذخ سواء فى شقته فى باريس، أو منزله فى واشنطن، يسهل له ذلك موارده المالية الميسرة. وبالرغم من أنه كان على اتصال برجالات إسرائيل إلا أنه لم يكن ذا تأثير على اتخاذ القرار. وكان يدعى دائما أنه محور اتصالات مهمة، وبأن رجالا مثل تيتو والسلطة الحاكمة فى الاتحاد السوفيتى يدعونه دائما للاستشارة، وأنه ذو تأثير واضح على زعماء اليهود فى الولايات المتحدة. وسيطرت عليه روح الزهو إلى حد أنه كان يراسل الناس والهيئات برسائل على ورق مصقول مطبوع فى أعلاه وبالخط البارز «دكتور جولدمان ».

وليس معنى هذا التقليل من أهمية اتصالات الرجل الخارجية وفى داخل إسرائيل، أو خبرته التى لا شك فيها نتيجة لتاريخه السياسى القديم ... كل ذلك جعلنا نتصل به خاصة بعد أن كان يردد آراءه المعتدلة، وبأنه يمكن فعل الشىء الكثير لو دعته القاهرة لزيارتها. وكنا نعتقد أن دوافعه وراء ذلك نابعة من رغبة حقيقية فى المساهمة فى حل الأزمة التى كان يعتقد بخطرها على إسرائيل لو استمرت، فهو يريد « إنقاذ إسرائيل من نفسها » كما يقول، ومن رغبة شخصية بتطلعه إلى الأضواء مرة أخرى إن تحققت رغبته تلك؛ إذ سيكون - لو تمت الزيارة - أول يهودى على هذا المستوى يكسر حاجز الاتصال مع مصر أكبر الدول العربية.

وتم الاتصال « بالدكتور » ليس لتحقيق أى أغراض سياسية أو ليكون حلقة اتصال مع إسرائيل - إذ كانت الحلقات كثيرة ومتعددة لو أردنا ذلك - بل كان الهدف الأساسى هو الحصول على معلومات أو تأكيد أو نفى معلومات تكون فى حوزتنا، وكذلك تطوير الاتصال - مستغلين رغبته فى زيارة مصر - لإحداث فرقعة داخل الائتلاف الحاكم فى إسرائيل.

جرت العادة عند الإقدام على مثل هذه الاتصالات وعلى مستوى الدكتور جولدمان أن نحصل - كجهاز مخابرات - على موافقة القيادة السياسية أولا - مثل ما حدث عند اتصالنا مع ويليام بروميل مندوب المخابرات المركزية، أو عند ضربنا الحفار كينتنج فى أبيدجان - وأرسلنا فى طلب الموافقة ووافق الرئيس، على أن يشترك فى الاتصال الأستاذ أحمد حمروش الذى يعمل صحفيا فى روز اليوسف لمعرفته ببعض الشيوعيين

المقيمين بالخارج. وقمت بتكليفه بذلك، وكانت كل تسهيلاته الإدارية والمالية تتم عن طريق مدير مكتبى بالمخابرات العامة، وكان يرفع تقاريره لى بصفة دائمة. (*)

وبهذه المناسبة كنا نستعين بكثير من الصحفيين فى كثير من الأمور الوطنية، وقد أدوا لوطنهم خدمات جليلة لا يمكن أن تنسى وهو واجب مشرف يدعو إلى الفخر.

كانت اتصالاتنا مع ناحوم جولدمان سلبية من ناحية، وإيجابية من ناحية أخرى. فكانت من ناحية الحصول على معلومات سلبية؛ إذ كانت تنقصها الدقة سواء فى مجالات المعلومات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية. أما بخصوص استغلال رغبته فى دعوة القاهرة له لزيارتها، فكان دائم الإلحاح فى ذلك ولم ترد القاهرة أبدا على هذا الاقتراح بالرفض أو القبول. ولما طال انتظاره سافر إلى إسرائيل فى أوائل ١٩٧٠ لإجراء اتصالاته مع الائتلاف الحاكم، فوافق بعض الوزراء على الزيارة - التى لم توجه لها دعوة من البلد المضيف - ورأت جولدا مائير رئيسة الوزراء عرض الموضوع على مجلس الوزراء، واتخذ المجلس قرارا بعدم الموافقة، ولم يكن القرار بالإجماع. وتسرب الخبر إلى الصحف، وكانت فرقعة لها دوى وتبعها استقالات ... عملية مخابرات عادية بدأت بمحاولة الحصول على معلومات ثم تطورت لتصبح عملية سياسية فى الملعب الفسيح الذى تكثر فيه الشقاوة.

●● وكان من أهم الواجبات التى قمنا بها إنشاء نظام خاص للوقوف أولا بأول على حالة الاستعداد الفعلية للقوات المسلحة بفروعها المختلفة، ورفع تقارير تفصيلية إلى الرئيس حتى يقف بنفسه على حقيقة الأوضاع فلا تكرر المأساة التى حدثت قبل الهزيمة حينما لم يكن الرئيس قادرا على معرفة حقيقة الأوضاع داخل هذه المؤسسة.

ومن أخطر التقارير التى سلمتها للرئيس فى أواخر مايو ١٩٧٠ قبل أيام من تركى عملى بالمخابرات العامة كان تقريرا عن الموقف المتردى فى القوات الجوية، وهو عبارة عن حديث أدلى به أحد كبار القادة فى القوات الجوية إلى أحد المسئولين فى المخابرات العامة ورجاه أن يبلغه إلى رئيس الجهاز، أذكر أهم فقراته :

(*) انظر الوثيقة رقم (٩): تقرير بخط يد احمد حمروش عن اتصاله مع ناحوم جولدمان، فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

١- كبير الخبراء السوفيت فى القوات الجوية ذو كفاءة محدودة وكذلك معظم الخبراء.

٢- فى اجتماع مع وزير الحربية أمس، أخبرهم الوزير أنه تقرر مد خدمة الخبراء السوفيت سنتين أخريين بناء على البروتوكول الجديد، وبأن عليهم أن يعتبروا أوامر الخبراء نهائية وليست استشارية. وتساءل الضابط الكبير : هل أصبح الخبراء الروس هم الذين يقودون القوات المصرية ؟

٣- يقوم الخبراء السوفيت بتعديل الأوامر التى يصدرها القادة، بل أعطوا لأنفسهم الحق فى تعديل قرارات الوزير.

٤- يعطل الخبراء السوفيت تدريب الطيارين، فما زالت فرقة التدريب على الطائرات ميج ٢١، التى تتم تحت إشراف الخبراء مستمرة منذ ٦ شهور، وعدد ساعات الطيران للطيار لا تتجاوز ٨ ساعات، فى حين أن الفرقة التدريبية تحت إشراف الضباط المصريين تتم فى ٣ شهور. وقد قام أحد الطيارين المصريين بتدريب ٣٤ طيارا فى فترة ٣ شهور، وحين رفض المساعدة التى عرضها عليه الخبراء الروس جرت محاولات لنقله إلى قاعدة « العضم » بليبيا.

٥- يؤثر الخبراء السوفيت على الرأى العام داخل القوات الجوية. فقد ذكر أحد الخبراء للطيارين أنهم يعيشون « عيشة الكلاب » وأن الدولة لا تقدرهم. ومنذ أسبوع فى قاعدة أسوان قال أحد الخبراء الروس لأحد الطيارين : « الرئيس بتاعكم مصيره إلى الزوال والبلد ستحكم على نظام ستالين ».

٦- توزيع المطبوعات الروسية فى القوات الجوية يؤثر على تفكير الطيارين واتجاهاتهم.

٧- بخصوص الكفاءة القتالية للقوات الجوية ذكر الضابط الكبير :

(أ) أخبره الوزير أنه لا يستطيع تحقيق التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوى، وأنه لن يستطيع منع ضرب طائراتنا بواسطة مدفعيتنا أو صواريخنا. وبناء على ذلك فسياسة التدريب للقوات الجوية شبه متوقفة.

(ب) لا تستطيع طائراتنا مواجهة طائرات إسرائيل، وضحك الروس علينا وأحضروا لنا الميج ٢١ M والميج ٢١ M المعدلة، ولم تثبت كفاءتهما بعد لعدم استخدام « التنكات » حتى الآن، بل أصبحتا أضعف من الميج ٢١ القديمة.

(جـ) لن تستطيع القوات الجوية الصمود فى القتال ٤٨ ساعة.

(د) قابل قادة التشكيلات لإعطائهم أوامر بالصمود واستنزاف العدو، وأن عليهم إطاعة أوامر الخبراء، فعلقوا على ذلك بأنهم حتى إذا اقتنعوا هم بذلك فكيف يقنعون الطيارين به. كما قابل بعض الطيارين قادة القوات الجوية وبكوا وذكروا أنهم يموتون واحدا بعد الآخر وكل ينتظر دوره، ولا مانع لديهم أبدا من التضحية على شرط أن تكون ذات جدوى، والأفضل للدولة استخدامهم فى أى شىء ذى نفع. فهم يقذفون دشما خالية، ويقومون بعمليات على الضفة الشرقية لا فائدة منها وبغرض رفع الروح المعنوية.

(هـ) الروح المعنوية سيئة جدا فى القوات الجوية بتأثير الموقف الحالى. الخسائر مستمرة ونحن الذين نستنزف، وقادة التشكيلات فى طريقهم إلى النهاية وليس أمامهم خطة واضحة سينفذونها فى المستقبل. لمصلحة من هذا التصعيد ؟

(و) يوجد نقص كبير فى المعدات ولم يقم الروس باستكمالها. اخترقت إسرائيل المجال الجوى أكثر من مرة فوق مطاراتنا، فماذا فعلت الصواريخ سام ٣ ؟ لا يفهم دور الطيارين الروس حتى الآن. ويعتقد الطيارون أن عدم تسليح القوات الجوية بأسلحة فعالة سببه الخوف من قيامها بدور فى الجبهة الداخلية، وأنه قابل السيد أنور السادات وقال له ذلك، فرد عليه أن الجبهة الداخلية ممسوكة بيد من جديد.

(ز) حدثت بلبلة من إلغاء تصريح اللواء صادق فى القوات الجوية عن تخصيص ٥٠ جنيها شهريا كمكافأة لكل طيار، ولم ينفذ ذلك. ثم الإعلان عن مكافأة ١٠ جنيهات لكل طيار عن كل طلعة بحد أقصى ٥٠ جنيها. ثم قال لهم الرئيس أنا عاوز طيارين فدائيين يصيدون الطائرات الإسرائيلية بأى ثمن خلال الثلاثة شهور القادمة، مع إعطائهم أى مكافآت. ويعلق الطيارون على ذلك بأن هذا يدل على خطورة الوضع، وأنهم ليسوا مرتزقة. وذكر المتحدث أن اللواء على بغدادى يطلب مقابلة الرئيس على انفراد بحيث لا يشعر أحد بالمقابلة ليحدث سيادته عن أمور القوات الجوية.

وبالرغم من أنه كان قد تم الاتفاق مع حافظ اسماعيل على أن نتقابل الساعة ٧ مساء يوم ١٩٧٠/٥/٢٥ حيث سيكون قد عاد من باريس التى كان يعمل بها سفيرا، لأسلمه رئاسة جهاز المخابرات العامة (أى بعد ٤ أيام من هذا الحديث) إلا أننى وجدت من واجبى مقابلة الرئيس. وتفضل سيادته بمقابلتى فى نفس اليوم الذى تم فيه الحديث السابق، ووجدته مهموما وسط التحديات الخطيرة التى يواجهها. وأشفقت من أن أضاعف همومه بموضوع يضعه ضمن أسبقياته الأولى، وهو الكفاءة القتالية للقوات المسلحة خاصة القوة الجوية. ولكن القيام بالواجب كثيرا ما يحول بين الإنسان وبين ما يريد، لذلك أخبرته بتفاصيل حديث الضابط الكبير، ورجوته أن يقابل قائد القوات الجوية على انفراد ليستمع إليه بنفسه؛ إذ ربما يكون عنده أكثر مما ذكرته له. واستمع الرجل دون أن يعلق ... وفى آخر المقابلة طلب منى أن أرسل له ما قلته كتابة، ووعد بأن يحدد مقابلة للواء على بغدادى قائد القوات الجوية.

وفى نفس الليلة وصله ما أراد.

كان واجبى أن أطلعه دائما على الحقائق التى تصلنى. وأظننى لم أقصر فى ذلك وبأمانة رغما عما حملنى ذلك من متاعب كثيرة ... كان الرئيس يردد فى مناسبات عديدة: « أمين يقول الصدق ولو على نفسه ».

ولا أدرى هل تمت مقابلة الرئيس لقائد القوات الجوية كما وعد ؟ ولا أعرف أيضا مصير المذكرة الكتابية التى أرسلتها له فى ١٩٧٠/٥/٢١ بعنوان « سرى للغاية. مذكرة عن حديث .... بقيادة القوات الجوية »، ولكننى متأكد أن المعلومات التى وردت فيها وفى مذكرات أخرى كثيرة عن حقيقة ما يجرى كانت فى مؤخرة رأسه وهو يتخذ قراره بموافقة مصر على مبادرة روجرز بعد ذلك بأسابيع.

فتوازن القوى الذى حارب لتحقيقه منذ قيام الثورة وحتى موته كان كالسراب كلما اقترب منه أضاعته القيادة العسكرية العاجزة.

ويلاحظ هنا أن القدرة القتالية للقوات الجوية وقفت حائلا دون كسبنا لمعركة توازن القوى، فلم يكن قد حدث تقدم - ونحن فى مايو ١٩٧٠ - عن موقفها فى أوائل العام، وكما قرره الجنرال « دينيسوف » المستشار السوفيتى للقوات الجوية فى المؤتمر الذى عقده الرئيس عبد الناصر مع القادة والمستشارين السوفيت يوم ١٩٧٠/١/٦ فى مبنى

القيادة العامة بمدينة نصر، إذ قال : « قام العدو اعتبارا من يوم ١٩٦٩/٧/٢٠ بحوالى ٣٥٠٠ طلعة لضرب وسائل الدفاع الجوى المصرى والقوات البرية. أما القوات الجوية المصرية فقد قامت بحوالى ٢٩٠٠ طلعة حماية جوية، واشتركت فى ٣٣ معركة جوية بواسطة ١١٠ طائرات مقاتلة ضد ١٢٠ طائرة إسرائيلية، وكانت خسائرنا ٢٦ طائرة فى مقابل ١٤ للعدو، ولا يوجد لدينا إلا ٤٩ طيارا على مستوى عال من ٩٢ طيارا مقاتلا؛ إذ ليس كل الطيارين قادرين على تنفيذ المهام حيث يوجد عدد كبير منهم فى وظائف إدارية بالقواعد الجوية ولا يشتركون فى القتال. والمفروض أن يكون لدينا لكل طائرة قتال من ٢-٣ طيارين على الأقل. ويحتاج مستوى الطيارين الحالى إلى تقديم الطعام لهم مباشرة بدلا من إعطائهم بدل تغذية حتى نستغل قدرتهم على قيادة الطائرات المعقدة ».

وإذا أضفنا إلى حالة القوات الجوية المتدهورة عدم حل مشكلة التغلب على الساتر الترابى شرق القناة، وانكشاف الوجه القبلى من الدفاع الجوى، لتحفظنا على ما كان يقال عن قدرتنا على خوض معركة ناجحة بعد وفاة الرئيس عبد الناصر حيث إن هذا كان يعتبر مجازفة غير محسوبة بكل المقاييس.

●● وقدمت المخابرات العامة تقديرات موقف وتقارير معلومات عن التوازن العسكرى والأغراض والأهداف الاستراتيجية ... الخ، وتم توقيع هذه المعلومات فى حجرة خرائط أنشئت حديثا وبها الخرائط والماكيتات والميكروفيلم، وكانت تتصدرها صورة جوية كبيرة للمفاعل الذرى الإسرائيلى فى ديمونة طلبت المخابرات العامة تصويره عند اكتشافنا إياه.

●● كما تتبعت المخابرات العامة ـ عن طريق التنصت على الشبكات اللاسلكية للعدو، وتقارير الاستطلاع وتقارير المعلومات من بعض العملاء، ومن المعلومات المستقاة من المصادر المكشوفة والمناورات ـ مراحل تطور إجراءات العدو لمواجهة القوات المصرية عند عبورها قناة السويس، بما فى ذلك قيامه بهجوم مضاد فى اتجاه المحور الجنوبى والأوسط واستغلال النجاح بالعبور فى الاتجاه جنوب الإسماعيلية، ثم الانتشار فى الضفة الغربية فى اتجاه بورسعيد شمالا ثم فى اتجاه السويس والأدبية جنوبا، مع دفع عناصر خفيفة لتهديد القاهرة فى اتجاه الأدبية ـ القطامية ـ القاهرة. وكان المشير أحمد

اسماعيل وهو رئيس للمخابرات العامة يعرف هذه المعلومات تماما واطلع عليها قبل أن يتولى قيادة القوات المسلحة. وكان الرئيس عبد الناصر يعلق على وفرة المعلومات التى كنا نغذى الأجهزة بها : « إننا نتحرك فى إسرائيل كيفما نشاء، وكانت مشكلتنا قبل ١٩٦٧ قلة المعلومات ومشكلتنا الآن كيف نستفيد من المعلومات الكثيرة المتوافرة ». وقد أصدرت توجيها ببحث الأعياد اليهودية على مدار السنة والتعرف بها، حتى يمكن استغلالها عسكريا بواسطة القوات المسلحة أو الأعمال الفدائية لتوجيه ضربات مؤثرة باستغلال حالة الاسترخاء المحتملة فى هذه المناسبات للتأثير على الروح المعنوية داخل إسرائيل، وشملت الدراسة ثمانية أعياد على مدار السنة : عيد الفصح، الأسابيع، عيد المظال، رأس السنة العبرية، يوم الغفران أو كيبور، عيد الأضواء، عيد البوريم ثم أخيرا عيد لاج بعومار. ونظرا لاختلاف تاريخ الأعياد من عام إلى آخر وفقا للتقويم القائم، تم إعطاء فكرة شاملة عن التقويم اليهودى وجدول يوضح توقيت الأعياد اليهودية حتى عام ١٩٩٢ مع توضيح عادات اليهود وحياتهم اليومية فى هذه الأعياد. وكان توقيت عيد كيبور عام ١٩٧٣ هو ٦ أكتوبر، وهو اليوم الذى بدأت فيه قواتنا عملية العبور فى رمضان.

ومن الأمثلة على ما كان يشغلنا فى تلك الفترة، تقديرنا للمجهود الجوى الإسرائيلى ومواقع الصواريخ والرئاسات. ودون الإخلال بالسرية كانت بعض تقديراتنا كالتالى :

١- عدد الطلعات اليومية التى كان يمكن للعدو القيام بها : ١٢٥ للفوتور، ٣٩٠ للميراج ٣جـ، ٢٥٠ للميستير، ٢٥٠ للسوبر ميستير ٤ أ، ٢٦٠ للأوريجان، ٥١ للمتيور، ٦٠٠ للفوجا ميستير، ٢٤٠ للسكاى هوك. أى بمجموع ٢١٦٦ طلعة / يوم لمسافة تتراوح بين ٣٥٠-٨٠٠ كيلومتر، علما بان الطائرات فوتور وميراج وسكاى هوك تغطى جميع الأهداف فى الجمهورية.

٢- تعمل هذه الطائرات فى قواعد رئيسية فى رامات ديفيد وهى قاعدة المنطقة الشمالية، وعكير (تل نوف) وهى قاعدة المنطقة الوسطى، وحاشور (فنسطينا) وهى قاعدة المنطقة الجنوبية، وحاشريم وبها كلية الطيران، علاوة على ٣ مطارات رئيسية درجة أولى فى اللد وتل أبيب وحيفا، ٥ مطارات رئيسية درجة ثانية، ويحتاج لتشغيلها بكامل طاقتها من ٦-١٢ ساعة، علاوة على ٩ مطارات أخرى يمكن

استخدامها وقت الطوارئ والعمليات بعد عمل ترتيبات إدارية وفنية إضافية، وكذلك ١٧ أرض هبوط، كما يوجد ٨ مطارات فى سيناء، ٣٢ فى الضفة الغربية، ١ فى الجولان.

٣- حددت أماكن الصواريخ ومحطات الرادار المستديمة والمؤقتة بإحداثياتها بما فى ذلك بعض المواقع غير المؤكدة، كذا حجم البحرية وتوزيعها على موانئ حيفا وكيشون وعكا وأشدود وإيلات، كما حددت مواقع القوات الخاصة مثل الضفادع البشرية فى عتليت، كذا حجم القوات البرية وأماكن حشدها.

٤- حددت مواقع ووصف مراكز الرئاسات فى زمن السلم ووقت العمليات، وعلى سبيل المثال: رئاسة الأركان فى تل أبيب على طريق بتاح تكفا شمال شرق السكة الحديد القديمة بكيلومتر واحد، وفى العمليات تنتقل إلى غرب مدرسة مكفية إسرائيل الزراعية. قيادة السلاح البحرى فى شمال شرق فنار حيفا. قيادة السلاح الجوى ضمن معسكر مطار الرملة غرب الخط الحديدى الرملة - بير السبع. قيادة المنطقة الشمالية فى الناصرة (مركز بوليس الناصرة). قيادة المنطقة الجنوبية فى مركز بوليس بير السبع القديم. قيادة المنطقة الوسطى جنوب غرب الطريق جنوب مخازن شرة. وحددت مناطق الحشد وأماكن المعسكرات والطرق وتفصيلات الموانئ، كما حددت الأهداف الاستراتيجية وتوزيعها على المناطق المختلفة.

وغيرها كثير وكثير ....

كما تم تزويد الجهات المعنية بكافة المعلومات عن دفاعات العدو على الجانب الشرقى للقناة، بما فى ذلك تصوير خط باريف بالكامل والدفاعات إلى عمق أكثر من ٣٠ كم. كما تم الحصول على معلومات عن مواقع الحشد الخلفية وتسليح القوات أولا بأول، والتغييرات التى كانت تتم بين الوحدات وكيفية إدارتهم للمعركة وإخلاء الجرحى أيام حرب الاستنزاف بطائرات الهليكوبتر، والوقوف على الحالة المعنوية السيئة للوحدات مثل امتناع بعض الضباط عن تنفيذ الأوامر وترك الجنود مواقعهم وتغيب الأفراد عن الالتحاق بوحداتهم بعد انتهاء الإجازات.

وتحضرنى بهذه المناسبة تصرفات غريبة، إذ قامت قيادة القوات المسلحة بإرسال خطاب غير مسبوق فى مجال التعاون بأن تكف المخابرات العامة يدها عن إرسال أى

معلومات عسكرية لها فهذا من اختصاص المخابرات الحربية. وهذه أول مرة لا يتحمس فيها قائد لوصول معلومات لخدمته، مما اضطرنى إلى إرسال خطاب أوقفت فيه هذا الاتجاه الضار والخطير، واستمررنا فى جهودنا بإصرار خدمة للصالح القومى.

كما يحضرنى تصرف غريب آخر عندما صورنا خط بارليف لأول مرة بعدسات تلتقط صورها عن بعد، لعجز قواتنا الجوية عن القيام بتصوير مواقع العدو لسيادته الجوية التى كان يتمتع بها وقتئذ. فوسط مقاومة غريبة من قيادة القوات المسلحة قمنا بتصوير خط بارليف ... كان خط بارليف قد أنشئ على مراحل وعلى فترات متقطعة، وكان فى إمكان القوات المسلحة هدمه والتدخل المستمر فى جهود إنشائه قبل أن يصبح خطا منيعا ويتم تحصينه بقضبان حديدية نزعتها إسرائيل من خط السكة الحديد القنطرة - العريش. ولا أدرى حتى الآن لم سمحت قواتنا بإنشاء هذا الخط، بل وبإقامة الحاجز الترابى دون تدخل مستمر من جانبنا لإيقاف العمل فيه أو تعطيله على أقل تقدير ؟!! كانت البيانات العسكرية تصدر يوميا معلنة تحطيم الخط وإحداث خسائر كبيرة فى أفراد العدو ومنشآته. ولدهشتى الشديدة، حينما اطلعت على صور الدشم بعد ضربها بطريقة متواصلة وكثيفة، وجدت أنها كانت سليمة تماما، وأن هناك فارقا كبيرا بين البيانات المعلنة وبين الحقيقة الخطيرة. فأمرت بوضع كل الصور الملتقطة داخل ألبوم لإرسالها للسيد الرئيس على الرغم من توعك كان قد ألم به اضطره للانتقال إلى استراحته بالقناطر الخيرية. وعلقت على الألبوم بالآتى : « الصور ملتقطة حديثا وبعد آخر بيان عسكرى يعلن تدمير الخط ... توضح الصور أن الدشم سليمة تماما ... نحن نحتاج إلى قنابل خارقة للدروع أو أى وسائل يمكنها اختراق الأسقف المنيعة ... سنتابع التصوير أولا بأول ».

وأرسلت الألبوم إلى السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ليرسله فورا إلى الرئيس فى القناطر على الرغم من اعتكافه، وذلك لخطورته. وأصدرت تعليماتى للأجهزة المختصة لموالاة المراقبة والتصوير ... وفى التصوير التالى لاحظت أن الخط ما زال سليما على الرغم من البيانات العسكرية التى تؤكد تدميره، وجهزت الألبوم الثانى وأشرت عليه بالآتى « البيانات الرسمية تؤكد على تدمير خط بارليف والصور تؤكد أنه سليم. جارين متابعة الموقف ». وقبل إرسال الألبوم اتصلت بالرئيس تليفونيا، إذ كان قد عاد لتوه من القناطر الخيرية، وهنأته بالسلامة وأخبرته بأن « الألبوم الثانى لخط

بارليف فى طريقه إليه ». وتساءل الرئيس: أى ألبوم ؟ ! ... وصعقت إذ لم يكن « الألبوم الأول » قد أرسل إليه، فأخبرته بالموضوع واستشاط غضبا وأخبرنى بأن أرسل موضوعاتى باسمه شخصيا منذ الآن فصاعدا. ويبدو أن السيد سامى شرف كان قد قدر أن صحة الرئيس لها الأسبقية الأولى، أما الموضوعات الأخرى فقد تكون أسبقيتها أقل !!! لو صح تقديرى هذا فأنا أخالفه كلية، فلا شىء يسبق موضوعات الأمن القومى للبلاد.

وعلى أى حال فقد كان خط بارليف قد استقر مكانه بعد أن ترك فترة طويلة دون تدخل جاد من جانبنا حتى تم اجتياحه بعد العبور يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ واستيلاء قواتنا عليه. وكانت دشمه وتحصيناته وخنادقه سليمة تماما كما كانت.

ومن أهم الموضوعات التى نالت اهتمامنا تفكير العدو فى مواجهة العبور المتوقع. وقد أجرى العدو إحدى المناورات بالجنود فى عمق سيناء لاختبار الأفكار المطروحة، وقد كنا نتابعها بوسائلنا الخاصة باهتمام ... كان هناك رأى أن يوقفوا الهجوم بإغراق قواتنا فى القناة عند بدء محاولتها العبور، أو على أكثر تقدير بعد أن تضع أقدامها على الشاطئ الشرقى، حتى لا تتمكن من إنشاء رؤوس الكبارى، ولذلك أقاموا الحائط الترابى أمام خط بارليف وكذلك أجهزة إطلاق النيران فوق سطح المياه. أما الرأى الآخر فكان يرى ترك قواتنا تتقدم حتى تتورط تماما فى العمق، ثم يتم الالتفاف من حولها وقطع خطوط مواصلاتها مع القاعدة فى الغرب مستغلين تفوقهم الجوى. وفى هذا المشروع تم اختبار « خطة العبور » التى طبقت بعد ذلك عند إحداثهم لثغرة الدفرسوار. وكان هذا النقاش هو نفسه الذى دار فى أوساط القيادة الألمانية العليا أثناء الحرب العالمية الثانية عن كيفية مواجهة العدو المتوقع، فقد كان « رونشتيد » يرى ضرب قوات الغزو على شاطئ الأطلنطى دون السماح لها بإنشاء رؤوس الشواطئ، بينما كان بعض القادة الآخرين مثل « روميل » يرون العكس من ذلك، بالسماح للقوات بالنزول ثم القيام بالهجوم المضاد لإغراقها فى البحر، وقد حاولوا ذلك فعلا فى هجوم « الأردين »، وكاد ينجح فى تطويق قوات الغزو لولا التفوق الجوى لدى الحلفاء الذى بدأ يلعب دورا حيويا لقلب كفة الميزان لصالحهم بعد أن تحسنت الأحوال الجوية.

●● وكنا نضع السوفيت تحت أعيننا، فمن الواجب التأكد من نيات الأصدقاء والأعداء على حد سواء. وقد لاحظنا بعض التصرفات الغريبة من أصدقائنا السوفيت...

وعلى سبيل المثال : كانت المراكب السوفيتية تصل تباعا إلى ميناء الاسكندرية طوال شهر سبتمبر ١٩٦٧ كالآتى (وهذه منقولة من مذكراتى الشخصية):

- فى ١٩٦٧/٩/٩ : وصلت مراكب سوفيتية وعليها ٣٠ دبابة تى ٣٤+١٦ مدفعا مضادا للطائرات ١٤,٥ بوصة + ١٠ حمالة أفراد مدرعة برمائية للاقتحام.
- فى ١٩٦٧/٩/١٢ : وصلت مراكب سوفيتية وعليها ١٣٠ عربة مدرعة زميل + ٩٥ عربية ٤×٤+٩ لوارى +١٢ عربة فنطاس وقود + ٨ عربة ورشة + ١٢ عربة ميكروباص +١٩ عربة ركوب.
- فى ١٩٦٧/٩/١٨ : وصلت مراكب سوفيتية وعليها ٣٥ دبابة تى ٥٥+٥٠ مدفعا مضادا للطائرات ١٤,٥ بوصة +١٠ عربة ورشة للدبابات +١٠٠ مقطورة مطبخ + أحجام ذخائر + ١٢ حمالة أفراد مدرعة برمائية للاقتحام + ٨ جهاز لاسلكى + ٤٣٨٠ صاروخا.
- فى ١٩٦٧/٩/٢٠ : وصلت باخرة سوفيتية وعليها ٣٤ دبابة تى ٣٤+٢ قاذف صاروخى مضاد للطائرات + قطع غيار مختلفة.
- فى ١٩٦٧/٩/٢٧ : وصلت باخرة سوفيتية وعليها ٥٧ دبابة تى ٣٤+٣٥ دبابة تى ٥٥+١٠٩٠ طن ذخيرة +٦ عربة ركوب + مقطورة للرادار.
- فى ١٩٦٧/٩/٣٠ : وصلت باخرة سوفيتية وعليها ٥٠٥٠ مدفعا ١٠٠ ملم + ٣٠٠ قاذف + ٥ دقاقة + أجهزة إشارة + قطع غيار.
- فى ١٩٦٧/١٠/١ : وصلت باخرة سوفيتية وعليها ٣٦ هاوتزر ١٥٢ +٢٧ دبابة تى ٣٤+٤ بلدوزر +٢٠ حمالة برمائية + أجهزة لاسلكى + ذخيرة.
- فى ١٩٦٧/١٠/٢ : وصلت باخرة سوفيتية وعليها ٣٠ دبابة تى ٦٦+٥٠ مدفعا ١٠٠ ملم + ٥٠ هاوتزر ١٢٢+٢٤ هاون ١٦٠ +٨١ هاون ١٢٠+١٥٠ هاون ٨٢+٤٠ مدفعا ٨٥ ملم +١٠٧٠٠ بندقية +٢ حفار ودقاق +٧ عربة ورشة +١٦ محطة لاسلكى + ١٠٠٠٠ طلقة هاون ١٢٠ ملم.

وقد لاحظنا أنه بالرغم من أن عدد المراكب التى وصلت إلى الاسكندرية لا يقل عن ٩ مراكب فى تلك الفترة، إلا أن حجم المعدات المشحونة لم يكن يتناسب أبدا مع حمولة المراكب، وأن الاتحاد السوفيتى كان حريصا على زيادة عدد المراكب مع وصولها تباعا وعلى فترات متقاربة بغض النظر عن حجم الأسلحة والمعدات التى تحملها. وقد نقلت هذه المشاعر إلى الرئيس عبد الناصر لنحاول سويا علاج الموقف.

وباختصار تركزت استراتيجية السوفيت قبل وفاة عبد الناصر فى ثلاثية واضحة : إزالة آثار العدوان عن طريق الحل السلمى مع حث العرب على قبول بعض التنازلات - عدم المواجهة عسكريا مع الولايات المتحدة مع العمل على أن تجرى عملية نقل السلاح تبعا لحسابات دقيقة - تثبيت الوجود السوفيتى فى المنطقة مع محاولة إضعاف النفوذ الأمريكى، على شرط عدم الارتباط باتفاقيات إقليمية رسمية تجنبا للمواجهة مع الولايات المتحدة التى كان يتحاشاها تماما.

وكنت - بصفتى رئيسا للمخابرات العامة - ألاحظ من خلال ما يتجمع لدى أجهزتنا من معلومات تغييرا كاملا فى السلوك السوفيتى وتعامله، وذلك منذ بداية عام ١٩٧٠. وعلى سبيل المثال، أخذ بعض الخبراء السوفيت - خاصة فى التوجيه المعنوى - يتحدثون مع الضباط المصريين عن سوء أحوالهم ومعيشتهم، وأنهم يعيشون « عيشة الكلاب ». كما كان البعض الآخر يصرح : « إن الرئيس بتاعكم مصيره إلى الزوال والبلد ستحكم على نظام ستالين ». وقد زاد من تفاقم البلبلة صدور أوامر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية إلى الوحدات باعتبار نصائح الخبراء السوفيت بمثابة أوامر واجبة التنفيذ ... ولاحظنا أيضا أن محاولات الخبراء السوفيت لتجنيد بعض الضباط للحصول منهم على معلومات بطرق غير شرعية قد زادت. بل إن مندوب المخابرات السوفيتية واسمه الكودى « جورج » والذى كان على اتصال مع « هيئة الاتصالات الخارجية » بالمخابرات العامة، كان دائم الاستفسار عن الأحوال الداخلية ومدى شعبية الرئيس. وكنا ننقل هذه المعلومات أولا بأول للرئيس عبد الناصر. لذلك فقد فاتحت السفير « فينوجرادوف » ونحن فى مطار ألماظة لتوديع الرئيس - خاصة بعد القبض على أحد الخبراء السوفيت وهو يتسلم وثائق، كان قد طلبها من أحد ضباطنا - يوم ١٩٧٠/٤/٣ بمناسبة سفره إلى الاتحاد السوفيتى، للاتصال بأندروبوف رئيس المخابرات السوفيتية KGB فى ذلك الوقت لاستبداله بآخر، فوعد أن ينفذ ذلك. ولكنى

أبعدت عن المخابرات العامة بعد ذلك يوم ١٩٧٠/٤/٢٦ أى أن الإبعاد تم بعد حوالى ٣ أسابيع من هذه الأحداث. وذهب « جورج » لمقابلة رئيس هيئة الاتصالات الخارجية يوم ١٩٧٠/٤/٢٨ ليعبر له عن سعادته بنقلى، آملا فى أن يكون التعاون أوثق مع الرئيس الجديد للمخابرات العامة.

وقد تأكدت من هذه المعلومات من عدة مصادر بل ومن ممارساتى الشخصية. كما أكدها لى الدكتور مراد غالب سفيرنا بموسكو، وكان قد وصل إلى القاهرة فى مايو ١٩٧٠ للتشاور. استقبلته فى مكتبى بالمخابرات العامة يوم ١٩٧٠/٥/٢٤ كعادته حينما كان يصل إلى القاهرة لتبادل الرأى، وأخبرنى - وأنا أنقل هنا ما ورد فى مذكراتى الخاصة - بأنه « يلمس تغييرا حقيقيا فى سلوك السوفيت واتجاهاتهم. فقد اعتذروا عن زيارة كان المارشال جريتشكو يزمع القيام بها إلى القاهرة باتفاق الجانبين، بحجة انشغاله بفيتنام. بل إنهم لا يرحبون بزيارة الرئيس إلى موسكو، وأخبروه إن كان مصرا على الحضور فليحضر للاستشفاء فى أحد المستشفيات. وهم يرون أننا فى سياستنا الداخلية نتجه إلى اليمين : فمحمد حسنين هيكل أصبح وزيرا للإرشاد القومى، وزكريا محيى الدين ما زال فى منصبه حيث هو وطبقة الأنتلجنسيا ضدهم بالكامل، ويتساءلون متى يضرب هؤلاء ؟ هل تنتظرون حتى إزالة آثار العدوان ؟ ويزداد تساؤلهم عن موقف السودان العدائى لهم. إن القاهرة مشتركة مع النميرى فى إبعاد عبد الخالق محجوب رئيس الحزب الشيوعى السودانى إلى القاهرة ». ولعل الحوار الذى دار بين بريجنيف والرئيس عبد الناصر قبيل انتهاء مباحثاته فى موسكو فى يوليو ١٩٧٠ يوضح كثيرا مما سبق أن قلناه. إذ أشار بريجنيف إلى معلومات وصلتهم عن قيام وزارة الإرشاد - وكان محمد حسنين هيكل وزيرها إلى جانب رئاسته لتحرير الأهرام - باستطلاع رأى الشعب فى وجود الخبراء السوفيت. وكذب عبد الناصر هذه المعلومات، موضحا أن مصلحة الاستعلامات مع أجهزة أخرى تعد تقارير دورية عن الرأى العام بالنسبة لمختلف الموضوعات الجارية. ومن الطبيعى أن يوجد فى مصر أشخاص يرفضون وجود أى علاقة معكم. كما يوجد لديكم فى الاتحاد السوفيتى حسب ما نسمعه من إذاعات الغرب عدد من الكتاب والمثقفين المنشقين ضدكم. وختم بريجنيف هذا الحوار الحساس بقوله إنه : عند انتهاء مشكلة الشرق الأوسط سوف

يرحل مستشارونا وخبراؤنا وطيارونا من مصر مباشرة لأننا لا نرضى أن نتهم باحتلال أراضى الغير.

وحدث قبل ذلك وفى أوائل عام ١٩٧٠ شىء غريب وطريف يوضح الحدود التى التزم بها الاتحاد السوفيتى فى إدارته الصراع الدائر، كما يوضح القواعد الجديدة للردع. فعقب اشتداد الغارات الإسرائيلية علينا فى العمق على الارتفاعات المنخفضة، متسللة من ثغرات شبكات الرادار لتقصف التل الكبير وحلوان والمعادى ودهشور وأبى زعبل والخانكة وشرق القاهرة، دون رد فعل من جانبنا، محدثة خسائر جسيمة فى الأرواح والمبانى، قرر عبد الناصر السفر إلى موسكو من ١٩٧٠/١/٢٢ حتى ١٩٧٠/١/٢٥ للحصول على قوات سوفيتية بمعداتها وأسلحتها، مهددا بترك الحكم إلى السيد زكريا محيى الدين الذى يمكنه التفاهم مع الأمريكان (*)، مما اضطر السوفيت إلى الموافقة على الإمدادات التالية : ٣٢ كتيبة صواريخ سام ٣ كاملة بأطقمها وأجهزتها ومعداتها، و٨٥ طائرة ميج معدلة بطياريها، ٥٠ طائرة سوخوى ٩، ١٠ طائرات ميج ٢١ تدريب، ٤ أجهزة رادار ب ١٥ للعمل ضد الطيران المنخفض، ٥٠ موتور حديد ٥١١ لطائرات الميج الموجودة فى مصر.

ووصل وفد سوفيتى برئاسة الجنرال سيكوروفسكى نائب مدير المخابرات السوفيتية إلى القاهرة فى ١٩٧٠/٢/٢٥ للاتفاق على تأمين وصول القوات التى تقررت فى مباحثات موسكو التى ستصل تباعا اعتبارا من ١٩٧٠/٣/٣، وتوليت بصفتى رئيسا لجهاز المخابرات العامة التباحث معه بهذا الخصوص. وبقى الوفد فى القاهرة حتى ١٩٧٠/٣/١٢ حيث غادرنا عائدا إلى موسكو بعد الاتفاق معه، علاوة على ذلك، على التعاون بين جهازى المخابرات فى مجال المعلومات عن إسرائيل والنشاط الغربى، ومجال التعاون الفنى، مع تأكيد احتياجاتنا من المعدات دون خبراء أو مستشارين كما سبق الاتفاق مع أندروبوف أثناء زيارتى إلى موسكو فى نوفمبر ١٩٦٧.

ودارت المباحثات بخصوص تأمين سرية وصول الوحدات السوفيتية مع وفد مصرى مكون منى بصفتى وزيرا للدولة ورئيسا للمخابرات العامة، وشعراوى جمعه وزير

(*) كان تصور السوفيت الخاطئ أن السيد زكريا محيى الدين يميل إلى التعامل مع الغرب بوجه عام، والولايات المتحدة بوجه خاص.

الداخلية، ومحمد فوزى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة فى مكتبى بالمخابرات العامة. وأصر الجانب السوفيتى على وصول القوات ليلا فى سرية تامة، مع إغلاق الطريق الصحراوى مصر - اسكندرية عند مرور القوات، وكذا بحثنا ترتيبات السير فى المدن التى تكفل السرية. ووقعت الاتفاقية من الجانبين واحتفظ كل بأوراقه.

إلا أن المفاجأة الكبرى حدثت عند عبور السفن السوفيتية التى تحمل القوات والمعدات المتفق عليها مضيق الدردنيل، فقد عبرته نهارا والأفراد يحيون من تقع أنظارهم عليهم على الشواطئ، وإذاعات العالم ووسائل الإعلام تتابع بشغف هذا المنظر الفريد. وبعد ذلك أصرت السفن على دخول ميناء الاسكندرية نهارا، وأن يتم التفريغ نهارا، وأن تشق العربات حاملة المعدات والأفراد شوارع الاسكندرية ثم الطريق الصحراوى ثم شوارع القاهرة نهارا أيضا !!! ولم يكن هذا ما اتفقنا عليه.

كان هذا النوع من التحرك رسالة إلى كل من يهمهم الأمر فيفهمونها كما يحلو لهم.

ولم يكن هذا بالشىء السىء، كما يبدو، بل هو تطبيق لمبدأ الردع. فالردع يعلن عن وسائله للطرف الآخر كوسيلة لإجباره على أن يراجع حساباته. والأهم من الإعلان عن الوسائل المتاحة تصديق الطرف الآخر عن صدق النية فى العقاب. وكان لذلك تأثيره، فقد قلق الأمريكيون بحق من محاولة تكثيف الوجود السوفيتى فى مصر، وهذا ما كان يخطط له عبد الناصر، رغما عما يحمله وجود هذه القوات السوفيتية من معنى أكيد بعدم كفاءة قواتنا، حتى ذلك الوقت، للقيام بالدفاع عن الوطن، وعجز القيادة العسكرية عن مواجهة الموقف بالطريقة السليمة، مما اضطر القيادة السياسية إلى السفر المفاجئ إلى موسكو والتهديد بالتخلى عن مسئولياتها فى حال رفض مطالبها.

منع العدو من الحصول على معلومات

الزلزال الذى أحدثته الهزيمة جعل الجمهورية مكشوفة تماما، الأمر الذى جعل موضوع حماية الجبهة الداخلية ينال أسبقية خاصة؛ إذ لا أمل فى تغيير الموقف لصالحنا إلا عن هذا الطريق. ولم تكن الدعاية المضادة هى السلاح الوحيد المصوب إلى الجبهة الداخلية، ولكن محاولات اختراقها كانت مستمرة بجهود مكثفة من جانب دول عديدة وعلى رأسها الولايات المتحدة.

وكما سبق القول، فإن المحاولات فى مجال المخابرات تبذل للحصول على المعلومات من المصادر المكشوفة والمصادر السرية على حد سواء. ولمقاومة المحاولات فى المجالات المكشوفة يحتاج الأمر إلى اتخاذ إجراءات شاملة تمس أجهزة الدولة، خاصة تلك التى تتميز بحساسيات دقيقة، بل وتمس الشعب نفسه. وأما المصادر السرية فيمكن منع العدو من الاستفادة منها عن طريق الأجهزة المتخصصة، وبعمليات مقاومة الجاسوسية Counterespionage.

ولم نكن نبدأ من الصفر، فكان هناك الكثير من الترتيبات التى عملت قبل الهزيمة فى مجال تأمين الوثائق والإحصائيات والسيطرة على الصحافة إلى حد ما، ولكن ظروف النكسة حتمت التوسع فى تلك الإجراءات وتطبيقها بحسم وجدية ... وقد كانت الإغارة التى قام بها العدو على محطة كهرباء « هو » بنجع حمادى، وقناطر نجع حمادى وكوبرى قنا ليلة ١٩٦٨/١٠/٣١ بمثابة إنذار لنا بأننا نعيش بلا غطاء، ليس فقط من الناحية العسكرية التى كشفت الغارة عن سلبياتها، ولكن أيضا من ناحية حجم المعلومات التى تتيحها الوسائل العلنية والصحافة للعدو.

وبالرغم من أن أجهزة الإعلام والبيانات الحربية الصادرة عن الغارة قد قللت من نتائجها، فإننى شكلت لجنة من المخابرات العامة لبحث الموضوع على الطبيعة. وقد أصدرت المخابرات العامة تقريرا وزعناه على كافة الجهات المعنية بملاحظاتنا واقتراحاتنا. وقد ثبت أن الغارة الإسرائيلية كانت ناجحة تماما وأنها نفذت دون أى مقاومة أو دفاع من جانبنا، علاوة على أن العدو استفاد فائدة كبرى من المعلومات المنشورة فى الصحافة ... فقد دأبت شركات القطاع العام المنفذة لمثل هذه المشروعات - وكنوع من الدعاية لأعمالها - على الإعلان عن أعمالها، معززا بالإحصائيات والصور والرسومات التوضيحية التى تحتوى على معلومات تفصيلية عن المبانى والأبعاد بين غرف الآلات والأجهزة ومولدات الكهرباء والأقسام الميكانيكية والدعامات، بحيث يسهل الخروج منها بتصور تفصيلى عن الهدف الذى ستتم مهاجمته.

وقد نوقش الموضوع فى مجلس الوزراء، وأثرت أهمية وضرورة الدفاع عن الأغراض الحيوية فى أنحاء الجمهورية، موضحا أن خطوط المواصلات والقاعدة لهما نفس أهمية الخطوط الأمامية فى المنطقة الدفاعية، فقد اختلطت الجبهة مع المناطق الأخرى فى

العمق وأصبحت الجمهورية كلها جبهة قتال، لأن كل أهدافنا فى متناول الأذرع الطويلة للعدو، وبذلك فقد أصبح من المحتم وجود قوات فى كل أنحاء الجمهورية لحماية أغراضنا الحيوية. وقد أوقف الرئيس مداخلتى بحدة، إذ كان حساسا بصفة خاصة من تدخل وزير الحربية السابق - والذى رفض بمحض اختياره أن يستمر فى مسئولياته باختصاصات باهتة - فى أى أعمال تخص الوزير الجديد. إلا أن الوزير سيد مرعى وزير الزراعة فى ذلك الوقت أعاد المجلس لمناقشة الموضوع حينما قال: « الكلام الذى أدلى به السيد أمين هويدى مهم وخطير وأوافق عليه. لم لا يبحث ونتخذ فيه قرارا؟ !! » ودون استطراد شهدت هذه الجلسة مولد الجيش الشعبى الذى انتشر فى كل بقعة من بقاع الجمهورية، إذ لم يكن هناك - حتى تلك الجلسة - تصور عن طبيعة المعركة التى كان علينا خوضها. كما أقر المجلس تدعيم مكاتب الأمن بالوزارات المختلفة ليتولى قيادتها أحد وكلاء الوزارة بحيث يكون مسئولا أمام رئيس المخابرات العامة فى كل ما يختص بالأمن.

كما نبهت المخابرات العامة إلى خطورة امتداد الجبهة الدفاعية هكذا إلى الجنوب، فالعدو بذلك يأخذ المبادأة « ويجعلنا نرقص على طبوله ». فلا يمكن من الناحية العملية وضع وحدات فى كل شبر من الجمهورية؛ إذ لو أننا حاولنا أن نكون أقوياء فى كل مكان فسنصبح ضعفاء فى كل مكان، فكلما زادت الجبهة اتساعا قل العمق إلى الخلف وأصبح دفاعنا خطيا. وقد أخذ الرئيس بوجهة النظر هذه، فقد قال فى اجتماعه مع القادة يوم ١٩٧٠/١/١٠ وبالحرف الواحد: « يجب ألا نستجيب للعدو ونرسل قوات إلى البحر الأحمر ونضعف قواتنا » ... كان هذا ردا من عبد الناصر على تحرك بعض وحدات مقاتلة إلى البحر الأحمر بعد عمليات العدو السابقة.

كان الإجراء السليم من وجهة نظرنا هو مواجهة مثل هذه الغارات المتوقعة بغارات مثلها .. « فلا يفل الحديد إلا الحديد »، وذلك بإعداد بعض الوحدات المجهزة تجهيزا خاصا يناسب أغراضا مختارة يمكنها أن تعمل خلف خطوط العدو فى سيناء وفى إسرائيل نفسها باستخدام وسائل النقل المتنوعة سواء البرية أو الجوية أو البحرية... هذه القوات تتفرغ تماما للتدريب على مهاجمة أغراضها ليل نهار لكى تنفذ العملية وقت صدور الأمر لها بذلك ... فهذه الوسيلة خير من استمرار الرد بالضرب التقليدى

بالمدفعية على دفاعات العدو كما كان يحدث فى معارك « السوم » فى الحرب العالمية الأولى. فاللعب على خطوط مواصلات العدو الممتدة على جبهات واسعة كان خير استراتيجية لمواجهة الموقف فى تلك المرحلة، فهى تعيد لنا المبادأة التى كنا نفتقر إليها وتغرس الروح الهجومية فى قواتنا استعدادا للعبور، وتجعلنا نداوم الاشتباك مع العدو وإمساكه من تلابيبه بقوات صغيرة ذات خفة حركة عالية وتدريب ممتاز يمكنها بالرغم من صغر حجمها تحقيق أهداف كبرى.

أما بخصوص السيطرة على نواحى النشر فى الصحف ووسائل الإعلام، وتوعية الجماهير والمسئولين بالأمن، فقد اتبعنا الآتى :

- عقد دورات متتالية فى الأجهزة الحكومية والقطاع العام لمدة أسابيع للتوعية بخصوص الموضوعات المتعلقة بأمن الوثائق والتحفظ عليها، وأمن المعلومات وكيف نتفادى التورط فى الكشف عنها، وأمن الأماكن الحيوية والمصانع وكيفية الدفاع عنها محليا. وكانت تجرى تجارب فجائية على تنفيذ خطة الدفاع عن المبانى ضد هجمات هيكلية للتأكد من سلامة الخطط.
- توعية كاملة للجماهير والرأى العام عن طريق الصحافة والإذاعة والتليفزيون ومنابر الجوامع والكنائس، فكان يتخلل البرامج التليفزيونية مثلا إعلان للتوعية اختيرت كلماته بعناية كاملة.
- منعت الرقابة على الصحف أى معلومات يمكن للعدو الاستفادة منها، وحدث تطور مهم فى إعلان القطاع العام عن إنجازاته مستفيدين من دروس الماضى.
- نقلت الأوراق المهمة من الأرشيف لبعض الأجهزة الحساسة إلى أماكن آمنة ... وأفضل علاج لذلك فى المستقبل أن يشتمل كل مبنى جديد على دورين مثلا تحت الأرض لوضع الأرشيف بهما، مع تصوير الوثائق المهمة بالميكروفيلم. وقد نقل جهاز المخابرات وثائقه إلى أماكن متعددة داخل صناديق خاصة، وكان من ضمن هذه الأماكن حديقة الزهرية، ووزعنا كل الأقسام بأفرادها فى أنحاء القاهرة الكبرى، وجهزت خطة كاملة للدفاع عن المبنى مع عمل أبراج حراسة ودوائر تليفزيونية مغلقة، وقام بذلك السيد صلاح الحرزى رئيس هيئة المعلومات والتقديرات بكفاءة نادرة. وكثيرا ما كنا نسمع صفارة الإنذار التى يطلقها نهارا وليلا وفجرا لنقوم بالتجارب وبتدريب كل فرد على واجبه فى حالة أى هجوم فجائى.

- اتبعنا سياسة جديدة قد لا تكون سليمة تماما من وجهة نظر أعمال المخابرات، وهى كسر حلقات التجسس دون التمسك بحتمية القبض على جميع أفرادها، لعدم تناسب إمكانياتنا المتاحة مع حجم الضغوط الواقعة. كذلك اتبعنا سياسة اعتمدت على العنف فى كثير من الأحيان، فقسوة العدو وعنف المعركة لم يبقيا فى الصدر مكانا للتردد. فالمعركة معركة .. من يقتل فيها أكثر ينعم عليه بأوسمة أكثر. ومعركة المخابرات تماما مثل معارك القوات المسلحة بفارقين : أنها مستمرة فى زمن السلم والحرب، وأنه لا ينعم على الرجال الذين يخوضون معاركها بأوسمة أو نياشين، بل إذا وقعوا فليست هناك اتفاقيات ـ مثل اتفاقيات جنيف ـ تنظم حالهم أو معاملتهم... فكما يعملون فى صمت يذهبون فى صمت، يتنصل الجميع من أعمالهم وربما من معرفتهم.

وكان بعض الملحقين العسكريين الأجانب مثلا قد تورطوا ـ تحت عباءة الحصانة الدبلوماسية ـ فى أعمال تمس أمننا القومى، وكان ظاهرا أنهم يعملون بالوكالة فى معظم الأحيان بالتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية ـ بعد أن ضيقنا عليهم الخناق تماما ـ وفى قليل من الأحيان كان البعض منهم يعملون لخدمة المخابرات الإسرائيلية. وشهدت شوارع العاصمة أحداثا جسيمة لمنع هؤلاء من تهديد أمننا القومى، فالبعض من هؤلاء ضرب بقسوة اضطرتهم للبقاء فى المستشفيات أسابيع أو للمغادرة بأسرع ما يمكن. وكم شهدت شوارع العاصمة أيضا عربات خاصة تصطدم بها لوارى محملة بالأحجار أو الأسمنت، وكم شهدت الفنادق حوادث كثيرة أرهبت من تسول له نفسه اختراق جبهتنا الداخلية ... كانت معارك خاضها الرجال فى بسالة ورجولة وصمت إلى أن تمت السيطرة على الموقف ... كنا نريد أن يطلق رجالنا سلاحهم فى خطوطهم الدفاعية ويتفرغوا لذلك تماما وخلفهم جبهة آمنة منيعة.

حدث مثلا أن مركزا تابعا لجريدة الأهرام اسمه « آراك » كان يمد بعض الجهات الأجنبية بإحصائيات يطلبونها. وكان هناك قانون يحتم عرض هذه الإحصائيات على جهاز التعبئة والإحصاء للتأكد من عدم تسرب أى معلومات يستفيد بها العدو ... كانت الإحصائيات المطلوبة من « آراك » للمركز التجارى اليابانى تخص الإنتاج فى قطاع الصناعات الغذائية الذى كانت القوات المسلحة تعتمد عليه كثيرا فى إمداد قواتنا باحتياجاتها، وعن طريق حساب ومتابعة الزيادة فى هذا الإنتاج والجهات الطالبة يمكن

الوقوف على معلومات كثيرة من المستحسن حجبها. ولم يوافق جهاز التعبئة والإحصاء على إمداد المركز التجارى اليابانى بالمعلومات المطلوبة، ولكنه أمكن لجهاز المخابرات أن يتأكد من أن «أراك» وعلى الرغم من ذلك ـ أمد المركز اليابانى بالمعلومات المعترض عليها. واتخذت الإجراءات الحاسمة ضد المركز، وثارت ضجة حول هذا الحادث هاجم فيها الأهرام « زوار الفجر ». وردت المخابرات العامة للدفاع عن « زوار الفجر حتى ينام المواطنون آمنين إلى الفجر وما بعد الفجر ». ولم تنحن المخابرات العامة أمام الضغوط المؤسفة لتمييع الموقف، فى الوقت الذى لم تستطع بعض الأجهزة المسئولة فى وزارة العدل مجاراة المخابرات فى وقفتها ... كانت المخابرات العامة تخوض معركة تعرف أبعادها وكانت تتمنى أن يدرك ذلك الآخرون.

وحدث أيضا أن إسرائيل كانت قد استغلت وجود كثيرين من الأسرى من الضباط والجنود المصريين لتجنيدهم، وقد دربت البعض منهم على التراسل بالوسائل المختلفة ومن بينها الأحبار السرية، إلا أن الغالبية العظمى من هؤلاء قاموا بالتبليغ فور عودتهم. وقد استخدمنا بعضا من هؤلاء كعملاء مزدوجين أدوا أدوارا مهمة فى تضليل المخابرات الإسرائيلية بإرسال معلومات كنا نجهزها. ولكن القليلين من هؤلاء لم يبلغوا وحاولوا تنفيذ ما كلفوا به من اتصال، وقد تم القبض على معظم هؤلاء واعترفوا بذلك. بل حاولت المخابرات الإسرائيلية تجنيد بعض الطلبة المصريين فى الخارج منتهزة سوء أحوال البعض منهم، إلا أننا أعلنا بكل وسائل النشر فى الداخل والخارج عن العفو عن أى فرد قام بالاتصال مع العدو إذا أبلغ عن ذلك ... وقد نجحت هذه الوسيلة نجاحا باهرا، إذ قام الكثيرون ممن تورطوا فى اتصالات مشبوهة بالتبليغ عن ذلك... وأعلنا عن عناوين وأرقام هاتفية يمكن لأى فرد الاتصال بها للتبليغ عن أى محاولات من هذا النوع.

وقامت إسرائيل بعدة محاولات للحصول على معلومات عن المطارات الجديدة والدشم التى بنيت فيها. كانت المخابرات الإسرائيلية تريد معرفة سمك خرسانة الأسقف والأجناب واتساع البوابات والمادة التى صنعت منها الممرات، وقد تمكنت من تجنيد أحد المصريين المقيمين بألمانيا واسمه بهجت، وهو ابن شقيقة المهندس عثمان أحمد عثمان رئيس شركة « المقاولون العرب » فى ذلك الوقت، وأمكنه الحصول على خرائط الدشم التى فى حوزة الشركة والمفروض الاحتفاظ بها فى سرية كاملة تحت

القفل والمفتاح. وقد ضبط المذكور متلبسا، واتهم خاله بأنه هو الذى سلمه الخرائط، فتم القبض على المهندس عثمان أحمد عثمان بمعرفة نيابة أمن الدولة وبقى تحت التحفظ فى سجن المخابرات العامة حتى ثبت للنيابة براءته. وحكم على المتهم بالإعدام، كما حكم على المهندس الذى سلمه الرسومات بالسجن لمدة ١٥ عاما. كما تم استدراج عميلين من العملاء الألمان الثلاثة الذين كانوا يعملون لحساب إسرائيل إلى القاهرة، وحكم عليهما بالسجن لمدة ١٥ عاما ... وتم الإفراج عنهما بعد ذلك فى عملية من عمليات تبادل إطلاق سراح الجواسيس ... وجانب الصواب المهندس عثمان أحمد عثمان حينما صرح بأن الذى أفرج عنه هو تدخل السيد أنور السادات، تزلفا للرئيس، مما اضطرنى إلى تصحيح أقواله فى مقالة بجريدة « الشعب » ... لماذا لا يتمسك كبراؤنا بقول الحقيقة ؟ لست أدرى.

وكمثال آخر، حدث هذه المرة من المستشار الصحفى للسفارة الإيطالية فى القاهرة، والذى كان يعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية، والذى كان يركز على من يشغلون المراكز الحساسة فى وزارة الخارجية المصرية. وقد وقع فى شبكته أحد الأفراد على أمل أن يلحقه بالعمل فى شركة « أليطاليا » بعد انتهاء خدمته. وأخذ هذا الموظف يمد المستشار الصحفى المذكور ببعض برقيات السفارات المصرية، مستغلا سوء التحفظ على الوثائق الرسمية فى وزارة الخارجية الذى نبهنا إليه مرارا، وقد ضبط هذا العميل متلبسا وهو يسلم الوثائق. وقد طرد المستشار الصحفى الإيطالى فى صمت ودون إعلان واعتبر « فردا غير مرغوب فى بقائه »، وقدم العميل إلى المحاكمة التى حكمت ببراءته « لبطلان إجراءات التفتيش »، ولكن تهمة الخيانة كانت ملتصقة تماما به فصدر قرار باعتقاله رغم صدور الحكم بتبرئته ... تماما كما حدث للصحفى مصطفى أمين ولكن بطريقة عكسية؛ إذ صدر قرار « الإفراج الصحى » عنه وهو يقضى فترة السجن المحكوم بها عليه لأن القضاء رأى ثبوت تهمة التخابر عليه مع مندوب المخابرات المركزية الأمريكية ... والإفراج الصحى لا يسقط العقوبة أو يبرئ منها، كما أن « بطلان إجراءات التفتيش » لا يبعد تهمة الجاسوسية والتخابر عن مرتكبها. وعلى أى حال فقد صدر قرارا الاعتقال فى الحالة الأولى، والإفراج الصحى فى الحالة الثانية، فى ظل الأحكام العرفية التى كان معمولا بها فى زمن حروب الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، والتى مازال معمولا بها حتى الآن !!!

وحادثة غريبة أخرى بطلها أحد « الخبراء السوفيت » فى إحدى وحدات القوات المسلحة، فقد حاول « تجنيد » أحد الضباط المصريين ـ أو ظن أنه نجح فى ذلك ـ عن طريق تقديم الهدايا وتوطيد العلاقات، وحينما أحس بأن الضابط وقع فى قبضته طلب منه أن يسلمه بعض الوثائق أذكر منها خطة تعبئة وحداته، إلا أن الضابط الوطنى الشريف أبلغنا عن اتصالات وطلبات «الخبير السوفيتى». وتمت مراقبته ـ ضمن غيره من الخبراء ـ وفى اليوم الذى حدد لتسليم الوثائق فى منزل الضابط المصرى طلبت من رئيس هيئة الأمن القومى الاتصال بالمخابرات الحربية لإبلاغها بالوقائع، وبأننا سنقبض على الخبير متلبسا، وأنه لابد من وجود مدير المخابرات الحربية أو نائبه أثناء ذلك. إلا أنه لدهشتنا الكبرى اعتذرت المخابرات الحربية عن ذلك، إذ صدرت لها الأوامر بخلو مسئوليتها عن هذا الموضوع الحساس خوفا من رد فعل السوفيت !!! وعمل اللازم لتسجيل الواقعة بالصوت والصورة فى منزل الضابط المصرى، وحضر الخبير فى الوقت المحدد وتسلم « وثيقة مزورة »، إلا أنه أحس بجو غير طبيعى فانطلق يقفز على درجات السلم هاربا، إلا أنه وجد فى انتظاره على الباب الخارجى جماعة أخرى قبضت عليه. وأودع سجن المخابرات العامة للتحقيق معه والتحفظ على أوراقه، واستمر عدة ساعات فى التحقيق، وكانت رئاسة الخبراء قد أبلغت عن غيابه وبدئ فى البحث عنه. واستدعيت السفير السوفيتى « فينوجرادوف » وكبير الخبراء لمقابلتى فى مكتبى بالمخابرات العامة، وتمت المقابلة فعلا بعد منتصف الليل لأن السفير السوفيتى كان يقيم حفلة عشاء فى منزله مما أخر موعد اللقاء. وتسلم السفير وكبير الخبراء «رجلهما»، وأكدت عليهما أننا نعتبر الموضوع منتهيا من جانبنا بمجرد ترحيله إلى بلده، وفعلا استقل الرجل طائرة الفجر بعد ساعات راجعا إلى موسكو. ومما يذكر أننا طلبنا من المخابرات الحربية أيضا أن يحضر مديرها الاجتماع مع السفير، وحضر نائب المدير ولكنه طلب إبلاغ السفير عدم مسئولية إدارته عن الحادث أو صلتها به، وفعلا تم ذلك فى أول اللقاء.

كانت هذه واحدة من عدة حالات مع الخبراء السوفيت فى القوات المسلحة والخبراء من الكتلة الشرقية فى قطاعات أخرى، وهى حوادث غير طبيعية فى مثل الظروف التى تمت فيها. وكان أمر هذا الخبير السوفيتى غريبا بحق، فقد كانت معلومات القوات المسلحة بتفصيلاتها بين أيدى السوفيت، فهل كان يعمل لحساب طرف ثالث ؟! هذا هو

الأرجح، ولكن الملابسات الحساسة للموضوع جعلت هذا السؤال دون إجابة حتى الآن...

وقد ساعدت هذه الترتيبات وغيرها فى إخفاء نياتنا بطريقة أكيدة عن العدو.

الأعمال الإيجابية

والأعمال الإيجابية هى العمليات التى تقوم بها المخابرات العامة، وهى عمليات تحتاج إلى تخطيط كامل لمواجهة كافة التفاصيل، وإلى ترتيبات خاصة وإجراءات معينة لنجاح العملية، كما تحتاج إلى جرأة فى التنفيذ لا تعرف التردد. وتتميز هذه الأعمال بأنها أعمال جماعية تحتاج إلى مجهودات جماعية، لو حدث أى تراخ فى إحدى حلقاتها فإن هذا يمكن أن يؤثر على باقى الجهود.

وقد قامت المخابرات العامة فى تلك الفترة بأعمال كثيرة من هذا النوع، لعل من أهمها عملية الحفار كينتنج Kenting، وهو حفار للبحث عن حقول البترول استأجرته إسرائيل للحفر فى خليج السويس لزيادة مواردها من نفط شبه جزيرة سيناء الموجودة تحت الاحتلال، وقد أعلنت إسرائيل عن ذلك دون حياء. وقد بذلت كافة المحاولات الدبلوماسية للضغط على إسرائيل حتى لا تستمر فى محاولتها ولكن دون جدوى.

واتخذ قرار بضرب الحفار عند دخوله البحر الأحمر عن طريق باب المندب بواسطة قواتنا الجوية. إلا أننى اقترحت على الرئيس عبد الناصر ـ منعا لأى تعقيدات سياسية كنا ننوء تحت ثقلها ـ أن تقوم المخابرات العامة بالتعامل معه بطريقتها الخاصة، ووافق الرئيس ... يعنى كانت المبادرة منا ... أقول كانت المبادرة منى كرئيس للمخابرات العامة.

كان الحفار إنجليزيا اشترته شركة أمريكية كندية سجلت نفسها فى دنفر عاصمة ولاية كولورادو الأمريكية، يجره جرار هولندى يحمل الاسم « جاكوب فون ليمز إيرو »، وكان بذلك حفارا ذا صفة دولية قامت إسرائيل باستئجاره للحفر فى خليج السويس وأحاطت ذلك بدعاية عظيمة. وبدأت تصل المعلومات بأن الحفار أوشك أن يخرج من البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق ليقطع رحلته بحذاء الساحل الإفريقى ليدخل منطقة العمل عن طريق باب المندب ثم البحر الأحمر.

وقد أشارت الدراسات الأولية إلى أن أنسب مكان للتعامل مع الحفار يكون فى إحدى موانئ الساحل الغربى لإفريقيا شمال الحدود الجنوبية لنيجيريا، ذلك لأن علاقات القاهرة مع معظم هذه الدول علاقات صداقة تتيح حرية العمل بدرجات متفاوتة، فى الوقت الذى كانت تعتبر فيه الدول جنوب هذا الخط مناطق مغلقة بالنسبة لنا، حيث تقع فى إفريقيا السوداء والتى كانت تدور فيها أعنف المعارك لحصول الدول على استقلالها. وإن نجح الحفار فى اجتياز هذه المناطق فلن يتسنى لنا التعامل معه إلا فى المنطقة بين دار السلام بتنزانيا وجيبوتى على الساحل الشرقى لإفريقيا، ولم يكن هذا مستحبا؛ إذ لن يترك لنا مجالا كبيرا للتحرك قبل أن يدخل الحفار إلى البحر الأحمر.

واتخذت قرارا بإغراق الحفار فى المنطقة بين داكار بالسنغال وبوانت ـ نوار فى الكونجو كينشاسا على الساحل الغربى لإفريقيا، وقد تم تعديل الغرض بعد ذلك من إغراق الحفار ليصبح مجرد تدميره وشله عن العمل بحيث يفقد صلاحيته لفترة طويلة، نظرا لضخامة حجم المتفجرات التى تحتاجها عملية إغراق الحفار الذى كان بحجم مدينة صغيرة عائمة. وشكلت مجموعة من المخابرات العامة للتخطيط والإعداد لتنفيذ هذه العملية تحت قيادتى المباشرة (وما يقال غير ذلك يبعد عن الحقيقة، فالهزيمة يتيمة أما الانتصار فله أكثر من أب).

وبعد أن أعدت كافة الترتيبات اختير الضابط الميدانى للإشراف على تنفيذ العملية فى الموقع الذى سنقابل فيه الحفار، واختير بعض أفراد الضفادع البشرية من القوات المسلحة بضباطهم، وتم تدريبهم وإعدادهم وتحريكهم بعد ذلك بواسطة المخابرات العامة... يعنى كانوا يعملون تحت قيادة المخابرات العامة وبتوجيه منها.

وفرضت السرية الكاملة على العملية، وحجزت جماعات التنفيذ فى أماكن أمينة. ولم يخطر أحد بالعملية نفسها، وأعطيت الاسم الكودى « الحج »، وصدرت الأوامر بعدم تبادل أى مكاتبات عنها.

وبعد حسابات دقيقة عن قوة الجرار الذى يجر الحفار وسرعته وكمية البترول التى يمكنه حملها كان من المتوقع ألا يتمكن الحفار من قطع الرحلة مرة واحدة، وأنه لابد له من الدخول فى إحدى الموانئ الآتية : داكار فى السنغال، تيما فى غانا، أبيدجان فى ساحل العاج، لاجوس أو هبركورت فى نيجيريا، بوانت نوار فى الكونجو كينشاسا. وتم

تجميع أكبر كمية من المعلومات عن الحفار والجرار والموانئ، ورسمت كروكيات تفصيلية لها. أما عن متابعة تحركات الحفار التى فرضت عليها السرية الكاملة، فقد شكلت جماعة متجولة لها مطلق الحرية فى التحرك على الساحل الغربى الإفريقى فى منطقة العمل المتوقعة، للتعاون مع جماعتنا هناك فى الحصول على المعلومات الخاصة بتحركاته. كما طلبنا معاونة بعض أجهزة المخابرات المتعاونة معنا بإفريقيا لإمدادنا بمعلوماتها، وأخص بالذكر المعاونة التى قدمها لنا إخواننا فى السودان وتنزانيا.

وقسم الساحل الإفريقى إلى أربعة قطاعات عمل :

١- القطاع الأول: من داكار إلى بوانت نوار، وهو قطاع معلومات وعمليات، ويمكن التعامل فيه مع الحفار.
٢- القطاع الثانى: من بوانت نوار إلى جنوب دار السلام فى تنزانيا على الساحل الشرقى الإفريقى، وهو قطاع معلومات فقط.
٣- القطاع الثالث: من دار السلام إلى جيبوتى، وهو قطاع معلومات وعمليات.
٤- القطاع الرابع: وهو البحر الأحمر، تنفرد القوات المسلحة بالعمل لضرب الحفار فيه بالقوة الجوية كحل أخير إذا نجح الحفار فى الإفلات من محاولة تدميره فى القطاعات السابقة.

كانت مشكلة المتفجرات اللازمة لتنفيذ العملية مشكلة حقيقية، فلا بد أولا من تحديد النوع الذى يتناسب مع قاع الحفار ثم الكميات اللازمة لتنفيذ الغرض، ولكن كان الأهم من كل ذلك نقل هذه الكميات آلاف الأميال إلى مكان لقائنا مع الحفار ... إما عبر إفريقيا من القاهرة إلى مكان ما بالساحل الغربى لإفريقيا، وإما من القاهرة إلى الساحل الغربى لإفريقيا عبر مطارات أوروبا ـ وهذا ما تم فعلا عند التنفيذ ـ وكانت المطارات وقتئذ تحت حراسة مشددة؛ إذ كانت أعمال خطف الطائرات بواسطة الفدائيين الفلسطينيين قد بلغت الذروة، مما جعل الدول الأوروبية تعامل العرب عموما معاملة خاصة سواء من ناحية تأشيرات الدخول أو تفتيشهم تفتيشا دقيقا.

وقسمت جماعات التنفيذ إلى مجموعتين، على أن يكون فى الإمكان التنفيذ بجماعة واحدة فقط إذا حالت الظروف دون وصول الجماعة الثانية.

وفى مســاء يوم ١٩٧٠/٢/١٦ وكـان أول يوم من أيام عـيـد الأضـحى، وصلت المعلومات بوصول الحفـار إلى ميناء داكار. وعقد مؤتمر عاجل لإعطاء التعليمات النهائية، فكان على قائد العملية أن يتحرك صباح اليوم التالى إلى داكار ليقوم بالاستكشاف على الطبيعة، على أن تلحق به جماعات التنفيذ فى يوم ١٩٧٠/٢/١٨. ووصل قائد العملية فعلا إلى داكار، ووصلت جماعتان إلى أكرا فى غانا للتحرك منها إلى داكار. إلا أن معلومات مزعجة قلبت كل شىء رأسا على عقب، إذ بدأ الحفار فى التحرك ظهر يوم ١٩٧٠/٢/١٩ متجها إلى الجنوب. وصدرت التعليمات بإيقاف التحركات، وبعودة الجميع إلى القاهرة استعدادا لجولة قادمة خوفا من إنكشاف العملية لو بقوا حيث هم.

وعلى أى حال أثبتت المحاولة أنه فى إمكاننا التحرك بسرعة وسهولة، واعتبرنا هذه الجولة رغم فشلها بمثابة تجربة لمحاولة أخرى ستتم بعد أيام.

ولم يستمر انتظارنا طويلا للانقضاض على الفريسة، فقد وصلت معلومات عن وجود الحفار فى ميناء أبيدجان بساحل العاج مساء يوم ١٩٧٠/٣/٢ وبدأ التحرك المحموم للحاق بالحفار.

وفى يوم ١٩٧٠/٣/٤ تحرك قائد العملية التنفيذية لإجراء استكشافه ووضع خطة وإرسال إشارة ببدء التنفيذ. ووصلت الإشارة يوم ١٩٧٠/٣/٥ بأنه يجب التحرك بسرعة لأن الحفار فى عجلة من أمره. وعدلنا الخطة لإمكان تنفيذها بجماعة واحدة، أصررت على لقاء أفرادها فى منزلى رغم مرضى لكى أطمئنهم على عائلاتهم، وفعلا تم ذلك. وتحركت هذه الجماعة يوم ١٩٧٠/٣/٦ عن طريق باريس - جنيف - أبيدجان، وأعطيت لها التعليمات لتنفيذ العملية فى نفس يوم وصولها، وهو بعد ظهر يوم ١٩٧٠/٣/٧، دون الحاجة إلى انتظار الجماعة الأخرى إذا كانت الظروف مهيأة. وفى يوم ٣/٧ سافرت الجماعة الثانية عن طريق القاهرة - أكرا - أبيدجان، ووصلت فجر يوم ١٩٧٠/٣/٩.

وصلت الجماعة الأولى بعد ظهر يوم ٣/٧ فى الموعد المحدد، وأعطى قائد العملية أوامره بالتنفيذ بعد ساعات فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٣/٨، فالحفار يستعد للتحرك وأبيدجان كلها كانت مشغولة باستقبال رواد الفضاء الأمريكيين الذين وصلوا إليها فى زيارة خاصة ضمن جولة كبرى فى إفريقيا.

وتم تنفيذ العملية فى الوقت المحدد، تحت ستار الغابة الموجودة على الطرف الآخر من جزء الميناء الذى يرسو فيه الحفار، بإلصاق أربع عبوات من المتفجرات فى قاعه وضبط ساعات التفجير ليتم بعد ٤ ساعات، وعاد أفراد الضفادع البشرية واستبدلوا ملابسهم من جديد واستقلوا سيارتهم إلى مكانهم الأمين. وفى الساعة الخامسة من صباح يوم ٣/٨ انطلقت أصوات انفجارات متتابعة فى الجو الهادئ لأبيدجان. واستقل الأفراد طائرة المغادرة إلى باريس فى طريق عودتهم إلى القاهرة. أما أفراد الجماعة الثانية فقد وصلوا بعد تنفيذ العملية، فطاروا مرة أخرى إلى أكرا فى طريق عودتهم إلى القاهرة. وظل قائد العملية فى مكانه ليلتقط صور الحفار الذى تهشم الجزء الأكبر منه وقد مال إلى جانبه وأطفئت الأنوار. وتحرك الحفار الجريح شمالا إلى تيما بعد أن أعلنت شركة كينتنج الكندية للبترول رسميا إلغاء مشروع استخدام الحفار البحرى التابع لها للتنقيب عن البترول فى خليج السويس لحساب إسرائيل. وحينما أذاعت وكالات الأنباء أخبار العملية، وصفتها بأنها كانت قاصمة لمشروعات إسرائيل على خليج السويس، مما أدى إلى إعلان الشركة أن الحفار معروض للبيع، وأن الشركة استغنت عن خدمات الجرار البحرى الهولندى بعد أن أصبح الحفار غير صالح للعمل.

وخرجت جريدة الأهرام القاهرية على قرائها صباح يوم الاثنين ١٩٧٠/٢/٢٣ بالخبر التالى :

أول أنباء من أبيدجان عن نسف الحفار
عدة انفجارات وقعت على ظهر الحفار، أصيب بأعطاب شديدة

« خرجت من أبيدجان أول أمس أنباء عن حادث نسف الحفار الذى استقدمته إسرائيل للبحث عن البترول فى خليج السويس. وقد قالت هذه الأنباء - التى نقلتها الوكالة الفرنسية عن الدوائر الوثيقة الاطلاع من عاصمة ساحل العاج - أن محاولة تخريب الحفار حدثت يوم ١٨ مارس حيث وقعت على ظهره عدة انفجارات أحدثت به إعطابا ظاهرا وعلى الأخص فى القاعدة والبرج.

وهذه أول مرة تذاع فيها أنباء عن تلك العملية التى وقعت منذ أربعة أيام، وظلت طوال الوقت سرا إلى أن نشرتها الصحف البريطانية نقلا عن الأنباء التى تسربت من ساحل العاج ووصلت إلى باريس ثم نقلت إلى لندن. وأضافت برقية الوكالة

الفرنسية أن سلطات البوليس فى ساحل العاج بدأت تحقيقا لمعرفة أسباب الانفجارات، ولكن حتى أمس لم يلق القبض على أحد. وقد قالت الصحف البريطانية إن الحفار أصيب بإعطاب شديد وخاصة فى برجه الرئيسى. وعلم أيضا أن القاطرة الهولندية « جاكوب فون ـ ليمز ـ إيرو » التى كانت تجر الحفار منذ خروجه من أحد الموانئ الكندية، وفى الأغلب ميناء أوتاوا، قد سحبته منذ أيام قليلة إلى أحد الموانئ الإفريقية التى يوجد فيها حوض جاف كبير لبدء محاولات إصلاح الحفار ».

وعادت جريدة الأهرام يوم الجمعة ١٩٧٠/٦/٥ لإلقاء بعض الأضواء على الموضوع مرة أخرى تحت عنوان:

الشركة الكندية تلغى عقدها مع إسرائيل
للبحث عن البترول فى خليج السويس

« أعلنت شركة كينتنج *Kenting* ***الكندية للبترول رسميا إلغاء مشروع استخدام حفار البترول البحرى التابع لها للتنقيب عن البترول فى خليج السويس لحساب إسرائيل. وهذا الحفار نسف فى ميناء أبيدجان بساحل العاج فى مارس الماضى. وقالت الصحف البريطانية وقتها إن الكومندوز المصريين هم الذين قاموا بالعملية، ووصفت هذه العملية بأنها كانت قاصمة لمشروعات إسرائيل فى خليج السويس ».***

وأنعم الرئيس عبد الناصر على أفراد العملية بالنياشين التى وزعتها عليهم دون إعلان فى إحدى حجرات مبنى المخابرات العامة التى كان يجرى إصلاحها، وكنت الشخص الوحيد الذى لم ينعم عليه بنيشان ... ترددت أن أكتب اسمى فى الكشف ولم ينتبه الرئيس إلى ذلك رحمه الله ... إلى الرجال الذين خططوا وساعدوا ونفذوا كل التقدير والامتنان، فقد حققوا عملا عظيما لأنهم تمسكوا بقواعد العمل الجماعى وبروح تعاونية، لأن الأعمال الكبيرة تحتاج دائما إلى تعاون الرجال ولو تعاونوا فى صمت وهذا حقق لهم الانتصار. وللانتصار دائما أكثر من أب، أما الهزيمة فهى يتيمة لا أب لها ولا أم.

عمليات أخرى كثيرة قام بها رجال كتب عليهم أن يخاطروا بحياتهم فى تضحية وصمت دون ضجة أو إعلان.

وفى تلك الفترة أيضا قامت أحداث كثيرة، كان أهمها انتقال الرئيس عبد الناصر إلى مثواه الأخير ... وقد ترك وراءه فراغا هائلا فشل أعوانه المقربون فى ملئه نتيجة للصراعات الداخلية بينهم على السلطة الزائلة، ونتيجة لعدم خبرتهم فى حسم موضوع انتقال السلطة، ونتيجة لعدم تمييزهم بين الأصدقاء والأعداء ... لم يكونوا فى مستوى الموقف ولم يرتفعوا أبدا إلى مستوى المسئولية ... وعرف السادات ذلك وأطاح بالجميع فى يوم ١٥ مايو ١٩٧٠ لينفرد بعد ذلك بالسلطة.

واتخذت الأمور اتجاها جديدا حتى قامت حرب رمضان.

الفصل الحادى عشر

رحيل الزعيم عبد الناصر
وانتقال السلطة إلى الرئيس السادات

فى صيف عام ١٩٧٠ كان الوضع فى الأردن قد أصبح فى غاية التعقيد، وقد أصبح واضحا أن صداما دمويا بين الملك حسين والمنظمات الفلسطينية الموجودة أمر لا يمكن تفاديه. إذ وجد الملك حسين نفسه بمرور الوقت بين شقى الرحى: المنظمات الفلسطينية تزيد من سلطاتها داخل دولته مما اعتبره اعتداء على سلطته الشرعية ولم يكن من السهل عليه قبول ذلك، وإسرائيل تهدد «بذراعها الطويلة» وتتوعد بالانتقام إن لم يعمل على إيقاف العمليات الفدائية التى توجه من أراضيه.

وكان خوف الملك الحقيقى من المنظمات الفدائية، إذ كان يعتبرها بمثابة التهديد الخطير لعرشه، ولم يكن يخشى فى واقع الحال ـ فى ذلك الوقت ـ أى تهديد إسرائيلى، إذ كان تأمين العرش الأردنى أحد أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية فى ذلك الوقت. وكانت إسرائيل تعلن أنها سوف تتدخل عسكريا فى حالة أى تهديد يوجه إلى الوضع القائم فى الأردن، أو قفل خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية، أو أى تهديد لها فى الداخل من العمليات الفدائية.

وفى يوم ١٢ سبتمبر أعلن الملك حسين الأحكام العرفية فى الأردن، واستبدل حكومته المدنية بحكومة عسكرية برئاسة اللواء محمد داود، إذ كان الملك قد عقد العزم على سحق المنظمات الفدائية فى بلاده. وما لبث الموقف أن تفجر بين قوات الملك من جانب والقوات الفلسطينية من جانب آخر، وخاض الطرفان معارك استخدمت فيها كل أنواع الأسلحة المتاحة.

وبدأت سوريا فى حشد قواتها على الحدود الأردنية استعدادا للتدخل فى الوقت المناسب. وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها قد تضطر للتدخل فى الأردن إذا

هددت سوريا والعراق النظام الملكى فى عمان، وبدأت تستعد لكافة الاحتمالات فأعلنت حالة التأهب بين بعض القوات الأمريكية، وتم استنفار الفرقة ٨٢ المحمولة جوا، ثم أمرت سفن الأسطول السادس بالقيام بعملية «استعراض العلم» بالتحرك فى اتجاه سواحل لبنان وإسرائيل، ثم وجه الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون إنذارا شديدا إلى الاتحاد السوفيتى يحثه فيه على ردع السوريين، كما اتصل بالملك حسين ليطمئنه على أنه لا يقف وحده.

وقام الاتحاد السوفيتى بدوره بشجب الاستفزازات العسكرية الأمريكية، ولفت نظر واشنطن إلى أن تتبع الحذر فى خطواتها التى تقوم بها بصدد الموقف المعقد فى الشرق الأوسط .. مؤكدا أن أى تدخل سيزيد الموقف تعقيدا.

إلا أن تطورا غريبا حدث فى الموقف، إذ رأت واشنطن أن تستعين بإسرائيل للتدخل لحسم الموقف فى حالة توغل القوات السورية فى الأراضى الأردنية. وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قد وصلت إلى نيويورك فى زيارة رسمية، وقرر نيكسون مفاتحتها فى قراره هذا عند لقائه بها فى اليوم التالى، وكتمهيد لهذا اللقاء وافق على طلب إسرائيل إمدادها بمساعدة قدرها ٥٠٠ مليون دولار، وتسليم ١٨ طائرة فانتوم فى موعد مبكر عن البرنامج الزمنى المحدد له. وكان هذا الطلب الأخير « يتسكع» فى أدراج الرئيس لفترة طويلة قبل بداية الأزمة.

وفى نفس اليوم ١٨ سبتمبر ١٩٧٠ تقدمت القوات المدرعة السورية فى اتجاه «إربد» من ناحية الشمال الغربى للأردن. وزادت كثافة الدبابات السورية التى عبرت الحدود الأردنية فى اليوم التالى، وأرسل الملك حسين رسالة يقول فيها : «سقطت إربد فى أيدى السوريين»، وطالب بمساعدة الأمريكيين والبريطانيين له.

وبدأ التعاون الأمريكى ـ الإسرائيلى فى رسم الخطط للتدخل، وكان يمثل الجانب الأمريكى هنرى كيسنجر والجانب الإسرائيلى إسحاق رابين سفيرهم فى واشنطن فى ذلك الوقت. وكان هيكل الخطة الإسرائيلية شن هجوم على القوات السورية فى منطقة إربد تقوم به القوات المدرعة الإسرائيلية المتمركزة فى الجولان باتجاهها شرقا وجنوبا، على أن تتقدم المدرعات الأردنية من الجنوب فى اتجاه إربد تحت ستار نيران المدفعية

الإسرائيلية من الضفة الغربية، ويقوم الطيران الإسرائيلى بضرب إربد من الجو. واتفق على أن يقوم الجانب الأمريكى بالتنسيق مع الأردن، مع التأكيد للملك حسين أن القوات الإسرائيلية سوف تنسحب من الأردن بعد انتهاء العملية.

وبدأت الاستعدادات الإسرائيلية المحمومة بطريقة علنية فى الضفة الغربية للأردن وفى مرتفعات الجولان ... هل رأينا لماذا تساند الولايات المتحدة إسرائيل ؟ ولماذا لا تعيرنا أى اهتمام ؟! العرب يتقاتلون والولايات المتحدة ومعها إسرائيل، بطريقة مباشرة أو بالوكالة، تتدخلان لحماية بعضنا من بعض !!!

وفى يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ عقد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة، ومنذ بدايته كان هناك اتجاهان فى الرأى : القذافى وجعفر النميرى وغيرهما يرون اتخاذ موقف حاسم من الملك حسين، وكان آخرون من بينهم عبد الناصر يرون أن الغرض من المؤتمر هو وقف المذبحة الحالية، وعلى ذلك فإن اتخذ المؤتمر موقف التشدد من الملك حسين فإنه يكون بذلك قد أعطاه المبرر لقطع اتصالاته بالحكومات العربية والمضى فى مذبحته ضد المقاومة. وفى ٢٤ سبتمبر طار إلى عمان وفد برئاسة جعفر النميرى للوقوف على ما يجرى ومحاولة تهدئة الموقف، وعاد الوفد دون نتيجة وعرض نتائج مباحثاته على المؤتمر الذى أخذ فى مناقشة الأزمة ... الرئيس القذافى يرى إرسال قوات عراقية سورية للتصدى للملك والقبض عليه وحمله إلى مستشفى المجانين، بينما الرئيس عبد الناصر والملك فيصل يدعوان إلى التهدئة ... وانتهى الأمر إلى توجيه دعوة إلى الملك حسين لحضور المؤتمر ... ولكن الملك لم يلب الدعوة فورا عازما على السيطرة على الوضع أولا.

ووسط كل هذا الذى يجرى استقال اللواء محمد داود رئيس الحكومة الأردنية ـ الذى عينه الملك حسين خلفا لعبد المنعم الرفاعى لمواجهة الموقف ـ وكان فى القاهرة ... «لأن الحكومة العسكرية التى شكلت برئاستى بالأردن حملت بما لا ذنب لها فيه ولم يكن بيدها من أمر توجيه الأمور شيئا، والأفضل الآن أن يفسح المجال لتشكيل حكومة وطنية تستطيع أن تعيد السلام إلى الأردن».

شن الملك حسين هجوما شاملا ضد القوات السورية محدثا بها خسائر فادحة، وأخذت قاذفاته من طراز «هوكر هنتر» تقصف المدرعات السورية وهى منسحبة إلى

الشمال. وحينما تأكد الملك حسين من سيطرته التامة على الموقف، قبل الدعوة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ لحضور مؤتمر القمة فى القاهرة، ووقع على اتفاق مع ياسر عرفات لوقف فورى لإطلاق النيران وانسحاب كل من قوات الجيش الأردنى وقوة المقاومة من كل مدينة فى الأردن مساء ذلك اليوم.

كان عبد الناصر طوال هذه الأزمة يقيم فى الطابق الحادى عشر بفندق «النيل هيلتون»، وبعد أن وقع الاتفاق بين الملك وأبى عمار يوم ٢٧ قرر العودة إلى منزله فى منشية البكرى لينام مبكرا، إذ كان عليه فى اليوم التالى توديع المسافرين من الملوك والرؤساء.

وفى اليوم التالى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ذهب إلى مطار القاهرة الدولى لتوديع الملوك والرؤساء، وفى أثناء توديعه أمير الكويت شعر بأنه غير قادر على الوقوف، وطلب سيارته لنقله من حيث يقف لأنه أصبح عاجزا عن السير إليها، وركب السيارة وهو يجر رجليه وطلب أن يلحق به الأطباء. وفى الثالثة والنصف كان قد وصل إلى منزله ليجد قرينته وأولاده فى انتظاره على مائدة الغداء، ولكنه اتجه مباشرة إلى حجرة نومه فى الطابق الثانى ... وبدأت محاولات الأطباء اليائسة دون جدوى. وكانت الأزمة القلبية أثقل مما ينفع معه أى دواء. وفى السادسة والربع مات عبد الناصر العظيم وهو حامل علم العروبة رغم كل شىء.

بزغت شمس ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكنت فى ذلك الوقت وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزراء. كان علىَّ أن أحضر بعض الاجتماعات العاجلة فى الصباح، أما بعد الظهر فكان علىَّ أن أمر على مستشفى المعادى فى نحو الخامسة بعد الظهر للاطمئنان على حرم فاروق حمد الله عضو مجلس الثورة السودانى، والذى أعدمه النميرى بعد ذلك فى صيف ١٩٧١، كما كان علىَّ أن أزور الأخ سعد الصباح وزير الدفاع الكويتى زيارة عمل فى منزله بالزمالك الساعة الخامسة والنصف. وفعلا أديت الزيارتين ولذلك لم أكن حاضرا وقت وقوع الحدث الجلل.

وأثناء مرورى على منزل والدى وكانت الساعة نحو السابعة مساء، أخبرونى أن السيدة حرمى اتصلت وأخبرتهم أن رئاسة الجمهورية طلبتنى عدة مرات، ويرجو المتحدث أن أتصل به فى رقم هاتف تركه بمجرد وصولى. وطلبت الرقم ولما عرف

المتحدث اسمى صرخ وهو يبكى وينتحب : «أنت فين ؟ تعال فورا ... الرئيس مات، الرئيس مات». وكان الرجل يكرر العبارة بعد أن ألقيت سماعة الهاتف من يدى وكأنها أفعى لدغتنى ... جريت لا ألوى على شىء، ولم أكن أصدق ما سمعت.

وحينما وصلت منزل «الريس» دخلت من فورى حجرة الصالون التى اعتاد أن يستقبلنا فيها، ووجدت هناك السادة أنور السادات، حسين الشافعى، على صبرى، محمد فوزى، شعراوى جمعه، محمد أحمد، سامى شرف، الليثى ناصف، محمد حسنين هيكل... وبعض أفراد الحرس الخاص.

كان الحزن يخيم على الجميع ... حزن صامت من البعض ... وبكاء من أغلب الحاضرين.

ولم يكن من السهل فتح أى موضوع للتحدث فيه.

وبدأ البعض منا يثير أسئلة من تلك التى تثار فى هذه المناسبات...

واتفق الرأى فى هذه الجلسة على الآتى :

- أن تشيع الجنازة أول أكتوبر ١٩٧٠ حتى يتاح الوقت للمشاركين من أنحاء العالم للحضور.
- أن يذيع السيد أنور السادات بيانا على الشعب العربى بالحدث الأليم.
- أن يعقد اجتماع عاجل لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء فى قصر القبة الساعة العاشرة مساء.
- تتكون لجنة برئاسة الأخ محمد أحمد سكرتير الرئيس لتنظيم مراسم وإجراءات الدفن.
- تبدأ الجنازة من الأزهر الشريف حيث نادى عبد الناصر أيام العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ من فوق منبره : «سنقاتل، سنقاتل، سنقاتل».
- نقل الجثمان فورا من منزله بمنشية البكرى إلى قصر القبة.

وقمت بصفتى وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزراء بإخطار مكتبى للدعوة إلى الاجتماع المتفق عليه. وبعد أن فرغت من ذلك مباشرة ارتفع صوت حرم الرئيس بالبكاء وهى متعلقة بجثمانه الذى حمله البعض من الدور العلوى إلى الدور السفلى لنقله بواسطة عربة الإسعاف المنتظرة على الباب الداخلى.

استغرقت هذه العملية بعض الوقت، وكنت أنا مع شعراوى جمعه وسامى شرف فى الحديقة وإلى جوارنا محمد حسنين هيكل يروح جيئة وذهابا وهو يردد : «مش معقول، مش معقول».

ويقول حسن التهامى فى مذكرات نشرت فى صحيفة الأهرام إنه حينما رآنا هكذا وقوفا بالحديقة أيقن أننا نتآمر ضد السادات... «دخلت من فورى لأخبر السادات بأن شعراوى جمعه وسامى شرف وأمين هويدى يتآمرون فى الخارج، وعليك أن تضرب ضربتك قبل فوات الأوان». ويستطرد قائلا إن السادات قال له : «ليس هذا وقت مثل هذا الكلام»!!

لقد حدث هذا باعتراف الزميل حسن التهامى قبل أن تخرج جثة الرجل العظيم من المنزل ولم يمض على موته إلا ثلاث ساعات !!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولست أدرى حتى الآن كيف وصل الزميل إلى هذا الذى وصل إليه ؟ وكيف يعرف ما كنا نتحدث فيه بمجرد مروره هكذا فى الحديقة، علما بأننى أؤكد للزميل أن هذا لم يحدث على الإطلاق. كانت مجرد الكلمات العادية لا تقوى على الخروج من فم الإنسان، وكان التفكير مشلولا لا يقوى على مثل هذه الظنون. وإننى أحسده تماما على قوة خياله الذى مكنه من هذا التصور فى مثل هذا الموقف العسير، خاصة بعد حضوره مباشرة من احتفال دعى إليه وحضره موظفو القصر الجمهورى بالقبة بمناسبة المولد النبوى الشريف !!!

ثم هناك سؤال آخر : إذا كان الزميل المحترم قد أوقع على هؤلاء هذا الاتهام الغليظ، فكيف طاوعه ضميره ـ وهو رجل دين وتقوى ـ ألا يتأكد قبل أن يقطع بالظن وهو يعلم أن الله يقول «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة»؟! ثم كيف يطاوعه ضميره ـ وهو الرجل الذى انصرف إلى التقرب إلى الله ـ بأن يكون عضوا أيسر فى المحكمة التى حاكمت هؤلاء ضمن آخرين، فيما سمى بأحداث ١٥ مايو ١٩٧١، خاصة أنه اتهم فعلا دون أن يتحقق وأصبح طرفا فى الموضوع ؟!!! ثم كيف يعينه الرئيس السادات بعد ذلك عضوا فى محكمة لمحاكمة أفراد قطع بإدانتهم مسبقا ؟!!! هل لأنه أدان مسبقا عينه لتثبيت الإدانة ؟!!!

كان الظن باطلا تماما ولم يحدث ... قلت له ذلك وهو واقف على الصفا حيث قابلته ونحن نسعى أثناء تأديتنا فريضة الحج بعد ذلك بسنوات ... سامحه الله وسامح غيره وكلنا نعلم أن الله شديد العقاب.

وفتح الباب الخارجي لمنزل الرئيس على مصراعيه ، ووضع الجثمان الطاهر فى عربة الإسعاف وتبعتها عربتان أو ثلاث كنت فى إحداها مع الزميلين شعراوى جمعه وسامى شرف، وأخذ الموكب الحزين طريقه إلى قصر القبة ... وكانت هذه آخر مرة تطأ فيها قدماى منزل عبد الناصر فى منشية البكرى إلا عندما كنت أذهب لأشارك فى إحياء ذكراه فى السرادق الذى كان يقام فى الحديقة الخلفية بهذه المناسبة.

كانت الشوارع هادئة فلم يكن الخبر قد أذيع بعد ... ولم يكن هؤلاء الذين يسيرون فى الشوارع الموصلة إلى القصر يعلمون أن الموكب يحمل أغلى من فى مصر كلها، ولم يكن هؤلاء يعلمون بالكارثة التى حلت وبالحادث الجلل الذى وقع.

وحمل الجثمان وسط نحيب الضباط والجنود الذين تجمعوا وهم لا يصدقون ما يحدث أمامهم إلى غرفة «العيادة» بالقصر، حيث وضع الجثمان على السرير الوحيد بالغرفة وقد غطى بملاءة بيضاء، ووقف على الباب حراس بأسلحتهم. وجهزت الثلاجة الخاصة بالقصر، وحينما تم ذلك نقل الجثمان إليها ليبقى هناك حتى يوم تشييعه إلى مثواه الأخير فى جامع عبد الناصر بكوبرى القبة حيث كانت قيادة الجيش التى سقطت فى يد قوات الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ويقول الأخ صلاح هدايت وزير البحث العلمى السابق إنه أخذ صورة وجه عبد الناصر على نوع خاص من الجبس حتى يحتفظ بملامحه الحقيقية عنده ... ولست أدرى هل ما زال يحتفظ بها حتى الآن ... رحمه الله هو الآخر فقد توفى منذ شهور.

ولم يبق أمامنا إلا انتظار عقد اجتماع المجلس المشترك الذى سيحضره كل من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء.

وكانت الإذاعة والتليفزيون قد قطعا برامجهما العادية واقتصرا على إذاعة آيات من القرآن الكريم ... وبدأ الشعب يحس ويخمن عما وقع، ولكن لم يخطر ببال أحد أن آيات الله تتلى على روح عبد الناصر بعد أن فارق الحياة !!!

وتم عقد اجتماع مشترك لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء فى قاعة الاجتماعات الموجودة بقصر القبة، وهى القاعة التى كان يعقد فيها عبد الناصر اجتماعات المجلس بصفة دائمة كل يوم أربعاء من كل أسبوع.

وكان كثير من الوزراء فى ملابس الميدان، إذ كانوا قد رجعوا من فورهم من الجبهة على قناة السويس. فقد كان الوزراء ــ كل فيما يخصه ــ يذهبون لزيارة الجبهة بين وقت وآخر لحل المشاكل على الطبيعة. ولم يكن بعض هؤلاء قد علم بالحادث الجلل بعد. وانفجر أغلب الوزراء فى البكاء، وكانت علامات الحزن والأسى وربما الضياع قد ظهرت على وجوهنا جميعا، وكان جثمان الرئيس على قرب منا فى غرفة «العيادة» بقصر القبة على بعد خطوات معدودة.

وتولى السيد أنور السادات «نائب رئيس الجمهورية» رئاسة الجلسة.

وبدأ فى تبليغ الأعضاء تفصيلات ما حدث والذهول مخيم على الجميع.

وبدأ حسن التهامى وزير الدولة التعليق بهجوم صريح على الهيئة الطبية المشرفة على علاج الرئيس، متهما إياها بالتقصير والإهمال. واستدعى الدكتور منصور فايز على الفور ليدلى ببيان تفصيلى عما حدث، واستغرق بيان الدكتور فايز حوالى ربع ساعة أنهاه بقوله : «لقد نفذت إرادة الله ولم يكن هناك قوة تحول دون ذلك. إن المستحيل عمل من أجل الرئيس، ولكن علينا أن نؤمن بأنه لا راد لقضائه». وانصرف الرجل النبيل والحزن يكاد يعتصره وهو لا يقوى على السير.

ثم عاد أنور السادات ليتحدث عن الهيكل العام لتشييع الجنازة.

وحينما أراد الانصراف على عجل ليذهب إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون بشارع ماسبيرو، ليلقى بيانه على الشعب، أثار لبيب شقير بحكم رئاسته لمجلس الأمة فى ذلك الوقت موضوع السلطة بعد وفاة الرئيس الراحل، وقال الرجل بالحرف الواحد : «إن المادة ١١٠ من الدستور تنص على أنه فى حالة استقالة الرئيس أو عجزه الدائم عن العمل أو وفاته يتولى الرئاسة مؤقتا النائب الأول لرئيس الجمهورية، ثم يقرر مجلس الأمة بأغلبية ثلثى أعضائه خلو منصب الرئيس، ويتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تتجاوز ٦٠ يوما من تاريخ خلو منصب الرئاسة .. وتطبيقا لهذا النص الدستورى اقترح أن يتولى الرئاسة السيد أنور السادات».

والتفت إليه السيد أنور السادات وهو يهم بمغادرة قاعة الاجتماع قائلا : «ليس هذا هو الوقت المناسب لمثل هذه الأحاديث، وعلى أية حال اعملوا دراسة دستورية عن هذا الموضوع» ... إذ كان من رأى سيادته الذى كان يصر عليه خلال الأيام التالية ألا يتولى الرئاسة إلا بعد إتمام إزالة آثار العدوان... كان يريد أولا أن يضمن اتجاه الرياح...

وليس صحيحا ما قاله البعض من أنه كانت هناك مناورات أو تردد فى إعمال نص الدستور فى تلك الليلة وما تلاها من أيام، إذ كان الجميع قد أصروا على أن تنقل السلطة بسرعة وبالطريق الدستورى الذى اعتادوا أن يحترموه من قبل. إذ أن الجميع كانوا يشعرون بأن العالم كله ينظر إليهم ويحسب عليهم تصرفاتهم وخطواتهم بعد رحيل الزعيم.

ولذلك بادر رئيس مجلس الأمة بعد انتهاء الاجتماع مباشرة إلى إعلان النص الدستورى إلى مندوبى الصحف والإذاعة والتليفزيون، مضيفا أن السيد «نائب رئيس الجمهورية سيحضر فى اليوم التالى اجتماعا مشتركا للجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء فى الساعة ١٢ ظهرا بالقصر الجمهورى بالقبة لاتخاذ ما يلزم من خطوات لإعمال الدستور».

وفعلا نشرت كل الصحف نص التصريح فى اليوم التالى، وأذاعته الإذاعة والتليفزيون، وتناقلته كافة وكالات الأنباء.

وفى الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق من ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وجه أنور السادات بيانا نعى فيه للأمة العربية ابنها وبطلها وقائدها ... قال :

«فقدت الجمهورية العربية المتحدة وفقدت الأمة العربية، وفقدت الإنسانية كلها رجلا من أغلى الرجال وأشجع الرجال وأخلص الرجال، هو الرئيس جمال عبد الناصر الذى جاد بأنفاسه الأخيرة فى الساعة السادسة والربع من مساء اليوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بينما هو واقف فى ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية ومن أجل يوم انتصارها.

لقد تعرض البطل الذى سيبقى ذكره خالدا إلى الأبد فى وجدان الأمة والإنسانية لنوبة قلبية حادة بدت أعراضها عليه فى الساعة الثالثة والربع بعد الظهر. وكان قد عاد إلى بيته بعد انتهائه من آخر مراسم اجتماع مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذى

انتهى بالأمس فى القاهرة، والذى كرس له القائد والبطل كل جهده وأعصابه ليحول دون مأساة مروعة دهمت الأمة العربية.

إن اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الوزراء وقد عقدا جلسة مشتركة طارئة على إثر نفاذ قضاء الله وقدره، لا يجدان الكلمات التى يمكن بها تصوير الحزن العميق الذى ألم بالجمهورية العربية المتحدة وبالوطن العربى والإنسانى إزاء ما أراد الله امتحاننا به فى وقت من أخطر الأوقات.

إن جمال عبد الناصر كان أكبر من الكلمات، وهو أبقى من كل الكلمات، ولا يستطيع أن يقول عنه غير سجله فى خدمة شعبه وأمته والإنسانية مجاهدا عن الحرية، مناضلا من أجل الحق والعدل، مقاتلا من أجل الشرف إلى آخر لحظة من عمره.

ليس هناك كلمات تكفى عزاء فى جمال عبد الناصر.

إن الشىء الوحيد الذى يمكن أن يفى بحقه وبقدره هو أن تقف الأمة العربية الآن كلها وقفة صابرة صامدة شجاعة قادرة حتى تحقق النصر الذى عاش واستشهد من أجله ابن مصر العظيم وبطل هذه الأمة ورجلها وقائدها.

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» «صدق الله العظيم ».

ويالمصادفة العجيبة!!!

بعد انتهاء الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء انصرف كل إلى حال سبيله، إلا حفنة من الرجال هم أمين هويدى وشعراوى جمعه وسامى شرف ومحمد أحمد وحسن طلعت مدير المباحث العامة وآخرون، توجهوا إلى ميدان الأزهر لمعاينته على الطبيعة. وقطعنا الميدان جيئة وذهابا نحاول أن نتصور سير الجنازة وكيف يكون ... كانت الساعة الواحدة صباح يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ ... وهنا ألقى رجال الأمن برأيهم القاطع فى عدم صلاحية المكان لتشييع الجنازة، ولم تفلح الآراء المضادة لإثنائهم عن القرار الذى وصلوا إليه ...

فالميدان مفتوح تصب فيه شوارع وطرق كثيرة؛ ولذلك فإنه من المستحيل السيطرة على السيل المنتظر للمعزين. ثم إن الشوارع هناك ضيقة لن تتسع لكثافة عربات الملوك

والرؤساء ووفود المعزين، والمنازل قديمة لن تتحمل ضغوط الحشود المنتظرة، علاوة على أن كارثة ستحدث .. إذ من عادة السكان أن يتجمعوا فى المنازل المطلة على الموكب ولن تتحمل المنازل القديمة من سيتجمعون فيها.

وأمام هذه الآراء المعقولة أخذ المجتمعون يقلبون الأمر من جديد. وأخيرا اتفق الجميع على أن تبدأ الجنازة من مبنى «مجلس قيادة الثورة» بالجزيرة ... فأهمية المكان التاريخية لا تحتاج إلى تعليق، علاوة على أنه مكان معقول نسبيا إذ يمكن التحكم فى الكبارى والجسور التى توصله بشاطئ النيل، فمن السهل إقامة الأسلاك الشائكة وحشد القوات، وإذا اضطر الأمر يمكن فتح الكبارى فيتعذر على تجمعات البشر أن تقتحم المكان المخصص لتشييع الجنازة.

ووافق الجميع على المكان المختار، وترك للأخ محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس الراحل عمل باقى الإجراءات، ووضعنا ما يمكن أن نبذله جميعا من جهد تحت تصرفه. وكانت الشمس قد ظهرت فى الأفق من جديد حينما انصرفنا إلى منازلنا لتغيير ملابسنا واستئناف العمل لمواجهة ما أمامنا من مسئوليات.

وفى هذا اليوم بدأ الرؤساء وأعضاء الوفود فى الوصول للاشتراك فى تشييع الجنازة، وبدأت عدة اتصالات مع أعضاء الوفود ورؤسائها فى الفنادق التى ينزلون بها.

وقد تم اجتماع مساء يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ فى مكتب وزير الحربية الفريق محمد فوزى بكوبرى القبة حضره كل من محمود رياض وزير الخارجية، وشعراوى جمعه وزير الداخلية، وحافظ إسماعيل رئيس المخابرات العامة، وسامى شرف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية، ومحمد حسنين هيكل وزير الإرشاد، وأمين هويدى وزير الدولة.

كان الغرض من الاجتماع الوصول إلى قرار بشأن تجديد قرار وقف إطلاق النيران الذى كان ينتهى فى ٩ نوفمبر ١٩٧٠ والذى كانت مصر قد قبلته بعد موافقتها على مبادرة روجرز.

ويقول هيكل فى كتابه «*الطريق إلى رمضان*» بهذا الخصوص : «لم يكن التوصل إلى قرار فى هذا الأمر سهلا، وكان شعورى أن علينا أن نمد وقف إطلاق النار لأسباب

سياسية بحتة. صحيح أن الاستعداد لعملية «جرانيت ١» كان يمضى فى طريقه، ولكن من الذى كان يستطيع فى ذلك الوقت أن يتحمل مسئولية إصدار الأمر بتنفيذها ؟ كان اليوم آنذاك آخر سبتمبر، وكان لا بد لمن سيختار رئيسا جديدا أن يثبت فى منصبه باستفتاء عام يستغرق الإعداد له معظم شهر أكتوبر، وليس من الإنصاف أن نتوقع منه إصدار الأمر ببدء الحرب ولم تمض عليه فى منصبه إلا بضعة أيام. ثم هل من الإنصاف أن نزج بالبلاد على الفور فى معركة وهى لا تزال ممزقة بالحزن ؟ وهكذا أعلنت أننى فى جانب مد وقف إطلاق النيران. وتحدث البعض مؤيدين الإجراء العاجل. وخطر لى أن خير وسيلة لحسم الموضوع هى سماع رأى الرجل المحترف. وتحدث الفريق فوزى وقال ما يفهم منه أن مصر العليا أى الصعيد لم تستكمل شبكة الصواريخ فيها بعد. وسألته: قل لى .. هل أنت مستعد من الناحية العسكرية المحضة لاستئناف القتال ؟ قال : أنا جندى، وإذا صدر أمر مكتوب إلىَّ فإنى سأنفذ ما تطلبه منى القيادة السياسية. وكان ذلك غريبا إذ لم يحدث طوال حياة عبد الناصر أن طلب الفريق فوزى أية أوامر مكتوبة. وقلت : ليس ذلك بالضبط هو الجواب على سؤالى. السؤال هو : هل يناسبك من الناحية العسكرية أن تبدأ القتال على الفور، أم أنك تفضل أن يتاح لك مزيد من الوقت للاستعداد ؟ ورد على الفور : إذا منحت فرصة شهرين آخرين فإنى أظن أن موقفى سيكون أحسن. ستكون بطاريات الصواريخ فى مصر العليا قد استقرت فى مواقعها، وسأشعر عندئذ بمزيد من الأمن. وقلت : أظن أن فى هذا ما يجيب على تساؤلنا، وإذا كان الجيش يرى أن من الأفضل أن تتاح له فرصة شهرين آخرين فخير وبركة. والفرق ليس كبيرا بين شهرين وثلاثة، وأظن أن علينا أن نوصى بمد وقف إطلاق النيران فترة ثلاثة شهور أخرى. وقد احتج بعض الحاضرين بأن هذه طريقة مفاجئة بلا داع لإنهاء المناقشة. لكن الحقيقة أنه لم يكن بينهم من كان مستعدا للمضى فى المناقشة فى الاتجاه المعارض».

انتهى كلام محمد حسنين هيكل. ولكن لنا وقفة طويلة أمام ما كتبه صراحة، وما تركه يسقط بين السطور لإعطاء إيحاء معين ربما تطلبه الموقف حينما كتب. وقبل التعليق أقرر أننى أظن أن أحدا لا يمكنه تصنيفى على حساب مجموعة أو شخص، فأنا ناصرى أدين بمبادئ عبد الناصر ـ ومازلت ـ ولكنى لست واحدا من مجموعة ١٥ مايو. وبالرغم من ذلك، وبالرغم من اعتذارى عن الاشتراك فى الوزارة منذ نوفمبر ١٩٧٠

وبالرغم من اعتزالى العمل السياسى وتفرغى لكتابة كتابين هما : «كنت *سفيرا فى العراق*» و«كيف يفكر *زعماء الصهيونية*» فى وقت واحد، إلا أننى وجدت نفسى وقد اعتقلت مع الآخرين، وتنقلت فى سجون عديدة مع الآخرين، وحقق معى حول أشياء لا أعرف كنهها حتى الآن مع الآخرين، ثم حكم علىَّ أمام نفس المحكمة التى حاكمتهم ... فقد كان السادات يحاكم عهدا كاملا وليس حفنة من رجال ذلك العهد. ولا أقول هذا تنصلا فليس هذا من عادتى، ولا تباعدا فليس هذا من شيمتى، ولكنها الحقيقة التى لم يطاوعنى قلبى أن أقولها أمام المحقق حتى لا تفسر تفسيرا خاطئا أو تترجم ترجمة بعيدة عن المقصود ... وليس معنى هذا أنه لا تربطنى بالكثيرين منهم صداقات عزيزة. معنى كلامى هذا أن حديثى حديث رجل محايد يقدم شهادته للتاريخ، وبعد ذلك أؤكد الآتى :

●● حينما تم عقد الاجتماع كان قد تقررت وبصفة قاطعة الخطوات الدستورية لنقل السلطة ووافق عليها السيد أنور السادات. وكان قد تم تحديد تواريخ عقد اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية ومجلس الأمة، وموعد إجراء الاستفتاء على رئاسة الجمهورية بدقة كاملة، لقطع خط الرجعة على أية محاولات تحاول الصيد فى الماء العكر. ولعل هذا يلقى شعاعا من الحقيقة على جانب مما ذكره الأخ هيكل إذ أنه لم يكن يعلم بما تم.

●● لم يكن الأخ هيكل هو الشخص الوحيد الذى سيطر على هذا الاجتماع كما يبدو واضحا من حديثه : فهو الوحيد الذى تكلم، وهو الوحيد الذى وجه المؤتمر وجهة خاصة، وهو الذى افتتح المؤتمر ثم هو الذى أنهاه، ثم هو الذى استجوب وزير الحربية، وهو الذى قدم التوصية، وهو الذى حسم المناقشة بعد ذلك!!! وتصوير الموقف بهذه الصورة أمر غير مقبول وغير مطابق للواقع. فالموضوع متشعب النواحى متعدد الأجناب، فكانت له جوانبه السياسية علاوة على جوانبه العسكرية خاصة تلك التى تتعلق بتجهيز مسرح العمليات. وكل من الحاضرين كانت له آراؤه ونصائحه.

●● لم يكن هناك خلاف بالمرة بين أعضاء المؤتمر على ضرورة مد إيقاف إطلاق النيران لنفس الأسباب التى أوضحها هيكل فى كتابه، والتى لم يذكرها أبدا فى المؤتمر، إذ لم يكن هناك ما يدعو إلى ذلك لاتفاق وجهات النظر اتفاقا كاملا. فلم يكن أحد ممن حضروا يريد إحراج القيادة السياسية للتورط فى قتال قبل أوانه.

●● كانت نقطة الخلاف الوحيدة والتى دار النقاش حولها هى المدة التى نقبل فيها إيقاف إطلاق النيران. وربما كنت أنا الوحيد الذى أثار هذه النقطة، وقد أوضحت أهمية ذلك حتى ترتبط القيادة العسكرية أمام القيادة السياسية بموعد تكون جاهزة فيه لاستئناف القتال. وهذا يعطى للقيادة السياسية فى تحركها المقبل مرونة كاملة، إذ ستكون قادرة على التحرك من قاعدة وطيدة صلبة. وحاول الجميع بمن فيهم هيكل إقناعى بغير ذلك.

وبالرغم من ذلك فقد كانت توصية المؤتمر هى «مد إيقاف إطلاق النيران»، وليس كما ذكره هيكل فى كتابه «مد إيقاف إطلاق النيران فترة ثلاثة شهور أخرى». والدليل على ذلك أن القتال لم يستأنف منذ ذلك الوقت إلا حينما تفجر الموقف كله فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أى بعد أعوام ثلاثة.

●● لم يكن هناك ما يستدعى دهشة هيكل حينما قال الفريق محمد فوزى وزير الحربية: «أنا جندى، وإذا صدر لى أمر مكتوب سأنفذ ما تطلبه القيادة السياسية»، فهذا أمر طبيعى معمول به دائما، وهو ما يعبر عنه «بأمر القتال» الذى يحدد فيه الغرض من استئناف القتال، كذا المهمة المطلوب تحقيقها. تلك الدهشة التى قيلت عرضا فى حديث هيكل تلقى ظلالا وشكوكا على مؤتمر كان يبحث مسألة قومية بطريقة مجردة، وكان الجميع ينظرون إلى القضية نظرة وطنية. أما أن هذا الوضع لم يكن معمولا به من قبل، فإن معركة يونيو ١٩٦٧ لم تتوقف يوما واحدا حتى قبول إيقاف إطلاق النيران عام ١٩٧٠ بل دخلت مصر معارك الصمود، ثم حرب الاستنزاف دون أن توقف العمليات يوما واحدا مما كان يحتاج إلى صدور «أمر قتال».

●● لم يكن هناك احتجاج من بعض من حضروا المؤتمر على قيام هيكل بإنهاء المناقشة بطريقة مفاجئة كما يقول، فلم يكن من حق الزميل أبدا ــ مع احترامى وتقديرى لشخصه ــ أن ينهى أعمال المؤتمر أو يجعله يستمر أو يوجهه كيفما يشاء، خاصة فى حضور الشخصيات التى ذكرها، وهى شخصيات لها وزنها وخبرتها وتجاربها.

كان الموضوع خطيرا شأن الموضوعات الكثيرة التى كنا نناقشها. وتمت المناقشة فى حدود الارتفاع إلى مستوى المسئولية فى سهولة ويسر، بين زملاء يقدرون الكارثة التى

يواجهونها، تسيطر عليهم روح الفريق وفى مخيلة كل منهم أن القائد مات فى أحرج الأوقات والعدو يدق الأبواب والعالم كله ينظر إلى ما يجرى فى القاهرة، وكل يجرى حساباته ويعيد تقديرها من جديد فى ظل المتغيرات التى حدثت أو التى ينتظر حدوثها..

وهناك نقطة نظام خاصة بما قاله الفريق فوزى عن أن الصعيد كان منطقة عمليات عارية من الدفاع الجوى ... هذا يتناقض تماما مع من يقولون ــ وفوزى واحد منهم ــ إننا كنا على استعداد لخوض المعركة حينما توفى عبد الناصر، فالكلام الذى يقال يتعارض مع الموقف الذى كان.

بعد هذا الاجتماع تورطت فى حضور اجتماع آخر صوره الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه «*الطريق إلى رمضان*»، أرى من الأفضل نقله كما كتبه ثم التعليق عليه لأصور ما يمكن أن يحدثه الاختلاف فى نقل التفاصيل من آثار فى تلوين الصورة الأصلية التى تمت ... «وفى أثناء خروجنا من الاجتماع ــ يقصد الاجتماع السابق الذى كنا نبحث فيه موضوع إيقاف إطلاق النار ــ اقترب منى شعراوى جمعه وقال: أظن أننا يجب أن نذهب إلى مكان نجلس فيه ونتحدث أنت وأنا وسامى وأمين هويدى. فقلت لا بأس. وركبنا نحن الأربعة السيارة الرسمية لوزارة الداخلية المخصصة له. وجلس هو فى المقعد الأمامى بينما جلسنا نحن فى المقعد الخلفى وتبعتنى سيارتى. كان شعراوى وسامى وأمين هويدى اتفقوا على أن يقضوا الليل فى مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة حيث يبدأ فى تشييع الجنازة. أما أنا فكنت سأقضى الليل فى منزلى على النيل مباشرة. وهكذا فكلنا كنا متجهين الوجهة نفسها. لكن عندما وصلنا إلى العباسية على بعد ٤ أميال من وسط المدينة، كان الميدان أصبح مغلقا تماما، وطلب شعراوى إلى السائق أن يتجه شمالا وأن يحاول السير فى الطريق الخلفى الذى يمر بالقلعة، وعندما اقتربنا من أمام كلية البوليس أوقف السيارة والتفت ناحيتنا وقال: أولئك الثلاثة: أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ينزلون فى قصر القبة، ويتصرفون وكأنهم حكومة ثلاثية مثلهم فى ذلك مثل كوسيجين وبودجورنى وبريجنيف، بينما نحن ــ الناصريين الحقيقيين وأقرب الناس إلى عبد الناصر ــ لم نفعل شيئا للتنسيق فيما بيننا أو الاتفاق على أسلوب مشترك فى العمل. وهذا يجعلنى أرى ضرورة البحث فى الموقف بعضنا مع بعض. فقلت له: لنكن واضحين بشأن موقف كل منا .. هناك نقطة نظام أضعها. ونصيحة صغيرة أقدمها. أما نقطة النظام فهى أنكم إذا

كنتم تريدون التنسيق فيما بينكم بصفتكم وزراء فلا تفعلوا ذلك بحضورى، لأنى قد استقر رأيى على الخروج وترك الوزارة. وقد أثار قولى غضبا شديدا لدى سامى شرف وقال: لا ... إما أن نخرج كلنا أو نبقى كلنا. فقلت: إنى لم أكن أبدا جزءا من السلطة كما هو الحال بالنسبة إليكم. كنت دائما صحفيا ولم أقبل منصب وزير الإرشاد إلا تحت ضغط شديد من جانب عبد الناصر، وتعهدت بقبوله لمدة سنة فقط، وقد انقضت الآن سنة وستة أشهر وانتقل عبد الناصر إلى رحاب الله. وهكذا فقد قررت أن أتحلل من وعدى. واعترض سامى بأنى إذا فعلت ذلك فسأبدو كأنى غير مستعد للعمل تحت رئاسة أى شخص آخر غير عبد الناصر، فى حين أنهم سيظهرون فى مظهر المستعد لخدمة أى شخص. وقلت لسامى إنه يبالغ وأن النهاية إلى صراع على السلطة، وإذا حدث تصادم فى الآراء فإنى سأؤدى دورى فيه كصحفى، أما إذا نشب صراع على السلطة قائم على الأشخاص فلن يكون لى شأن به وستعانى البلاد كلها منه. وازداد سامى انفعالا وراح يصيح: عبد الناصر لم يمت. فقلت له: اسمع لا بد أن نواجه حقائق الطبيعة. إن الرجل مات وسيحكم على كل منكم فقط من الآن فصاعدا بما يمكن أن يقدمه من أجل مصلحة البلد. إنها صفحة جديدة فتحت أمامكم جميعا. وبدأ سامى يبكى ويصرخ بأننا إما أن نبقى كلنا أو نخرج كلنا. وعندئذ فقدت أعصابى، ونزلت من السيارة واتجهت إلى سيارتى وكانت تقف وراء سيارة شعراوى مباشرة. وعدت إلى القاهرة.

هذه رواية «هيكل» عن هذا اللقاء، وأعلق:

■■ لم يتم اللقاء ــ كما قال هيكل ــ أمام كلية الشرطة وبعد انتهاء الاجتماع الذى تم فى مكتب وزير الحربية فى كوبرى القبة، ولكن بداية اللقاءات تمت فى قصر القبة. فقد ذهبت أنا وشعراوى وسامى إلى القصر لنرى سير الأمور فى زيارة خاطفة، وتركنا سامى فى الشرفة الخارجية لفترة طويلة عاد بعدها فجأة ومعه هيكل. ولم أكن أعلم بوجوده فى القصر، ولم أكن أعلم أن اتفاقا تم بين ثلاثتهم على اللقاء. وبذلك كنت الوحيد الذى يجهل أن لقاء سوف يتم.

■■ لم يتم الاجتماع بطريقة مفاجئة كما يقول هيكل، ولكن باتفاق مسبق، وفى مدخل مدينة نصر وليس أمام كلية الشرطة، بالرغم من أن هذا لا يغير قليلا أو كثيرا فى الموضوع.

■■ لم يلق هيكل أبدا بكل هذه النصائح عن الناصرية والسلطة والصراع.. ولم يتحدث شعراوى جمعه أبدا عن السادة : السادات والشافعى وعلى صبرى، كما لم يتحدث عن «الترويكا» الروسية ... ولم يصرخ سامى أو يبكى ولا هو أنكر وفاة عبد الناصر ... أبدا لم يحدث شىء من هذا كما صوره هيكل ... كل ما ذكره شعراوى لهيكل هو أننا قررنا التخلى عن مواقعنا عقب تشييع الجنازة وبعد انتقال السلطة بالطريقة الدستورية، وسأله عن رأيه فى ذلك .. !!!

■■ رحب هيكل إيما ترحيب بالفكرة، وذكر أيضا أنه سيترك المنصب الوزارى ليتفرغ لرئاسة تحرير الأهرام حيث كان الرجل يجمع بين المنصبين، مضيفا أنه لكل زمن رجاله وعلى الجميع أن يعيدوا النظر فى أفكارهم وسوف تتعدد اللقاءات فى الأيام القادمة. وسلم الرجل واتجه إلى عربته دون أن يفقد أعصابه ودون أن يغضب، واتجه إلى منزله واتجهنا نحن إلى مكتب سامى شرف. وهناك انفجرت فى الرجلين لتوريطى فى اجتماع لم أخطر به، وتساءلت عن سبب أخذ رأى هيكل فى موضوع يتعلق برغبة كل واحد منا وبإرادته، ثم لم يكن الموضوع فى حاجة إلى مناقشة فى مدينة نصر، وكان الأفضل مناقشته فى قصر القبة حيث كنا أو فى مكتب أى فرد فينا.

كنا قد اجتمعنا مرارا وهذا أمر عادى، وقررنا أن نتخلى عن مواقعنا عقب نقل السلطة بالطريقة الدستورية لنفسح المجال للسيد أنور السادات ليختار معاونيه، ولو أننى كنت مزمعا على أن أتخلى عن موقعى فى أقرب وقت ممكن. ورأى شعراوى أن يستشير هيكل فى الأمر، لأن من عادته أنه كان يستشير هيكل وسامى فى كل أمر يقدم عليه .. كان يقول لى دائما : « أنا لا أخرج من منزلى فى الصباح إلا بعد أن «أصبّح» على هيكل وسامى »، وكان يطلعهما على كل خطواته قبل أن يقدم عليها. وكما نرى فإن الموضوع تم ببساطة ولكن تفاصيله تلقى ظلالا فى وقت حساس، ولا شك أن هذه الظلال عند نقلها لمن يهمهم الأمر كانت تترك بالضرورة آثارا فى النفوس تتعمق بمرور الأيام.

وحتى لا ننسى .. كان جثمان عبد الناصر مازال موجودا فى قصر القبة لم يتم تشييعه بعد إلى مثواه الأخير ... والأحداث تتجمع وتتكاثف مثل كرة الثلج لتفرز فى النهاية صراعا على السلطة.

بادرنا ــ أمين هويدى وشعراوى جمعه وسامى شرف ــ بصفتنا أعضاء لجنة العمل اليومى، بإعداد بعض التوصيات لنقل السلطة كالآتى :

- يعرض الترشيح على اللجنة التنفيذية العليا يوم السبت ٣ أكتوبر ١٩٧٠.
- يعرض الترشيح على اللجنة المركزية يوم الاثنين ٥ أكتوبر ١٩٧٠.
- دعوة مجلس الأمة لاجتماع غير عادى صباح يوم الأربعاء ٧ أكتوبر ١٩٧٠.
- يتم الاستفتاء يوم الخميس ١٥ أكتوبر ١٩٧٠.
- إذا جاءت نتيجة الاستفتاء بنعم، يجتمع مجلس الأمة يوم السبت ١٧ أكتوبر ١٩٧٠، ليؤدى رئيس الجمهورية أمام المجلس اليمين الدستورية وفقا لنص المادة ١٠٤ من الدستور.

فى أحد الاجتماعات التى تمت بيننا وبين الرئيس جعفر النميرى فى فندق هيلتون مساء ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ وقبل أن تشيع الجنازة، تحدث الرجل بأن أمين شاكر ــ وزير السياحة السابق ــ اتصل بوزير المواصلات السودانى محمود حسيب، وأخبره أن أعضاء مجلس الثورة القدامى يريدون مقابلة الرئيس النميرى ليكون واسطة خير مع السيد أنور السادات حتى يتم تآلف الجميع فى تلك الفترة العصيبة. وتساءل النميرى عن مدى ترحيب السادات بهذه الخطوة .. وهنا تدخل فاروق أبو عيسى وزير الخارجية السودانى ذاكرا أنه يرى ألا يتدخل الرئيس النميرى فى مثل هذه الموضوعات وقد اتفق معه على ذلك، وهم يخبروننا بالمحاولة لمجرد العلم.

وفى فجر هذا اليوم كنا مع السيد أنور السادات فى قصر القبة حيث كان يمضى ليلته، وقص سامى شرف ما سمعه على سيادته، وفوجئنا بأن سامى يقترح اعتقال أمين شاكر، إلا أن سيادته رد فى الحال : « لا اعتقال .. أنا لا أريد أن نبدأ إجراءاتنا بعد وفاة عبد الناصر باعتقالات ». أما عن المحاولة نفسها فقد رفضها سيادته، وأخذ يتحدث بمرارة عن الصراعات التى كانت موجودة فى مجلس الثورة القديم ... ثم تركنا كل هذا وأكملنا حديثنا بخصوص نقل السلطة وإعمال الدستور وتحديد تواريخ الخطوات اللازمة لذلك، وعرضنا على السيد أنور السادات توصياتنا بخصوص نقل

السلطة والتواريخ المقترحة ... كان الرجل جالسا على السرير فى إحدى غرف نوم القصر لابسا بيجامته، ولكنه قال : « لا حديث فى هذا الموضوع إلا بعد إزالة آثار العدوان ». ودار حوار ... « إذ ليس من المناسب أن تحكم كل من سوريا وليبيا والسودان بنظام ثابت فى حين تحكم مصر بنظام مؤقت ». وهنا قال : « هل هذا رأيكم؟ رأيك ايه يا سامى؟ » فقال سامى : نعم ... « فما رأيك يا أمين ؟ » فقال أمين : نعم ... « ما رأيك يا شعراوى؟ » وقال شعراوى: نعم ... فقال : « إذن على بركة الله ».

وفى تقديرى كانت تلك الليلة هى البداية الحقيقية لما عرف بعد ذلك « بحركة مايو ١٩٧١ » التى قام بها السادات نتيجة للتصرفات الغبية المتخاذلة التى اتخذها الآخرون ... فمن تصاريف القدر أن « عامر » سقط من كشف المتنافسين على منصب رئيس الجمهورية قبل تلك الليلة، ولم يكن السادات أو غيره من الموجودين يحلم بالرئاسة فى ظل بقائه. ولعب القدر لعبة أخرى فقدم زكريا محيى الدين استقالته، فلم يبق فى القائمة إلا السادات والشافعى. وسرعان ما وجه القدر ضربته القاضية حينما عين عبد الناصر، أنور السادات كنائب له رغما عن كل التوقعات، وأصبح بذلك قاب قوسين أو أدنى من « كرسى السلطان ». ثم ضرب القدر ضربته الأخيرة فرحل عبد الناصر. ولم ينس السادات ما حدث منا فى تلك الليلة التى أزيح فيها المشير، والدور الذى لعبه أمين وشعراوى وسامى، وخشى أن ينال ما نال المشير على أيديهم.

هذا ما حدث بالضبط والله على ما أقول شهيد.

وانصرفنا، وأخذ كل فيما يخصه يبذل كافة جهده حتى يتم نقل السلطة بالطريقة الدستورية فى صورة رائعة. وقد تمت كل هذه الخطوات فى دقة أذهلت العالم، وكانت محل تعليقات من كافة الجهات الرسمية والصحافة وأجهزة الإعلام العالمية وقد التزم الجميع بالدستور القائم التزاما لا شك فيه، ولذا فإن أية محاولات وتقولات تذكر هنا وهناك للتشكيك فى قيمة الجهد الذى بذل فى ذلك الوقت أو فى النيات، فيها تشويه ضار للصورة الجميلة الرائعة الصادقة التى تمت بها الأمور فى ذلك الوقت.

تم هذا الاتفاق بيننا ــ نحن الأربعة ــ وفوزى عبد الحافظ سكرتير السادات يقف حارسا على الباب.

فى صباح اليوم التالى لوفاة عبد الناصر، زارنى الشيخ الباقورى والسيدة حرمه فى منزلى دون سابق موعد، وقال وهو يبكى : « سمعنا أنه استقر رأيكم على ترشيح السادات خلفا لعبد الناصر، وهذا غير معقول فلا يعقل أن يحكم مصر مثل هذا ... »

وكلنا يعرف ما قاله الشيخ بعد ذلك وبعد أن أصبح السادات رئيسا. وأخبرنى لبيب شقير أن كلا من الدكتور مصطفى أبو زيد والدكتورة عائشة راتب قابلاه، واعترضا على ما سمعاه عن ترشيح السادات رئيسا، وذكرا أن هذا رأى هيئة تدريس جامعة الإسكندرية. ولا تعليق.

فى خلال أيام قليلة من وفاة عبد الناصر وقبل يوم الجنازة قدمت ثلاث استقالات:

- **الاستقالة الأولى:** من الدكتور محمود فوزى، وكان ذلك فى أول اجتماع للجنة التنفيذية العليا بعد وفاة الرئيس. ويبدو أنه كان متأثرا من عدم حضوره أول اجتماع مع الوفد السوفيتى برئاسة كوسيجين، وأراد أن يجس النبض بالنسبة لوضعه فى النظام الجديد. لذلك فإنه سحب استقالته بالسرعة التى قدمها بها بمجرد أن أبدى أعضاء اللجنة تمسكهم به !! الدكتور فوزى كان يتحسس طريقه فى مهارة بقرون استشعار اكتسبت مهارتها من طول تجربة.
- **الاستقالة الثانية:** قدمها السيد محمد حسنين هيكل من منصبه الوزارى كوزير للإرشاد.
- أما **الاستقالة الثالثة:** فقد قدمها السيد حسين الشافعى.

بخصوص الاستقالتين الثانية والثالثة، تحدث عنهما السيد أنور السادات لنا، ونحن ــ شعراوى وأمين وعلى صبرى وسامى ــ فى قصر ناريمان فى انتظار الرئيس جعفر النميرى والوفد السودانى المرافق على غداء.

وقبل وصول السيد على صبرى وكذلك الوفد السودانى تحدث إلينا السادات حديثا غريبا عن تولى أربعتنا الرئاسة بالدور وحسب الحروف الأبجدية. وقد رددت عليه ردا ثقيلا، ولكنى أوجست خيفة من نيات الرجل، وكاشفت سامى وشعراوى بشكوكى التى كانت موجودة وزادت بعد هذا الحديث العبثى، ولكن لم يكن هناك أى رد فعل منهما ... مصر تحكم بالدور ؟!! تصور !!...

بخصوص استقالة الأستاذ هيكل من منصبه الوزارى، فضل السيد على صبرى قبولها فورا، إلا أن السادات رأى تأجيل ذلك لاستخدامه فى معركة الاستفتاء على رئاسة الجمهورية ... « ولو لعب بديله سأجعل كلاب الصحافة تنهشه ».

أما بخصوص استقالة السيد حسين الشافعى، فقد ذكر السادات أنه يريد رئاسة الوزارة مادام هو مرشحا لرئاسة الجمهورية، وذكر أنه يفضل إهمال تهديده « لأن حسين لا يستقيل ». وعرضت عليه أن أزوره لأثنيه عن عزمه، إلا أنه غضب غضبا شديدا وقال : « يا أخى هوه بيسحب استقالته دون تدخل من أحد »، وفعلا تم ذلك إذ حضر اجتماع اللجنة التنفيذية الذى خصص لبحث موضوع ترشيح أنور السادات لرئاسة الجمهورية.

كان السادات أكثرنا إدراكا للأمور ... كان يعرف موطئ قدمه تماما، وكان يتحرك نحو هدفه فى بطء وثقة.

وبالمناسبة كان سيادته ــ أى السيد حسين الشافعى ــ هو العضو الوحيد فى اللجنة التنفيذية العليا الذى اعترض على ترشيح السيد أنور السادات للرئاسة، وذكر أنه متأكد أن سيادته ربما لا يحصل على الأصوات الكافية للترشيح، وهنا تصبح الثورة نفسها وقد سحب الشعب الثقة منها. إلا أن السيد أنور السادات تقبل هذا الاعتراض دون غضب.

وفى نفس الجلسة فى قصر ناريمان أخرج السادات من جيبه مذكرة وصلته من أعضاء مجلس الثورة القدامى يعرضون فيها إعادة تكوين مجلس الثورة على أساس ديمقراطى، ويتولى سيادته الرئاسة. وقد وقع على المذكرة كل من السادة عبد اللطيف البغدادى، زكريا محيى الدين، حسن إبراهيم، كمال الدين حسين. ورفض السيد أنور السادات مقابلتهم كطلبهم فى المذكرة، وذكر أنه سيكتفى بمقابلة البغدادى لأنه يرتاح إليه دون الآخرين. وقد تمت المقابلة ولا أدرى شيئا عما تم فيها.

وأصدر الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة بيانا إلى العمال قال فيه : «لقد ناضل جمال عبد الناصر طوال حياته فى سبيل تدعيم الاشتراكية فى بلدنا ليحقق لكل مواطن الكفاية والعدل، وعندما كان يطبق هذه المبادئ فإنما كان فى ذلك منفذا لإرادة هذا الشعب ومعبرا عن آماله وأحلامه. ولقد سار خلف جمال عبد الناصر أعوان له أسهم

كل منهم بنصيبه فيما رأى جمال عبد الناصر أنه قادر عليه، وهناك من تخلف بعد جزء من الطريق، وهناك من أكمل الشوط حتى نهايته. وكان الشوط الذى لا يرضى الرئيس الراحل عنه بديلا لمن يبقيه فى مسيرته هو إيمانه بالمبادئ التى نادى بها الشعب ... إيمانه بالاشتراكية. فى وقت الشدائد يجب أن نتصارح بالحقيقة فهى التى تقينا من الوقوع فى أوهام باطلة. لن يقود المسيرة ــ مسيرة الاشتراكية ــ بعد موت عبد الناصر إلا من يؤمن بشعار «ارفع رأسك يا أخى»، وإلا فلن يكون له مكان فى مسيرتنا. إن عبد الناصر فى أثناء حياته أصدر حكمه وعبر عن رأيه فى كل من عملوا معه. لم يبق معه إلى نهاية الشوط إلا الذين أمن لهم وأطمأن إلى أنهم يعتنقون المبادئ الأساسية التى عمل من أجلها، وأنهم سيكونون قادرين على الحفاظ عليها».

وواضح أن عزيز صدقى فى بيانه هذا يغمز ويلمز أعضاء الثورة القدامى الذين تركوا السلطة أو تركتهم السلطة أيام عبد الناصر. وقد أثار هذا الأمر عبد اللطيف البغدادى، فكتب كتابا شديد اللهجة وجهه إلى عزيز صدقى، وأرسله مع سائق إلى منزله يسبه فيه ويوجه إليه الاتهامات الثقيلة التى وصلت إلى حد السب والقذف، إذ تحدث الرجل عن الكذب والانتهازية والرجولة ... بلهجة قاسية. وصمم عزيز على الرد إلا أن بعض النصائح المخلصة أقنعته بالتمسك بالصمت. وقد اقتنع.

وبعد الوفاة مباشرة أقيم سرادق كبير لتقبل العزاء فى ساحة عابدين فى نفس المكان الذى كان يلقى فيه « الريس » خطاباته العديدة. ووسط قراءة آيات القرآن الكريم كانت جموع الشعب تتوافد، واختلط المعزون بمن يتقبلون العزاء، وتوافدت النساء مع الرجال متخطين عادة وعرفا وتقليدا يقضى بألا تذهب النساء إلى سرادقات العزاء. وكانت النساء حتى الفقيرات منهن يولولن ويصحن ويصرخن عن « الأسد » الذى تركهن، وعن « السبع » الذى غادرهن إلى غير رجعة. وكان الشباب يبكون فى حزن، والشيوخ تسيل دموعهم على الذقون وهم يترحمون ويطلبون من الله أن يعينهم على بلواهم.

ودخل السادات السرادق متأخرا ولم يسلم على أحد من زملائه القدامى.

وفى تلك الليلة السابقة على تشييع الجنازة، اتفق بعض الأصدقاء على أن نمضى الليلة فى مبنى هيئة قناة السويس بجاردن سيتى على النيل، حتى نتفادى أمواج البشر

التى كانت قد ملأت الشوارع. فقد خرجت الملايين لتشيع زعيمها فى موكب وزحام لم يتكرر من قبل، ولا أظنه سيتكرر من بعد.

وسهرنا الليلة بطولها فلم يكن أحد راغبا فى النوم.

وكان الشعور مازال يسيطر على البعض من أن « الريس » كان مازال معنا لمجرد أن « جثمانه » لم يدفن بعد ... لم يكن هناك إحساس حقيقى بحدوث الموت عند الكثيرين، ولم يكن هناك إدراك بمدى الفراغ الهائل الذى سوف يحدث ... كان عبد الناصر لا يزال موجودا فى قصر القبة، وكان الكل يعملون حسابا لذلك حتى وهو جثة هامدة لا تقوى على شيء ... وكان مازال يشد « الأسراع » قبل أن تقطع وترتخى وتتفجر الأطماع من فتحة قمقم كانت حبيسة داخله، وتذبح العلاقات والصداقات، فالبعض كان يريد أن يصل حتى ولو كان ذلك على جثة غيره.

كنا نتحدث عما سنفعله فى اليوم التالى وكأنه أحد الواجبات التى كان يكلفنا بأدائها فى حياته. وكانت العاطفة هى التى تتحكم فى العقل وتسيطر عليه. لم يفكر أحد فيما بعد وفاة عبد الناصر إلا تفكيرا عاطفيا سطحيا أقرب إلى تفكير أبناء فقدوا الأب الذى كان يرعاهم.

وكان هذا تقصيرا ما بعده تقصير.

بل كان مجرد محاولة الانتقال إلى التفكير العقلانى يثير ثائرة بعض الموجودين. فحينما كنا نتحدث مثلا عن عائلة الرئيس بعد رحيله، فكرنا فى أن نتقدم باقتراح بتخصيص منزله الذى عاش فيه لزوجته طوال حياتها، لأن الرجل نسى فى غمرة مسئولياته أن يترك لعائلته منزلا ينتقلون إليه بعد الوفاة، وتخصيص معاش لها هو نفس مرتب « الريس » الذى كان يتقاضاه، لأنه نسى وسط مشاغله أن يترك لعائلته مصدر رزق آخر !! هنا اقترح البعض وسط الانفعال السائد أن يطلق على الرئيس الراحل لقب الزعيم، وعلى زوجته حرم الزعيم. ولما اعترض البعض على ذلك لما يترتب عليه من حساسيات يجب تجنبها، ترك هؤلاء المبنى بمن فيه غاضبين من أولئك الذين خانوا الزعيم الذى لم يدفن بعد ...!!!

وتحدث البعض عما يمكن أن يفعله لتخليد ذكرى الراحل العظيم ... وكانت الصحف قد بدأت تتحدث عن عشرات المشروعات لتخليد ذكراه، وتكونت لجنة لهذا الغرض تحت

إشراف جريدة الأهرام. وبدأ البعض يطرح بعض الاقتراحات العاطفية، وحينما بذلت محاولات لنقل الجميع إلى أرض الواقع ثارت المناقشات الحادة التى تبودلت فيها الاتهامات وسط الأعصاب المشدودة والنفوس الثائرة والقلوب الحائرة.

أمور لا تجوز ... ولكنها تحدث.

وانطلق طوفان البشر طوال الليل ينشد بصوت واحد مهيب كلمات نشيد حزين، وما لبثنا أن وجدنا أنفسنا ننشد مع الناشدين والدموع تسيل بغزارة مياه النيل الذى يمر أمامنا :

الوداع يا جمال يا حبيب الملايين... الوداع
ثورتك ثورة كفاح عشتها طول السنين ... الوداع
إنت عايش فى قلوبنا يا جمال الملايين ... الوداع
إنت ثورة، إنت جمرة نذكرك طول السنين ... الوداع
إنت نوارة بلدنا واحنا عذبنا الحنين ... الوداع
إنت ريحانة زكية لأجل كل الشقيانين ... الوداع
الوداع يا جمال يا حبيب الملايين ... الوداع

وحتى الآن لا أعرف على وجه التحديد كيف انطلق هذا النشيد من كل هذه الألسنة، ولا يعرف أحد على وجه التحديد كيف انتشر بين ملايين البشر ولا كيف حفظوا كلماته وألحانه !!!

قيل إنه فى اليوم السابق للجنازة طافت شوارع القاهرة فرقة فنية من أبناء بورسعيد المهاجرين يرددون الشعارات ووسط هتافاتهم الحزينة ولدت هذه الأغنية. من ألف كلماتها؟ لا أحد لديه الجواب. كانت بدايتها بيتا من الشعر كتبه «عبد الرحمن عرنوس» مدرب فرقة « شباب البحر ». كان البيت يقول « الوداع ياجمال يا حبيب الملايين ... الوداع »، وانطلق أفراد الفرقة يرددونه فى نغمات حزينة وانضم إليهم ملايين البشر فولدت الكلمات تباعا وسط البكاء والولولة ... أما اللحن فقد وضعته الجماهير من خلال نواح النساء وعويلهن.

وطبع منه ملايين الأسطوانات والأشرطة ليسمعها كل بيت فى طول البلاد وعرضها .

ومر الليل ولم ينم أحد ... كانت الأمة كلها ساهرة تحضر « للموكب الجنائزى » الذى ستشارك فيه فى اليوم التالى ... وامتلأت الشوارع والحدائق والمنازل بالبشر ... خرجت الجماهير عن بكرة أبيها فى العاصمة، وفى الأقاليم لتودع القائد والزعيم.

وحينما خرجنا فى الصباح الباكر لنعبر « كوبرى قصر النيل » إلى أرض الجزيرة حيث يوجد مبنى مجلس قيادة الثورة ظهر لنا أن كل ما خططنا له يصعب علينا تنفيذه. فلم يكن من الممكن أن نسير عشرات الخطوات التى تفصلنا عن «الجسر»، ولم يكن أمامنا إلا أن نعبر النيل فى الزوارق إلى الشاطىء الآخر كما كان يفعل أجدادنا من قدماء المصريين وهم يعبرون « حابى » إلى الضفة الغربية لدفن عظمائهم. وخوفا من أن يفعل آخرون مثل ما فعلناه وما ينجم عن ذلك من خسائر محتمة، صدرت التعليمات إلى كل الزوارق بأن تترك الشاطىء الشرقى للنيل إلى الشاطىء الغربى أو إلى وسط النهر الخالد.

وكان النظام خارج مبنى مجلس قيادة الثورة سائدا... وقفنا نستقبل المعزين من رؤساء الدول ومندوبيهم ... البعض كان يبكى مثل باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان، والبعض الآخر كان حزينا فى صمت، والقليل منهم يؤدى الواجب الرسمى. ووصل الجثمان فى طائرة هليكوبتر نقلته بعد أن صلى عليه فى قصر القبة. وكان النعش قد صنع بطريقة خاصة لأنه كان متوقعا أن تخطفه الجماهير، وقوى الهيكل الخشبى بصفائح من الحديد تلتف حوله وبأقفال يصعب فتحها، ثم ثبت على عربة المدفع التى تجرها الجياد ويحرسها مئات الضباط والجنود.

لم ينتقل السادات مع الجثمان إلى مبنى مجلس قيادة الثورة ولا شارك فى الجنازة بدعوى مرضه، وكذلك السيد على صبرى بقى داخل المبنى ولم يشارك فى الجنازة بدعوى مرضه أيضا .

وكانت الدقائق تمر وكأنها الساعات ... والكتل البشرية تمكنت من التسرب رغما عن نطاقات الأسلاك الشائكة المضروبة فى كل مكان ... كان التسرب قليلا فى بادئ الأمر ثم ما لبث أن أصبح عاما بمرور الوقت ... أخذت الكتل البشرية الباكية الناحبة تطغى على المكان الذى ستمر فيه الجنازة.

وبعد دقائق من سير الجنازة لم يعد هناك نظام أو سيطرة، فقد اختلط الجنود المكلفون بحفظ النظام بباقى طوائف الشعب ولم يعد فى إمكان أحد أن يسيطر على النظام.

وكان من الصعب على الرؤساء الذين يشيعون الجنازة أن يستمروا فى تأدية الواجب الثقيل حتى نهايته، ولم يكن من المناسب أن تتكبد الوفود الأخرى كذلك المشقة الهائلة التى أخذت تتصاعد عند وصول الجنازة إلى كوبرى قصر النيل. فأشير على هؤلاء بأن يعودوا مرة أخرى إلى السرادق. وقد فعل البعض منهم ذلك وأصر الكثيرون على مواصلة السير.

وحينما وصل الموكب إلى قرب « الهيلتون » ضاق الطريق وزادت صعوبة السير وسقط البعض تحت الأقدام، وقد أسهمت مع آخرين فى عمل حلقة دائرية حول هؤلاء لنمنع كارثة محققة. وحملنا بعض من سقطوا إلى أسطح بعض العربات التى كانت واقفة هناك، وتم نقل هؤلاء بعد ذلك بواسطة آخرين إلى داخل الفندق. وظهر فجأة خطر جديد، إذ أصر البعض على نزع « النعش » من على عربة المدفع التى تجرها الخيول، وهنا استمات الجنود الموجودون حول النعش ليحولوا دون ذلك، وأعطى أحد الضباط التعليمات لتعدو الخيول بعربة المدفع حتى تتفادى الكارثة. ثم نقل النعش بعد ذلك إلى إحدى العربات ليصل إلى « جامع عبد الناصر » فى كوبرى القبة حيث سيتم الدفن.

وتركنا موكب الجنازة بصعوبة وأخذنا بعض العربات من الطرق الجانبية، ولحقنا «بالنعش» فى الجامع وحضرنا الصلاة على الجثمان.

وكانت هناك جماعة الدفن جاهزة خارج المسجد لمواراة الجثمان الطاهر مثواه الأخير. وكان يشرف على الجماعة التى ستسد المقبرة المهندس على السيد رئيس إحدى شركات المقاولات فى ذلك الوقت ووزير الإسكان بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١.

ورأيت الجثمان محمولا إلى داخل المقبرة ووضع بجوار الحائط الغربى. ورأيت عبد الناصر الذى ظل واقفا طوال حياته يناضل ويكافح وقد استراح أخيرا فى مثواه الأخير. أصبح العملاق شأنه شأن أى فرد مجرد جثمان وضع إلى جوار حائط .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا عظمة إلا لله، ولا بقاء إلا لله.

واندفع بعض الضباط ومعهم محمد أحمد وبعض أولاد « الريس » ليودعوه الوداع الأخير، ونظروا من خلال الحائط الذى كان يبنى وتضيق فتحاته شيئا فشيئا، وصفوف « الطوب أو الطابوق » ترتفع شيئا فشيئا، ثم انسحب الجميع إلى الخارج وقد ارتفعت أصواتهم بالبكاء والعويل.

وكنت لا أزال واقفا أراقب وأتأمل وقد هانت أمامى الدنيا وما فيها. هل حقيقة هذه هى الدنيا ؟! هل حقيقة أن الرجل الذى ملأ العالم أجمع بصورته وصوته وعمله قد انتهى به الأمر هكذا إلى جوار حائط وهو ممدد على الأرض؟!!

ووسط هذه التأملات تقدم منى أحد الضباط من حرس « الريس » .. قميصه مفتوح وقد ضاع غطاء رأسه والدموع تسيل من عينيه وهو ينتحب، وأدى التحية العسكرية وهو مشدود الأعصاب وسألنى : « هل صحيح أن عبد الناصر مات؟ » فقلت له : «نعم»... وكرر ما قال وكررت ما قلت، فقال « طيب » واشتد نحيبه وبحركة عسكرية دار إلى الخلف وذهب.

وانصرفت بعده وقد جفت دموعى .

كتب « رجاء النقاش » مقالا فى العدد الخاص لمجلة الهلال الذى أصدرته فى نوفمبر ١٩٧٠ عن جمال عبد الناصر تحت عنوان « أدباؤنا ومواقف لا تنسى لعبد الناصر » ... جاء فى المقال عن موقف عبد الناصر من توفيق الحكيم أن إسماعيل القبانى الذى عين وزيرا للمعارف فى بداية الثورة تقدم إلى مجلس الوزراء بطلب فصل توفيق الحكيم من دار الكتب، لأنه لا يؤدى عمله كموظف على الوجه الأكمل. ودهش عبد الناصر من اقتراح القبانى، واعترض عليه أشد الاعتراض واعتبر وجود « الحكيم » فى دار الكتب تشريفا لها. ومرة أخرى وقف عبد الناصر موقفا من توفيق الحكيم .. فى أواخر الخمسينيات شن الناقد الكبير أحمد رشدى صالح حملة عنيفة ضد توفيق الحكيم محورها أن كثيرا من أعمال الحكيم المسرحية والروائية مقتبس من أصول أجنبية، وكان يعنى بذلك ـــ على حد قول النقاش ـــ أن توفيق الحكيم لم يكن أديبا ولا فنانا بل مترجما ولصا أدبيا. وتأثر الحكيم أيما تأثر بهذه الحملة الظالمة. وخلال هذه الحملة اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قرارا رائعا حيث منح توفيق الحكيم أعلى وسام فى الدولة.

ويقول رجاء النقاش عن موقف عبد الناصر من يوسف إدريس حينما رفض جائزة قدرها ألفا جنيه خصصتها مجلة « حوار » التى كانت تصدر فى بيروت عن « منظمة حرية الثقافة العالمية » له كأحسن أديب فى العالم. وقد رفض « إدريس » الجائزة لأنه علم وتأكد أن المجلة خاضعة للتوجيه الأمريكى. وحينما علم عبد الناصر بموقف يوسف إدريس أمر بصرف قيمة الجائزة كاملة له كما منحه وسام الآداب والفنون.

ثم تحدث رجاء النقاش عن موقف عبد الناصر من نزار قبانى بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ حينما كتب قصيدته المشهورة « هوامش على دفتر النكسة »، فهاجمته بعض الصحف المصرية وطالبت بمنع دخوله إلى الجمهورية العربية المتحدة، كما طالبت بمنع إذاعة أغانيه. وهنا أرسل « نزار » قصيدته بخطاب إلى عبد الناصر الذى قرأ القصيدة والرسالة، وكتب بخط يده على رسالة نزار بالسماح للقصيدة بالدخول إلى مصر وإيقاف أى إجراء ضد الشاعر وشعره.

ولذلك لم يكن غريبا أن يكتب نزار قبانى بعد موت عبد الناصر قصيدته المشهورة :

قتلناك يا جبل الكبرياء
وآخر قنديل زيت
يضىء لنا فى ليالى الشتاء
وآخر سيف من القادسية
قتلناك نحن بكلتا يدينا
وقلنا المنية
لماذا قبلت المجىء إلينا ؟
فمثلك كان كثيرا علينا

وكتب «الدكتور عبد العزيز كامل» فى نفس العدد من مجلة الهلال تحت عنوان «الإسلام عند جمال عبد الناصر» ليقول : « هذا الإيثار والحب كان المحور الرئيسى فى حياة الرئيس. وآثر وطنه الكبير .. آثر العطاء على الأخذ .. والتعب على الراحة ..

والنضال على المهادنة .. وحل قضايا الحياة اليومية للملايين .. سعادته فى أن تشيع السعادة، وراحته فى أن يستريح الناس » ... ثم واصل حديثه بوصية أوصاه بها عبد الناصر فى إحدى مقابلاته له، إذ قال عبد الناصر : « من اليسير أن نكتب ومن العسير أن نطبق ذلك على الناس، فإنك قد تجد السوء ممن تنتظر منه التعاون والخير فلا تجعل ذلك يصرفك عن هدفك » ... ثم يقول : « لقد كان عبد الناصر يعيش الإسلام فى نفسه. فى زهده وتواضعه. فى إعادة الدين إلى بساطته وإلى تطبيقه فى حياته اليومية على نفسه وعلى الناس. كان متخففا فى طعامه، طاهرا فى بيته وشرابه وأهله .. كان الإسلام عنده إسعاد الناس ».

ثم كتب « الشيخ أحمد حسن الباقورى » فى نفس العدد : « إن فى عبد الناصر جوانب كثيرة كبيرة موصلة بعقل ذكى ونظر بعيد، فهو أهل لكل صفة كريمة تسبغ عليه ولكل كلمة خير تقال فيه، فالذين يرونه شجاعا ومصلحا لا يعدمون لكل صفة من هذه الصفات أصولا تستند إليها وشواهد تدل عليها ».

وكتبت «الدكتورة سهير القلماوى » تحت عنوان « الثورة الناصرية فى الثقافة » فى نفس العدد ... « ولعل أهم ما قدمته الثورة الناصرية للشعب فى ميدان الثقافة والفن هى الكرامة ... كرامة الفنان ... فقلدته أرفع الأوسمة وأسمى الجوائز وكرمته فى كل ميدان وبكل وسيلة. أما المناخ الذى تتنفس فيه الفنون ومن أخطرها الكلمة فقد هبت عليه ريح اقتلعت كل المقاييس القديمة، وإذا الكلمة تعبير حر لا يلقى فى سبيلها الكاتب عنتا ولا اضطهادا. كم ذا ملئت السجون بأصحاب الكلمة الشريفة !! كم ذا هدد الكتاب والشعراء فى أرزاقهم فى عهد الملكية !! أما الكلمة فى الثورة الناصرية فهى التعبير الحر عن الفكر الملتزم بقضية الشعب. ولم تقف الثورة ضد أى فكر والفكر المقوض لمكاسبها أو المخرب لخطواتها المنتصرة فى سبيل كرامة الكلمة المعبرة عن الشعب. يمكن أن يوقف القلم إذا رئى ضرره، ولكن صاحبه لا يضار بسبب الكلمة. والكلمة الشريفة مهما تكن الزاوية التى ترى منها صالح الشعب فإن لها المجال لأن تعبر ولأن تبنى قضايا الشعب بأى وسيلة تراها ».

وقال « صالح جودت » فى قصيدة بعنوان « بعد الوداع » :

هوى الذى كان ارتفع السها	وانهار من كان كشم القلاع
إرادة الله .. وما جهدنا	إزاءها إلا رضا وانصياع
إرادة الله قضت أمرها	فينا فقلنا يا جمال الوداع
جمال قد أرسى لكم نهجه	ونهجه أولى بكل اتباع
يا زورق الأحلام قم وانطلق	وانشر على مد الحياة الشراع
وسر على درب جمال ولا	تهن وضاعف من خطاك السراع
مسيرة الثورة لا تنتهى	أما نعى الملاح فى الغيب ناع
فكلنا ملاحها ... كلنا من	غرس هذا العبقرى الشجاع

وكتب « أحمد زين » يوم ١٩٧٠/٩/٢٩ فى « الأخبار » يقول : « لقد أعطى عبد الناصر الأرض للفلاح وللعامل المصنع، وللجيل الجديد العلم والنور مجانا. ولأول مرة تساوت الفرص وقلت الفوارق وأحس كل فرد بالحرية الحقيقية ... ماذا يستطيع القلم أن يكتب؟ إن المجلدات الضخمة تعجز عن التعبير فما بالك بالكلمات؟!... هل تستطيع أن تتحدث عن البسمات التى أدخلها على القلوب البائسة؟ هل يمكنها أن تتحدث عن الآمال التى وضعها فى القلوب البائسة؟ هل يمكنها أن تصنف فرص العيش التى توفرت والحياة التى تحققت؟ »

وكتب « أنيس منصور » فى نفس العدد من « الأخبار »: « أما ذلك اليوم الأسود يوم تنحى عبد الناصر عن الحكم فكان أتعس أيام الأمة العربية، فقد أحسسنا جميعا بأننا يتامى. أما اليوم فإن عبد الناصر لم يتنح عنا بل وضعنا أمام إرادة الله. فلا شىء يعوضنا عن خسارته المروعة ». ثم عاد ليكتب يوم ١٩٧٠/١٠/١ : « إننا فى عصر ما بعد عبد الناصر نتكلم أكثر ونصرخ أكثر وهو لا يتكلم، ونخاف أكثر فقد كان هو الأمان. فاللهم ارحم عبد الناصر وارحمنا من بعده ... ومن أنفسنا ».

وكتب « عبد الرحمن الشرقاوى » فى نفس العدد: « فالرجل الذى تلخصت فيه أحلام أمة بأسرها ... الإنسان الذى شكلت نبضات ملايين القلوب خطاه ... الزعيم الذى ارتبط اسم الوطن باسمه كما لم يرتبط اسم وطن بزعيم من قبل ... المعلم الذى

عمر الوجدان بالثقافة والقيم الفاضلة ... الأب الذى ملأ القلوب الخائفة بالأمن ... الرائد الذى فجر من الجوانح عزة الكبرياء ... رجُل الدولة الذى فرض على عالمنا هيبة العرب ... الأب الذى شعر أبناء الوطن فى ظلاله بالطمأنينة والثقة فى المستقبل ... الأخ الذى جعل حياته كلها آثارا نبيلة من نضال جبار لا يهدأ حتى ينتصر الحق ويسود العدل ... »

وكتب « سيد مرعى » فى « الأهرام » يوم ١٩٧٠/١٠/٤ يقول تحت عنوان « كلمة وفاء »: « إلى روحك الطاهرة يا من حررت ملايين الفلاحين المصريين، يا من أدركتهم بعد شقاء آلاف السنين، فجئتهم فى موعدك وكسرت عن أيديهم الأغلال والقيود وانطلقت فساروا وراءك على أشرف طريق ... لا زالت ماثلة أمامى صورتك بين الفلاحين فى منطقة دميرة توزع عليهم وثيقة تحررهم وتملكهم الأرض التى عاشوا عليها عبيدا لها فأصبحوا بفضلك أسيادها ... ثم فى منطقة الزعفران وأنت تواصل نفس الرسالة وكانت البلاد تحتفل بالعيد الأول لثورتها التى قامت بقيادتك ... إنك لم تتخلف عن رد حقوق الفلاحين إليهم، فبعد ستة أسابيع من قيام ثورتك أعلنت قانون الإصلاح الزراعى، وفى عيدها الأول قمت بتوزيع الأرض على الفلاحين ... وسيظل دائما عبد الناصر هو أسلوبنا فى الفكر وهو مصدر الأمل ومفجر طاقات العمل » .

وكتب « نجيب محفوظ » فى « أهرام » ١٩٧٠/١٠/٢ حوارا تحت عنوان « كلمات من السماء » ...

- حياك الله يا اكرم ذاهب
- حياكم الله وهداكم
- إنى احنى راسى حبا وإجلالا
- تحية متقبلة، ولكن لا تنس من قولى « ارفع صوتك يا اخى »
- نحن من الحزن فى ذهول شامل
- لا يحق الذهول لمن تحدق به الأخطار وتنتظره عظائم الأمور
- يعزينا بعض الشىء أنك إلى جنة الخلد تمضى
- وسيسعدنى اكثر ان تجعلوا من دنياكم جنة
- إن عشرات التماثيل لن تجعلك فى خلود الذكرى
- لا تنسوا تمثالين اقمتهما بيدى وهما « الميثاق » و « بيان ٣٠ مارس »

- ووراءك فراغ لن يملأه فرد
- ولكن يملأه الشعب الذى حررته
- سيبقى ذووك فى صميم الأفئدة
- أبنائى هم الفلاحون والعمال والفقراء

ونشرت « الأهرام » فى ١٩٧٠/١٠/٢ أن مجلس إدارة الأهرام قرر أن يتعهد الفكرة التى دعا إليها توفيق الحكيم بإقامة تمثال عبد الناصر. وقد نشر توفيق الحكيم بيانا قال فيه : « لقد جسد الشعب فيك صورة حريته ... لقد جعل منك تمثال الحرية لنا. وقد فارقتنا أن نقيم لك تمثالا عاليا فى ميدان التحرير ليشرق على الأجيال ويكون دائما رمزا للآمال. وما ينبغى أن تقيم هذا التمثال سلطة أو دولة، لكنه الشعب نفسه من ماله القليل يقيمه ». وكانت السيدة أم كلثوم قد اقترحت أن يطلق على السد العالى اسم « سد ناصر » كما كان يطلق على بحيرة ناصر، تخليدا لذكرى الرجل الذى بنى السد وصنع البحيرة.

ولم يعمل للرئيس عبد الناصر تمثال فى القاهرة حتى الآن. فلا الحكومة فعلت ولا الشعب بنى وأقام.

ونشرت « رويتر » تعليقا لمناحم بيجن زعيم كتلة جحل فى إسرائيل قال فيه: « إن الرئيس عبد الناصر كان أخطر أعداء إسرائيل. إن وفاة عبد الناصر تعنى وفاة عدو مر. إنه كان أخطر عدو لإسرائيل، ولهذا السبب لا نستطيع أن نشارك فى حديث النفاق الذى يملأ العالم كله عن ناصر وقدرته وحكمته وزعامته »!! ولعل بيجن كان من القليلين الذين صدقوا مع أنفسهم فلم يغير لون جلده بمرور الوقت كما تفعل الحرباء.

وأخذت أقارن بين هذا الذى قيل بالأمس، وما يقال اليوم ... وهالنى « ما وجدت »!!!

وذرفت بعض الدموع ... بعضها على جمال ... وأكثرها على وفاء الرجال!!!

كاتب ذكر أمامى على إفطار فى رمضان أنه كان مع آخرين فى موسكو حينما أذيع خبر وفاة عبد الناصر، إلا أنه لم يصدق الخبر، ولذلك فقد أخذ يبكى مع الباكين، وحينما تأكد من خبر الوفاة احتفل بذلك بشرب الفودكا، وعلى صوت الموسيقى. ولم يكن غريبا أن قلمه الذى كان يكيل المديح للزعيم أصبح يغرقه بالقدح بعد أن رحل !! وهذا نوع فريد من الكتّاب الذين يمسحون عقول الناس ..

وشعرت بالقلق عما ستكتبه الأقلام المارقة الآن وفى كل أوان عن الحكام وأصحاب الصولجان لو تغير اتجاه الريح فى يوم من الأيام، أو إذا وافاهم الأجل بعد عمر طويل... فالموت حق على الجميع، بل هو الحقيقة الوحيدة فى هذه الحياة!!!

وفى الوقت نفسه نظرت إلى صفحات التاريخ التى نتداولها بين وقت وآخر بعين الشك والارتياب ... فربما تكون أقلام الأمس التى كتبت ودونت شبيهة بأقلام اليوم التى تغيرت وتبدلت !!!

وأقول ربما ... لأننى لم أصل بعد إلى حد اليقين !!!

قاد عبد الناصر مصر فى فترة عصيبة من تاريخها الطويل والعريض، وخاض فى سبيل رفعتها معارك ضارية ... كان الرجل يستعجل الخطى ليتحقق بعض ما فاتها قبل قيام الثورة ... ربما بدرجة تعدت قدراتها ... ولكن عبد الناصر لم يكن رئيسا عاديا يسير بخطوات رتيبة، ولكن كان زعيما ثوريا، والزعيم يحلم ويريد أن يدفع الأمة لتحقيق أحلامها وأحلامه ...

وقد حقق الزعيم كثيرا من الأحلام وغير وبدل من الواقع الذى كان سائدا... كان عبد الناصر قائد ثورة ولم يكن قائد انقلاب ... فلم يكتف بتغيير الوجوه التى تحكم ولكن غير من الواقع الذى كان يسود ويتحكم ... ويرحمك الله يا عبد الناصر رحمة واسعة إنه سميع الدعاء.

الفصل الثانى عشر

الوزير فى السجن

بعد كل هذا المشوار الطويل، والكفاح المرير، وجد الوزير والسفير نفسه فى غياهب السجون... أبو زعبل والقلعة والحربى... يحاكم بتهمة الخيانة العظمى... خيانة من؟ ولم هى عظمى؟ وهل هناك خيانة عظمى وأخرى غير عظمى؟ تماما كالموت الزؤام... هل هناك موت زؤام وموت غير زؤام؟! سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

بلادى وإن جارت علىَّ عزيزة   وأهلى وإن ضنوا علىَّ كرام

كان الوزير والسفير إحدى ضحايا الصراع على السلطة ولم يكن شريكا فى ذلك الصراع. السلطة فى العلالى وطريق الصعود إليها طويل وخطير، والصمود فوق قمتها الباردة صعب وغير مضمون، أما السقوط منها فطريقه قصير نهايته تقود إما إلى مجاهل النسيان، وإما إلى غياهب السجون، وإما إلى حبال المشنقة، وإما إلى متربصين ينهون الأمر بطلقة غادرة. قمة السلطة ضيقة أضيق من سم الخياط، لا تتسع لكثيرين... تتسع فقط للقلة... ولكن طلابها كثيرون يتزاحمون، والكتف الأقوى تزيح الكتف الأقل قوة... ويسقط كثيرون لا يجيدون ممارسة اللعبة، إذ تحتاج إلى خبرة ومكر ودهاء وربما فى كثير من الأحيان إلى تجاهل القواعد الأخلاقية... وممارسة السلطة خاصة عند القمة لها قواعدها المعروفة: ليس هناك صداقة دائمة ولا عداوة دائمة بل مصلحة دائمة، لا تثبت على لون واحد فالأبيض اليوم أسود غدا والأسود اليوم أبيض غدا، اللين ممنوع حتى لا تعصر والجمود ممنوع حتى لا تكسر، أصحاب الفضل قريبون حتى أداء المهمة وإذا انقضت يبعدون إما بركلة إلى أعلى وإما بضربة إلى أسفل، أصحاب الولاء قريبون إلى حين وعليهم السير بأذن واحدة حتى لا يسمعوا كل شىء وبعين واحدة حتى لا يروا كل شىء...

ولست أدرى لماذا يلح علىَّ ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن علاقة المثقف بالسلطة، فهو يصور إلى حد ما جانبا من الصراع الذى يحدث فى مجالها، يقول: «اعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره، إلا أن الحاجة فى أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها فى تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى صاحب القلم، لأن القلم فى تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطانى، والسيف شريك فى المعونة. كذلك فى آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها. أما فى وسط الدولة، فيستغنى صاحبها بعض الشىء عن السيف، لأنه قد تمهد أمره ولم يبق همه إلا فى تحصيل الثمرات من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له فى ذلك فتعظم الحاجة إلى تصريفه، وتكون السيوف مهملة فى أغمادها إلا إذا أنابه نائبة أو دعيت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها، فيكون أرباب القلم فى هذه الحالة أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر إليه ترددا وفى خلواته تحيا، لأنها حينئذ آلته التى بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله».

هذا يحدث دائما فى عالمنا الثالث ونحن إحدى دوله. فنقل السلطة لا يتم إلا عن طريق «عزرائيل»، بفعل القدر أو بفعل البشر، لعدم الوعى بالمفهوم الصحيح للسلطة... هل هى هدف؟ أم وسيلة؟ إذا كانت هدفا ـ وهى فى غالبية الأحوال كذلك ـ مالت إلى الخطأ الذى يتحول بمرور الأيام إلى خطيئة، وربما إلى بحور من دماء بين الإخوة والرفاق يضحى فيها بالصداقة والزمالة، ويصبح عدم التعامل بالقواعد الأخلاقية قاعدة لا غرابة فيها... وقد تحدث عن ذلك نيقولا ميكيافيلى فى كتابه «الأمير»، الذى لا شك أن نسخة منه قابعة تحت وسادة كل أمير، بل وفى أغلب الأحوال نجده وقد أضاف إليها. أما إذا كانت وسيلة لتحقيق أهداف بعينها، فالأمور تميل حينئذ إلى مسالك الفضيلة ونكران الذات، بما تحدث به أفلاطون وأرسطو وسقراط ومن تبعهم وهم يحاولون بناء المدينة الفاضلة... وهى مدينة لا تبنى إلا فى الأوهام فنحن بشر ولسنا ملائكة.

أهم من كل ما قيل سابقا أن الحاكم لا يعمل برجال غيره ولكنه يفضل أن يعمل برجال من صنعه... ربما يعمل بمطبخ الحاكم السابق إلى حين حتى يتمكن. وهنا لا بد

من التغيير... فهو لا يحب من له فضل عليه ـ كحالنا مع السادات، ويحب من يغرقه هو بفضله، وحتى هذا يكون إلى حين ـ مثل الليثى ناصف ومحمد صادق وهيكل مع السادات... كنت أدرك كل هذا حينما انتقل عبدالناصر إلى جوار ربه، الأمر الذى لم يدركه آخرون، خاصة أن التجربة كانت مجسدة أمام الجميع ولكن لم تكن هناك رغبة لتعلم الدرس.

قام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ طليعة ثورية من البشر تريد أن تحقق التقدم والخير للشعب ولمصر العزة والسؤدد، ولكنها وهى تجتاز الطرق الصعبة فرض عليها صراع مرير مع غيرها. وهذا لم يمنع خوضها صراعا مريرا فى داخلها بين صناعها وحراسها، لم يكن كله لاختلاف المبادئ ولكن كان فى أغلبه سعيا وراء القوة والسلطة. وصل الصراع أحيانا إلى حد تحديد إقامة رئيس الجمهورية محمد نجيب طوال ٢٠ عاما. وترك الصراع يتراكم حتى وصل إلى حد انتحار نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر... وغير ذلك كثير... والصراع على السلطة كان موجودا قبل الثورة بأساليب تتفق مع الأوضاع القائمة وقتئذ، لدرجة الاستعانة بالسفير البريطانى اللورد كيليرن لفرض سلطة يريدها. والصراع على السلطة وجد بعد قيام الثورة حتى وفاة عبد الناصر بأساليب اتفقت مع الأوضاع المتغيرة. والصراع على السلطة وجد بعد ذلك ربما بطريقة ظاهرة وربما بطريقة مستترة... ولكنه موجود... والصراع دائما يتم بين إرادات... إرادات واعية قادرة، وإرادات عاجزة جاهلة... كان السادات يعرف ما يريد، فقد حدد هدفه ومارس اللعبة بخبرة سابقة اكتسبها من كفاحه قبل الثورة. وقد يسر مهمته أنه واجه إرادة مفتتة غير واعية لا تنظر أمامها إلا لفتات تلقى لها على الأرض فتنحنى الرؤوس لالتقاطها أو بعض منها... هذه الإرادة المفتتة هى التى أطلق البعض عليها خطأ «مراكز القوى»... وهى قوى ليس لها إرادة، كل همها كان تحقيق مصالح ذاتية بالحصول على أماكن السلطة، حتى وإن تم ذلك على جثث من كانوا أشقاء وزملاء، غير مدركة أن الطريق إلى السلطة يتصف بالوعورة ويحتاج اجتيازه إلى خبرة ومهارة وإقدام. وليس أدل على ذلك من أن التنظيمات العلنية والسرية التى ثبتت عبد الناصر بعد قراره بالتنحى يومى ٩، ١٠ يونيو بعد الهزيمة النكراء، لم تحرك ساكنا وهم يتهاوون ويتساقطون ويكنسهم

السادات «بالمقشة»، على حد تعبير محمد حسنين هيكل الذى كتب يتشفى فيهم فى مقالاته بعد أن قفلت عليهم وعلينا أبواب السجون.

الصراع على السلطة إذن شىء طبيعى. وما حدث بعد وفاة عبد الناصر، وربما قبل نقل جثمانه إلى مقره الأخير، كان صراعا على السلطة وصل إلى قمته الحرجة فى ١٥ مايو ١٩٧١، ودار فى أيامه الأولى داخل «الربع» الواحد من الزملاء والرفاق. كان الصراع مقيدا داخل القمقم أيام الرئيس والزعيم، وحينما فتح غطاء القمقم بعد موته وارتخت الأسراع، انطلقت الرغبات المكبوتة والأطماع المحبوسة لا تلوى على شىء وبدون حدود. ثم دار الصراع بعد ذلك بين السادات وجماعته من جانب، وبين من عرفوا بعد ذلك بمراكز القوى من جانب آخر... حتى حسمه السادات بضربة متوقعة حينما جمع الكل فى حزمة واحدة وقذف بها فى سجن «أبو زعبل» فى أول الأمر، ثم إلى سجن القلعة الرهيب والذى حدثت فى أرجائه مذبحة المماليك أيام محمد على باشا الكبير، ثم بعد ذلك فى السجن الحربى و«قرة ميدان». ولا يجوز أبدا أن ينكر البعض أن صراعا حدث، أو يصوروا الأمر على أنه لم يتعد خلافا فى الرأى استغله السادات للانفراد بالسلطة، فتغدى بهم السادات قبل أن يتعشوا به. وقد جعل هذا الصراع الأخ شعراوى جمعه يوقفنى بعد الإفراج عنه، ونحن نتأهب لدخول ضريح السيدة زينب لصلاة الظهر، ليقول لى: «أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى أننى تصارعت معك»، وجعله يقول بعد ذلك حينما زارنى فى منزلى: «إن كنت تعد شيئا فأنا على استعداد للعمل تحت قيادتك».

وقفة أمام «مراكز القوى»، فهو فى حالتنا اسم على غير مسمى... أى حكم ديمقراطى لا بد أن تتعدد فيه مراكز القوى مما يؤثر فى صناعة القرار وإصداره، أما إذا انتهى الأمر إلى مركز قوة واحد فإن هذا هو الحكم الشمولى... مراكز القوى حينئذ تكون مراكز ضاغطة على صاحب القرار وهذا مطلوب ومرغوب... لأن الديمقراطية أولا وأخيرا هى ألا ينفرد صاحب القرار بقراره... فى أمريكا الكونجرس بمجلسيه مثلا مركز قوة، الحزبان الجمهورى والديمقراطى مركزا قوة، الصحافة وأجهزة الإعلام بأنواعها مراكز قوى، النقابات والجماعات غير الحكومية مراكز قوى، الرأى العام مركز قوة... لماذا؟ لأنها تؤثر على اتخاذ القرار وتشكيله قبل إصداره، بل وتعيد تشكيله بعد

ذلك إذا تطلب الأمر القيام بالتغيير... فى نفس الوقت لا يعد وزير الدفاع أو الداخلية أو رئيس المخابرات المركزية أو مدير المباحث الفيدرالية أو وزير الخارجية مراكز قوى لأنهم ليسوا كذلك...

وقت انهيار النظام القائم فى ١٥ مايو ١٩٧١ كان صاحب القرار لا يقبض على الأسراع، إذ كانت خارج متناوله... القوات المسلحة وأجهزة المخابرات وآليات الأمن والتنظيم السياسى والنقابات... الخ كلها بعيدة عن متناوله، بل كان على رأسها كبار الطرف الآخر فى المعادلة، ورغم ذلك حدث ما حدث؟!! فكيف نطلق عليهم «مراكز قوى»؟ التسمية خطأ، إذ لم يكونوا كذلك... كان هناك صراع بين إرادة تعرف طريقها وإرادة لا تعرف وقع أقدامها.

ولكن أليس غريبا أن أتحدث هكذا والكثيرون يظنون أننى كنت واحدا من هؤلاء؟! الذين لا يطلعون على حقائق الأمور يظنون ذلك، ولكن الذين يعرفون طبيعة العلاقات لا يقرون هذا الظاهر... وكان الرئيس السادات ممن لا يعرفون حقائق الأمور وطبيعة العلاقات قبل أن يقفز إلى كرسى السلطان، ولعله تأكد من ذلك بعد فوات الأوان لأنه لم يقبض علىَّ فى أحداث سبتمبر ١٩٨١ بعد ذلك. ولا أنسى أبدا ما قاله على صبرى وهو فى الزنزانة فى سجن أبو زعبل حينما رآنى وهم يتجهون بى إلى الزنزانة رقم ٨: «الله وأمين هويدى ماله؟ ده الراجل عاوز يحاكم عهد وليس جماعة!!!»... كان يجمعنى مع بعض هؤلاء طبيعة العمل وتكاليف الرئيس بحكم مناصبنا ومسئولياتنا. ولذلك لم أكن فى السلطة يوم الأحداث، إذ كنت خارجها بتدبير الكبار منهم قبل ذلك بشهور... كانت المسئوليات التى شرفنى بها الرئيس عبد الناصر كمستشاره السياسى ثم كسفير ثم كوزير لأكثر من وزارة أهمها وزارة الحربية وكرئيس للمخابرات العامة فى نفس الوقت، وكعضو فى جماعة العمل اليومى، ثم تكليف الرئيس لى بتشكيل الحكومة بعد ذلك فى أكتوبر ١٩٦٧. تولى هذه المسئوليات أثار الحقد والضغينة لدى البعض، وشكل الرقم الصعب بعد ذلك عند إجراء الحسابات المعقدة خلال بناء الهيكل الجديد للسلطة بعد وفاة الرئيس، خاصة وقد كنت ألح أن طريقة عملنا مع السادات إن اشتركنا فى الوزارة مختلفة تماما عن طريقة عملنا مع الرئيس عبد الناصر... هذا لا يمنع البتة صداقتى للكثيرين، ولكن يجب ألا تحول هذه الصداقة فى نفس الوقت دون قول الحقيقة... وقول



□ السادات وأمين هويدى وحديث ودى □

الحقيقة ثقيل على النفس ويغضب الآخرين، إذ يجسدهم كما هم وليس كما يظهرون على المسرح برتوش ومكياج... كنت لبعضهم صديقا وزميلا ولم أكن فردا فى حزب أو جماعة.

هناك حقيقتان لا بد أن نقر بهما: **الحقيقة الأولى** هى أن انتصار الرئيس السادات فى أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ كان لصالح مصر، إذ كان أقدر على مواجهة الظروف الصعبة التى كانت تمر بها البلاد سواء فى الداخل أو الخارج، وكان فى نفس الوقت أكثر حكمة وإدراكا وهو ينتقل بمصر نقلات تواءمت مع التغيرات التى كانت تحدث من حولنا... فرضى بالانتصار الناقص بدلا من استمرار الهزيمة الكاملة، وجنب البلاد تورطها فى قتال كانت خططه الموضوعة ناقصة، واختار الوقت السليم والقيادة المناسبة.

الحقيقة الثانية هى أن الأخ العزيز المرحوم شعراوى جمعه كان المسئول عن هزيمة جماعته بعد وفاة الرئيس عبدالناصر، لحساباته الخاطئة للوصول إلى السلطة المرغوبة، فهناك فارق بين الرغبة الموجودة والقدرة المتاحة... تعطشه لرئاسة الوزارة فاق صداقاته مع آخرين، فلم يعد يميز بين الصديق والعدو... وكذلك تجاوز قدراته الحقيقية، فهو رجل منفذ من الدرجة الأولى وكان يكتسب قوته من الآخرين... وفى الوقت نفسه جعله تعطشه هذا يسرع الخطى فتعثر... قال لى الرئيس ياسر عرفات حينما كان يزورنى فى منزلى فى مايو ١٩٧١ مع كل أفراد قيادته الأحياء والأموات: إنه قادم من زيارة «هيكل» فى منزله وقد قال له: «إن شعراوى يتعجل جدا للوصول إلى ما يريد».. والعهدة على الراوى الذى نقل، وعلى الحاكى الذى قال، وكلاهما ما زالا على قيد الحياة.

هذا كلام قد يصدم الكثيرين... فالسادات هو السجان وشعراوى هو الصديق الذى ما زلت أترحم عليه... أنا لا أكذب ولا أسيس التاريخ، «فأمين يقول الحق ولو على نفسه» كما قال عبد الناصر فى أحد اجتماعات اللجنة المركزية وكما كان يقول دائما... قول «أبو عمار» ينطبق على شعراوى الذى عرفته تماما... أذكر أن الأخ أحمد حمروش زارنى فى منزلى صباح أحد أيام نوفمبر ١٩٧٠ قبيل استقالة وزارة الدكتور فوزى الأولى، وسألنى بطريقته الغريبة: «هل تؤيد تشكيل شعراوى للحكومة؟!» دهشت للسؤال وعجبت من أمر السائل بتجاوزه حدوده، وسألته بدورى: «هل هو ناقل رسالة أم سائل يريد أن يعرف؟» وضحك حمروش تفاديا للإجابة التى كنت أعرفها، واستطردت قائلا: «المشكلة ليست فى تأييدى أو رفضى... المشكلة أن أحدا لم يعرض ولن يعرض ذلك على شعراوى. ولكن إذا كلف فأنا مؤيد». وأذكر أيضا أن الدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء حاليا، وكان وقتئذ صديقا حميما وطبيبا للعائلة، أخبرنى فى زيارة له يوم الجمعة ٢٥ ديسمبر ١٩٧٠ أن شعراوى استدعاه منذ أسبوعين وكلفه ضمن آخرين بتقديم تقارير عن رأيهم فيما يحدث فى الوزارات، وكلفه بوزارة الصحة، وأنه يحضر مع شعراوى ضمن مجموعات بعض أفرادها من الشيوعيين مناقشات سياسية فى مكتبه بمصر الجديدة. وسألنى عن رأيى فى حضوره الاجتماعات وفى تقديم تقارير عن وزارة الصحة، وأضاف أنه يتردد أن شعراوى جمعه يشكل «حكومة ظل». وأجبته: «ولم لا؟!!» وظل حمدى يطلعنى على ما يحدث فى هذه الاجتماعات حتى دخولى السجن.

فى الوقت الذى كان شعراوى يخطط فيه لما يريد، وصلتنى معلومات أن أوامر صدرت إلى وحدات الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات ألا تطيع التوجيهات التى تصدر من الأمانة العامة... وقد أكد لى ذلك الوزير أحمد سلطان وقت أن كان يشغل منصب محافظ المنوفية... وهذا ليس بالغريب، فقد كان ممدوح سالم يحلف اليمين لتقلده منصب وزير الداخلية دون علم من شعراوى وزير الداخلية بأجهزته المختلفة وعلى رأسها المباحث العامة، ودون علم أحمد كامل رئيس المخابرات العامة صاحب الولاء الكامل لسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات!!! ويقولون مراكز قوى...!!!

تكلمت فى السابق كيف عملنا ــ شعراوى وسامى وأمين، بصفتنا أعضاء لجنة العمل اليومى ــ على نقل السلطة إلى نائب الرئيس ــ السادات ــ فى اجتماعنا ليلا فى قصر القبة. وفى اليوم التالى للوفاة اجتمعنا ــ شعراوى وسامى وأنا ــ مع الفريق محمد فوزى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بناء على طلبه، وكان الرجل قلقا بحق على مصيره فى الأيام التالية لمسئوليته عن النكسة بعد أن كشف الغطاء الذى كان يحميه بموت الرئيس، وقال: «كيف التصرف لو اتخذ أى إجراء ضد أحدنا فى الأيام القادمة؟ هل سنتصرف فرادى أم كأربعة؟!!! » كان الاتفاق على ضرورة التكاتف «لمواجهة الذئاب التى ستتحرك» كما تردد بيننا فى هذا الاجتماع، علما بأن هذا يتناقض مع ما كنا قد اتفقنا عليه من التخلى عن مواقعنا بعد استقرار الأوضاع، الأمر الذى قلناه لهيكل فى اجتماعنا معه والذى رحب به أيما ترحيب.

كان الحوار الدائر مجرد دخان فى الهواء مرهونا بالاتصالات الجانبية والاتفاقات السرية. السادات كان الوحيد الذى يعرف وقع خطواته، وكان يحنى رأسه لما يدور حوله ويدع الأمور تسير دون اعتراض... فلاح رابض فى حقل الذرة... يوافق حتى يتمكن... اتجه أول الأمر إلى تأجيل البت فى شغل منصب رئيس الجمهورية إلى ما بعد إزالة آثار العدوان... لم يكن متأكدا بعد أن الطريق أصبح مفتوحا، فلما تأكد من عرضنا ــ كما سبق القول ــ وافق وقال: «على بركة الله»... فلما وصل إلى كرسى السلطان وحلف اليمين القانونية أعلن أنه سوف يجمع بين منصبى رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء... قرار حكيم اعترض عليه الجميع إلا أننى وافقت معلنا ذلك على الجميع... الراغبون كثرة.. حسين الشافعى يرغب وأعلن عن رغبته، على صبرى يرغب

ويلح فى الخفاء، أفراد الحرس القديم يرغبون ولكنهم خارج الملعب، شعراوى يرغب ويخطط... إذن كان عليه أن يتفادى هذا الزحام ويعلن الجمع بين الرئاستين... أمام الاعتراضات كان البديل اختيار رئيس وزراء لا حول له ولا قوة... صورة... فوقع الاختيار على الدكتور محمود فوزى. والرجل كان لا يدلى برأى إلا إذا طلب منه... حتى وهو وزير للخارجية لم يتدخل قط فى شئون وزارته وأوكل ذلك إلى نائبه السفير حسين ذو الفقار، متخذا مكتبه فى جانب بعيد عن مكاتب الوزارة، مكتفيا بالاتصالات أو السفريات، ولا يعلم شيئا عن شئون الداخل... ولكنه كان مدعما من هيكل، وفى نفس الوقت لا يعترض عليه أحد ولا يخاف منه أحد... كان الرجل المناسب فى المكان المناسب وفى الوقت المناسب، وهذا مثال «لقوة الضعف»... وحتى يكسب مزيدا من الوقت، رأى السادات أن تبقى الوزارة كما هى عدا تعديل واحد أصر عليه ـ وصرح لى به ـ وهو ضرورة تغيير الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف لأسباب ذكرها، ولكنى أقنعته ببقاء القائمة كما هى... قبل أول اجتماع للوزارة الجديدة قال لى الدكتور فوزى رئيس الوزراء الجديد بابتسامته المرتسمة على وجهه دائما: «أرجوك أن تعد لى ـ بصفتك وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزراء ـ كيف ستسير الأمور فى الجلسة الأولى، لأننى لا أعرف». وأعددت له المطلوب ولم يخرج الرجل عن النص... وبعد ذلك مباشرة تجاهل وجودى رغم أننى معه فى نفس المبنى... تعليمات صدرت له فنفذ... قبل أن يجلسوه على الكرسى تقرب وبعد أن قعد واستقر تباعد... شىء عادى لا يدعو إلى الدهشة أو الاستغراب.

فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٠ قدمت الوزارة استقالتها، وكلف الدكتور فوزى بتشكيل الوزارة الجديدة. وكانت الوزارة عائلية... اللاعبان الرئيسيان فى تشكيلها: شعراوى جمعه وسامى شرف كانا قد تباعدا؛ إذ اعتقد شعراوى أننى منافس له فى مسعاه، الأمر الذى لم يدر بخلدى... فى يوم ١٦ نوفمبر عرض علىَّ الدكتور فوزى منصب وزير الحكم المحلى... كنت أعرف أن العرض بالوكالة فاعتذرت شاكرا متمنيا له التوفيق، وتعطل إعلان التعديل الوزارى الذى كان ينتظر إعلانه فى نفس اليوم. وفى اليوم التالى أى ١٧ نوفمبر استدعانى السادات إلى منزله، وقابلته واستمرت المقابلة حتى منتصف الليل، وعرض علىَّ وزارة الحكم المحلى.. «ليكون فى معاونتى ٢٠ باشا»، وكذلك

عضوية مجلس الدفاع حتى أعمل «على جمع الجبهة الداخلية». وعتبت على سيادته أنه لم يفاتحنى فى الموضوع كما كان يفعل من قبل، وعتبت عليه أيضا تباعده بالرغم من أننى كنت أتصل به تليفونيا كل يوم فى السابق، وذكرت له أنه يعلم رأيى فى إلغاء وزارة الحكم المحلى إذ أنها حلقة زائدة فى الكيان التنظيمى للدولة، أما عن اشتراكى كعضو فى مجلس الدفاع فإن ذلك شرف لا يتيح لى فرصة العمل الجدى فى هذا الوقت العصيب... شعراوى مثلا ـ قلت له ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية تتبعه ١٠ وزارات خدمات، وهذا يعنى أن وزارة الحكم المحلى ستكون تحت رئاسته، علاوة على تكوينه للتنظيم السياسى بصفته المسئول الفعلى عن الاتحاد الاشتراكى...!!! وأنا لا أقبل أن أكون وزيرا وشعراوى الأحدث نائب رئيس الوزراء، وهو يعلم أن الرئيس عبد الناصر كلفنى بتشكيل الوزارة بل كنت وزيرا للدفاع ورئيسا للمخابرات العامة فى نفس الوقت... كان الرجل يلمح فى كلامه ـ دون أن يصرح ـ بكلمات يغرينى بها أن أغير «الربع»، ولكننى فهمت تماما ما يقصد. لم تسمح لى نفسى بأن أكون «شيئا» ينقله البعض على لوحة الشطرنج... كان على الرجل أن يعرض ذلك ولا يتعداه والكل يعلم بأننى سأرفض ذلك عن يقين... كان المطلوب إزاحتى كمنافس محتمل... شكرته وودعنى حتى ركبت سيارتى، وأعلن عن تشكيل الوزارة فى صباح اليوم التالى دون أن أكون أحد أعضائها.

سامى شرف وشعراوى جمعه كانا وراء تشكيل الوزارة الجديدة. كانا قد اتفقا على تقسيم السلطة مع بقائى دون مسئوليات تزاحمهما، أو تقديم عروض تجبرنى على رفضها فأخرج من الحلبة... أعطاهما السادات أذنيه مؤقتا... الوزارة عائلية فالأقربون أولى بالمعروف... خرج من الوزارة صدقى سليمان بانى السد العالى، وثروت عكاشة واضع أسس وزارة الثقافة، وحسن عباس زكى الاقتصادى الكبير، وكمال رفعت قائد حرب الفدائيين فى القناة، وأمين هويدى. سامى يحصن نفسه بالفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، وبأحمد كامل رئيس المخابرات العامة، فكانت النتيجة أن أحمد كامل قام بعملية التسجيلات الكبرى لتكون دليلا ضد الجميع فى المحاكمات. وكنت واحدا ممن سجل لهم إلى جانب على صبرى. وشعراوى أخذ معه فى طريقه إلى السجن أقرباءه وحوارييه... شعراوى احتفظ لنفسه بوزارة الداخلية بما فيها المباحث

العامة والتنظيم السياسى... اقتسما السلطة، وإن لم يعرفا كيفية استخدامها سواء للأغراض العامة أو الخاصة... زارنى كل الوزراء فى منزلى، عدا محمد فائق الذى عاد مرة أخرى كوزير للإرشاد، وليكون الضلع الثالث للمثلث بعد أن سحبت نفسى، وخاف الرجل من أن يفقد رضاءهم إذا جامل رئيسه وزميله... ففضل هذا الموقف الذى لا أرتضيه له.

كان محمود رياض فى زيارته لى فى منزلى مجاملا بحق، وذكر أنه فى اجتماعه مع الإخوة شعراوى وسامى كان شعورهم جميعا بأن شيئا ينقصهم، وبأنه شعر أنه لا يوجد بينهم من هو على مستوى مناقشته، وألح فى أن أعود لخبرتى فى الداخل والخارج، وسألنى هل أقبل أن أعود كوزير دولة للشئون الخارجية؟! وزارنى على صبرى، وتمنى لو أننى بقيت فى موقفى رغم كل شىء، وأبدى عدم رضائه عن الحكم... فالسادات يدير الأمور من منزله، والدكتور فوزى ضعيف، وأنه غير راض عن التشكيل الوزارى فهو تشكيل عائلى، وأن شعور الروس سيئ جدا... فهم لا يثقون بالدكتور فوزى، فهو غربى الاتجاه. وزارنى سيد مرعى بعد عودته من إيطاليا، وأبدى دهشته الكاملة لعدم اشتراكى فى منصب رئيسى فى الوزارة، وأن الإيطاليين اندهشوا أيضا فأخبرهم أنه «سيعين فوق»، وإذا به يفاجأ بالنتيجة. وفى زيارة حسن عباس زكى ذكر أنه سيبحث لنفسه عن عمل فى الخليج، وذكر أن ثروت عكاشة رجاه فى أن يساعده أيضا ليجد له عملا هناك.

ولاتفادى كثرة الزائرين ولعدم إثارة الحساسيات بدأت فى الاعتياد على حياة «الوزير السابق» فى ثلاثة مجالات: مجال مجلس الأمة، إذ كنت عضوا منتخبا فيه عن الدائرة الثالثة ومقرها مركز شرطة قويسنا منوفية فى ٨ يناير ١٩٦٩– مجال الكتابة التى أعشقها، وكنت سكرتيرا لتحرير مجلة الجيش ومجلة المشاة فى نفس الوقت أيام خدمتى فى القوات المسلحة، وحاصل على ماجستير الصحافة والنشر من معهد الصحافة بجامعة القاهرة ــ ثم مجال الزراعة فى قطعة أرض صغيرة أملكها فى قريتى بجيرم مركز قويسنا منوفية.

وفى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٧٠ أى بعد التعديل الوزارى بأربعة أيام وصلنى خطاب من شعراوى جمعه مع سائقه، وكان كل سطر فيه يدل على ما يعانيه من تعذيب ضميره...

أخذ يسرد فيه بعض أحداث الماضى متحدثا عن الصداقة التى ذبحها، واعترف الرجل بأنه كان على علم بإسناد وزارة الحكم المحلى لى وأنه كان على ثقة تامة من رفضى المنصب!!! واعترف أيضا بأنه كان على يقين من إقدامى على أمر خطير عند اعتكافى فى الأيام الأخيرة فلم أداوم على الذهاب إلى مكتبى!!! وبعد وصول خطابه مباشرة اتصل تليفونيا وردت عليه السيدة حرمى، فقال: «لم أكن أتصور أن العناد يصل بأمين إلى حد رفضه الوزارة...!!».. ورددت على خطابه بخطاب أوضحت له فيه معرفتى بنياته وبتخطيطه وبتنافسه معى على غير أساس، وتنبأت له بأنه «سيسحل»، وأن نهايته قريبة... فكما تخلص منى سيتم التخلص منه وأن غدا لناظره قريب... بمجرد تسلمه الخطاب اتصل تليفونيا عدة مرات وقال فى إحداها: «إن أمين لن يكمل معى المشوار!!!» وللأسف الشديد قاده مشواره إلى السجن وجرنا معه دون أن يحقق شيئا من أطماعه!!!

فى نفس الوقت وصلنى خطاب من «سامى» يؤكد فيه صداقته!!! ولا أذكر إن كنت رددت على «الصديق» أم تجاهلته، فمن عادتى ألا أتذكر إلا المهم من الأمور. دعانى وجيه أباظة على عشاء ضيق يحضره شعراوى وسامى لإصلاح ذات البين، فقبلت الدعوة نزولا على مشاعر وجيه، ولكنه لم يتابعها... قال لى ونحن فى مصيف «عجيبة» بعد سنوات إنه لم يتابع الدعوة لأن شعراوى قال له: «يا أخى عقبة وأزيحت عاوز ترجعها ليه...؟!!» رحم الله شعراوى ووجيه فهما الآن بين يدى الله.

وقررت السفر وعائلتى إلى الإسكندرية يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٧٠ لأتدبر أمورى. وقبل أن أغادر منزلى قطعت حرارة التليفون الـ B.X الذى كان وسيلة اتصالى مع الرئيس لسنوات. وبعد عودتى يوم ٣ ديسمبر ١٩٧٠ إلى القاهرة عادت الحرارة فجأة كما قطعت فجأة، واتصل أحمد كامل ليعتذر عن الإجراء غير المقصود... وقلت له: «يا أحمد أنت ليس فى استطاعتك قطع الحرارة عن تليفونى أو إعادتها له إلا بأوامر من سامى شرف. أرجو أن نتعامل مع بعضنا باحترام وكبرياء». ووضع هذا التليفون فى قائمة التليفونات المسجلة، وسئلت عن أحاديثى التى سجلوها بعد ذلك فى التحقيقات. وفى نفس الليلة زارنى سامى وشعراوى، وتنصلا من كل شىء وألصقا ذلك بالسادات، وأكدا ضرورة عودتى. وكان ردى: «وظيفة لا... مسئولية نعم... اختارنى عبد الناصر

لمسئوليات ومارستها بعيدا عن ممارسة الموظفين». كان الرد: «السادات قال لهما اتركوا أمر أمين لى».. ولم يكن لى قضية إذ قررت عدم الركوب فى مركب تغرق...

زارنى عبد السلام جلود ليبلغنى عدم رضاء الرئيس القذافى عن عدم اشتراكى فى الحكم. وزارنى الرائد زين العابدين عبد القادر عضو مجلس الثورة السودانى ومعه سفيرهم بالقاهرة محمد سليمان نيابة عن الرئيس جعفر النميرى، وأبديا دهشتهما مما حدث. وزارنى محمد النعمان نيابة عن الرئيس اليمنى السلال، وأبدى سخطه على تخلى الإخوة عن مواقعهم. ومن ضمن من قمت برد زيارتهم لى عبد المحسن أبو النور الذى عين أمينا للاتحاد الاشتراكى ووجدته ساخطا، وذكر أنه «طرطور» لا يدرى شيئا وبالرغم من ذلك فهو قابل الوضع!!! وكذلك على صبرى الذى انتقد الجميع، والذى صرح بأنه مغادر إلى موسكو لإقناع الروس هناك بأن يتولوا مسئولية الدفاع المضاد للطائرات عن الصعيد. وأخبرته أن الروس لن يتورطوا، وأنهم يفضلون الحل السلمى ولو ببعض التنازلات من جانبنا.

وذهب شعراوى جمعه ومعه بعض الأصدقاء ليحضِّروا الأرواح عند الدكتور عزت خيرى شقيق طلعت خيرى وزير الشباب، وهو أستاذ جامعى. وسأل شعراوى الروح: «ما شعور أمين بالنسبة لنا؟ هل هو الحب أو الحقد أو الكراهية؟» وردت الروح: «شعور بالمرارة الذى لا يرقى إلى الكراهية». وحينئذ استراح شعراوى... نشرت جلسات تحضير الأرواح فى «الأهرام»، وحينما عرضتها السيدة حرمى علىَّ لأقرأها لم أقبل لأننى لم أكن أتصور أن مسئولين يمكن أن يقدموا على ذلك!!

ودارت الأيام وتغيرت العلاقات والأنشطة بعد أن تركت وراء ظهرى الحكم وما يجرى فيه وبه... سيلمس القارئ أننى منذ الآن لن أحدد التواريخ الدقيقة لما كان يحدث، لأن السيدة حرمى أعدمت كل مذكراتى عن عام ١٩٧١ حينما قبض علىَّ ضمن مجموعة ١٥ مايو لإبعاد أى تورط فى أحداثه، بالرغم من أن هذا لم يحدث... تفرغت للكتابة وأنهيت كتابى «*كنت سفيرا فى العراق*»، وكتابى الآخر «*كيف يفكر زعماء الصهيونية*». وأبدى الدكتور سيد أبو النجا المشرف العام لدار المعارف للطباعة والنشر استعداده لنشر الكتاب الأول، ووقع عقدا معى بتاريخ ١٩٧١/٣/٣١ مع تعديل عنوانه ليكون « *فكر عبد الناصر وأحداث العراق* ». وتحدث الرجل كثيرا عن الكتاب فى

محاضراته التى كان يلقيها فى معهد الصحافة بجامعة القاهرة... فالكتاب سوف يصادر بالقطع بواسطة السلطات العراقية، وأن هذا الإجراء ـ تبعا لخبرته الواسعة ـ سوف يزيد من حجم التوزيع... وصلتنى الملازم الأولى من الكتاب لتصحيحها تمهيدا للطباعة بعد أن عدل عنوانه للمرة الثانية ليكون «*أسرار ومؤامرات فى العراق*»، إلا أن الأمر بالقبض علىَّ يوم ١٦/٥/١٩٧١ أوقف كل شىء... خاب توقع الدكتور أبو النجا فلم يصادر الكتاب فى تلك المرحلة من سلطات بغداد، ولكن تم ذلك بواسطة الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء فى الوزارة التى تشكلت فى ذلك الوقت...!!! لم قام الزميل بالمصادرة والحديث يجرى عن بغداد؟ القضية لا تتعلق بالكتاب ولا بما تحدث عنه الكتاب، ولكن المشكلة فى صاحب الكتاب!! اتصلت السيدة حرمى بالدكتور أبو النجا وعرضت استعدادها للاستمرار فى تصحيح الملازم فهى حاصلة على ليسانس الآداب بامتياز، ولم تكن تعلم بالمصادرة، وشاء أبو النجا ألا يصدمها بالحقيقة ولا بما يمكن للزميل أن يصنعه بالزميل!!! ولكن لم يشأ أبو النجا أن تنتهى القصة هكذا، فبعد خروجى من السجن اتصل تليفونيا ليهنئنى بالسلامة ثم طلب زيارتى فى المنزل «ليشرب فنجان القرفة»، وليرد لى أمانة!!! أمانة!!! أى أمانة أيها العزيز؟!!! وعلى فنجان القرفة رد الأمانة، وهى أصول كتابى الذى صادره عبد القادر حاتم، ثم قال: «كنا وقعنا عقدا عن نشر الكتاب المصادر ولكن حالت الظروف دون تنفيذه، ولك حق أن تقاضينى، ولكنى واثق أنك لن تفعل، ولذلك فإننى أعلم أنك انتهيت من كتاب آخر وأنا مستعد لتوقيع عقد نشره الآن». وفعلا تم توقيع عقد كتابى «*كيف يفكر زعماء الصهيونية*» مع دار المعارف... كان رجلا محترما يحافظ على قيمة توقيعه وعلى سمعة داره... أقارن ذلك بتصرف حدث أخيرا من إحدى دور النشر وصاحبها. فقد وقع عقدا لنشر كتابى «*فى ظل النظام العالمى المراوغ*»، وقدمت أصوله بترحيب بالغ منه ثم راجعت كل ملازمه، ووضع تصميم غلافه وأصبح فى المطبعة، وإذا بخطاب عبارة عن كشف حساب مؤرخ فى ١٩٩٩/١٢/٢٧ يصلنى، وفى السطر الأخير من كشف الحساب وبين قوسين مكتوب «تم إلغاء العقد» هكذا...!! دون إنذار، ودون اعتذار. ودون ألو!!! وياللمهانة...

بعد أسابيع قليلة من تركى الوزارة زارنى الوزير أحمد سلطان، وذكر أنه كان فى مقابلة مع الرئيس السادات ودار الحديث عن شخصى، فقال له السادات: «أمين أنظف

وأفضل واحد فى كل هؤلاء، وإن دوره لم ينته». كما قامت السيدة جيهان السادات بزيارة السيدة حرمى فى المنزل، وقالت لها: أنور زعلان من أمين لأنه رفض أن يتعاون معه...« لا بد أن يأخذ أمين وضعه، وعليه أن يطلب مقابلة أنور وأنا أمهد الطريق»، ولكننى رفضت... فقد طويت الصفحة، وكنت أتوقع ما حدث بعد ذلك بأسابيع.

فى يوم ١٩٧١/٥/١٣ كنت عائدا والسيدة حرمى فى ساعة متأخرة من الليل إلى منزلنا بمصر الجديدة بعد زيارة أصدقاء لنا فى حى الزمالك، وعند ضريح أحمد ماهر شاهدنا عربات شرطة ينزل منها الجنود ليتفرقوا بسرعة فى الشارع، وتكرر المنظر فى شارع الخليفة المأمون. ولما وصلنا إلى دارنا صاحت ابنتنا الصغيرة «مها» ـ الآن هى الدكتورة مها أستاذ مساعد فى كلية البنات جامعة عين شمس ـ وهى تطل من الشباك: «بابا.. أنكل شعراوى وبعض الوزراء استقالوا». ولم أدهش فما توقعته حدث متأخرا بعض الشىء، فالصراع كان موجودا... بدأ بإزاحتى فى نوفمبر ١٩٧٠ ثم بإقالة على صبرى فى ٢ مايو ١٩٧١، ولما ظن شعراوى أن الثمار حان قطافها ضرب السادات ضربته، ووجد الجميع أنفسهم وقد حددت إقامتهم فى أول الأمر وملقى بهم فى السجون بعد ذلك... اتصلت بفوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس السادات راجيا تحديد موعد لى مع الرئيس، فى محاولة منى لرأب الصدع فى الظروف الحساسة التى تمر بها البلاد. إلا أن فوزى لم يرد علىَّ بخير أو شر، ولم أكن أعلم أن دورى قد قرب، وأن السادات كان وراء محاكمة عهد وليس جماعة أو أفراد.

فى يوم ١٥ مايو ١٩٧١ سافرت صباحا إلى بلدتى بجيرم، وبرفقتى حسين سالم ـ رجل الأعمال الشهير الآن، والذى رأس شركة ميدور المصرية الإسرائيلية بعد ذلك، والذى نقلته للعمل معى فى المخابرات العامة من شركة مصر للتجارة الخارجية من قبل ـ لزراعة ٣٠٠ شجرة «جازورينا» كان قد أحضرها لى، فى حديقة برتقال كنت أملكها ـ سميت القطعة التى زرعت فيها الأشجار بعد الأحداث «بغابة ١٥ مايو»، وقد اضطررت لبيعها تحت ضغط الظروف المالية التى وجدت نفسى فيها بعد ذلك ـ وبعد زراعة الأشجار عدنا سويا إلى القاهرة حيث تأكدنا أن اعتقالات أخرى قد تمت...

بعد ظهر ذلك اليوم زارنى موسى صبرى رئيس تحرير «الأخبار» والمقرب من الرئيس السادات، وكان هناك بيننا كثير من الود والاحترام، وتحدث عن الاعتقالات

وأخذ يعرض علىَّ مناصب عديدة وفى ثقة غريبة... أمانة الاتحاد الاشتراكى، وزارة الداخلية، رئاسة المخابرات العامة!!!! كنت أستمع فى دهشة دون تعليق، وأذكر أننى قلت له وأنا فى طريقى لأرد على مكالمة تليفونية: «يا موسى أنت من لا يملك تعرض على من لا يستحق. يا أخى أنا قلبت الصفحة خلاص»... أذكر أن موسى صبرى كان من أوائل الزائرين لى فى الصباح المبكر ليوم ١٩٧١/١٢/١٠ وهو اليوم التالى للإفراج عنى، وتساءل: «لماذا لم تطلبنى كشاهد نفى بأنى عرضت وأنت رفضت؟» وقلت:« من ساعة القبض علىَّ قدرت أننى فريسة ألقى الصياد شباكه عليها، وأصبح من مسئوليتى أن أتخلص منها دون توريط أحد... من كان يريد أن يتقدم للشهادة فلا يحتاج إلى دعوة منى».. كان موسى يداوم على زيارتى لفترة بعد الإفراج، وكنا نناقش الأوضاع خاصة الاحتلال الإسرائيلى لسيناء... كان رأيه فى دايان أنه متطرف دموى، وأذكر أننى قلت له: «موشيه دايان هو الذى سيوقع معنا صلحا فى يوم من الأيام».. وكان موسى يردد ذلك دائما أمام السادات وغيره، إذ لعب دايان دورا إيجابيا لإنجاح كامب ديفيد أوضحه فى كتابه «*اختراق ـ Breakthrough*».

فى عصر يوم ١٩٧١/٥/١٦ زارنى فى منزلى أبو عمار ومعه بطارية من زملائه: أبو إياد، أبو جهاد، أبو اللطف وآخرين. وكنا نستعرض الموقف، إذ كنت من أوائل من قدم «فتح» إلى الرئيس عبد الناصر فى وجه مقاومة شديدة من المخابرات الحربية... وهو يهم بمغادرة المنزل قال: «أنا ذاهب لمقابلة الرئيس السادات فهل تريد منه شيئا؟ » قلت: «بلغه أن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة».

قال لى أحد الحاضرين بعد ذلك: «إن أبا عمار نقل الرسالة، فرد السادات: الله هوه أمين هويدى لسه بره؟» واعتقلت فى نفس الليلة. وبعد ذلك بأيام فتشوا منزلى، واستولوا على أغلب أوراقى التى ملأت بعض الأجولة، وكلها بها تاريخ مصر فى تلك الفترة. لم ترض السيدة حرمى بأن توضع أوراقى فى زكايب فأعطتهم خمس حقائب ملأوها بالأوراق... عاتبت أبا عمار فى إحدى زياراتى إلى بيروت بعد ذلك على عدم إنذارى لأهرِّب الأوراق... كانت غالية على نفسى، ولم يكن فى مقدورى عمل أى شىء إزاء هذه الخسارة إلا وضعها ضمن كشف أشياء غالية كثيرة خسرتها.

أذكر تلك الليلة جيدا، فتاريخ ١٦ مايو ١٩٧١ لا ينسى... كنت أمام التليفزيون فى وضع استرخاء، وسمعت رنين جرس الباب الخارجى... من يدق الجرس الساعة ١١

مساء؟ فتحت الباب فدخل شابان بالقميص والبنطلون وجلسا فى الصالون... قال أحدهما: نحن من المباحث والسيد ممدوح سالم وزير الداخلية يطلب سيادتك... طيب لماذا لم يطلبنى فى التليفون؟ فيه اعتقال؟ أبدا يا أفندم استغفر الله... إذا كان فيه اعتقال اسمحوا لى أن أجهز شنطة... أبدا يا أفندم دى زيارة عادية جدا... ارتديت ملابسى وبمجرد خروجى من باب المنزل عرفت أننى معتقل... كان بالشارع خمس عربات وبطارية من الجنود، هل أنا كارلوس أو أبو نضال؟ كان كلبى الوولف يبكى على الرصيف... وجلست فى المقعد الخلفى للسيارة وضابط يمينى وآخر يسارى، وفجأة اندفع الكلب وكله غضب واحتجاج على ما يجرى لصاحبه... قيل لى إنه ظل راقدا على بطنه دون حركة وتوفى بعد الإفراج عنى، ودفنته فى صحراء مصر الجديدة، ومن يومها لم أقتن كلبا آخر... محصل الكهرباء كان قد انقطع عن المرور لتحصيل الفاتورة... لما ذهبت إلى الشركة أسأل، أرونى دفتر التحصيل ووجدت أن المحصل يكتب فى الصفحة الخاصة بى: لا أجرؤ على دخول الفيلا لأن بها كلبا متوحشا... وعلقت على نفس الصفحة «الكلب المتوحش مات».

وتحرك الموكب مخترقا الشوارع الساكنة، ووصلنا إلى ترعة الإسماعيلية ثم إلى أنشاص، وسألت الضابط: هل تقصدون سجن أبو زعبل؟ نعم كانت الإجابة، فعرفت أنهما ضلا الطريق وتوليت قيادة الموكب بعد تغيير الاتجاه إلى سجن أبو زعبل، لأنى أعرف المنطقة إذ توليت بكتيبتى الرابعة المشاة الدفاع عن طريق الإسماعيلية أيام إلغاء المعاهدة، وكانت رئاستى فى إحدى فيلات أبو زعبل... **هل هناك فرق بين أن تتولى قيادة وحدة عسكرية للدفاع عن مصر، وبين أن تتولى قيادة رجال المباحث الذين ضلوا طريقهم إلى السجن الذى ستعيش فيه فترة قد تطول وقد تقصر؟ القائد قائد فى الحالتين!!!**

فتح الباب الرئيسى للسجن وكان مقفولا بمزاليج حديدية ضخمة لها أصوات منكرة، وقيدوا اسمى فى دفتر كبير يدل على كثرة المساجين بالداخل، ثم أمرونى بخلع ملابسى وأصبحت عاريا كما ولدتنى أمى ثم وزنونى: ٨٥ كجم «مشفى»، ثم دخلت فى ملابسى مرة أخرى وفتشونى... أخذوا محفظة نقودى وكان بها عشرة جنيهات، ونزعوا ساعتى فالوقت فى السجن لا قيمة له، وكذلك قلمى فلا مجال لاستخدامه، ثم دخلت إلى

مكان «الزنزانات» وكله حديد فى حديد... السلالم والترابزين والأسقف والأبواب والنوافذ. كانت الزنزانة رقم ٨ التى خصصت لى فى الدور الثالث، وكان الزملاء على الصفين كل فى زنزانته، وهلل البعض لرؤيتى، وصاح على صبرى: «الله وأمين هويدى ماله؟ ده بيحاكم عهد وليس جماعة». وقفلوا باب الزنزانة بالمفتاح والمزلاج والسلاسل، ووجدت فى الزنزانة التى فى مواجهتى محمد فوزى وفى يده مصحف مما أثار دهشتى!!! والى جواره سامى شرف وآخرون، وكان على يمينى زنزانة ضياء داوود... كانت وجوههم منتفخة وعليها بثور لدغ الناموس... زنزانتى واسعة أشبه بالعنبر الصغير فى نهايتها دورة مياه، وهناك سرير وترابيزة صغيرة وكرسى. وفى الحال هاجمتنى جيوش الناموس من الشبابيك والباب، لأنه لا يوجد عليها أسلاك، التى ركبوها بعد يومين، وطلبت منهم بعض الحاجات وكتبوها فى ورقة محفوظة عندى: ٢ بيجاما، ٤ غيار داخلى، فوطة وجه، شبشب، ٤ صابونة، خرطوشة سجاير، سجادة للصلاة، مصحف، مشط وفرشة شعر، معجون أسنان، علبة دواء للإسهال، ٢ قميص سبور، ٢ بنطلون، ٤ شراب، زجاجة كولونيا، معجون حلاقة، فرشة حلاقة، بعض الكتب... تسلمت الأشياء فى نفس الليلة عدا علبة دواء الإسهال وخرطوشة السجاير والكتب... الكتب ممنوعة، والسجاير تصرف واحدة واحدة حسب الطلب وعند اللزوم. صحوت على صوت مواء قطة كبيرة وسمينة كالنمر الصغير تتلصص فى الزنزانة، وفجأة سمعت صراخ شعراوى جمعه وهو مذعور... هاجمته بعض القطط فصاح: «فيه حاجة غلط... الصحيح هو أن يدخل وزير الداخلية السجون قبل أن يعين وزيرا، ولكن الذى حدث كان الخطأ بعينه إذ عين وزير الداخلية أولا ثم أدخلوه السجن». كان فى الدور الثانى الذى تحتنا مباشرة مساجين جماعة المشير الذين حكم عليهم أيامنا بالسجن فى قضية قلب نظام الحكم... الكل فى السجن، السابقون وتبعهم اللاحقون... والعدو قابع على الضفة الشرقية للقناة!!!

فى ورقة دونت السيدة حرمى بعض ما جرى لها، فكتبت «فى الساعة ١١ مساء يوم ٥/١٦ حضرت المباحث وطلبوا أمين لسؤاله، وفى الساعة ١٢ قطع النور عن المنزل. وفى يوم الاثنين ٥/١٧ اتصلت بمدام صادق أطلب مقابلة جيهان ولم ترد. قطعت الحرارة فى التليفون، وجاء رجال مصلحة التليفونات وخلعوها كلها وأخذوها، وحضر

عثمان السائق وأخبرنى أن رجال المخابرات قابلوه فى الطريق وأمروه بتسليم السيارة وسلمها. وفى يوم الثلاثاء ١٨ ذهبت إلى منزل الوزير أحمد سلطان، ولم يكن يعلم بالقبض على أمين، وتعجب لأنه بعيد عنهم ولأنه شريف ونظيف، وأخبرنى بأنه سيسأل ويتصل ولكنه لم يتصل. وفى يوم الخميس ٢٠ أرسلت ورقة إلى مدام حسين الشافعى أطلب مقابلتها هى وزوجها لأطمئن على أمين، وأخبروا السائق أنها مريضة... إلى الآن لم أخبر أحدا أن أمين قبضوا عليه».

فى سجن أبو زعبل كان مسموحا بإحضار الأكل من منازلنا، وكان هناك «كانتين» فى متناول اليد وكان الخبز رائعا. وكان مسموحا لكل فرد أن يخرج نصف ساعة ومعه الحرس اللازم، للسير فى الناحية الخلفية للسجن بين صفين من بيوت الكلاب الشرسة. وكانت المنوعات: الصحف والإذاعة والتليفزيون وأى وسيلة للاتصال بالخارج.. كان الزملاء يتبادلون النقاش والضحكات العالية إلى ساعة متأخرة من الليل، وفجأة استدعى الأخ ضياء داوود وخرج ولم يعد... يعنى بدأت التحقيقات... يعنى ما كان يأمل فيه الكثيرون من أن الأمر لا يتعدى تحديد إقامة، أصبح مجرد وهم... وإذا بالدور الثالث الذى كنا فيه يصبح صامتا كصمت القبور... ترمى فيه الإبرة ترن... سامى شرف يشير بإشارات من زنزانته معناها أن نقوم بكتابة استعطاف إلى السادات... أنا أرفض المشاركة... وظهر أنه كتب استعطافا منفردا ولكن السادات لم يقبل... قلت من قبل إن الناس معادن... كنت الثانى الذى دعى فى اليوم التالى... فى هذا اليوم لم أتناول غدائى لانعدام الشهية وخرجت فى الوقت المحدد لى للتمشية... كان ورائى أحد الجنود بحوالى ٥ أمتار، وكان أحد الضباط وراء الجندى بحوالى عشر خطوات، وقال الجندى بصوت هامس سمعته بصعوبة إننى مطلوب للتحقيق بعد الظهر... جهزت شنطتى استعدادا للمرحلة القادمة... خرجت من نفس الباب الذى دخلت منه منذ أيام، وأخذنا عربة وكان ضابط برتبة رائد هو الحرس... الضابط كان ساخطا على ما يجرى غير راض عن المصير الذى يواجهه رجالات مصر، وأصبح السجين والسجان ساخطين... وفى ميدان التحرير اشترى القائد عصيرا شربناه سويا، وهذه لفتة كريمة، وتركنى بعد ذلك فى حراسة آخرين فى مبنى مجلس قيادة الثورة حيث أعد للتحقيقات.

حقق معى أحد المستشارين واسمه الأستاذ راغب وكان موضوعيا يريد أن يعرف الحقيقة، ومن أول لحظة عرفت أنه لا يوجد تحت يده دليل واحد للإدانة. سألنى عن رأيى فى سامى شرف لأن جميع من سئلوا فى التحقيقات الابتدائية لم يذكروه بخير. ورددت عليه: أرجوك أن تسألنى فى الموضوعات التى سجنت من أجلها... سأل: إذا كان سامى على هذه الصورة لم اختاره عبد الناصر سكرتيرا له طوال هذه المدة؟ وقلت له: اسألوا عبد الناصر... وضحكنا كثيرا... سأل عن خرائط ضبطت عندى ـ كما سبق أن ذكرت ـ وبها عقد المواصلات وتقسيمات للقاهرة. وأجبته بأنها خريطة كانت مرفقة بخطة وضعتها للدفاع عن العاصمة قبل العدوان الثلاثى. وسألنى عن وجود كشف ضباط القوات المسلحة عندى. وأجبته بأن كل وزير دفاع لديه هذا الكشف، فهو أداة لإجراء الترقيات والتنقلات والتعيينات... اقتنع الرجل فى آخر الليل بألا علاقة لى بالقضية التى لم أكن قد عرفتها بعد... شاهد أو متهم ما شفش حاجة!!! قال سنتقابل الساعة العاشرة مرة أخرى لأن أذان الفجر كان يؤذن وقت انصرافى... لم أرجع إلى سجن أبو زعبل مرة أخرى، ولكن أخذونى إلى سجن القلعة... دخلت فى زنزانة بها سرير وكرسى وترابيزة، وألقيت نفسى على السرير ونمت من شدة التعب. عندما استيقظت وجدت أن بطانيتى عبارة عن قطعة من بطانية... كهنة!!! الضابط شاركنى احتجاجى على ذلك، وغاب دقائق وعاد ببطانية جديدة من المخزن وهو يخبئ فى قميصه زجاجة كوكاكولا... فتحتها وشربتها وأخفاها فى قميصه وخرج... ذهبت إلى التحقيق مرة أخرى فى مبنى مجلس قيادة الثورة، وكانت أسئلة المستشار «راغب» عن التنظيم الطليعى إذ كنت عضوا فى أمانته... كان الرجل على علم بأننى كنت ضد سرية التنظيم، وسألنى عن السبب... أجبت باللازم، ورجعت إلى زنزانتى بالقلعة مرة أخرى، ولم أسأل بعد ذلك إلى بداية المحاكمة.

وأنا فى سجن القلعة سلمونى خطابا دون تاريخ من مجلس الشعب.. «فبمناسبة صدور قرار رئيس الجمهورية بحل مجلس الشعب، نرجو التكرم بموافاتنا بما سبق صرفه لسيادتكم من الأصناف الآتية: بطاقة العضوية، اشتراك السكة الحديد، اشتراك الأوتوبيس، مفتاح صندوق البريد، الاستمارات العائلية التى لم تستعمل... والإمضاء: وكيل الوزارة أمين الشئون المالية والإدارية». وتذكرت أننى عضو فى مجلس الشعب...

وتذكرت أننى معتقل وما زلت أتمتع بالحصانة، وأنه حقق معى وأنا أتمتع بالحصانة... ونبهت إدارة السجن «بتمتعى»، وأظنهم رفعوا الحصانة بعد ذلك!!! بعد انتهاء التحقيقات أبلغنى ضابط السجن أنه سيفرج عنى فى اليوم التالى ضمن آخرين، لأنه ثبت ألا علاقة لى بالقضية، وأخبرونى أن بعض الكتب التى وصلت ــ كان قد صدر قرار بالسماح بالكتب ــ قد صودرت لأن فيها كتاب عن «ثورة الزنج»... الثورة حدثت فى العراق منذ مئات السنين!!! هذا ليس مهما، فالأهم «كلمة ثورة فى سجن القلعة!!»

وفجأة صدر قرار بإلغاء تحقيقات النيابة، لأنها لم تتفق مع المزاج السياسى السائد. وكلف الدكتور مصطفى أبو زيد بصفته مدعيا اشتراكيا بإعادة التحقيقات من جديد. وبعد تحقيق قصير وجه لى تهمة «الاشتراك فى الخيانة العظمى ومحاولة قلب نظام الحكم». وخرجت أنا «الخائن» من أمام المدعى الاشتراكى لأقابل «محمود العالم» الذى انتهى التحقيق معه، وسألته عما وجه له من اتهام فقال: «الأسطمبة»، يعنى الخيانة العظمى. وركبنا سويا سيارة إلى مكاننا فى سجن القلعة... بعد أيام أفرج عن «العالم» وقيل إن «سامى الدروبى» سفير سوريا فى القاهرة توسط له عند السادات فكان الفرج!!! ولم يقدم للمحاكمة... فى تلك الفترة وضعت تحت الحراسة بما فى ذلك معاش أخى المتوفى، وكان مستشارا فى إدارة قضايا الحكومة، وقدره ٣٥ جنيها كنا ننفق منها على خمسة أولاد قصر، وقد رفض السادات منحه معاشا استثنائيا. بهذه المناسبة حينما أفرج عنى بعد المحاكمة كانت الحراسة مفروضة على أموالى، وتوفى والدى رحمه الله فتقدم المحامى الأستاذ على منصور بطلب للدكتور مصطفى أبو زيد المدعى الاشتراكى بالإفراج عن ٢٠٠ جنيه للصرف منها على جنازة والدى... وافق الدكتور على ٥٠ جنيها فقط لا غير!!! جنازة والدى كانت كبيرة جدا، حضرها كل الوزراء وعلى رأسهم صدقى سليمان رئيس الوزراء. كما حضر ممدوح سالم وزير الداخلية وكنت بجانبه ونحن نسير بالجنازة، ومال علىَّ وقال: «نحن متأسفون على كل شىء»، لم أرد ولم أنشر شاكرا الرئيس على إرساله مندوبا وأظنه كان ممدوح سالم نفسه!!! شىء مؤسف. نقلنا بعد ذلك إلى السجن الحربى وما زال الحبس انفراديا، وبعد ذلك فتحت الأبواب واختلطنا مع بعضنا البعض... كنا نتناول طعام الإفطار فى رمضان جماعة ونصلى جماعة، ويخرج كل فرد نصف ساعة للسير فى الحديقة، كنت

أعطى فيها لأحد الجنود دروسا للتقوية... كان ينتظرنى كل يوم وأعطيه واجبا يحله وأصححه له، ثم أجمع «فلفل شطة» من أشجار الحديقة لأعطيه للدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الشعب، إذ كان مكلفا بعمل السلطة ليضعها محمد عروق مدير صوت العرب بعد ذلك فى جردل ويوزعها علينا.. لبيب كان قصيرا والكرسى الذى يجلس عليه لعمل السلطة عال... قال لى فى أحد الأيام وهو يقشر بصلة: «شوف يا أمين، السادات جعلنى أقشر بصل!!!»، وواصل عمل السلطة طوال وجودنا فى السجن الحربى.

كانت الصحف والمجلات قد سمح بتداولها إذ لم يبق على صدور الأحكام إلا وقت قصير، فقرأت فى إحدى المجلات الأسبوعية بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٧١ مقالا للشاعر صالح جودت بعنوان «وأصبح وراء القضبان»، قال فيه: «حكايات كثيرة يضيق بها صدرى عن ذلك العهد الذى ذهب إلى غير عود... واحد من الماثلين اليوم فى القفص الكبير كان منذ عدة أعوام وزيرا مشرفا على الإذاعة والتليفزيون وصوت القاهرة هو أمين هويدى... تجمعت عندى من الفنانين والفنانات شكاوى كثيرة تهبط إلى مستوى الفضائح، فرتبتها فى حملة ضارية على الفساد. واستدعانى الوزير ليستوفى منى بعض التفاصيل، وذهبت إليه بمنتهى حسن النية فإذا أنا محاصر على مائدة كبيرة بينى وبين عشرين أو ثلاثين من زبانيته، ومنهم نفر من الصحفيين الموالين له، فأحسست أن المطلوب ليس الإيضاح ولكن المحاكمة، ووجه لى فيها جميع التهم والتهديدات. وفى النهاية ــ بعد ساعتين أو ثلاث ــ صرخت غاضبا بأننى لن أكف عن حملتى، وأننى مستمر فيها حتى النهاية». ويستطرد: «فى الأسبوع التالى لم أجد مقالى ووجدت بدلا منه بروازا صغيرا يقول إن الحملة توقفت بأمر الوزير. وحتى النيابة الإدارية التى كانت قد تحركت مع الحملة توقفت هى الأخرى.. أتمثل الوجوه التى كانت حاضرة حول المائدة، فأجد بعضها فى القفص الكبير وبعضها الآخر مطرودا من منصبه بعد ثورة التطهير والتصحيح التى أعلنها الرئيس الشريف أنور السادات، وأرفع وجهى إلى السماء وأقول: سبحانك يارب... ياحق... ياعدل...» والحقيقة غير ذلك تماما... صالح جودت كتب مقالين أو ثلاثة عن بعض الملاحظات عن شركة «صوت القاهرة» التى كانت تتبع الوزارة بعنوان «من أجل القطاع العام لا ضد القطاع العام ــ هذا الدلع من يفرضه علينا؟»، ورد رئيس الشركة بمقال بعنوان «هذا التجنى- من الذى

يفرضه علينا؟» واستمر صالح جودت بعد ذلك فى كتابة بعض المقالات، فأحلت الموضوع إلى وكيل الوزارة المختص لبحثه، فانتهى إلى تأكيد صحة بعض ما ورد على لسان الصحفى المذكور، وعدم صحة البعض الآخر. ففكرت أن أتعامل مع القضية فى إطار سياستى التى أعلنتها، وهى «سياسة الباب المفتوح»، بعقد اجتماع على صورة جلسة مواجهة بين الصحافة والشركة حتى نقف على الحقيقة من أقصر طريق. فاتصلت برئيس المؤسسة الصحفية وهو الأستاذ أحمد بهاء الدين، وعرضت عليه الفكرة فرحب بها. وعقد الاجتماع وحضره بهاء ورجاء النقاش رئيس تحرير المجلة وصالح جودت، وكذلك رئيس مؤسسة الهندسة الإذاعية ورئيس الشركة ووكيلا الوزارة، ودار نقاش موضوعى حددت فيه الأخطاء لعلاجها. وبعد أسبوعين عقد اجتماع آخر لمراجعة تصحيح الأخطاء. وخرجت المجلة صاحبة النقد فى العدد التالى بمقال افتتاحى عنوانه «أمين هويدى ونموذج رائع للسلوك الاشتراكى»، وأنهى رئيس التحرير مقاله قائلا: «وبعد أن ناقش السيد أمين هويدى القضية بمنتهى المسئولية والوضوح ورحابة الصدر، تعلن المجلة من هذا العدد قفل المناقشة فى موضوع شركة أسطوانات صوت القاهرة». لماذا كتب صالح ما كتب؟ لماذا حاول الصيد فى الماء العكر؟ رحمه الله... أراد أن يشارك فى الحملة الدائرة سواء بالحق أو الباطل.

ونحن فى انتظار الأحكام استدعيت للتحقيق مرة أخرى فى مكتب المدعى الاشتراكى. وكان المحقق أحد المستشارين، وكان يجلس معه أحد ضباط الشرطة من مكتب المدعى الاشتراكى. وطلبت من المستشار أن يأمر بمغادرة الضابط. وفعل وامتثل الضابط للأمر... كان أحد نواب المنيا هو عبد الصمد محمد عبد الصمد قد قدم شكوى مجملها بعض التصرفات من وضعه تحت الحراسة... ظهر أنها شكوى كيدية، وأمر المستشار بحفظها، ولكنى سألته: «هو يقول إننى اضطهدته وكنت على خلاف شديد معه، فهل قال السبب؟» فتمنع المحقق قليلا وقال: «ماذا أقول؟ هو يقول إنه زملكاوى وأنت أهلاوى، أو العكس إذ لا أذكر تماما، وكنت وأنت وزير للإرشاد تأمر بإذاعة مباريات الأهلى ـ أو العكس ـ وتتجاهل إذاعة مباريات الفريق الآخر».. المأساة الكبرى أننى لم أكن أعرف النائب المحترم ولا سمعت باسمه من قبل، وكذلك فإننى لا أهلاوى ولا زملكاوى.

وجاء يوم صدور الأحكام فى القضية التى شغلت الرأى العام. وعقدت الجلسة فى مبنى الوزارة المركزية الذى هو القصر الجمهورى الآن، وكانت القاعة مكتظة بالحاضرين لأنها جلسة علنية كما قيل... كان كل الحاضرين من رجال الشرطة والمباحث... كان حكم المحكمة علىَّ «السجن سنة مع إيقاف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات.» تصفيق حاد من الحاضرين، ورفع الأيدى بعلامة النصر لدرجة أننى لم أسمع الحكم بنفسى.. أول مرة يصفق فيها رجال المباحث لحكم براءة، وفى قاعة المحكمة. وعدنا إلى السجن الحربى استعدادا لتنفيذ الأحكام، ومعنى ذلك أنه تقرر الإفراج عنى ضمن آخرين. وتفضل قائد السجن بدعوتى لأحادث السيدة حرمى فى التليفون لأبلغها ذلك... شكرته على أن أكون آخر المتكلمين إذا سمح لزملائى بمحادثة ذويهم... الشهامة الصعيدية جعلته يقبل... كانت السيدة حرمى تعلم بالحكم إذ اتصل بها الكثيرون حتى من قاعة المحكمة... ركبنا فى أوتوبيس فى اتجاه ميدان لاظوغلى حيث وزارة الداخلية لتنفيذ الإجراءات النهائية للإفراج... اصطف الكثيرون لتحية الموكب الغريب... عملوا لنا «فيش وتشبيه» بأخذ البصمات، فقد أصبحت من أصحاب السوابق. وقد دعانى أحد الضباط لأغسل يدى من «حبر» البصمة قائلا: «اتفضل اغسل وساختنا يا باشا».. كانت الألقاب قد عادت فى لغة التداول... وكانت عائلتى فى الانتظار. وحينما وصلنا إلى المنزل كان كل السكان فى العمارات المجاورة فى الشرفات يحيون الجار الذى عاد... وكان الكلب المتوحش راقدا، وأظن أننى لمحت فى عينه دموع الفرح وهو يهز ذيله فى انبساط... ودعنى الكلب بغضب واستقبلنى مرة أخرى بارتياح... وبعد قليل مات.

صف مرتفع من الصحف والمجلات التى صدرت أثناء السجن احتفظت بها السيدة حرمى لأطلع عليها، وهى أمامى لا أقربها والسيدة تسألنى: هل قرأت؟ وكان ردى دائما «ليس بعد»... وبعد أيام حملت الأثقال ووضعتها فى «الصندرة» دون قراءتها أو تصفحها... لقد قررت طى صفحات الماضى بحسناته وسيئاته لأتطلع إلى المستقبل، فالعيش فى التاريخ مهم ولكن العيش فى عواصف الحاضر والمستقبل والواقع هو الحياة. ماذا أفعل؟ فالقدرة موجودة والإمكانيات متاحة ولا بد أن أنتج.

عرض رجل سويسرى كان يقطن فى جزء من منزلى أعددته ليؤجر مفروشا أن أكون مندوبا لشركة «باساب» لماكينات التريكو، ورفضت شاكرا بعد أن أيقنت أننى لا أصلح

لهذا العمل. واشتركت فى تكوين شركة «إكسيمكو» مع آخرين للقيام بجميع الأعمال التجارية، وتم تسجيلها فعلا، ولكننى انسحبت منها قبل أن تبدأ عملها الفعلى لأنى غير مؤهل لمثل هذه الأمور. وحاولت فى مجالات أخرى محاولات فاشلة لأنها تعارضت وطباعى.

ولكننى كنت أسبق الأحداث، فما زالت توابع القضية الكبرى تلاحقنى... المراقبة الشديدة الثابتة والمتحركة تلاحقنى... عربة من إحدى جهات الأمن كانت مرابطة تغير لون «الدوكو» كل يوم... مرة سوداء وأخرى صفراء أو حمراء، ولكن المشرف على العملية لم يغير رقم العربة... اللون يتغير ورقم العربة ثابت... نهرت جماعة المراقبة لسوء تدريبها، وأرسلت لرئاسة الطاقم ورقة بذلك... انقطعت العربة واستبدلت بموتوسيكل... وكانت قضية الحراسة على أموالى مستمرة، توالى محكمة الحراسة وتأمين سلامة الشعب النظر فيها، وأخيرا أصدرت حكمها فى ١٩٧٢/٥/١١ «برفض فرض الحراسة على أموالى، وإنهاء كافة الإجراءات التى سبق اتخاذها بالقرارين رقم ١، ٣ لسنة ١٩٧١ الصادرين من السيد الوزير المدعى العام الاشتراكى بمنعه من التصرف فى أمواله المنقولة والعقارية وإدارتها، واعتبار تلك القرارات كأن لم تكن، وتسليمه ما يكون له من أموال، وإنهاء كافة الآثار المترتبة على قرار المنع»... قلة أموالى وممتلكاتى جعلت المحامى الأستاذ على منصور يقول للمحكمة فى مرافعته: «لا أظن أن الحكم الحالى ضعيف لدرجة أنه يخشى أن يقوم فرد لا يمتلك إلا هذه القروش القليلة بانقلاب ضده»، إذ كان هذا هو الغرض من طلب فرض الحراسة.

وتركت هذه التوابع تأخذ طريقها وبدأت حياتى الجديدة...

فرجعت إلى أرضى أزرعها وإلى قلمى وأوراقى وكتبى... صدر لى أكثر من عشرين كتابا: «*كيف يفكر زعماء الصهيونية*»، «*كنت سفيرا فى العراق*»، «*الأمن القومى العربى فى مواجهة الأمن القومى الإسرائيلى*»، «*الصراع العربى الإسرائيلى بين الرادع التقليدى والرادع النووى*»، «*الأمن القومى العربى المستباح*»، «حروب عبد الناصر»، «مع عبد الناصر»، «*سن تزو*»، «*أحاديث فى الاستراتيجى*»، «*العسكرة والأمن وتأثيرهما على الديمقراطية والتنمية فى الشرق الأوسط*»، «*الفرص الضائعة*»، «*صناعة الأسلحة فى إسرائيل*»، «*زلزال عاصفة الصحراء وتوابعه*»، «*البيروسترويكا وحرب الخليج

الأولى*»، «*كيسنجر وإدارة الصراع الدولى*»، «*فى السياسة والأمن*»، «*لمن تدق الأجراس*»، «*نحن وأمريكا وإسرائيل*»، «*أحاديث فى الأمن العربى*»، «*الحرب والسلام فى الفكر الاستراتيجى الإسرائيلى*»... وغيرها... أكتب بصفة منتظمة فى «الأهالى»، وأعمل كاتبا فى «الأهرام»... لى مئات من المقالات فى الصحافة المصرية والعربية.

كنت فى المعاش من عام ١٩٧٠ وعمرى ٤٩ عاما أمضيت أغلبها فى الكفاح، ولكنى لم أقبل الأمر الواقع وقلت لعائلتى- السيدة حرمى وأولادى وأحفادى – «لا أحد يوقع لأمين هويدى قرارا بإحالته إلى المعاش، فأنا الذى سوف يوقع القرار... وما زال الوقت مبكرا حتى أفعل ذلك...»



الملحق الوثائقى

قرارات رئيس الجمهورية بمنح معاشات استثنائية للضباط الأحرار

بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية مصر العربية
رئاسة الجمهورية

الجريدة الرسمية

السنة الخامسة عشرة
العدد ٤٦ "مكرر"
١٥ شوال ١٣٩٢
٢٠ نوفمبر ١٩٧٢

محتويات العدد

قرارات رئيس جمهورية مصر العربية

الضباط الأحرار

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٣٨٦ لسنة ١٩٧٢

بمنح معاشات استثنائية للضباط الأحرار

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ؛

وعلى القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٠ الخاص بالمعاشات العسكرية وتعديلاته ؛

وعلى القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٧ فى شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض لضباط القوات المسلحة ؛

وعلى القانون رقم ٢٣٢ لسنة ١٩٥٩ فى شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض لضباط القوات المسلحة وتعديلاته ؛

وعلى القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٣ بإصدار قانون التأمين والمعاشات لموظفى الدولة ومستخدميها وعمالها المدنيين وتعديلاته ؛

وعلى القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٦٤ بشأن منح معاشات ومكافآت استثنائية ؛

وعلى القانون رقم ١١٦ لسنة ١٩٦٤ فى شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض للقوات المسلحة والقوانين المعدلة له ؛

وعلى القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧١ فى شأن تعديل بعض أحكام قوانين المعاشات المدنية ؛

قـــرر :

مادة ١ — يمنح الضباط الأحرار المذكورة أسماؤهم بالكشف المرافق معاشا شهريا يعادل معاش الوزراء وفى حالة استحقاق أحدهم معاشا عن خدمته يزيد على ذلك فيمنح المعاش الأكبر .

مادة ٢ — ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية ، ويعمل به من تاريخ مرور عشرين سنة على ثورة ٢٣ يوليو ، أى ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٢ .

صدر برياسة الجمهورية فى ٢٦ رمضان سنة ١٣٩٢ (٢ نوفمبر سنة ١٩٧٢)

أنور السادات

كشف بأسماء السادة الضباط الأحرار

مجموعة رقم (١)

(١) رائد / محمود جلال الدين حماد .
(٢) « صلاح محمد نصر .
(٣) « محمد صلاح إبراهيم سعده .
(٤) نقيب / عمر محمود على .
(٥) « محمد جمال أحمد العامى .
(٦) م أول / محمد نهاد محمد منير (توفى) .
(٧) « سعيد عبد العزيز ... .
(٨) « محمد السيد عفيفى .
(٩) م ثانى / محمد على كامل .
(١٠) « أحمد فؤاد عبد الحى .
(١١) « مصطفى عبد الباقى أبو القاسم .
(١٢) نقيب / محمود أحمد ... (توفى) .
(١٣) « شمس الدين على بدران .
(١٤) مقدم / أحمد حمدى أحمد ... .
(١٥) « أحمد أنور .
(١٦) رائد / حسن أحمد دسوقى .
(١٧) « على محمد الصغير .
(١٨) نقيب / حسين السيد عبد القادر .
(١٩) « محمود عبد اللطيف الجبار .
(٢٠) « محمد عبد الوهاب عفيفى .
(٢١) « محمد عبد الرحمن نصير .
(٢٢) « زغلول عبد الرحمن .
(٢٣) « عبد المجيد شديد محمد رضوان .
(٢٤) م.أول / محمود عباس عبد الهادى .
(٢٥) « حسن ابراهيم شكرى .
(٢٦) « اسماعيل طه السيد .
(٢٧) « عبد الخالق صبحى عبد الرحمن الحفنى .
(٢٨) « محمود حسنى عبد القادر .
(٢٩) نقيب / فتح الله رفعت محمد محمد أحمد فتح الله .
(٣٠) « محمد أبو الفضل .
(٣١) « محسن عبد الخالق السيد .

(٣٢) نقيب / مصطفى كامل مراد .
(٣٣) « حسن عبد الغفار زكى .
(٣٤) « محمد صلاح الدين عبده .
(٣٥) رائد / محمود ربيع عبد الغنى حسن .
(٣٦) نقيب / حسين جمال نظيم .
(٣٧) « محمد حمدى محمود .
(٣٨) م.أول / محمد كامل رشدان (توفى) .
(٣٩) « جميل هلال عمر هلال .
(٤٠) « بدر حميد بدر .
(٤١) نقيب / على فوزى يونس .
(٤٢) « محمد مبارك كامل رفاعى .
(٤٣) « أحمد كامل .
(٤٤) « مصطفى فهمى عبد المحسن .
(٤٥) مقدم / مصطفى راغب محمد السيد أحمد .
(٤٦) نقيب / مصطفى كمال لطفى .
(٤٧) « على فهمى شريف .
(٤٨) « أحمد شهيب .
(٤٩) « عبد الستار أمين عز الدين .
(٥٠) م.أول / أحمد محمود شوقى الميتى .
(٥١) « منير أحمد محمد شاش .
(٥٢) نقيب / عيسى عبد اللطيف يوسف سراج الدين .
(٥٣) « محمد عزت عبد الغنى (توفى) .
(٥٤) « خالد فوزى .
(٥٥) رائد / ثروت فهمى عكاشة .
(٥٦) « عثمان فوزى .
(٥٧) م.أول / محمد عثمان محمد الكتبى .
(٥٨) « محمد فاروق توفيق .
(٥٩) « أمال فتح الله المرصفى .
(٦٠) نقيب / أحمد سامى ترك .
(٦١) « عبد الله فهمى حسن .
(٦٢) م.أول / توفيق عبده اسماعيل .
(٦٣) « أحمد ابراهيم أحمد حمودة .
(٦٤) « حسن رفعت السيد الدمنهورى .
(٦٥) « محمد ابراهيم عطية .
(٦٦) م.أول / محمد بهاء الدين الحبنى .
(٦٧) نقيب / عبد الفتاح على أحمد .
(٦٨) م.أول / محمد صبرى مأمون القاضى .
(٦٩) « ابراهيم عبد الغفور العرابى .
(٧٠) « أحمد على حسن المصرى .
(٧١) « محمود عبد اللطيف حجازى .
(٧٢) « ممدوح شوقى أحمد شوقى .
(٧٣) « فاروق على عزت الأنصارى .
(٧٤) نقيب / وجيه رشدى .
(٧٥) نقيب / مهندس أحمد جمال الدين علام .
(٧٦) مقدم طيار / عمر الجمال .
(٧٧) مقدم / محمد شوكت (توفى) .
(٧٨) « طيار / محمد وجيه محمد توفيق السيد أباظة .
(٧٩) رائد طيار / محمد صادق القرموطى .
(٨٠) رائد / عبد الحليم عبد العال يوسف .
(٨١) « محمد حمدى عاشور .
(٨٢) « محمد أحمد البنايجى .
(٨٣) « سعد حسن توفيق (توفى) .
(٨٤) « حسين محمد أحمد حمودة .
(٨٥) نقيب / كمال الدين محمد الحناوى .
(٨٦) « اسماعيل فريد (٣) .
(٨٧) « كمال الدين محمود رفعت .
(٨٨) « حسن محمد التهامى .
(٨٩) « عباس عبد الوهاب أمين رضوان .
(٩٠) رائد / ابراهيم توفيق الطناوى .
(٩١) « محمد مجدى حسنين شرف الدين .
(٩٢) مقدم / عبد الفتاح على حسن فؤاد .
(٩٣) نقيب / وحيد الدين جودة رمضان .
(٩٤) رائد / صلاح الدين محمود بدر .
(٩٥) « أمين حامد على هويدى .
(٩٦) « محمد توفيق عبد الفتاح محمود الميقاتى .
(٩٧) « أحمد عبد الله طعيمة .
(٩٨) نقيب / أحمد كمال أبو الفتوح رزق .
(٩٩) « على شفيق صفوت .

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٣٨٧ لسنة ١٩٧٢

بمنح معاشات استثنائية للضباط الأحرار

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ؛

وعلى القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٧ في شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض لضباط القوات المسلحة ؛

وعلى القانون رقم ٢٣٢ لسنة ١٩٥٩ في شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض لضباط القوات المسلحة وتعديلاته ؛

وعلى القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٣ بإصدار قانون التأمين والمعاشات لموظفي الدولة ومستخدميها وعمالها المدنيين وتعديلاته ؛

وعلى القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٦٤ بشأن منح معاشات ومكافآت استثنائية ؛

وعلى القانون رقم ١١٦ لسنة ١٩٦٤ في شأن المعاشات والمكافآت والتأمين والتعويض للقوات المسلحة والقوانين المعدلة له ؛

وعلى القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧١ في شأن تعديل بعض أحكام قوانين المعاشات المدنية ؛

قـرر :

مادة ١ ـ يمنح الضباط الأحرار المذكورة أسماؤهم بالكشف المرافق، معاشا شهريا قدره مائة جنيه ، وفي حالة استحقاق أحدهم معاشا عن خدمته يزيد على ذلك فيمنح المعاش الأكبر .

مادة ٢ ـ ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ، ويعمل به من تاريخ مرور عشرين سنة على ثورة ٢٣ يوليو ؛ أي ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٢ .

صدر برياسة الجمهورية في ٢٦ رمضان سنة ١٣٩٢ (٢ نوفمبر سنة ١٩٧٢)

أنور السادات

كشف بأسماء السادة الضباط الأحرار

مجموعة رقم (٢) ، (٣)

(١) رائد / عبد القادر محمود عبد الله مهنا (توفى) .
(٢) « حسن محمد أحمد عبد النبي .
(٣) م.أول / يوسف صلاح الدين محمد .
(٤) « فؤاد حسن حسين المهداوى .
(٥) نقيب / محمد أمين محمد فريد .
(٦) م.أول / محمد همام السيد غنيمة .
(٧) « السعيد أحمد محمد شتا (توفى) .
(٨) « كمال شكرى الجندى .
(٩) « حسن بغدادى (توفى) .
(١٠) « محمد مختار ابراهيم رضوان عمر .
(١١) « سمير محمد غانم .
(١٢) عقيد / أحمد شوقى .
(١٣) م.أول / واصف لطفى حنين .
(١٤) « نبيل سعيد مصطفى حسن .
(١٥) م.ثانى / عباس محمد عباس .
(١٦) « صلاح الدين محمد جاد .
(١٧) « محمد على [illegible] .
(١٨) « أحمد محمود حسين عرفة .
(١٩) « عمر أبو جليل يونس (توفى) .
(٢٠) نقيب / سيد ماجد على .
(٢١) « فؤاد حسن صالح .
(٢٢) م.أول / جمال الدين فؤاد السيد الليثى .
(٢٣) م.ثانى / على اسماعيل الإمبابى .
(٢٤) رائد / صلاح الدين أحمد كامل عامر .
(٢٥) نقيب / سعد السيد محمود محانة .
(٢٦) « / حسن ضياء الدين سايان .
(٢٧) م.أول / محمود حلمى .
(٢٨) « حامد السيد حامد .
(٢٩) « حسن محمود صالح .
(٣٠) « يوسف زين العابدين طنبقة .
(٣١) م.ثانى / محمد محمد الشكاوى .

(٣٢) م . أول / فاروق محمد عجاج .
(٣٣) م . أول / عبد السلام عثمان أبو المجد .
(٣٤) م . أول / محمد عصمت رضا .
(٣٥) م . أول / صلاح الدين عباس محمد جوده .
(٣٦) م . أول / محمد شاور السيد داود .
(٣٧) م . ثانى / محيى الدين خليل رجب .
(٣٨) م . ثانى / فاروق عبد القادر سيد .
(٣٩) م . أول / عبد الرحمن حبيب محمد حبيب (توفى) .
(٤٠) رائد / محمد صلاح الدين محمد عيدروس .
(٤١) م . أول / على محمد على [illegible] .
(٤٢) م أول / محمد أحمد على المغربى .
(٤٣) م . ثانى / عبد المنعم فؤاد عانوس .
(٤٤) م . ثانى / فؤاد محمود عمر .
(٤٥) نقيب / أحمد رؤوف أسعد .
(٤٦) رائد / سعد حسن حمزة .
(٤٧) م . ثانى / أحمد ممدوح اسماعيل .
(٤٨) م . ثانى / فكرى محمد محمد بطاح .
(٤٩) م . ثانى / أحمد حلمى بدوى حسين .
(٥٠) م . ثانى / وفيق أبو الفتوح دراز .
(٥١) م . ثانى / كمال أحمد صالح فريد .
(٥٢) رائد / محمود محمد التهامى .
(٥٣) « حسن ابراهيم حسنين .
(٥٤) نقيب / مصطفى حسن حمزة .
(٥٥) رائد / معروف أحمد الحضرى .
(٥٦) « سيد عبد الحميد مرسى
(٥٧) « سيد حمزة حسين السيوف (توفى) .
(٥٨) « كمال الدين صادق الموجى .
(٥٩) « محمد ابراهيم على أحمد .
(٦٠) نقيب / محمد كامل محمد نور .
(٦١) « عبد الرحمن حسنى .
(٦٢) م . أول / محمد عبده الدناوى .
(٦٣) م أول / ابراهيم اسماعيل ابراهيم .
(٦٤) رائد / محمد الحسينى عبد الوهاب (توفى) .
(٦٥) نقيب / محمد كامل حسين .
(٦٦) نقيب / محمد محمد أبو نار .
(٦٧) « جمال الدين السيد ابراهيم .
(٦٨) « فتحى محمد حمدى .
(٦٩) « حسن عبد العال مصطفى نايل .
(٧٠) « محمد حسين فهمى شوكت .
(٧١) رائد / محمد فتحى عبد الرحمن محمد خضير .
(٧٢) نقيب / صلاح الدين عبد اللطيف زعزوع .
(٧٣) م . أول / محمود عبد الله اسماعيل عيد .
(٧٤) م . أول / محمود ابراهيم عبد السلام .
(٧٥) م . أول / عبد القادر عبد الوهاب عبد المنعم .
(٧٦) رائد / أحمد عصمت محمود ابراهيم .
(٧٧) نقيب / محمد حسن رأفت .
(٧٨) م . أول / محمد يسرى محمد محمد الشامى .
(٧٩) م . أول / محمد عبد الحميد منير رمضان المحتسب
(٨٠) م . أول / الحسينى حسن منصور .
(٨١) م . ثانى / ممدوح يوسف مرسى شلبى .
(٨٢) نقيب / محمود عبد الحميد محمد الشت (توفى) .
(٨٣) « أحمد متبولى عبد العزيز حسين .
(٨٤) « محمد محمود محمد السما .
(٨٥) « [illegible] محمد عبد الله .
(٨٦) م . أول / أحمد صلاح الدين عبد الحليم سعد .
(٨٧) رائد / محمد حلمى عيس السودة .
(٨٨) م . أول / منير محمد المهدى .
(٨٩) رائد / أحمد كامل محمد حنفى .
(٩٠) نقيب / منير محمد سامى طاهر .
(٩١) م . أول / عزت السيد الألفى .
(٩٢) م . أول / سعيد حلاوى عبد الوهاب خلاف .
(٩٣) م . أول / السيد أحمد متولى سلامة .
(٩٤) م . أول / محمد سامى عامر (توفى) .
(٩٥) م . ثانى / حسام الدين عبد العزيز [illegible] .
(٩٦) م . ثانى / محمد ممدوح حلمى .
(٩٧) نقيب / محمد على بشير .
(٩٨) « محيى الدين محمود فهمى بدو (توفى) .
(٩٩) « عبد العزيز حمدى [illegible] .

• الوثيقة رقم ١ •

(١٠٠) نقيب / عبد الرحمن محمد فريد .
(١٠١) « عمر طاهر الموجى .
(١٠٢) م.أول/ مختار محمد عمر (توفى) .
(١٠٣) م . أول / سميح الشامى حسن سعد .
(١٠٤) م . أول / مصطفى اسماعيل على
(١٠٥) م . أول / أحمد ابراهيم سليم .
(١٠٦) م . أول / عدلى كامل محمد حنفى .
(١٠٧) رائد / عماد الدين رشدى .
(١٠٨) نقيب / أحمد عزت حسن على زايد .
(١٠٩) « محمد عز الدين ابراهيم محمد ربيع .
(١١٠) « محمد مصطفى عوف العشرى .
(١١١) م.أول/ محمد عبد الحليم أبو غزالة .
(١١٢) م . أول / أحمد عباس عمر البحيرى .
(١١٣) نقيب / محمد وفاء الدين محمود جلال .
(١١٤) « عبد العزيز عبد الله فكرى سليم (توفى) .
(١١٥) م.أول/أحمد محمود أحمد القنوانى .
(١١٦) رائد / محمود أحمد على أبو زيد المنياوى .
(١١٧) نقيب / عبد المنعم خليل عطية .
(١١٨) « عمر محمد بدر الدين .
(١١٩) م.أول/ محمد سعيد محمد الشعراوى .
(١٢٠) م . أول / محمود المرسى السيد حسين (توفى) .
(١٢١) م . أول / شرف اسماعيل شرف ترك .
(١٢٢) نقيب / محمد عثمان محمد .
(١٢٣) « أنور صادق عبد الحميد المشاب (توفى) .
(١٢٤) م . أول/ محمد على يوسف.
(١٢٥) م . أول / عبد المنعم مصطفى عبد ربه .
(١٢٦) م . أول/ بهجت محمد عبد العزيز.
(١٢٧) م . أول/ عبد الحميد حسين زيدان.
(١٢٨) نقيب / أحمد لطفى حسن السيد واكد .
(١٢٩) مقدم / عبد الرؤوف حسن نافع .
(١٣٠) رائد / ابراهيم محمود ابراهيم محمد .
(١٣١) نقيب / ابراهيم بغدادى .
(١٣٢) نقيب بحرى / عبد المعطى أحمد اسماعيل العربى .
(١٣٣) نقيب بحرى / محمود عبد الرحمن فهمى .
(١٣٤) م.أول/ محمد فوزى عبد الرحمن فهمى .
(١٣٥) مقدم / أحمد عاطف نصار .
(١٣٦) م.أول/ أحمد إبراهيم السعدنى .
(١٣٧) مقدم / صلاح الدين السيد قنصوه الشافعى
(١٣٨) رائد / محمود محمود الغراب .
(١٣٩) « عبد الحليم سليمان الأعصر .
(١٤٠) « محمد على محمد الوردانى .
(١٤١) نقيب / أحمد حسن نافع .
(١٤٢) « محمد حبيب حمزة .
(١٤٣) م.أول/ محمد حسن محمد مبروك .
(١٤٤) نقيب / عبدالله رضا أباظة .
(١٤٥) رائد / مصطفى محمد فهمى العيسوى .
(١٤٦) نقيب / محمد سعد الدين عبدالحفيظ .
(١٤٧) « جمال الدين محمد منصور .
(١٤٨) « مصطفى عبدالمجيد نصير .
(١٤٩) « عبدالحميد عبدالسلام طه كفافى .
(١٥٠) رائد / أحمد مختار محمد على الدسوقى .
(١٥١) نقيب / محمود فؤاد المناسترلى .
(١٥٢) م.أول/ أحمد قدرى محمد حلمى .
(١٥٣) م.ثانى / رشاد عراد حسين .
(١٥٤) م . ثانى / صلاح الدين فهمى السحرتى .
(١٥٥) نقيب / محمد أحمد رياض .
(١٥٦) « محمد قرنى حسن البدرى .
(١٥٧) « فوزى عبدالعظيم .
(١٥٨) « سلامة حسن مصطفى .
(١٥٩) « محمد زغلول كامل .
(١٦٠) « يوسف عفيفى .
(١٦١) م.أول/ محمود محمد محمود عطية .
(١٦٢) نقيب / حسنين كامل الأعصر .
(١٦٣) رائد / محمد بدوى محمد الخولى .
(١٦٤) « حسنين حسنى عبد المجيد .
(١٦٥) نقيب / أمين مصطفى شاكر .
(١٦٦) « محمد فايز يكن .
(١٦٧) « صلاح الدين هدايت .
(١٦٨) رائد / موفق محمد الحموى " توفى " .

محضر اجتماع السيد /ألكسى كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى والسيد / شمس بدران وزير الحربية (١٩٦٧/٥/٢٦)

عقد الاجتماع اليوم في الساعة التاسعة والنصف في مكتب رئيس الوزراء السوفييتي وحضره من الجانب السوفييتي أندريه جروميكو وجريتشكو وسيمونيف.

كوسيغين: كلفت من الرفاق بريجنيف وبودجورني وغيرهم أن أرحب بكم في زيارتكم هذه لموسكو خاصة وأننا أرسلنا إلى سفيرنا في القاهرة ليتدم دعوة للوفد العسكري لزيارتنا إذا وافق السيد الرئيس، وكنا نود أن نسمع رأيكم حول الموقف في المنطقة.

شمس: لقد فكر الرئيس قبل وصول الدعوة في ارسالي إلى هنا لأبلغ شكري وتقديري لموقف الاتحاد السوفييتي حكومة وشعباً، ويود أن أبلغكم أننا في غاية القوة وقادرين على هذا الموقف تماماً، ويبلغكم أيضاً أن لا تخشوا علينا شيئاً. وطلب أن أشرح لكم الموقف السياسي والعسكري وإحاطتكم بمباحثات يوثانت وقد أخطرت بها أمس مساء السيد/ وزير الخارجية السوفييتية.

بالنسبة للموقف العسكري:

وصلتنا أول معلومات في يوم ١٣ مايو من سفارتنا في موسكو وكذلك في نفس اليوم من رئيس أركان حرب الجيش السوري عن الحشود الإسرائيلية في الجبهة السورية. اتخذنا قراراً سريعاً بتحريك جزء كبير من قواتنا إلى سيناء وتم حشد هذه القوات ومركزتها في ٤٨ ساعة من صدور الأوامر.

الروح المعنوية عالية جداً وهي أكثر مما كانت عليه سنة ١٩٥٦ والشعب أيضاً ارتفعت روحه المعنوية بشكل كبير. القوات المسلحة لا تنسى عدوان ١٩٥٦، وكان في ذهن القوات المسلحة العدوان الإسرائيلي سنة ١٩٥٦ وكيف أمكن لإسرائيل احتلال سيناء وهي خالية من الجنود، وحينئذ تذكروا قول بن غوريون أن سيناء أصبحت ملكنا وتخص إسرائيل.

وفي نفس اليوم ٥/١٤ أرسل الفريق أول/ محمد فوزي إلى سوريا بقرار مكتوب

يتضمن تحريك قواتنا والبدء في الهجوم على إسرائيل إذا اعتدت على سوريا، وقابل رئيس أركان حرب الجيش السوري في نفس اليوم ونسق معه خطة العمليات تنفيذاً لاتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا، وعاد في نفس اليوم.

أصبح الموقف بعد تحريك كل هذه القوات الكبيرة، وهجوم الإذاعات المعادية من دول رجعية ودول عميلة من أن القوات المصرية لن تفعل شيئاً من أجل سوريا كما لم تفعل شيئاً عندما حدث العدوان السابق على سوريا، وأن العملية مسرحية ولن تؤدي إلى شيء، أصبحنا لذلك ملزمين بعد أن تحركنا إلى سيناء وأصبحنا وجهاً لوجه أمام إسرائيل، ووجود قوات الطوارىء الدولية على الحدود. . . أصبحنا ملزمين بطلب سحب هذه القوات حتى نكون جاهزين للتدخل الكامل في المعركة إذا وقع هجوم على سوريا.

كوسيغين: ما هي المسافة بين قواتكم والقوات الإسرائيلية؟

شمس: تصل في بعض المناطق إلى ٢ أو ٣ كيلومتر.

كوسيغين: هل معنى هذا أن قواتكم موزعة على طول الحدود (وجهاً لوجه أمام إسرائيل) في خط مستمر أم أن هناك حشود في بعض المواقع؟

شمس: هذا ما كنت سأذكره. لدينا الآن خط دفاعي وعندنا قوات ضاربة متمركزة في عدة محاور، حتى أن إسرائيل اليوم إزاء هذه الموقف والتوزيع، لا يمكنها معرفة من أين سيأتي الهجوم عليها. لذلك سحبت قوات كبيرة من الجبهة السورية إلى جبهة سيناء ومركزتها أمامنا، وأصبحت حرية الحركة أمامها محدودة جداً، وواضح من توزيع قوات إسرائيل وبعثرتها أنها في حيرة من الأمر ولا تعلم من أين يأتي الهجوم، وهذا ما كنا نريده وهو سحب الجزء الأكبر من قواتها مع الجبهة مع سوريا».

أعود مرة أخرى إلى تسلسل الأحداث، أصبح لزاماً علينا أن نطلب سحب قوة الطوارىء الدولية حتى يكون هناك جدية في الموضوع، وأخطر الجنرال ريكي بخطاب من رئيس أركان الحرب بذلك، وكان هدفنا ألا نترك مجالاً للأمم المتحدة للتدخل في هذا الموضوع.

كوسيغين: ما عدد قوات الأمم المتحدة؟

شمس: ثلاثة آلاف.

ريكي لم يوافق وقال إنه يتلقى أوامره من السكرتير العام. وقال يوثانت إنه يتلقى تعليماته من الحكومة المصرية وليس من رئيس الأركان. ونظراً لأن أغلب القوات كانت يوغوسلافية فقد أمكن ـ بالتفاهم المباشر معهم ـ أن ينسحبوا فعلاً ـ قبل إخطار ريكي ـ من مواقعهم الأمامية إلى معسكرات مبيتهم خلف هذه المواقع.

وقد وجدنا أن الأمر يستدعي طلباً رسمياً من وزير الخارجية العربية إلى يوثانت، وكما تعلمون اتخذ يوثانت ـ مشكوراً ـ قراراً بسحب القوات دون الرجوع للأمم المتحدة. الحوادث كانت تجر بعضها. . فمنطقة خليج العقبة كان بها قوات دولية وعندما انسحبت أصبحت المنطقة خالية وللضرورة العسكرية تحتم علينا سرعة احتلال مواقعنا في شرم الشيخ وإلا احتلتها إسرائيل، ثم نذهب إلى الأمم المتحدة نشكو. وعلى هذا اتخذنا قرارنا باحتلال شرم الشيخ بسرعة وتم احتلالها بالكامل يوم ٢٠ مايو وأصبحت مستعدة لمواجهة أي هجوم وفتحت بجانبها قاعدة جوية كبيرة لعمل ستارة جوية لحماية شرم الشيخ من عدوان الجو.

وقد زار المشير القوات في سيناء ووجدنا روح الضباط والجنود عالية لدرجة أننا كنا كمن يلجم الحصان.

ومن ٢٣/٥ أعلنا غلق الملاحة بعد أن تم تدعيم مواقع شرم الشيخ بالأسلحة القادرة على منع السفن من المرور. ولم توضع ألغام بحرية في الخليج.

كوسيغين: يعني في الممر. . . أو الخليج؟

شمس: ليس هناك ألغام على الاطلاق.

كوسيغين: إذن الأخبار دعائية كاذبة.

شمس: نعم.

وطلب الرئيس ابلاغكم بالقواعد التي تحكم المرور في المضيق. والتعليمات ـ الصادرة لقواتنا في شرم الشيخ هي:

ـ يمنع مرور أي سفن تحمل العلم الإسرائيلي ـ حربية أو تجارية.

ـ تمنع مرور ناقلات البترول عموماً ـ من أي جنسية كانت، باعتبار أن البترول من المواد الاستراتيجية.

ـ من الجائز أن بعض السفن تحمل مواد استراتيجية، ولا يعرف ذلك إلا ـ بالتفتيش، ولكننا لن نتعرض لها.

ـ أي سفن تخرج من ميناء إيلات ـ أياً كانت ـ إسرائيلية أم غير إسرائيلية ـ يسمح لها بالخروج.

ويبقى سؤال في الموضوع؟

إذا دخلت سفينة تحمل علم إسرائيل تحت حماية سفن حربية أميركية أو خلافها هذه السفن لا نتعرض لها لأنه يكفينا في هذه الحالة أن نكتشف مؤامرات الاستعمار وحمايته لسفن إسرائيل في المرور عبر الخليج وعدم قدرة إسرائيل على المرور إلا في حماية الاستعمار. هذا يكفي في الوقت الحاضر.

كوسيغين: هل لدى إسرائيل أسطول بحري في الخليج؟

شمس: زورقيّ طوربيد فقط، وباقي البحرية الإسرائيلية في حيفا.

كوسيغين: إذا أدخلوا سفنهم بحماية قواتهم البحرية والجوية فماذا يكون الوضع؟

شمس: نمنعهم من المرور، وعلى أية حال لن يتمكنوا من المرور في قناة السويس، فهي مغلقة في وجه السفن الإسرائيلية منذ ١٩٤٨، هذا إلا إذا داروا حول رأس الرجاء الصالح.

كوسيغين: وتمنعون المرور في قناة السويس؟

شمس: نحن نمنعهم من ١٩٤٨ حتى الآن.

هذا هو الموقف في خليج العقبة. ويمكن أن نلخص الموقف العسكري في الآتي:

ـ قواتنا في شرم الشيخ قادرة على تنفيذ قرار المنع، وعلى حماية نفسها تماماً

ولها قاعدة إدارية خلفية ولها قوات جوية قادرة على عمل ستارة جوية في جميع الأوقات وهذه القاعدة الجوية مؤمنة ضد أي هجوم عليها.

ـ القوات المتمركزة في سيناء تعمل على محاور كثيرة ويمكنها اختراق إسرائيل من أي محور.

ـ قطاع غزة الذي تديره الآن ج. ع. م أصبح أغلب الدفاع عنه بواسطة جيش التحرير الفلسطيني، وعملنا في المدن المختلفة في القطاع جزر دفاعية قوية بحيث لا يمكن لإسرائيل أن تحتل أي مدينة منها.

كوسيغين: القوات الفلسطينية تحت قيادة الشقيري؟

شمس: تحت قيادة مصريين.

كوسيغين: هل يشترك الشقيري في العمليات؟

شمس: هو رئيس منظمة التحرير فقط، ولكنه ليس قائد الجيش الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير. فالقائد فلسطيني وتحت قيادته كل الجيوش الفلسطينية في الدول العربية ولكن الجيش الفلسطيني والموجود عندنا في قطاع غزة (فرقة مسلحة بأسلحة التدعيم) (ومدعمة بأسلحة ثقيلة) وهذه القوات تحت قيادة ضباط مصريين، وأود أن أشيد بالروح المعنوية العالية جداً للجنود والضباط الفلسطينيين لأن القضية أصلاً قضيتهم وقد وضع قطاع غزة تحت إدارة الحاكم الإداري العربي ـ عموماً هناك جزر دفاعية قادرة على الدفاع ضد أي هجوم إسرائيلي، يبدأ من غزة وينتهي في رفح والمسافة بينهما ـ وهو طول القطاع ـ ٣٥ كيلو متر ومن هذه المساحة عدة مدن فلسطينية تدافع عنها ـ وهناك احتمال وإمكانية قطع طريق ما بين غزة ورفح. وإذا حدث القطع معناه الحرب ودخول قواتنا داخل إسرائيل فعلاً. هذه هي الحماية التي أمكن لنا توفيرها لقطاع غزة.

شمس : نعود إلى موقف قواتنا مرة أخرى.

وضعنا قوات احتياط كبيرة في الخلف من منطقة القناة، باقي لنا احتياطي استراتيجي عام في منطقة القاهرة. ولكن هذا الاحتياطي الاستراتيجي غير

كافي حالياً إذا توسعت العملية بشكل كبير، لذلك قمنا بتشكيل وحدات عاجلة ـ إستدعينا قوات كبيرة من الاحتياط ـ ويلزم كل هذه القوات أسلحة ومعدات فوراً لأن الموجود عندنا في المخازن انتهى. من أجل هذا حضرنا. في رأينا الآن وتقديرنا للموضوع أن إسرائيل ليست جاهزة تماماً ونحن سبقناها تقريباً بعشرة أيام تجهيز وإعداد. تخطيطها للعمليات غير جاهز وحشدها لقواتها غير جاهز. قد تكون جاهزة بعد أسبوع حتى يمكنها القيام بشيء. ولكن تقديرنا أيضاً، يجعلنا نتأكد أن إسرائيل لن تقوم بعملية في المنطقة إلا إذا اتفقت مع الولايات المتحدة على دخول المعركة.

إسرائيل حتى بعد استعدادها، وبعد أسبوع، لن يمكنها عمل شيء ضد قواتنا وإلا ستنال ضربة قاصمة، وحتى إذا وجهت جميع قواتها إلى جبهتنا وتركت باقي الجبهات خالية. وهذا ما أردناه ولكن إذا قامت بعدوان تكون مستندة إلى الأمم المتحدة.

فكرنا أنه قد يكون من الطرق الدنيئة المحتملة أن تقوم إسرائيل بعمليات إسقاط قوات مظلات فوق قناة السويس ويمكن لقوات المظلات أن تدمر في خلال ساعات بعض المراكز وبعض السفن خلال مرور قافلة السفن وتوقف الملاحة في القناة. هنا تكون الخطة الاستعمارية ترمي إلى اتهامنا بتعطيل الملاحة في القناة وهي شريان حيوي للعالم، ثم تعاد عمليات ١٩٥٦ ولكني أعتقد أن هذا الاحتمال ضعيف. واليوم وصلتني برقية من السيد المشير أنه وصلت معلومات مؤكدة بأن الولايات المتحدة ستقدم لإسرائيل طائرات عليها العلامات الإسرائيلية يقودها طيارون أميركيون وتعمل من القواعد الجوية ـ الإسرائيلية. في جميع الأحوال نحن مستعدون لإسرائيل ومن وراء إسرائيل طالما أننا لم نبدأ في العدوان. وإذا اعتدي علينا فسوف نعتدي عليهم. لا يهمنا أميركا أو خلاف أميركا لأننا أصحاب حق. والمكسب الذي حققناه في شرم الشيخ أو خليج العقبة لا يمكن تحت أية ظروف التخلي عنه، لأنه كان مترتباً على عدوان ١٩٥٦ الاستعماري الغاشم، ونحن عدنا الآن إلى ما قبل عام ١٩٥٦.

كنا قبل عام ١٩٥٦ نغلق خليج العقبة، والمكسب الذي حصلت عليه إسرائيل نتيجة تدخل الدول الاستعمارية هو فتح الملاحة في الخليج. وجريمة التآمر عام ١٩٥٦ لا يمكن أن تمر وسوف نثبت للعالم أن الجريمة لا تفيد.

لسنا في قوة الولايات المتحدة ولكن إذا تدخل الأميركان في المعركة بدون حق وبدون أن نبدأ العدوان فسوف نتصدى لهم إلى آخر قطرة من دمائنا، وهذا ليس كلام حماس ولكنه تقرير فعلاً. لن نبدأ العدوان، هذا هو الموقف العسكري.

وقد حضر يوثانت لعمل مباحثات، وقد أبلغت وزير خارجيتكم بنتيجتها. أرسل جونسون خطاب إلى الرئيس طلب مني الرئيس أن أبلغكم بمحتوياته. وقد وصل الخطاب مع السفير الأميركي الجديد في القاهرة.

كوسيفين: هل كتب الخطاب قبل أو بعد غلق الخليج؟

شمس: السفير قابل المسؤولين ومعه الخطاب ـ وهو موقع يوم ٢٣/ مايو ـ في نفس اليوم. وهو اليوم الذي أذيع فيه أن الخليج أغلق. ويشمل الخطاب ثلاث موضوعات:

ـ بدأ في ترغيب في تعاون اقتصادي في القطاع الخاص أو العام.

ـ يطلب جونسون نسيان آثار عدوان ١٩٥٦ وآثار إنشاء إسرائيل ونسيان كل الماضي بين الأطراف المتنازعة في المنطقة، ويطلب انقاذ الشرق الأوسط والعالم من حرب لا يريدها أحد.

ـ تهديد بأن عمليات الفدائيين العرب ـ والمعروف أنها تتم من سوريا ـ تهدد السلام وتعتبر تسللاً مثل التسلل من فيتنام الشمالية إلى فيتنام الجنوبية، وهو ما سبب الحرب في آسيا والتي تهدد السلام العالمي.

هذه هي النقاط الثلاثة في الخطاب.

والخطاب مؤدب ومهذب ولكنه يحمل المعاني الثلاث السابقة بطريقة غير مباشرة.

ثم قدم السفير مفكرة مكتوبة بها أربع نقاط :

ـ طلب تنفيذ اتفاقيات الهدنة والضغط على سوريا لوقف أعمال تسلل الفدائيين من داخل سوريا إلى إسرائيل .

ـ ضرورة وجود قوات الطوارىء الدولية بطريقة ما .

ـ إيقاف وسحب التحركات العسكرية والحشود العسكرية الإسرائيلية والمصرية وعودة القوات إلى ما كانت عليه قبل ذلك .

ـ غلق الخليج أو التدخل بأية صورة في الملاحة فيها سيكون له أبلغ الآثار الدولية .

ثم قرأ السفير مفكرة ثالثة على وزير الخارجية تشمل أربع نقاط :

ـ أن تبقى قوة الطوارىء في غزة وشرم الشيخ على أن تكون سلطة سحبها للجمعية العامة للأمم المتحدة .

ـ ألا تحتل قوات ج . ع . م شرم الشيخ إلا بعد ضمان حرية الملاحة .

ـ ألا تذهب قوات ج . ع . م إلى قطاع غزة ويستمر القطاع تحت إدارة الأمم المتحدة علماً بأن إدارة القطاع تحت الحكم العسكري المصري منذ ١٩٤٨ ولم تسقط إلا في ١٩٥٦ عند احتلال إسرائيل للقطاع ثم أعيدت بعدها .

ـ أكد لوزير خارجيتنا أن رؤساء الولايات المتحدة الأربعة وآخرهم جونسون يؤيدون الاستقلال السياسي والسلام الحقيقي لدول الشرق الأوسط ويؤيدون أي اجراءات تتخذ ضد العدوان المباشر وغير المباشر ويعني بغير المباشر المتسللين .

وقد رد عليه السيد وزير الخارجية .

السيد السفير أحمد حسن الفقي وكيل الخارجية يشرح موقف ورد وزير خارجيتنا على السفير الأميركي .

وقد ترتب على هذا الموقف العسكري الذي شرحته لكم آثاراً سياسية

كبيرة . ومن أمثلة هذه الآثار منع لبنان زيارة الاسطول السادس .

● كشف الدول العربية الرجعية .

● الحالة في الاردن متدهورة جداً ويؤكد ذلك أن الملك حسين أرسل رئيس أركان حربه إلى القاهرة منذ عدة أيام وقابل المسؤولين في القيادة العربية الموحدة ، وقدم لهم مذكرة يقول فيها ويتوسل أن تشترك القوات الأردنية في التخطيط للمعركة ويذكر ما معناه أن حالة الضباط في جيش الاردن في منتهى التوتر نتيجة لإحساسهم بموقف الأردن المنعزل عن الاشتراك في مواجهة إسرائيل . ويتوسل في النهاية أن نضغط على سوريا ونمتنع معها عن مهاجمتهم في الإذاعة .

هذا يوضح أن الموقف في الأردن في غاية الخطورة وأصبح حسين مكشوفاً للشعب الأردني والشعب العربي رغم إعلانه حشد القوات واجراءات عسكرية . ثم اضطر منذ يومين أن يسمح للقوات العراقية بدخول الأراضي الأردنية والتي كانت الأردن تمنعه عن دخولها تنفيذاً لقرار الدول العربية الموحدة .

● وعندما بدأت التحركات العسكرية كانت الإذاعات العميلة في الأردن والسعودية وإسرائيل تصف تحركاتنا قبل اغلاق الخليج انها عملية مسرحية وأنها مؤامرة شيوعية مرتبطة بموسكو ولكنهم لم يستطيعوا مواصلة هذا الخط الدعائي ، فأرسل فيصل تعلميات من لندن باستدعاء القوات السعودية تمهيداً للمعركة الفاصلة في فلسطين .

● كل الدول العربية الرجعية صرح رؤساؤها تحت ضغط شعوبها بتأييد الـ ج . ع . م في اجراءاتها . حتى الكويت حدث فيها رأي عام داخلي قوي جداً ، هناك جالية فلسطينية كبيرة . وجاء وزير الخارجية يهرول إلى القاهرة يحمل كشفاً بالقوات التي يريدون ارسالها لنا للمساهمة في عملية التحرير وهي لواء مشاة ولواء مدرع ومدفعية ميدان وأشياء كثيرة أخرى حتى يمكنهم مواجهة الموقف الداخلي في الكويت .

وقد قبلنا منهم بعض القوات الرمزية على سبيل المساعدة لهم واعتقد أنهم

سيساهمون في المعركة العسكرية بمال نستطيع به شراء أسلحة .

● الدول العربية المتحررة كالعراق والجزائر أرسلت قادة جيوشها ووضعت مساعدات عسكرية قبلناها .

● قبرص أعلنت أن قواعدها لن تستخدم في العدوان، كما أن ليبيا الرجعية أعلنت ذلك .

● نحن نضغط على السعودية ونقول لهم أخطروا حلفاءكم في الحلف المسمى بالإسلامي كإيران ألا ترسل بترولاً إلى إسرائيل. وقد حدث هذا وأعلنت إيران أنها لا ترسل بترولاً إلى إسرائيل، وأن بترولها يتم تسويقه بواسطة شركات البترول .

● تضغط على السعودية لأن لديها سلاح أقوى بكثير من الأسلحة الحربية وهو سلاح منع البترول .

● كل هذا الموقف أصبح له تأثير على عمليات جنوب اليمن وعدن ويحد من حرية فيصل في التدخل هناك .

● الحالة في الشرق الأوسط معبأة تماماً، الاتحاد العام لنقابات العمال العرب اجتمع في دمشق وقرر تخريب منشآت البترول إذا ما حدث عدوان . وتوجه وفد منهم لمقابلة الرئيس وأبلغه بقرارهم .

يريد الرئيس أن يبلغكم أننا نقف الآن في مواجهة مع أميركا، فقد أعلن جونسون أن غلق خليج العقبة عمل غير شرعي يشكل تهديداً خطيراً للسلام، والرئيس يقول لكم لا تخشوا علينا شيئاً وأن كل الجهود والسنوات الطوال التي عملت فيها أميركا على تدعيم النظم الرجعية في السعودية والأردن قد باءت بالفشل وأصبح هذه الحكومات مكشوفة لشعوبها وشعوب المنطقة .

وعلى هذا فإن النصر الذي حققناه إذا تراجعنا سوف يشكل نكسة خطيرة لكل القوى التحررية في منطقة الشرق الأوسط .

هذا هو الموقف في منتهى الوضوح والذي أراد الرئيس أن أشرحه لكم .

وقد كلفني بأن أتقدم بطلبات تسليح عاجلة، لأن عمليات التعبئة العامة التي أجريناها في القوات المسلحة، ورفع المرتبات من مرتبات سلم إلى مرتبات حرب وإنشاء وحدات جديدة واستدعاء قوات الاحتياط كل هذا أخذ من مخازننا الكثير، وقد نبه عليّ المشير ألا أعود من هنا إلا بعد شحن الأسلحة المطلوبة على المراكب وإلا فسوف يشكل لي محكمة عسكرية عليا .

ك : الموقف إذن رهيب .

ش : الطلبات الخاصة بالتسليح أعددناها، وهي طلبات تشمل عقود قديمة مطلوب توريد معداتها فوراً لمواجهة الموقف، وطلبات لم يتم التعاقد عليها ومطلوبة أيضاً فوراً لمواجهة الموقف على أن يتم التعاقد بعد ذلك في أي وقت .

كما أرجو أن أطلب بعض المعلومات عن قوات إسرائيل وتوزيعها في المنطقة ومعلومات عن الأسطول السادس خاصة أن طائراته تدخل بانتظام منطقة الدلتا وبها أجهزة الكترونية للكشف عن مواقع الرادار ومواقع الصواريخ وقد استخدمت هذه الأجهزة ضد مواقع الصواريخ من الأرض إلى الجو. أطلب أنا أيضاً بعض المعلومات عن النشاط العسكري البريطاني في المنطقة .

ونقطة أخيرة خاصة بشرح عمل منظمة فتح الفلسطينية، فهي تشمل جناح عسكري يسمى العاصفة ولها تنظيمات في سوريا ولها أيضاً بعض التشكيلات في قطاع غزة منذ سنتين، وقد وجدنا أنه من المناسب أن نتبنى تشكيلات غزة ونحتويها حتى يمكننا السيطرة عليها ومنعها من التصرف بدون علمنا .

ك : أود أن أشكركم على هذه المعلومات التفصيلية، فهي مفيدة لنا حول الوضع القائم .

نحن قدرنا موقفنا منذ بدأت الحوادث، وقلنا أننا سوف نعطي تأييدنا الكامل للـ ج . ع . م . وسوريا ولذلك صدر البيان الأول : وبعد استشارة

الرئيس جمال عبد الناصر أصدرنا هذا البيان المعروف حول الوضع في الشرق الأوسط. وسألنا الرئيس جمال ماذا يمكن أن نقوم به سياسياً للتأثير على الوضع في المنطقة؟ وقد أبلغنا ممثلنا في الأمم المتحدة أن يكون على اتصال دائم بممثلكم هناك لمواجهة الموقف.

نحن نعتقد أن جميع هذه التدابير تتفق مع مصالح ال ج. ع. م. ومع النشاط الذي تقومون به.

وعندما حشدت إسرائيل قوات ضد سوريا أبلغناكم بذلك.

ش: وهذا ما دفعنا إلى تحريك قواتنا.

ك: المعلومات كانت صريحة. نحن أبلغناكم وأنتم قمتم بالتنفيذ.

فالاستنتاج السياسي حول الوضع في الشرق الأوسط كما يلي:

نعتقد أن هذه الحوادث تعتبر اختباراً للسياسة التي تمارسها الـ ج. ع. م. والرئيس عبد الناصر.

والحوادث هذه أثبتت سلامة ج. ع. م. وجمال عبد الناصر.

وكما بينت لنا الحوادث، ظهر أن كل الدول العربية ومن ضمنها الدول العربية الرجعية لا تستطيع عمل شيء ضد مصلحة العالم العربي، ورغم الجهود الجبارة التي تبذلها الولايات المتحدة بواسطة إسرائيل ضد بعض الدول العربية كالـ ج. ع. م وسوريا، لم تصل هذه الجهود إلى نتيجة.

ونتيجة لهذه الحوادث خافت الأنظمة الرجعية العربية من الرأي العام وشعوبها وأعلنت عن تأييدها للاجراءات التي تقوم بها الـ ج. ع. م. ضد إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة.

وكما يبدو لنا فإن هذه الحوادث لم تؤدِ إلى التضامن الفعلي والوحدة الفعلية بين الدول العربية ولا تستطيعون أن تطمئنوا إلى أن جميع الحكومات ابلغتكم. فالشعوب حلفاءكم وليست الحكومات.

ش: نحن في معركتنا ضد إسرائيل، إذا حدثت، سنعتمد فقط على قواتنا

المسلحة ونضع خطط العمليات على هذا الأساس لدرجة أننا حتى القوات السورية لا نضعها في الاعتبار.

ك: ولكن من الناحية السياسية لا بد من عمل كل شيء حتى يبدو أن هناك وحدة سياسية.

ش: نعم ولكن التخطيط العسكري فقط يقوم على أساس استخدام قوات ج. ع. م.

ك: أوافقكم على ذلك، وأقصد من الناحية السياسية، دولة مثل المغرب أيدتكم والعالم.. الأمم المتحدة. الولايات المتحدة تحترم هذا الصدى الكبير لوحدة الدول العربية.

ش: لقد أرسل الملك الحسن مندوباً لتأييد الـ ج. ع. م.

ك: لذلك من الناحية السياسية سوف ننشر دعاية لهذه الوحدة مع علمنا من هم الحلفاء الأصليين لأننا نرى هذا في مصلحتكم.

والآن نتساءل: كيف تتطور الأحداث؟

المعلومات التي وصلتنا اليوم حول إسرائيل تفيد النشاط الكبير بها. هناك مؤشر عسكري في إسرائيل حتى يقال إنه في نهاية مايو من الممكن أن تبدأ العمليات العسكرية وأنهم يجهزون عملية لتوجيه الضربة. والمعروف أنه عندما تنشب العمليات العسكرية سيكون صعباً على العالم معرفة من بدأها ومن الصعب التحقق من ذلك وإذا كنت قد فهمتكم تماماً، فإن وجهة نظر جمال عبد الناصر أن يزداد الجو توتراً على الحدود، وإنما بالصورة التي لا تؤدي إلى العمليات العسكرية.

ش: نحن الآن حصلنا على مكسب سياسي وعسكري كبير. المكسب السياسي غلق الخليج وتجميع وتعبئة كل الدول العربية معنا. زعزعة النظم الرجعية وهذا كافي جداً لنا، ولا يمكن أن نبدأ بعلميات عسكرية بعد ذلك لأن العمليات العسكرية قد انتهت فعلاً وحتى تعليمات غلق الخليج تفادت الاشتباك مع أية قوات بحرية أميركية تحاول المرور، ونحن لا نريد أن

نصطدم الآن، ولكننا سوف نتمسك بحقنا في غلق الخليج.

ك: إلى الأبد.

ش: إلى الأبد طبعاً.

سيمونوف: كيف قبلتم مشروع يوثانت بإيقاف غلق الخليج لمدة أسبوعين؟

ش: بعد أسبوعين سيكون هناك حل سياسي أما نوافق عليه أو لا نوافق وسوف تكون هناك مناقشات قانونية حول حقنا. وفي النهاية أما أن نقبل الحل أو لا نقبله.

ك: إن الحديث الذي يدور حول الخليج حديث عنيف، وعندما ترون أن الموضوع قد يؤدي إلى خطر نشوب الحرب بسببه... هل يستمر موقفكم كما هو؟

أريد أن أدقق.

ورأيي أن الموقف كالآتي: من الناحية السياسية انتصرتم ومن الناحية العسكرية انتصرتم. ماذا تريدون الآن؟

رأيي من الممكن الاكتفاء بما وصلتم إليه. انسحاب قوات الطوارىء، سيطرتكم على المضيق، قواتكم في غزة ماذا تريدون أكثر؟

ش: لا شيء.

ك: ماذا يمكن أن تنتظرون من العدو؟ العدو لا يوافق على غلق المضيق، وأكيد أنه لن يوافق مطلقاً على الغلق تماماً.

ش: من هو العدو؟

ك: ليس عدواً واحداً؟ بل أعداء كثيرون ليست إسرائيل وحدها ووراءها الأميركيين والانكليز. لو كانت إسرائيل لوحدها ما ثارت مشكلة.

هذه أفكاري ونحن نتناقش معكم كرفاق وأصدقاء. ومن المحتمل أن يأتي إليكم الأسطول الأجنبي فلو ترون أن الموقف يتوتر أكثر من ذلك ويهدد بخطر حرب وذلك بحضور الأساطيل الأجنبية ألا يكفيكم أن

قوات الأمم المتحدة انسحبت من المنطقة وأصبحتم تشرفون على المضيق.

بالطبع سوف نبحث الموقف القانوني للخليج. هذا ليس اقتراحي وإنما أفكاري. وهذه الافكار التي أقولها بصوت عال حتى نعرف في المستقبل كيف نتصرف.

وكما أخبروني، يوثانت قدم لكم اقتراحات وأنه من الممكن أن تحل القضية خلال أسبوعين. المهم أن الطرف الآخر يكون على علم بذلك، لأنه لو علم بذلك فقد تتطور الأحداث في اتجاه آخر بعيداً عن الصدام وإذا لم يكن عنده علم فقد تتطور الأحداث بصورة مختلفة وأقصد بهذا الكلام أنه من الأفضل وضع البرنامج السياسي والخطوات اللازمة في المستقبل حتى لا تدخلوا في المعركة العسكرية.

على العموم أفضل النقاش على المائدة بدلاً من المعركة الحربية فهذا في مصلحتكم هذا ليس اقتراحاً وإنما متابعة للأفكار لأنه من الممكن ألا نعرف بعض نواحي عن هذه القضية، ولكننا نعتبر ضرورة اتخاذ التدابير التي تعطي العدو صورة لقوتكم وليس ضعفكم، ومن هذا الموقف القوي تثبتوا النجاح الذي حصلتم عليه دون حاجة إلى دخول حرب.

وإذا قبلتم هذه الفكرة فإننا بذلك تكون أفكارنا متطابقة ولكن إذا كان لديكم وجهة نظر مخالفة أرجو ابلاغنا.

تطلبون معلومات عن الأسطول السادس والأسطول البريطاني وسنبلغكم بها. ستكتبون هذه المعلومات جميعها وهذه تعطيكم فرصة لمعرفة الموقف كما هو، وهذا أيضاً يوجهكم الوجهة الصحيحة. هذا ونحن لدينا معلومات صحيحة وثابتة عن الأسطول السادس والأسطول البريطاني وتحركاته.

فيما يتعلق بالطلبات العسكرية ـ الوزير يقدم اليوم الاقتراحات لوزير دفاعنا وسنرد غداً عليكم بمواعيد الشحن الممكنة.

ولكن كل هذه الأمور لا يجب أن تساعد على قيام حرب لأن هذا (عدم قيام الحرب) في مصلحتكم أو مصلحة القوى التقدمية، نحن لا نقول

هذا لأننا ضعفاء أو نخاف الحرب!! ولكن من الأفضل الابتعاد عن الظروف التي من الممكن أن تؤدي إلى نشوب الحرب. وكل ذلك يكون من مركز القوة وليس من مركز الضعف.

معلومات اليوم ـ يقف أشخاص في إسرائيل يعتبرون العمليات العسكرية من الممكن أن تحدث في الأيام القادمة مهما كانت نتيجة مباحثات أوثانت في القاهرة، الدوائر العسكرية والعناصر اليمينية تضغط على الحكومة. هذه الآراء تتفق مع أخباركم.

ترى هذه الدوائر أن كل تأجيل في المشكلة ليس في مصلحة إسرائيل وهذا يدل على أنهم يحضرون أنفسهم بالاتفاق مع الولايات المتحدة. يقولون أن ذلك من الممكن أن يؤدي إلى توتر بين الأردن وإسرائيل ومن هذه الزاوية يحللون قطع العلاقات بين الأردن وسوريا ودخول قوات السعودية للأردن.

سوف يشترك في النشاط العسكري في إسرائيل ليس فقط رئيس الأركان الحالي بل «موشي ديان»، ويقيمون خنادق في تل أبيب ويقودون الدفاع الجوي والدعاية تعمل عملها والناس مندفعين في الدفاع عن وطنهم إلى آخر قطرة، وتوجد إشاعة بتنظيم مظاهرات أمام السفارة السوفييتية. هذه أخبار اليوم.

لابد من التصرف العاقل، وأن يكون الفكر بارداً والثقة كاملة والمهم ألا نعطي الفرصة للاستفزازات.

هذا هو رأيي وأعتقد أنه يتفق مع رأيكم ونحن نرى أنكم تتصرفون بالتحفظ ولنا مثل يقول «هناك خطر أول للهجوم وآخر خط هو الاحتياط» ومن يريد الانتصار لا يلمس آخر الاحتياط بل يحفظه للظروف، وطبعاً إذا وصلت الحالة إلى الحرب رغم تحفظكم وهدوءكم سيكون العالم معكم.

يمكن أن نتفق على تأجيل الاجتماع حالياً... سيعمل وزير الدفاع

بتاعنا في الموضوع ـ أقصد موضوع طلباتكم من التسليح وسيبلغنا بالنتيجة».

كذلك سنجتمع غداً الساعة العاشرة صباحاً في مكتبي للمناقشة النهائية فيما يبلغنا به وزير دفاعنا.

وانتهى الاجتماع على أن نجتمع بالرئيس كوسيغين باكر صباحاً الساعة العاشرة. هذا وقد سأل على صحة سيادة الرئيس وسيادة المشير وطلب ابلاغهم أطيب تمنياته.

محضر الاجتماع الثانى بين السيد شمس بدران وزير الحربية ورئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ٥/٢٧

بدأ الاجتماع في الساعة ١٤,٠٠ بمقر رئاسة الوزارة.

ك: أعلمناكم ليلة أمس بنص الرسالة التي بعثنا بها إلى رئيس وزراء إسرائيل وكذلك أعلمناكم ليلة أمس أيضاً بنص الرسالة التي سلمها سفيرنا في القاهرة الى الرئيس جمال عبد الناصر، وقد علمنا نقلا عن سفيرنا بموافقة السيد الرئيس ـ وبأن هذه الخطوات التي اتخذناها مفيدة. وأود أن أعلمكم أننا سنرسل اليوم رسالة إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية جونسون متضمنة رأينا في أن مساعداته لإسرائيل تزيد من حدة توتر الجو، كما أننا في هذه الرسالة سنعلمه أنه إذا قامت إسرائيل بالعدوان فان الولايات المتحدة ستكون في نظرنا هي المعتدية لأن إسرائيل ـ بغير التأييد الأميركي ـ لن تجرؤ على العدوان. أما إذا حدث العدوان فنحن ـ السوفييت ـ سنستخلص لأنفسنا ماذا ستتخذ من الاجراءات.

وسنقول في رسالتنا إلى جونسون أن عواطفنا مع العرب وأن إسرائيل لا تجرؤ على العدوان بدون موافقة الولايات المتحدة الأميركية.

ولذا ترون أنه من الناحية السياسية قد عملنا الكثير في الاتجاه المؤيد للـ ج.ع.م. فخلال الليلة الماضية واليوم أرسلنا إلى رؤساء إسرائيل والولايات المتحدة، وما أرسلناه سري لن نعلن عنه أو ينشر. وقد عملنا كل ما رأيناه لازماً، وسنفعل نفس الشيء في المستقبل أيضاً، كما أننا سنفعل نفس الشيء مع بريطانيا، وغالباً ما يتم ذلك اليوم.

وبذلك فانه من الناحية السياسية والدبلوماسية قمنا وسنقوم بكل ما في وسعنا لمساعدتكم حفظاً لتلك الخطوات التي حققتموها حتى الآن.

أما فيما يتعلق بما طلبتموه من أسلحة بالامس فقد وجدنا أنه من المصلحة أن نقسم طلباتكم إلى ثلاثة أجزاء منفصلة. هذا بخلاف ما قدرناه من الموافقة على رغبة السيد الرئيس من امداد الـ ج.ع.م. بـ ٤٠ طائرة ميج و١٠٠

مصفحة . . . الخ . والذي سبق أن أبلغناكم به قبل وصولكم إلى موسكو.

فبالنسبة للجزء الأول وهو خاص بالعقود المفروض تنفيذها في ١٩٦٨ سيتم شحنها كلها تقريباً في يوليو وأغسطس هذا العام.

وبالنسبة للجزء الثاني وهو خاص بالطلبات الجديدة فقد صدرت التعليمات بسحبها من مخازن وزارة الدفاع وشحنها فوراً، وسيتولى وزير الدفاع الاشراف على التنفيذ.

ولقد قررنا كل ذلك حتى لا تحاكم كأمر المشير، وقد عملنا كل ما في وسعنا وسهرنا طوال الليل مع جميع الرفاق حتى نبعد عنكم خطر المحاكمة العسكرية.

أما بالنسبة للجزء الثالث فهي كالكشف المرفق، وقدرنا إزاء ما يحتاج اليه الأمر من اتصال بمصانعنا ـ أن نجيب عليكم في مدة لا تقل عن عشرين يوماً.

ولذا فسترون أن القائمة المقدمة اليكم الليلة ستشمل ثلاثة أجزاء على النحو الذي شرحته لكم. والمهم هو ما اتفقنا عليه في اجتماع ليلة أمس مما سيشحن اليكم فوراً ومما قدرناه في اجتماع المكتب السياسي ليلة أمس، وهو أن ما سنعطيكم إياه سيشمل ما يلزمكم من ذخيرة حتى تتمكنون من استخدامه فوراً.

ولقد تحدثنا تقريباً في كل المسائل والطلبات، ويسعدني أن أكرر الترحيب بكم، فنحن مرتاحون جداً لوصولكم وتواجدكم بيننا، واجابتي إليكم بشأن طلباتكم هي ما قدرناه ليلة أمس في المكتب السياسي.

أرجوأن تنقلوا إلى السيد الرئيس وإلى السيد المشير تحيات الرفاق بريجنيف وبود جورني وشبلين ومازوروف وكل الرفاق السوفييت، كما أن هذه التحية هي لكل الرفاق القادة في الـ ج.ع.م.

وها أنتم ترون أنه بالرغم من قصر المدة وضغطها فقد تمكنا من اتخاذ جميع التدابير السياسية والعسكرية الممكنة.

ش: يسعدني أن اقدم للسيد رئيس الوزراء كوسيجين شكري الجزيل، كما أن هذا الشكر أقدمه لجميع السادة قادة الاتحاد السوفييتي، وما تم في هذا الاجتماع هو ما كنا نأمله من الاتحاد السوفييتي، فهو دائماً ـ ونحن نثق في ذلك ـ يقف في جانب الشعوب الحرة ويساعد شعوب العالم جمعاء في مطالبتها بالحرية والكرامة والاستقلال. وهو شعباً وقادة يدعو إلى السلام المبني على العدل في جميع أنحاء العالم.

وسيقدر شعب الـ ج.ع.م. وشعوب الشرق الأوسط جمعاء كل هذه المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفييتي ـ المساعدات السياسية والعسكرية ـ التي تتيح لشعوب الشرق الأوسط ولشعبنا العيش في حرية وأن تقمع قوى الشر والعدوان.

ويسعدني ـ إن كان هناك وقت ـ أن أفيدكم بما وصلني برقياً من القاهرة من معلومات أود إطلاعكم عليها من أجل التعاون القائم بيننا.

ك: أود قبل ذلك أن أبلغكم بما تقرر أمس في اجتماع المكتب السياسي بشأن حسابات الدفع للأسلحة، فقد كنا سابقاً نقدم لكم الأسلحة ويدفع ثلثي ثمنها على عشر سنوات بفائدة ٢٪ سنوياً، وقد قرر المكتب السياسي بالنسبة للظروف المحلية في المنطقة أن ينخفض السعر إلى ٥٠٪ .

ش: اعيد وأكرر شكري على هذا الكلام.

ك: الحزب أمس قرر الا يحاكمك.

ش: لن تكون في هذا المرة محاكمة. بل ستكون نتيجة كرمكم ترقية بالنظر إلى التعاون القائم بيننا وبين الاتحاد السوفييتي، أجد فائدة في أن أوضح موقف الرئيس الأميركي في مقابلته مع سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ مايو، وقد يلقي هذا ضوءاً جديداً على الموقف وقد يكون كلام جونسون غير صحيح.

(ثم ذكر السيد الوزير ما تضمنته البرقية المرسلة بخصوص مقابلة جونسون لسفيرنا في واشنطن).

وبعد مقابلته لجونسون، استدعاه نائب وزير الخارجية وأبلغه أن أبا ايبان أفاد

أنه علم من تل أبيب أن هجوماً مصرياً ينتظر حدوثه من ساعة لأخرى، وقد استبعد هذه المعلومات إلا أن ايبان ألح في تأكيدها وطلب نائب وزير الخارجية الأميركية أن يبعث سفيرنا إلى القاهرة برسالة يطلب فيها إبلاغ الحكومة مناشدة أميركا التمسك بضبط النفس وتجنب أي أعمال عسكرية هجومية، وأن الحكومة الأميركية تبذل كل جهد من أجل منع إسرائيل من القيام بأعمال عسكرية وأن هذا الأمر يباشره السفير الأميركي شخصياً.

وقد نفى مدير قسم الـ ج.ع.م. في الخارجية الأميركية في مقابلة أخرى مع سفيرنا ما ذكر من أن الولايات المتحدة أبلغت حكومتنا أنها ستقاوم غلق الخليج بجميع الوسائل بما في ذلك استخدام القوة كذلك بعث الرئيس ديجول برسالة للرئيس جمال عبد الناصر رداً على رسالته (ذكر مضمون الرسالة).

وهناك أيضاً طلب آخر يخص جيش تحرير فلسطين، فهذا الجيش الموجود حالياً في قطاع غزة في حاجة إلى تسليح ثلاث لواءات مشاة علاوة على التشكيل الموجود حالياً ونحن نرى ـ لو وافقتم ـ أن يتم تسليح هذه اللواءات بأسلحة خفيفة دون أسلحة الدعم الثقيلة على أن يتم ذلك مباشرة، أي منكم إلى جيش التحرير مباشرة.

ك: هذه مسألة جديدة ولكن فكروا جيداً قبل القيام بمثل هذا العمل حتى لا يتسبب هؤلاء في قيام الحرب. ستعطونهم الأسلحة وسيجلبون لكم المشاكل.

ش: هذا جيش نظامي وضباطنا يقودونه.

ك: نحن لا نريد بيننا وبين أحد أو منظمة علاقات من فوق رأسكم، ونحن نقدم اليكم كميات من الأسلحة للمشاة وتستطيعون أن تقدموا منها إلى هذا الجيش ما ترغبونه، ومن الأفضل أن تكون علاقاتنا مباشرة معكم.

ش: هذه مجرد فكرة.

ك: لا أظن أن هذا يكون أفضل.

ش: أريد أن أعلق على حديث رئيس الوزراء أمس، فقد فهمت من حديثه أن ما

فهمه من كلامي أمس أن الرئيس جمال عبد الناصر يريد استمرار توتر الموقف على الحدود ولكن إلى الحد الذي لا يؤدي إلى علميات عسكرية، وقلتم أيضاً أمس أن إسرائيل قد تقوم بعلمياتها العسكرية قريباً وأنه سيصعب معرفة من هو البادىء.

وفي هذه المناسبة أرجو أن أوضح بمنتهى التأكيد أن سياسة السيد الر ئيس غير قائمة على احداث توتر على الحدود، ولكن إسرائيل حسب المعلومات الأخيرة الواردة إلي أمس من القاهرة تسعى جاهدة إلى احداث حالة توتر الآن على الحدود، وقد دخلت دوريات إسرائيلية في قطاع غزة واشتبكت مع كمائن من القوات الفلسطينية، وأيضاً تذيع وكالات الأنباء ضرب زوارق طوربيد إسرائيلية تحركت من ميناء ايلات. وقد وصلتني معلومات أمس عن الموقف في قطاع غزة، فقد تم لإسرائيل دفع لواء مشاة آخر أمام القطاع علاوة على اللواء الموجود هناك. كما أن المعلومات تفيد أنه قد تم لإسرائيل استطلاع جوي وأرضي على طول القطاع وأنها حشدت مدرعاتها في يوم ٢٥ ثم حشدت مدرعات أخرى يوم ٢٦ أمام القطاع. وهذا يوحي بأنهم يريدون القيام بعملية العزل التي تكلمت عنها أمس.

ونحن لا يمكن أن نسحب الجيش أمام هذا التوتر الذي يريده الإسرائيليون وأميركا لأننا لو سحبنا قواتنا لأصبحت سوريا مهددة مرة أخرى وأصبحت قواتنا في شرم الشيخ مهددة.

أما بالنسبة لما سأله السيد رئيس الوزراء أمس اذا كان الموقف قد يؤدي إلى الحرب اذا قدم الأسطول الأجنبي، وان نكتفي بالاشراف على الخليج.

أرجو ان استوضح ما هو الاشراف على الخليج ـ هل هو مجرد وجود قواتنا على الخليج دون عمل أي شيء أم لمنع مرور السفن الإسرائيلية؟

لقد قررنا الا نعترض أي أسطول أجنبي يدخل الخليج وحسب ما فهمت من بيان وزير خارجيتنا أول أمس أن اعتراض السفن سوف ينصب فقط على السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي، أي أن ناقلات البترول من جنسيات أخرى غير إسرائيل لن نعترض عليها. وهذا ما فهمته شخصياً من بيان وزير

الخارجية ولكني لست متأكداً لأن التعليمات قبل سفري تقضي بأن تمنع ناقلات البترول.

وأحب أن أقول اننا اذا اشرفنا على الخليج ثم فتحنا الملاحة لجميع السفن بما فيها إسرائيل مع وجود قواتنا في شرم الشيخ فإن هذا سوف يفقد ثقة الناس فينا ويؤدي إلى نكسة، وعموماً لا أستطيع أن أكون رأياً واضحاً في هذا الموضوع ولا بد من الرجوع إلى القاهرة في هذا الخصوص.

أحب أن اذكر أن الملحق العسكري السوفييتي في القاهرة أخبرنا منذ أيام أن إسرائيل لديها صواريخ أرض ـ أرض متوسطة المدى وبعيدة المدى. وفي كلام السيد رئيس الوزراء قال إنه يجب علينا اتخاذ التدابير التي تعطي صورة عن قواتنا، ومن هذا الموقف القوي نستطيع تثبيت انتصارنا دون حاجة للحرب، ونحن موافقون تماماً على هذا الرأي ونحن لا نريد شيئاً أكثر من ذلك ولكن قوتنا السياسية التي تنتج عن تضامن الدول العربية وبعض الدول الاسلامية مثل باكستان وأيضاً دول الكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز. . . كل هذه القوى السياسية لا تكفي مع إسرائيل. ولا اعتقد ان القوة السياسية فقط تكفي مع إسرائيل لابطال الحرب، بل يجب أن تتوافر قوة عسكرية كبيرة وقادرة، وهذه القوة العسكرية والقوة السياسية ليست كافية لمنع إسرائيل فحسب بل تكفي أيضاً لمنع أميركا من أن تسحبها إسرائيل للدخول في المعركة، ولكي تكون أميركا أكثر تعقلاً.

قد يكون في هذ الكلام رد على كلام السيد رئيس الوزراء أمس في أن شحن الأسلحة إلينا يجب الا يساعد على قيام الحرب وأنا أرى أن العكس صحيح ـ أي أن شحن هذه الأسلحة يؤدي إلى عدم قيام الحرب.

ك: وهذه هي فكرتي.

ش: أحب أن أؤكد ما ابلغني به الرئيس من أننا لا نريد الحرب إطلاقاً ومن مصلحتنا أن نثبت أوضاعنا كما هي الآن وهذا بالتالي سوف يثبت قوى التقدم في المنطقة ويضعف القوى الرجعية كما ذكرت أمس، ولكن هل من مصلحتنا أو مصلحتكم أن يتدخل الأميركان في المعركة بدون سبب يدعو إلى

التدخل، مثلاً يأتي الأميركان ويعطوا انذاراً بأن المراكب التي تحمل العلم الإسرائيلي يجب أن تعبر الخليج حتى بدون حراسة سفن حربية أميركية، ثم إذا وافقنا على ذلك يعودوا ليقولوا يجب أن تنسحب قواتكم من شرم الشيخ لانها تشكل تهديداً للخليج. هل لنا أن نخضع في هذه الحالة وندع الأميركان يتصرفون كأنهم يملكون العالم؟

ما يؤكده الرئيس ناصر، هو أنه يجب الا نسكت أو نتراجع عند حد معين بل نواجه الأميركان أو أية قوة أخرى، لانه في هذه الحالة ستكون المعركة أربح لنا من التراجع لأنه يعني هنا الانتكاس التام، والنكسة لن تكون لنا فقط بل سوف تؤثر على كل المنطقة وليس فقط في الشرق الأوسط بل على كل دول عدم الانحياز، بل ستؤثر على كل حركة شعبية في كل بلد يريد أن يتحرر.

وقد نكون نحن خط دفاع أول عن دول العالم الثالث في هذه المعركة. أما إذا حدثت معركة ضد الأميركان، فسوف تشتعل المنطقة جميعها وسيقف الرأي العالمي ضدهم وسوف يقوم العمال العرب في جميع أنحاء الشرق الأوسط بنسف وتدمير مصادر وأنابيب البترول في المنطقة وسوف يشترك معنا الحكام الرجعيون رغم أنفهم، وستدان أميركا لعدوانها بدون وجه حق، واعتقد أنه من المستبعد حدوث ذلك التدخل الأميركي.

هذا ما أردت أن أوضحه.

ك: أود أن أشكر لكم هذه التوضيحات للمسائل التي تعرضت لها بالأمس. نحن أيضاً نؤكد أن موقفنا السياسي وارسال شحنات الأسلحة للـ ج.ع.م. ومساعدتنا لسوريا هدفها الا يحدث اشتباك مسلح، لذلك قلت بالأمس أن يكون السلام من موقف القوة، وهذا الهدف نحن وأنتم نسير نحوه وهو تدعيم السلام من خلال القوة. وعندما قلت في ازدياد التوتر لم أتهم أحداً ولكني قلت أن التوتر موجود ولكن لا إلى حد اشعال الحرب لأنه من البديهي أن تحريك القوات معناه زيادة التوتر ولا يمكن أن نقول أن تحريك القوات يؤدي إلى تخفيف التوتر.

وصلت برقية الآن فيها أخبار عن مقابلة سفيرنا في تل أبيب مع أشكول

ليسلمه رسالتنا التي اخطرناكم بها أمس. قال اشكول إن إسرائيل لا تسعى إلى الحرب وإن الولايات المتحدة تدعو إسرائيل للتحفظ وقال للسفير كيف يمكن أن نؤكد لكم أننا نريد السلام؟ نحن نريد أن تستمر الهدنة كما هي. ووصف الموقف على الحدود بأنه خطير.

وبخصوص الكلام الذي قلته حول المعلومات الواردة من وكالات الانباء فنحن نرى الكذب فيها ويستهدفون الاثارة ويتعمدون الكذب فيها، فهناك وكالات تقول إن إسرائيل ستهاجم وأخرى تقول إن الـ ج.ع.م. ستهاجم والمصادر لهذه المعلومات هي تركية أو يونانية أو أميركية وهم يرسلون هذه الأخبار لتشويه الموقف.

تسلمنا برقية من دمشق تفيد أن الحكومة السورية اجتمعت وقررت ارسال رئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي لتبادل الأراء مع القادة السوفييت وأنهم على استعداد للسفر إلى موسكو في أي لحظة، وهم ينتظرون الرد السريع، لا أعلم كيف ستسير الأمور، من المفروض أن اغادر شخصياً موسكو في رحلة داخل الاتحاد السوفييتي وسيقوم بودجورني بزيارة افغانستان، ولكن سنناقش موضوع هذه الزيارة ولكن حتى الآن ليس هناك قرار بشأنها.

ش: لدي برقية من السيد المشير وصلت الآن بها بعض طلبات جديدة.

ك: كأني لم أسمع شيئاً.

ش: أشياء صغيرة بالمقارنة مع الاشياء التي طلبناها وسأقدم كشف بها.

ك: يعني ٥١ صفحة.

ش: لدي بعض المعلومات عن مؤامرات غربية حصلنا عليها من مصادر أكيدة تعمل لنا، وحصلنا أيضاً على معلومات بشأن بعض تحركات عسكرية بريطانية لم يعلن عنها وذلك من مصادر أكيدة في قبرص وليبيا والبحرين، واقدمها لكم حتى تكونوا في الصورة والتأكد من صحتها.

ك: طلبتم المعلومات التي لدينا عن أميركا وبريطانيا وإسرائيل، وقد جهزناها

وسنسلمها لكم مكتوبة. ويمكنكم أن تسافروا مطمئنين إلى عدم وجود مجلس عسكري لكم.

ش: اشكر السيد رئيس الوزراء على استماعه لهذه الأحاديث الطويلة وشكراً على كل شيء.

ملحوظة:

انظر مرفق (١)

مرفق (١) مع محضر الاجتماع الثاني

الحديث الذي دار

بين المارشال جريتشكو والسفير مراد غالب ٢٧/ ٥/ ٦٧

١ـ ذكر «جريتشكو» أنه سمع أثناء مقابلة سيادة الوزير شمس بدران للرئيس كوسيجين عن رغبة نور الدين الأتاسي رئيس جمهورية سوريا في زيارة الاتحاد السوفييتي وأنه مستعد للسفر في أية لحظة. قال جريتشكو أنه لا يتصور كيف سيقابله «بريجنيف» أو كوسيجين أو بود جورني فالجميع سيكونون خارج موسكو خلال الأيام القادمة.

٢ـ ذكر «جريتشكو» أن «كوسيجين» و «بريجنيف» سيقومان برحلة في داخل الاتحاد السوفييتي وسيصطحبهما هو شخصياً في هذه الرحلة لأنها لأغراض عسكرية وتستهدف تعزيز تسليح الاتحاد السوفييتي، وهناك اجتماع سيعقد اليوم ٢٧ الجاري الساعة الخامسة مساء لمناقشة هذا الموضوع.

٣ـ قال بأن الرحلة لا يمكن تأجيلها ولا بد أن يحضرها الاثنان لأهميتها البالغة وستبدأ الرحلة باكر الأحد، وعلى هذا فلن يتواجدا في موسكو لاستقبال رئيس جمهورية سوريا خصوصاً وان «بودجورني» سيقوم أيضاً بزيارة أفغانستان في نفس الوقت.

٤ـ أشار إلى حرج موقفهم تجاه طلب رئيس جمهورية سوريا عن رأي في هذا الموضوع؟؟.

٥ـ أجبته بأن السوريين حساسين للغاية وأن طلب رئيس جمهورية سوريا لا يمكن الاعتذار عنه أو تجاهله وأنا كصديق لهم أنصحهم بالعمل على تلبية رغبته بأي وسيلة.

٦ـ رد «جريتشكو» بأن هذا في منتهى الصعوبة!! وطبعاً سيقول السوريون كيف يأتي وزير الدفاع المصري ويقابل «كوسيجين» مرتين وغيره من كبار العسكريين ثم يرفض طلب رئيس جمهوريتهم؟؟

٧ـ علقت على ذلك بأن هذا ما عنيته تماماً ولا داعي لزيادة حساسية السوريين.

٨ـ رد «جريتشكو» قائلاً نعم. نعم. انهم Capricious (معقدين).

مذكرة السيد أمين هويدى وزير الحربية إلى السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) فى أكتوبر ١٩٦٧ عن تنظيم العمل فى الأجهزة العليا لوزارة الحربية

وزارة الحربية

مكتب الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

«مذكرة»

للعرض على السيد الرئيس

عن تنظيم العمل في الاجهزة العليا لوزارة الحربية

١ـ يجب أن يهدف التنظيم إلى :

أ ـ تكوين جهاز متناسق يعمل في يسر وسهولة لرفع كفاءة وتجهيز القوات المسلحة في زمن السلم ونجاح قيادتها في وقت الحرب.

ب ـ ايجاد الضمان الكافي للرقابة الفعلية تبعاً لما يحدده الدستور على القوات المسلحة ليضمن الشعب دائماً ان قواته قادرة على الدفاع عن أمنه مع اتخاذ الترتيبات اللازمة لضمان السرية .

ج ـ امكانية تنسيق المجهود المدني اللازم لمواجهة احتياجات المجهود الحربي .

د ـ ادارة القوات العسكرية المتيسرة واللازمة لمساندة سياستنا الخارجية بأقل التكاليف الممكنة .

٢ـ وفي رأيي فإنه لم يكن لدينا وزارة للحربية طوال السنوات الماضية بالمعنى الحقيقي التي توجد عليه في سائر الدول، مما انعكست جذوره على المراحل الاولية الحالية لانشاء هذه الوزارة. ولا بد من حزم كامل لادخال كافة الأجهزة التابعة للوزارة ضمن اطارها لتعمل جميعاً تحت رئاسة واحدة مع تحديد الاختصاصات والمسؤوليات واسلوب العمل.

٣ ـ ووزير الحربية شأنه شأن أي وزير آخر في أي وزارة أخرى مسؤول عن سياسة وزارته مسؤولية كاملة حددها الدستور، وبقدر هذه المسؤولية يجب أن يعطى السلطات الكاملة لتنفيذ سياسة الدولة في هذا القطاع، وإلا فإن الأجهزة تصبح مسيرة له حسب ما هو موجود لا أن يكون هو الذي يوجه هذه الأجهزة كما ينبغي أن يكون.

ولذلك فإن وزير الحربية يعتبر المستشار الأول لرئيس الجمهورية في شؤون الدفاع عن البلاد والمتحدث الرسمي بأسم الحكومة عن كل ما يتعلق بسياسة البلاد الدفاعية، يساعده في ذلك نخبة ممتازة من الأفراد القادرين.

وإذا ما حصل وزير الحربية على تأييد رئيس الجمهورية ومساندته أمكنه أن ينفذ السياسة المرسومة افضل تنفيذ، وفي هذا يقول ماكنمارا «لم يكن في مقدوري أن أفعل شيئاً دون تأييد الرئيس فهذا شيء حيوي وما كان لي ان أستمر دقيقة واحدة دون هذا التأييد».

٤ ـ وبوجه عام فإن مسؤولية وزير الدفاع يجب أن تنحصر في التأكد ـ وبصفة مستمرة ـ من كفاءة القوات المسلحة للدفاع عن البلاد وتبعاً لسياسة تعبر عن سياسة الدولة، كذا فإن من واجباته تعبئة كافة الجهود المتيسرة في الجمهورية لتحقيق ذلك:

أ ـ ولتحقيق الواجب الأول فإن السياسة العامة للدفاع عن البلاد يجب أن تناقش وترسم داخل «مجلس الدفاع الوطني» يرأسه رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة (انظر الملحق أ المرفق).

ب ـ ولتحقيق الواجب الثاني فإن الأمر يقتضي انشاء «مجلس احتياجات الدفاع الوطني» مشكلاً من كافة الوزراء الذين يشاركون في المجهود الحربي، وواجبه الأساسي تنسيق التعبئة والمجهود في القطاع الحربي والمدني (انظر الملحق ب المرفق).

٥ ـ ومن الواجب أن يسيطر وزير الدفاع سيطرة كاملة على النواحي الآتية لتحقيق المسؤوليات التي تلقى على عاتقه:

أ ـ الميزانية وكافة النواحي المالية إذ أن ذلك يعني توجيه صحيح لشكل القوات نفسها ومقدار كفاءتها.

ب ـ سياسة الأفراد (الضباط ـ باقي الرتب ـ الاحتياط . . . الخ).

ج ـ سياسة المعدات (إقرارها وشرائها وانتاجها).

د ـ البحوث والتطورات للتسليح والمعدات.

هـ ـ التوجيه السياسي والمعنوي للقوات.

٦ ـ ومن الطبيعي فإن تشكيل جهاز قادر لوزير الحربية يقوم بأداء هذه الواجبات أمر يدحض الأفكار التي تنادي بتوحيد أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة مع أجهزة الوزارة، لان طبيعة الأعمال في كليهما مختلفة إلى حد كبير في مستواها ونوعها، علاوة على أن استمرار الوضع على ما هو عليه فإن الأمر سوف ينتهي بأن أجهزة القيادة هي التي ستصبح موجهة للوزير وليس العكس لفقدانه مقومات التوجيه بانعدام أجهزة تدرس وتخطط وتقيِّم.

٧ ـ وهناك خط واضح تمام الوضوح في قيادة القوات المسلحة إذ أن ذلك أمر موكول للقائد العام للقوات المسلحة دون منازع، الذي عليه أن يقود القوات التي تحت أمرته، ولكن هذا لا ينفي أن القائد العام للقوات المسلحة مسؤول مسؤولية مباشرة أمام وزير الدفاع.

٨ ـ وتتميز القيادة الحالية للقوات المسلحة بالآتي:

أ ـ رأس أكبر بكثير مما يتطلبه الموقف مما يولد ضخامة في العدد.

ب ـ بقاء الأفراد في مناصبهم لمدد طويلة الأمر الذي يخالف أي عقيدة عسكرية تريد أن تتطور.

ج ـ عدم تناسق في تسيير الأمور.

د ـ وجود وظائف يمكن الاستغناء عنها.

هـ ـ خلط بين سلسلة القيادة وسلسلة الأركان.

٩ ـ ففي حالة وجود قائد عام للقوات المسلحة أرى ألا داعي على الإطلاق أن يتواجد منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة، كذلك لا داعي لوجود منصب

مساعد القائد العام للقوات المسلحة.

فلقد كان من نتيجة خلق هذه الوظائف بطريقة صناعية تعقيد فعلي في تسيير الأمور، فقبل النكسة لم يكن هناك اختصاصات واضحة ترضي رئيس أركان حرب القوات المسلحة وقتئذ لا عن طريق التعمد في رأيي ولكن لعدم وجود اختصاصات فعلية له في حالة وجود قائد عام أو نائب قائد عام وقتئذ وقادة قوات (قائد القوات الجوية ـ قائد القوات البحرية ـ قائد القوات البرية).

وخلق منصب مساعد القائد العام بدعوى الإشراف على التدريب والتفتيش أمر غير طبيعي لوجود هيئتين تقومان بالعمل فعلاً، الأمر الذي دعانا إلى تكليف مساعد القائد العام بالإشراف فعلاً على هيئة التدريب بعد نقل رئيسها وينبغي الغاء هذا المنصب أيضاً مع ضم هيئتي التدريب والتفتيش في هيئة واحدة تسمى هيئة التدريب والتفتيش.

وللدلالة على فشل هذا النظام ـ أقصد تعدد الوظائف سواء من ناحية الكم أو من ناحية الدرجة ـ فلنقارن تنظيم أنفسنا بتنظيم العدو لقياداته لنجد أن رتباً أقل بكثير في الدرجة والعدد تواجه رتباً أكبر منها وبنجاح كامل اثبتته التجربة التي مررنا وما زلنا نمر بها، فليست العبرة بالعدد ولكن العبرة بالكفاءة فإننا إن وجدنا في بعض القيادات الحالية قدرة على فهم المعركة فإنني أشك كثيراً في أن نجد من يفهم طبيعة إدارة الحرب.

وكان لا بد بعد تورطنا في هذا الاتجاه وخلق هيئات والتوسع فيها من وجود عدد ضخم من الضباط في القيادة العامة للقوات المسلحة حاولنا بكل الوسائل تخفيفه أو تقليله بعد موافقتكم، ولكننا فشلنا في تنفيذ ذلك لسبب واحد هو استمراء الجميع البقاء في القيادة بدلاً من الخدمة في الوحدات والتشكيلات في الوقت الذي يقف فيه العدو على بعد مائة كيلومتر من العاصمة.

ولا غرو أن نجد أنفسنا بعد ذلك عاجزين عن تشكيل قيادة ميدانية نحن أحوج ما نكون إليها الآن، إذ أصبح من المتعذر على القيادة الحالية للجبهة السيطرة على مواجهة تبلغ اتساعها حوالي ١٥٠ كلم واضطرنا إلى انتظار نزول قواتنا من اليمن ليمكن إنشاء هذه القيادة.

١٠ ـ وواجب هيئة الأركان الأساسي اعداد القائد لإعطاء قرار سليم في الوقت

المناسب، وأوامر القائد يجب أن تعطى منه شخصياً للقادة الذين يستعينون بدورهم بهيئة أركان الحرب التابعة لهم ليعدوا لهم قراراتهم.

وعلى هذا فلا يجوز الخلط بين سلسلتي القيادة والأركان في إصدار الأوامر والتعليمات. وبذلك يصبح قائدي القوات الجوية والبحرية وقادة المناطق العسكرية تابعين مباشرة للقائد العام وليس لهيئة أركان حربه.

ويشرف على هيئة أركان حرب القوات المسلحة ـ التي يجب أن تكون مشتركة من القوات الثلاثة ـ رئيس الأركان العامة وواجبه الأساسي الاشراف على الهيئات والادارات وإعفاء القائد العام من أي تفصيلات في جمع المعلومات اللازمة للتخطيط السليم، وليستغل كافة امكانياته المتيسرة لتمكين القائد من إعطاء قراره في الوقت المناسب.

١١ ـ وينشأ مجلس حرب برئاسة القائد العام للقوات المسلحة وعضوية قائد القوات الجوية وقائد القوات البحرية وقادة المناطق العسكرية وعدد آخر من الضباط، واجبه الأساسي ايجاد حل للمشاكل الأساسية التي تهم القوات المسلحة ككل وايجاد فهم مشترك لطبيعة عمل القوات المختلفة.

١٢ ـ وعلاوة على ذلك فبالنسبة للظروف الحالية أيضاً أرى تشكيل قيادة جديدة للعمليات الخاصة من الآن لأي عمليات محتملة في سيناء تقوم بالآتي:

أ ـ التخطيط لشكل العمليات الخاصة من الآن.

ب ـ تنظيم وتدريب واعداد القوات اللازمة.

ج ـ جمع المعلومات التفصيلية وبعمق عن العدو داخل سيناء.

د ـ إعداد تخت رمل وميادين معركة لتدريب الأفراد على عملياتهم المستقبلية.

هـ ـ تشوين تموين في قواعد خاصة بعمق داخل أراضي العدو للعمل مستقبلاً.

و ـ تنسيق العمل مع الوحدات العربية الخاصة التي تعمل في جبهات أخرى.

١٣ ـ إنني أؤمن إيماناً كاملاً بأن أسلوب العمل وإدارته بين القيادات المختلفة وليس التنظيم هو الذي يعكس ما نلمسه الآن من عدم انسجام، ومهما اعددنا من تنظيمات فإن نجاحها أو فشلها يتوقف تماماً على طبيعة الأشخاص الذين يتعاملون مع

بعضهم البعض واسلوب هذا التعامل.

إن الاقتراحات الواردة في هذه المذكرة اقتراحات سهلة بسيطة لا تدخلنا في متاهات تنظيمات جديدة، ولو أردنا أن ننفذها الآن لما أمكننا ذلك للأسباب الآتية :

أ ـ إن كل تنظيم واسلوب عمل جديد يحتاج إلى وقت لهضمه.

ب ـ الظروف الحالية بوجود العدو في اراضينا يحتم تعديلات تناسب هذه الظروف.

ج ـ الأفضلية يجب أن تعطى للقيادات الميدانية، خاصة وأن طبيعة المعركة مع العدو تحتاج إلى عدم التمسك بالأسلوب الكلاسيكي والاتجاه إلى أسلوب جديد يناسب الموقف.

د ـ كما أن الأفضلية يجب أن تعطى للقيادات الميدانية ولأجهزة التدريب عند توزيع القيادات والضباط.

الخلاصة :

١٤ ـ إن أهم ما تبرزه هذه المذكرة هو الآتي :

أ ـ تحديد اختصاص وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة (الملحق «ج» المرفق يوضح اختصاص وزير الحربية).

(الملحق «د» المرفق يوضح اختصاص القائد العام للقوات المسلحة).

ب ـ انشاء مجلس الدفاع الوطني (انظر الملحق أ المرفق) ومجلس احتياجات الدفاع الوطني (انظر الملحق ب المرفق) ومجلس الحرب (البند ١١ من المذكرة).

ج ـ انشاء قيادة ميدان جديدة حيث أصبح من المتعذر سيطرة القيادة الحالية على كل الجبهة بطولها.

د ـ انشاء قيادة للوحدات الخاصة للتجهيز ولقيادة العمليات المقبلة في سيناء.

هـ ـ الغاء منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة ومساعد القائد العام للقوات المسلحة.

و ـ هيئة أركان حرب القيادة أجهزة تخطيط وليست قيادة، ويشرف عليها رئيس الأركان العامة.

ز ـ قسم جهاز التعبئة العامة والاحصاء إلى وزارة الحربية وانشاء بعض الأجهزة اللازمة لها لتنفيذ اختصاصاتها.

١٥ ـ إذا ووفق على الخطوط العامة السابقة يمكن وضع التفصيلات التنفيذية.

وزير الحربية

(أمين حامد هويدي)

أكتوبر سنة ١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الملحق (أ)

مجلس الدفاع الوطني

١ ـ يشكل مجلس الدفاع بقرار من رئيس الجمهورية على الوجه الآتي:

رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة	رئيساً
وزير الحربية	نائب الرئيس
وزير الخارجية	
وزير الداخلية	
وزير الخزانة	
رئيس المخابرات العامة	اعضاء
قائد عام القوات المسلحة	
قائد القوات الجوية	
قائد القوات البحرية	
رئيس هيئة الشؤون المالية والادارية	اعمال السكرتارية

وللمجلس أن يدعو لحضور جلساته من يرى الاستعانة بمعلوماته أو خبرته من الوزراء أو غيرهم على ألا يكون لهم صوت في المداولات.

٢ ـ يختص مجلس الدفاع بالآتي:

أ ـ الشؤون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها ورسم سياسة الدفاع عنها والاجراءات المتعلقة بكفالة الأمن الداخلي.

ب ـ تقرير السياسة التي تتبع في إعداد القوات المسلحة وتنظيمها وتموينها.

ج ـ وضع القواعد التي تكفل تحقيق التعاون بين القوات المسلحة وإدارات الحكومة الأخرى فيما يتصل بشؤون الدفاع عن البلاد، وتعيين الخدمات التي تكلف بها هذه الإدارات من أجل تحقيق هذا الغرض.

د ـ تعيين الحالات التي يصح فيها استخدام القوات المسلحة.

هـ ـ تقرير السياسة التي تتبع في شأن التعبئة العامة.

و ـ مشروعات الاتفاقات العسكرية واتفاقات الهدنة ومعاهدات الصلح.

ز ـ تقرير السياسة العليا للدفاع المدني.

٣ ـ يدعى المجلس للانعقاد بناء على طلب رئيس الجمهورية أو وزير الحربية على ألا تقل اجتماعاته عن مرة كل ثلاثة شهور. على أنه في حالة إعلان التعبئة العامة أو قيام حرب يعتبر منعقداً بصفة مستمرة ليباشر جميع المسائل المتعلقة بالتعبئة ويشرف على تنفيذها ويتولى إدارة الحرب عند نشوبها.

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الملحق (ب)

مجلس احتياجات الدفاع الوطني

١ ـ يشكل مجلس احتياجات الدفاع الوطني بقرار من رئيس الجمهورية على الوجه الآتي:

رئيس الجمهورية	رئيساً
وزير الحربية	نائب الرئيس
وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية	
وزير الخزانة	
وزير التموين والتجارة الداخلية	
وزير النقل	أعضاء
وزير الانتاج الحربي	
القائد العام للقوات المسلحة	
رئيس هيئة الامدادات والتموين	
رئيس التعبئة والاحصاء	

وللمجلس ان يدعو لحضور جلساته من يرى الاستعانة بمعلوماته أو خبرته من الوزراء أو غيرهم على ألا يكون لهم صوت في المداولات .

٢ ـ يختص مجلس احتياجات الدفاع الوطني بالآتي :

أ ـ النظر في احتياجات القوات المسلحة بدراسة المشاكل الحربية من نواحيها الاقتصادية والمدنية .

ب ـ الربط بين المسائل الحربية والإدارية .

ج ـ توفير احتياجات القوات المسلحة من الانتاج المحلي أو الخارجي .

د ـ تعبئة كافة الموارد لخدمة المجهود الحربي .

٣ ـ المسائل التي ليس في حدود اختصاصات الوزارات المختلفة تناقش في مجلس الوزراء لإقرارها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الملحق

(ج) اختصاصات وزير الحربية

١ ـ اتخاذ كافة الترتيبات اللازمة للدفاع عن الجمهورية ضد أي عدوان.

٢ ـ تنفيذ توجيهات وقرارات رئيس الجمهورية والحكومة ومجلس الدفاع والخاصة بتجهيز الدولة لحرب بالتعاون مع القيادة العامة للقوات المسلحة.

٣ ـ تنسيق المجهود المدني اللازم لمواجهة احتياجات المجهود الحربي.

٤ ـ تحديد نوع وحجم القوات المسلحة اللازمة لمساندة سياستنا الخارجية وإدارة هذه القوات بأقل التكاليف.

٥ ـ حلقة الاتصال بين القوات المسلحة والوزارات والهيئات المختلفة.

٦ ـ توفير كافة الاحتياجات المناسبة للقوات المسلحة (أسلحة ومعدات ومهمات وأغذية وملابس . . . الخ) سواء عن طريق الانتاج المحلي أو من الأسواق الخارجية.

٧ ـ الاحتفاظ باحتياطي مناسب من الاحتياجات للقوات المسلحة ووضع خطة تخزينها في كافة أنحاء الجمهورية.

٨ ـ التأكد من الكفاءة القتالية للقوات المسلحة بالاشتراك مع القائد العام للقوات المسلحة مع تقديم تقارير دورية عن حالة القوات ودرجة استعدادها لمجلس الوزراء أو مجلس الدفاع.

٩ ـ يمارس السلطات الأعلى بالنسبة للنواحي المالية والحسابية والإدارية والتفتيش المالي والإداري والمخزني.

١٠ ـ الاشراف الكامل على تنظيم عمليات البحوث وتطوير الأسلحة والمعدات بصفة مستمرة لتلائم أنسب الاستخدام بالنسبة لاحتياجاتنا كذا الاشراف على مرحلة

الانتاج للأسلحة الجديدة التي يستقر الرأي على صلاحيتها.

١١ ـ الاشراف على التعبئة العامة لكافة الجهود المتيسرة لخدمة المجهود الحربي.

١٢ ـ إخفاء وتمويه وحراسة المنشئات العسكرية والمدنية تبعاً للأسبقيات الموضوعة.

١٣ ـ تخصيص أماكن المطارات والقواعد الجوية والمخازن والمعسكرات والاشتراك في وضع خطة المرافق العامة للدولة (طرق ومحطات مياه ومخازن وقود . . . الخ) لخدمة المجهود الحربي.

١٤ ـ وضع السياسة العامة للأفراد في القوات المسلحة والاشراف على تنفيذها.

١٥ ـ التوجيه السياسي والمعنوي للقوات المسلحة.

١٦ ـ وضع خطة الأنواع الأخرى من التدريب العسكري أو ذو الصبغة العسكرية في الجمهورية والاشراف على تنظيمها والتأكد من كفاءتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الملحق (د)

اختصاصات القائد العام للقوات المسلحة

يعين القائد العام للقوات المسلحة بقرار جمهوري ويكون مسؤولاً أمام رئيس الجمهورية ووزير الحربية في تولي الاختصاصات الاتية :

١ ـ القيادة المباشرة لجميع القوات المسلحة في زمن الحرب والسلم .

٢ ـ تنظيم وإدارة أفرع القوات المسلحة لتحقيق الغرض من العمليات .

٣ ـ إصدار التعليمات والتوجيهات والتصديق على الخطط لتدريب القوات المسلحة .

٤ ـ الحفاظ على الكفاءة القتالية للقوات المسلحة والاشتراك مع وزير الحربية في تقديم التقارير إلى القائد الاعلى للقوات المسلحة أو مجلس الدفاع الوطني .

٥ ـ إصدار توجيهات العمليات إلى القيادات التعبوية والموافقة على خطط القيادات التعبوية لرفعها للقائد الاعلى للقوات المسلحة للتصديق عليها .

٦ ـ الاحتفاظ بالمستوى العالي من الضبط والربط بين أفراد القوات المسلحة .

٧ ـ العمل دوماً على الحفاظ على كفاءة وصلاحية الاسلحة والمعدات والمهمات العسكرية لمواجهة مطالب العمليات ووضع الخطط والمرتبات اللازمة لتوزيعها على أفرع القوات المسلحة .

٨ ـ الاشتراك في التخطيط الخاص بتحضير القوات الاحتياطية والاشراف على توزيعها .

٩ ـ إعداد مسرح العمليات بالاشتراك مع وزير الحربية .

١٠ ـ إقرار حجم القوات المسلحة وشكلها وتنظيماتها وتطويرها بالاشتراك مع وزير الحربية .

محضر مقابلة بين السيد أمين هويدى وزير الحربية وبين الماريشال جرتشكو وزير الدفاع السوفييتى يوم ١٩٦٧/١١/١٠

سري للغاية

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الوثيقة (٥)

محضر مقابلة

بين السيد / أمين هويدي	وزير الحربية
وبين المارشال / جريشكو	وزير الدفاع السوفييتي

مكان ووقت المقابلة

مكتب وزير الدفاع السوفييتي بموسكو ساعة ١٢,٠٠ يوم ١٩٦٧/١١/١٠

الحضور

من الجانب السوفييتي

المارشال جريشكو	وزير الحربية السوفييتي
كولونيل جنرال (فريق) دسايف	مساعد وزير الدفاع السوفييتي
لفتنانت جنرال (لواء) مايسلوف	مدير العلاقات الخارجية بوزارة الدفاع

من الجانب العربي

السيد الوزير امين هويدي	وزير الحربية
لواء احمد فتحي عبد الغني	المستشار الصناعي الحربي بموسكو
لواء محمد رفعت حسنين	مدير مكتب وزير الحربية

الوزير هويدي

أود أن أهنىء القوات المسلحة السوفييتية بالعيد الخمسيني لثورة اكتوبر في

شخصكم ونتمنى أن نكون موجودين جميعاً في العيد المئوي ـ قد نكون جميعاً مسنين ولكن الثورة ستكون شابة كما هي الآن.

المارشال جريشو

لن اكون موجوداً أنا على كل حال

الوزير هويدي

إني أريد الحديث مع المارشال قبل المغادرة لأعطى له فكرة عامة عن الموقف وتقديرنا له بصراحة. لقد بذلت كل الجهود منذ بدء الازمة للوصول الى حل سلمي وهذه كانت رغبتنا من البداية وقد حدثت تغيرات في المجال العالمي وقد ثبتت فرنسا في عدم تسليح إسرائيل بالرغم من الضغط الصهيوني عليها ورغم تسلمها طائرات الميراج التي تعاقدت عليها.

المارشال جريشكو

وهل تثقون في ذلك.

الوزير هويدي

نثق بالرغم من أن إسرائيل تحاول أن تحصل على أسلحة وطائرات فرنسية من دول أخرى وليس مباشرة من فرنسا، وبهذه المناسبة أود أن أذكر أن بعض الصواريخ المجهزة بالاشعة الحمراء قد ظهرت حالياً في منطقة القناة.

إن موقف انجلترا قد ظهرمن موقف مستر براون في الامم المتحدة إلا أنها تأثرت بالضغط الأمريكي عليها، وقد حاول المستر براون التقارب من ج. م. ع. وأرسل للسيد الرئيس السير هارولد بيلى في محاولة لإعادة العلاقات السياسية بين البلدين ـ إن المشاكل مع انجلترا قد قلت فقد صرحوا بانسحابهم من الجنوب العربي وعدن كما اننا نترك الآن اليمن، ولقد تغير الموقف السياسي في الأمم المتحدة لصالحنا بصفة عامة غير أن اميركا لا زالت تمارس ضغطا واضحاً على دول غرب أوروبا وأميركا الجنوبية وكندا ودول أخرى حتى لا تساير الحل السلمي العادل لأنها لا ترغب في ذلك. إنهم يتكلمون عن السلام ولكنهم يعنون الاستسلام الكامل لأن الأميركان لا يريدون نظماً تحريرية في المنطقة، إنهم يحاولون التخلص من النظم الثورية ولا ينسون الخطوات التقدمية التي

تمت في الشرق الأوسط وافريقيا وإنهم حذرون جدا من موقفنا الاشتراكي والخطوات التي تمت في هذا السبيل، وكان ذلك واضحاً عندما استقال رئيسنا ولكن بمجرد عودته بناء على طلب الجماهير ظهر لهم أنهم لم يحققوا شيئاً ولذلك فهم ما زالوا مصرين على تحقيق رغبتهم وكيف يكون ذلك؟ إننا نرى أنهم يعتقدون أن الوقت ضدنا وأن الجبهة الداخلية والاقتصادية ستتقلص مع الزمن وأنه سوف يحدث انهيار داخلي عندنا فنضطر حسب اعتقادهم بالاتصال المباشر مع إسرائيل. كلما زادت قوتنا كلما زادت قوة موقفنا الدبلوماسي وإننا نشكر اصدقاءنا السوفييت على معاونتهم الطيبة في الايام السوداء لقد اعطوا لنا هدية من الاسلحة اعتقد انها وصلت كلها الآن كما أن اتفاقية يوليو ٦٧ قد وصل معظم محتوياتها. . اكرر مرة اخرى الشكر الجزيل لاصدقائنا السوفييت.

لقد تمت فعلاً خطوات كثيرة في قواتنا المسلحة في مجال التدريب وقد وقعنا اخيرا اتفاقية المستشارين وهم سيصلون حسب جدول معين ـ ونظامنا الدفاعي الآن مرضي ـ إننا نسحب جنودنا من اليمن وهذا من شأنه اضافة فرقتين إلى قواتنا وخططنا قائمة على التدريب القاسي لقواتنا لتكون جاهزة للتسليح بمجرد وصول المعدات لنبدأ التدريب المشترك. نعتقد أنه يمكن اضافة خطوات جديدة في مجال خفة الحركة وقوة النيران والسيطرة وقوة الردع. كلما امكنكم معاونتنا في مجال التسليح فإن ذلك يقوي من امكانية الوصول إلى حل سلمي. دفاعنا الآن يحتاج إلى خفة الحركة لأننا نفتقر إلى عدد من العربات وامامنا مشكلة اخرى هي النقص في اعمال الدفاع م/ ط وهذه المشكلة كبرت لا سيما بعد أن تسلم العدو طائرات جديدة من اميركا من طراز سكاي هوك. التي تغطي تقريباً كل اراضي بلدنا بمداها الطويل، كما أن اميركا تزود اليهود أيضاً بمتطوعين مع الطائرات وقد أعلنت أخيراً أنه تم تدريب كل الطيارين على السكاي هوك وهذا غير صحيح لأنهم اعطوهم متطوعين مدربين أصلاً. نحن الآن نحاول تقوية وسائل الانذار ـ إننا نبني مطارات اكثر وندرب طيارينا ولكن المشكلة هي الطيران الواطي، لقد تعود العدو الوصول إلينا على ارتفاع يقل عن ٥٠٠ متر ولكن راداراتنا لا يمكنها متابعتهم ولا سيما أن طبيعة الأرض تعاونهم في ذلك. إننا نحاول تعزيز وسائل الانذار وتحديث الدفاع م/ ط بالبالونات المحلية والدخان بالاضافة إلى رشاشات م/ ط ولكن بالطبع إذا امكن نشر مطاراتنا فسيساعدنا ذلك كثيراً ولكن المطارات تحتاج إلى وسائل دفاع م/ ط.

لقد بدأ العدو في ضرب مشروعاتنا المدنية ومصانعنا ونحن الآن لا نملك قوة انتقامية . فإذا شعروا بأنه يمكننا الانتقام وضرب المدنيين عندهم فإنهم لن يجسروا على القيام بذلك ، ولكن طائراتنا محدودة المدى حاليا وعلى سبيل المثال فعندما ضربت مدمرتهم إيلات انتقموا لهذا الحادث بضرب معامل تكرير البترول بالسويس وعندما حدثت اشتباكات على جانبي القنال ضربوا المدنيين في السويس والاسماعيلية وذلك لعدم شعورهم بوجود وسائل انتقامية لدينا ولا سيما في الجو.

مواقعنا القتالية الآن فيها تقدم كثير ولكننا في حاجة لقوة نيران وخفة حركة كما ينبغي أن يكون دفاعنا بقوة لمواجهة أي احتمال لعبور العدو القنال بالمظلات والهيلوكبتر. وبالنسبة لقوة النيران فيهمنا تعزيز المدفعية كما أنه بالنسبة للسيطرة فإننا في حاجة إلى اجهزة لاسلكية لأننا في سبيل اعداد قيادة ثانية لمنطقة القناة حيث يصعب على قيادة واحدة الآن السيطرة على قوات في مواجهة ١٥٠ كيلو متر.

لكل هذه الاسباب لدينا بعض الطلبات نرجو أن يتم بحثها وهي على ثلاثة انواع كالاتي : ـ

١ ـ معدات متعلقة باتفاقيات لم تصل للآن.

٢ ـ معدات نرجو الاسراع في ارسالها الينا .

٣ ـ معدات جديدة .

لا أريد الدخول في التفاصيل ولكنني أريد أن اضغط على نقطة واحدة هي أنه إذا احتفظنا بالقوة المسلحة في ج. م. ع. قوية في التسليح والتدريب فسوف يكون هذا هو السبيل للوصول إلى حل سلمي.

المستر جريشكو

لدي بعض النقاط التي أرغب في اثارتها .

لا يمكن أن يتم تغيير في الموقف الراهن عندكم إلا إذا تأكدوا من وجود جيش قوي وإلا فإن اليهود سيبقون في مواقعهم . وإن تحديد موقفكم تجاه اليهود سيتم بتقوية القوات المسلحة والحل السلمي يعتمد تماما على وجود جيش قوي.

إذا امكنكم تدمير إسرائيل باكراً فسوف نقف معكم ولكن حسب معلوماتنا أن ج.م.ع. ليس لديها قدرة على ذلك الآن. والمهم زيادة جيش ج.م.ع وأنا أعلم صعوبة ذلك بالنسبة للموقف الاقتصادي لديكم. لكن هذا مهم حيث من الصعب تدمير إسرائيل بقوات من نفس حجمها .

من الضروري زيادة المطارات فعلا ويمكن أن يبقى في كل مطار سرب واحد من ٢٠ ـ ٢٥ طائرة فقط ويجب أن تكون جميع المطارات بها تحصينات حيث لا يمكن تدميرها وهي في الملاجيء.

ومن الضروري الفصل بين القوات الجوية والدفاع الجوي وكلما اسرعتم في ذلك كان أحسن لأن المهمة بينهما مختلفة إختلاف الهجوم عن الدفاع ـ يجب أن يكون لكل قائد منهما جهازه وعمله المستقل ـ ولكل منهما خططا متساوية وعمل مختلف وبدون ذلك لن يمكن النهوض بالدفاع الجوي عندكم .

إننا نفكر في كيفية معاونتكم بالمعدات وسنخطر سلطاتنا بذلك .

إننا نريد القيام بذلك لتغطية الدفاعات المطلوبة من اسوان ـ القاهرة والاسكندرية ويجب أن لا تقع هذه المدن تحت تهديد، وسنخطركم بما يتم .

إننا نفكر كيف يمكن تغطية القدرة البحرية جواً في الدفاع وكيف يمكن معاونتها إذا قامت بالهجوم. ونحن نفكر أيضاً فيما ذكرتموه عن عامل الردع والانتقام Retaliation وتزويدكم بالطائرات التي تستطيع الوصول إلى أي مكان في إسرائيل. لقد أسفنا على عدم وجود الدقة في مدفعيتكم. مستحيل أن يقوم العدو بضرب المدن ولا يمكن لمدفعيتكم الرد بدقة وإسكات مدفعية العدو، فكيف نتصور أن يستمر العدو في ضرب معامل تكرير السويس خمسة ساعات ولا تستطيع مدفعيتكم اسكاته. لديكم الهاونات ١٢٢ ملم ولديكم جميع أنواع المدفعية. قد ينقصكم فعلاً بعض معدات استطلاع المدفعية ونحن نفكر في معاونتكم في ذلك أيضاً ونفكر كذلك في كيفية معاونتكم إذا حاول العدو استخدام الهليوكبتر أو جنود المظلات في الهجوم عليكم.

إننا ندرس استعداد وموقف الافراد لديكم فإذا كان لديكم طائرات أكثر من الطيارين فإنه يجب تدريب عدد أكثر من الطيارين قبل الحصول على طائرات اخرى .
إننا في بلدنا لدينا ٢ طيار لكل طائرة واقل نسبة مسموح بها هي ١,٥ طيار لكل طائرة

انكم الآن في حاجة إلى ٥٠ طيار لتواجهوا ما لديكم من طائرات.

إننا على استعداد للمعاونة في حدود طلباتكم ثم نرفع الموضوع إلى سلطاتنا فإذا وافقوا على خطتنا فسوف نخطركم بها ولكن هدفنا هو معاونتكم في حدود انتهاء النزاع مع إسرائيل بتأثير أكبر وطبعاً لن يمكن انتهاء كل الامور في شهر أو اثنين أو حتى بنصف سنة.

وإذا وافقت حكومتنا ووافقتم أنتم أيضاً فسوف تعد خطة معينة.

حديث آخر يتعلق بتقوية جيشكم فإذا أرسلنا خبراء لكم فهو يعبر عن رغبتنا في معاونتكم. إنهم يعملون هناك كما يعملون هنا ويعتبرون أن جيش ج.م.ع. هو جيشهم.

كلما زاد الاهتمام بالسريّة والبطارية كلما قويت كفاءة القتال في الوحدة، وأنا اعتبر أن الخبير في السريّة هو أهم من الخبير في اللواء والرئاسة الاعلى، وفي الدول الاوروبية الصديقة مثل بولندا والمانيا والمجر تواجد الخبراء الروس في الفصائل والبطاريات أولاً ثم انسحبوا بعد فترة إلى المستويات الاعلى تدريجياً وما زال لدينا عدد محدود منهم في المستويات العليا حالياً.

موضوع اخر ـ الضبط والربط والنظام العسكري في جيشكم ـ لقد تلقيت تقارير من أن بعض الضباط يتركون اماكنهم في القتال ويرحلون للقاهرة بدون تصريح كما علمت أنهم غير مسلحين بالاسلحة الشخصية وليس لديهم قنابل يدوية لوقايتهم الشخصية مثلاً، وهناك ضباط قدامى لا يزورون خطوطهم الامامية وأفرادهم الاصاغر، وعلى العموم فلا توجد صلة بين العناصر القيادية والرتب الصغرى.

لا يوجد في جيشكم عمل سياسي عقائدي منظم، وهو العمل الذي يعلم الافراد كيف يحبون بلدهم ويكونون وطنيين تماما وسعيدون بحبهم للشعب والوطن Love for people and love for country

إننا نضع ضباط سياسيين في الوحدات لهم أهمية تفوق الضباط المدرّبين، لأن المعنويات أهم من التسليح والتدريب وإذا كان هناك قائد غير متردد وحاسم فلن يترددأحد خلفه من الضرب بقوة وتأثير.

إني اذكر كل ذلك لأن هذه النقطة لازمة حتى لا يبقى الجيش في الدفاع لأن النظر إلى المستقبل حين تصبحون في موقف يسمح لكم بحسم المشكلة مع إسرائيل، ويجب أن يتم العمل في ذلك بجدية. هناك كلام في بلدكم يطالب بحسم كل شيء فوراً وفي خلال أشهر قليلة ولكن هذا ضار ومن المهم وجود تعاون وثيق مع الدول المتحررة الاقوى مثل سوريا والعراق، فمثلاً المانيا كانت ضد روسيا وفرنسا ولم تتمكن من العمل في الجبهتين معاً وكذلك فإن إسرائيل لن تستطيع القتال ضد جبهتين في نفس الوقت وقد ارسلت خبراء إلى سوريا كما حدث معكم.

إننا سندرس الطلبات التي قدمتموها لنا وسنقبع في النظر للموقف العام ولا استطيع أن أرد عليكم الآن لأننا سندرس ونرفع لسلطاتنا ونرد عليكم.

لقد تمت مقابلات كثيرة بين الرئيس ناصر وسفيرنا في القاهرة كما وصلتني تقارير من لاشنكو رئيس هيئة الخبراء السوفييت في القاهرة).

إن التعاون بيننا وثيق وقد يزورنا الرئيس ناصر وقد يتوجه قادتنا لبلدكم.

انوزير هويدي

اشكر الصديق جريشكو على حديثه الصريح وهو يسرني سماعه، وقد ذكرتم نقاط محددة كنت انوي اثارتها ولذلك ارجو ايضاح الآتي: ـ

١ ـ خطة انشاء المطارات، حيث اعددنا خطة كلفتنا حوالي ٢٨ مليون جنيه.

المارشال جرتشكو

كم عدد هذه المطارات

الوزير هويدي

عددها ٢٥ مطارا ـ إننا نبني الآن مئات من الدشم الواقية لطائراتنا كما نجري تجارب للضرب على الاهداف داخلها وجهزنا ملاجيء خاصة لتسمح بخروج ودخول الطائرات بسرعة. وقد اصبح منظر الطائرات الآن يخالف تماماً ما كان حاصلاً قبل ذلك، فالطائرات مموهة والمطارات منتشرة والملاجيء جاهزة. كما أحدثنا تغييرات في قيادة وأجهزة القوات الجوية وسلمنا الامور لضباط شبان فنيين ذوي مهارة، وبالنسبة للجيش نعمل ذلك أيضاً.

الوزير جرتشكو

لقد سألت لاشنكو كيف تسمح لمدفعية العدو بضرب معامل التكرير بالسويس؟

الوزير هويدي

سأشرح موقف المعامل . . إنها على خط اقصى المواقع الدفاعية الامامية ومرصودة من العدو الذي ينتقل بمدفعيته ذاتية الحركة من جبهة إلى اخرى، وعلى أي حال فقد اخبرني لاشنكو أن مدفعيتنا تعمل لاسكات منطقة وليس غرض.

المارشال جرتشكو

هل تستخدمون طائراتكم لاسكات العدو؟

الوزير هويدي

حتى الآن لم نستخدمها لأن ذلك قد يصعد الموقف ونحن على غير استعداد لذلك الآن.

المارشال جرتشكو

لا يمكن قبول هذا الوضع، يجب أن يطير الطيار على ارتفاع ٢٠٠ متر ويسكت بنفسه البطارية التي تضرب.

الوزير هويدي

لدى العدو الآن ميزة هي استعمال مطاراتنا في سيناء ونحن لا توجد لنا حالياً مطارات قريبة جاهزة للاستخدام لأن مطاراتنا بالقناة تنالها اسلحة العدو. وإذا كانت لدينا طائرات تطول اراضي العدو فلن نحجم اطلاقا عن استخدام قواتنا وهذه هي المشكلة.

إننا نرغب في الرد دون تصعيد الموقف وذلك حتى يتم الاستعداد. بخصوص الخبراء يوجد تعاون قوي الآن ـ قد نتوقع اخطاء فردية من هنا أو هناك ولكني اتابع ذلك فوراً.

المارشال جرتشكو

اشعر أن في جيشكم افراد لا يرغبون خبراتنا.

الوزير هويدي

لا اعتقد ذلك الآن وإن كان في السابق تجري اعمال ضد النظام كله ولكن كل شيء وضع مكانه الآن. إن اهتمامنا كبير بالخبراء وأنا دائم الاستفسار عنهم من المستر لاشنكو وسوف يكون لدينا حوالي ١٩٠ خبيراً روسياً في الجو يجب أن نستفيد منهم ـ والعدو يستفيد من عامل الوقت.

المارشال جريشكو

هل تقصدون من عامل الوقت أن العدو يحصن المنطقة التي يحتلها من ارضكم؟

الوزير هويدي

سأشرح ذلك. إن اميركا خلف العدو وضد نظامنا كله. جماهيرنا لا تحتمل الصبر الطويل وهي ترى العدو يحتل اراضينا والشعب يتعجل الانتقام ولذلك فأميركا تستغل عامل الوقت للضغط على الجماهير. وإذا شعرت أميركا وإسرائيل إننا نبني قواتنا بسرعة فسوف يترددون في موقفهم. إننا لا يمكن أن نسكت على العدو ويجب أن نشعره أن بقاؤه في سيناء هو خسارة مكلفة له كثيراً. وكلما أسرعنا بإعادة التنظيم وإعادة التسليح سيشعر الافراد بمدى معاونة الاتحاد السوفييتي.

لقد تسلمت إسرائيل طائرات جديدة وإنهم يستقبلون متطوعين وتكلموا عن اسلحة سرية واحضروا للجبهة صواريخ مجهزة بالاشعة تحت الحمراء كما سبق أن اوضحت، ولقد ذكر المارشال أن الرد عن طلباتنا سيصلنا خلال اسبوع أو شهر وأنا أرجو أن يصلنا باسرع ما يمكن حتى نخطط على اساس ثابت ونعطي ثقة لكل فرد يسير في طريقه فعلاً.

لدينا تعديلات تمت محلياً ـ مثل تعديل طائرة السوخوي لزيادة المدى ولكن معداتنا في ذلك محدودة وإذا أمر المارشال باعداد ما طلبناها فسنرسل طائرة لنقله فوراً. كذلك عمرة ماكينات الطائرات فنحن نرجو أن نأخذ من الموتورات الجاهزة عندكم ٢٠ موتور تخصم من ٤٥ موتور لديكم منا تحت العمرة ـ هذا يعاوننا في علاج الموقف ـ نفس

الموضوع بالنسبة لطائرات الميج ٢١ متعددة الاجواء. ويخصوص البحرية لدينا عقود لعدد ٢ مدمرة (عقد عام ١٩٦٤) بجانبها المعدات والتجهيزات وإذا امكن الغاء هذا العقد يكون مناسباً لنا ـ لسبب مالي فقط ـ بالاضافة إلى أن موقفنا لا يعاون على استيعابها.

أيضاً نرجو تأجيل تسليح لنشات الصواريخ حالياً.

ونحن نرجو تزويدنا بمعدات الدفاع عن الموانىء. وأعود فأكرر موضوع الطائرات الجديدة ذات المدى الذي يغطي أرض إسرائيل.

المارشال جرتشكو

سندرس كل ذلك ونرى. يهمنا أن يكون لديكم وسائل تصل بكم لكل النقط داخل إسرائيل.

الوزير هويدي

اعتبر ذلك موافقة.

المارشال جرتشكو

لا املك ذلك الآن ـ لا استطيع التوقيع.

الوزير هويدي

لا اطلب توقيع وانما اعتبرها موافقة في المبدأ.

المارشال جرتشكو

سندرس ونعرض على سلطاتنا هنا.

الوزير هويدي

إسرائيل لديها طائرات تصل الينا ـ لديها السكاي هوك.

المارشال جرتشكو

وما هي السكاي هوك، لدينا الرغبة في تزويدكم بطائرات تصل إلى كل نقطة في إسرائيل وابعد من ذلك وسندرس.

الوزير هويدي

يوجد بموسكو ضباط وهم على استعداد لمناقشة نظرائهم في بعض الطلبات والنواحي الفنية.

المارشال جرتشكو

يترك لهم مناقشة ما هو قائم فعلا ولا أرى مناقشة الطلبات الجديدة إلا بعد أن ندرسها.

الوزير هويدي

يسعدني أن أرى إن تيسر الوقت إحدى قواعدكم الجوية وأشاهد شيئا عن الدفاع م/ ط لا سيما ضد الطيران الواطي.

المارشال جرتشكو

يسعدنا ذلك ويمكن تنظيمها فوراً.

تعلمون أن لديكم قطعاً بحرية من عندنا تزور بور سعيد والاسكندرية حالياً، ما رأيكم في المدة المناسبة لبقائها هناك. هل ترغبون في استمرار الزيارة أو اعادة القطع المذكورة.

الوزير هويدي

هل سمع المارشال عن صعوبات حالية بخصوص هذه الزيارات.

المارشال جرتشكو

أبداً ـ هل هناك موقف سياسي معين بخصوصهم. هل يضايق وجودهم الرئيس ناصر.

الوزير هويدي

إنهم حصلوا على إذن بالزيارة وهم موجودين على هذا الاساس.

المارشال جرتشكو

في الواقع لقد تلقينا معلومات بنية إسرائيل لاحتلال بور سعيد ولذلك فالقطع

الوثيقة رقم ٥

هناك لمواجهة ذلك وللاشتراك في القتال في هذه الحالة .

ولكن هل ترون استمرار وجودهم ام لا؟

الوزير هويدي

هل شعر المارشال بشيء في هذا الموضوع؟

المارشال جرتشكو

أبداً ـ قائد البحرية يسألني عن الوقت الذي يمكنهم أن يبقوه هناك .

الوزير هويدي

عند رجوعي للقاهرة سأخطركم بالاجابة عن سؤالكم .

المارشال جرتشكو

أرجو إخطاري .

إن اعينهم مفتوحة لملاقاة أي عدوان وليس وجودهم هناك لمجرد الزيارة .

الوزير هويدي

إننا نرحب بهم كأصدقاء على كل حال .

وأعتقد أننا لن نسمع من المارشال قراراً بخصوص طلباتنا قبل رحيلنا .

المارشال جرتشكو

سنعمل وندرس كل طلباتكم وسنعمل جهدنا لتلبية طلباتكم وسنتصل بالسلطات للحصول على موافقتها .

الوزير هويدي

أرجو من المارشال إعطاء الضوء الاخضر للاسراع في تلبية مطلبنا .

المارشال جرتشكو

سنضع ذلك في الاعتبار.

محضر مقابلة بين أمين هويدى وزير الحربية وبين المارشال زخاروف نائب وزير الدفاع ورئيس أركان حرب الجيش فى ١٠/ ١١/ ١٩٦٧

وزارة الحربية
مكتب الوزير

سري للغاية

الوثيقة (٦)

محضر مقابلة

بين السيد / أمين هويدي — وزير الحربية
وبين المارشال زخاروف — نائب وزير الدفاع السوفييتي ورئيس أركان حرب الجيش

مكان ووقت المقابلة

مكتب نائب وزير الدفاع السوفييتي ورئيس أركان حرب الجيش بموسكو ساعة ١٦,٠٠ يوم ١٠/ ١١/ ١٩٦٧.

الحضور

من الجانب السوفييتي

المارشال زخاروف	نائب وزير الدفاع السوفييتي ورئيس أركان حرب الجيش
كولونيل جنرال (فريق) دجاييف	مساعد وزير الدفاع السوفييتي
لفتنانت جنرال (لواء) ماسلوف	مدير العلاقات الخارجية بوزارة الدفاع

من الجانب العربي

السيد الوزير أمين هويدي	وزير الحربية
لواء محمد رفعت حسنين	مدير مكتب وزير الحربية

الوزير هويدي:

لا يمكن أن نكون هنا في موسكو ولا نزور المارشال زخاروف لننقل إليه تحيات أصدقائه بالقاهرة وتحياتي كصديق جديد.

المارشال زخاروف:

يسرني جداً أن أكون صديقاً لكم وارجو نقل تحياتي للجنرال فوزي والجنرال رياض مع أطيب تمنياتي واحترامي للرئيس ناصر.

الوزير هويدي:

في صباح اليوم زرنا المارشال جرتشكو وكان الغرض هو اعطائه تحليلاً للموقف من وجهة نظرنا وانا كسياسي قديم اعطيته تقديراً للموقف السياسي ولا أدري إن كان لديكم وقت للاستماع للتحليل السياسي.

المارشال زخاروف:

تفضل.

الوزير هويدي:

تكلمنا عما يجري في الأمم المتحدة ومجلس الأمن في محاولات وراء الكواليس للوصول إلى حل سلمي، إننا نسعى دائماً للحل السلمي ولكنه طريق لا نهاية له ونرى أن تعزيز قواتنا المسلحة هو الأساس. إن الأميركان لا يعملون للحل السلمي ـ لماذا ـ لأنهم يرغبون في التخلص من كافة النظم المتحررة في المنطقة وقد حاولوا استغلال أزمة يونيو الماضي لصالحهم والتخلص من النظام ـ إنهم لا ينسون موقفنا تجاههم ويعتبرون إن زوال نظامنا سيعمل على توطيد اقدامهم في افريقيا والشرق الأوسط. هم لا ينسون موقفنا من الجزائر والسعودية والكونغو. . . الخ. يخشون انتشار الفكرة في المنطقة. إن الأميركان يستخدمون إسرائيل كمخلب القط لهم وأنا أذكر عندما سقط حلف بغداد ووقعت وثائقه في ايدينا كيف ظهر أن إسرائيل كانت داخله كقاعدة أميركية في المنطقة حيث كانت تبني القواعد فيها بالتنسيق مع تركيا وايران وباكستان. على كل حال انهم يحاولون التخلص من نظامنا وهم يعملون على اساس ان عامل الوقت الآن سينجم عن

انحسار نظامنا سياسياً واقتصادياً، وهم عندما يعنون الحل السلمي فهم يعنون الاستسلام ويرغبون منا ما رفض الملك السابق فاروق تنفيذه: التفاوض مع إسرائيل وهذا معناه انهيار النظام وهو ما لا نقبله ـ وإذا ما استمرينا في تنفيذ برامج إعادة التسليح لقواتنا المسلحة فهو معناه اننا نعيق رغبة أميركا وإسرائيل في التخلص من النظام.

بعد زيارة المارشال للقاهرة حدثت أشياء كثيرة مشجعة في قواتنا المسلحة وشكراً للتعاون الوثيق الكبير والمعاونة المخلصة من الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية التي ترجمت بالأسلحة والهدايا التي قدمت مباشرة بعد الأزمة، وكذلك العقد الأخير الذي أبرمه الجنرال رياض وهنا يجب أن أشكر الجميع على معاونتهم لنا.

إننا لم ننتظر وصول الأسلحة وانما بدأنا التدريب وسوف نعيد تسليح قواتنا بمجرد وصول السلاح وتدفقها للجبهة ـ اننا نسحب فرقتين من اليمن إلى القاهرة والاسكندرية وهم في حاجة لأسلحة وسوف تزيد تبعاً لذلك قواتنا.

نقدم الشكر للخبراء، الجنرال لاشنكو ـ ليس معنا الآن ـ وهو صديق مخلص متعاون وقد لمست معاونته دائماً كرئيس لهيئة المستشارين العسكريين السوفييت عندنا بالرغم من شعوري صباحاً بأن المارشال جرتشكو يشعر بحساسية منا تجاه الخبراء.

المارشال زخاروف:

قد يكون السبب هو تقرير من لاشنكو بأن بعض القيادات لديكم ترى أن لا داعي حالياً لخبراء على مستوى الفصائل والسرايا والكتائب والبطاريات.

الوزير هويدي:

بعض الايضاح ـ إذا كان هناك شعور بشيء فسوف يذكره لي بالتأكيد صديقي لاشنكو لأنه متعاون ومخلص، اعتقادي أن وضع أسلوب مفصل بين الأفراد والخبراء سيقضي على الفهم الخاطىء.

كان المارشال جرتشكو تكلم عن بعض العقبات التي تواجه الخبراء في الماضي، أنا أشعر بأنهم غير مرغوبين جداً ويقومون بعملهم بإخلاص.

المارشال زخاروف:

لقد أكد الرئيس ناصر ذلك لي وهو موضوع لا شك فيه وعندما ترون ألا أهمية لوجود خبراء على المستويات الصغرى فنحن على استعداد لذلك فوراً. لقد ارسلنا مائة خبير ويصل الباقون في ديسمبر أو يناير عدا ما يخص الفصائل والسرايا والكتائب وهذا يتوقف على رغبتكم.

الوزير هويدي:

لقد أخذت خطوطنا الدفاعية وضعها السليم.

المارشال زخاروف:

لا يجب الاكتفاء بما تم وإنما ينبغي الاستمرار.

الوزير هويدي:

نعلم أن خطوات أخرى كثيرة يجب أن تتم. هناك موضوعات تتعلق بخفة الحركة وقوة النيران والسيطرة والقدرة على الردع.

إننا عندما نضرب قواتهم شرق القناة ينتقمون بضرب المدنيين في المدن وقد عملنا خطة لإخلاء المدنيين ـ فمثلاً الإسماعيلية التي كان بها ١٢٠ ألفاً لم يبق فيها سوى ٢٠ ألفاً كما اتخذت إجراءات الدفاع المدني، ونفس الشيء حدث للسويس ولكن فيها معامل البترول ومصنع السماد ويمكن للعدو أن ينالها بالهاونات والمدفعية.

المارشال زخاروف:

كنت هناك وعملنا ترتيبات بإيجاد قوارب مسلحة تطلق نيرانها على العدو ولكنكم لم تعملوا بهذه النصيحة ـ كما أن زوارقكم قد أغرقت المدمرة إيلات يجب أن يكون في السويس أيضاً سفن تنال العدو على الشاطىء البعيد.

الوزير هويدي:

إن المشكلة هي أن العدو يستخدم مطاراتنا في سيناء وقد حصلوا أخيراً على طائرات السكاي هوك وقد أعلنت أميركا أن طياريها قد أنهو تدريبهم عليها ونحن نعتقد أنهم يغطون موقف إمدادهم بمتطوعين.

المارشال زخاروف:

وعدت أميركا بالطائرات ودربت الطيارين وقد طلبنا منكم من جهتنا إرسال طياريكم للتدريب هنا، ولكنكم لم ترسلوا وقد أرسلنا لكم طائرات. لديكم الآن ٢٦٠ طالب يتدرب في مرسى مطروح يتم تدريب ٨٠ منهم في ١/٢/٦٨ وفي ١/٥/٦٨ يتم تدريب ٨٠ آخرين وفي ١/١/٦٩ يتم تدريب ١٠٠.

إذا ارسلتم أي عدد إلينا فإنه يمكن إنهاء تدريبهم هنا مبكراً عما هو منتظر لديكم.

الوزير هويدي:

سأنظر في ذلك عند عودتي.

المارشال زخاروف:

الآن لديكم طائرات أكثر من الطيارين.

الوزير هويدي:

أوافق ولكنني أريد أن أوضح أن الإسرائيليين يأخذون متطوعين وهو أمر معتاد لديهم فقد أخذوا في السابق من فرنسا ودول أخرى وكانت توجد اتفاقية بينهم وبين فرنسا بأن اليهودي الفرنسي الذي يجري تدريبه في الجيش الإسرائيلي لا يدعى للخدمة العسكرية في فرنسا.

المارشال زخاروف:

لقد حضرت استجواب أحد الطيارين الإسرائيليين الأسرى عندكم وكان قد حضر من أميركا.

الوزير هويدي:

إنهم يتلقون السكاي هوك وبمداها يستطيعون الوصول لأي نقطة عندنا وعلى ذلك فإذا لم يشعروا بإمكان انتقامنا فإنهم سيجعلون المدنيين هدفاً لهم، ولذلك فقد أثرت موضوع الردع وطلبت نوع من الطائرات يمكننا من الانتقام والوصول لأرض العدو إننا

الآن أنشأنا كثيراً من الملاجىء الجديدة بالمطارات وعملنا ملاجىء لطائرات الاستعداد الأول.

مشكلتنا ما زالت في الطيران الواطي ونحن نحاول مواجهتها بالانذار بالنظر والبالونات ونكثف الرشاشات ٥ , ١٤ وبالدخان أيضاً.

المارشال زخاروف:

هل تنتجون البالونات إننا لا نصنعها.

الوزير هويدي:

عملنا منها عينه وقد نجح استخدامها فيما سبق

المارشال زخاروف:

كيف تقدرون نجاحها ولم يتم تجربتها في المعركة.

الوزير هويدي:

اقصد سبق أن استخدمها الانكليز بنجاح في الحرب العالمية الماضية هذه هي مجمل النقط التي رغبت في إثارتها، فهل لدى المارشال تعليق.

المارشال زخاروف:

تعليق بسيط.

إذا كان لديكم إمكانية تنظيم كل ما ذكرتم فهذا موضوع جيد. وإذا كنتم تهدفون ضرب إسرائيل فالطيران الطويل الواطي غير مرغوب فيه - إن الطيار الأسير لديكم كان لديه خريطة توضح نقطة الطيران الواطي الذي بدأ منها بعد مغادرة بلاده بمدة.

قائد الطيران السابق لديكم - مدكور - كان من دعاة التمسك بالقديم والمحافظة عليه Concervative - المهم هو كيفية التخطيط لاقتراب الطائرة للهدف. لماذا لا تنسقوا بالتعاون مع سوريا على الضرب وإعادة الملء فيها لقد تعاونا نحن في الحرب العالمية الثانية مع الانجليز والأميركان.

مدكور وزملائه لم يرغبوا في الاستماع لذلك.

الوثيقـة رقم ٦

المارشال زخاروف:

المسافة من القاهرة للسويس ١٥٠ كيلومتر.

الوزير هويدي:

١٢٠ كيلو متر.

المارشال زخاروف:

١٢٠ كيلومتر لماذا لا تبنون مطارات تبعد عن القناة ٥٠ كيلومتر هذا يضاعف فرصتكم للنيل من العدو ولكن لا تحتفظوا بطائرات فيها.

الوزير هويدي:

هذه المطارات يجري إنشاؤها الآن.

المارشال زخاروف:

جيد جداً.

التجارب أثبتت أنه يمكن الوصول بها لديكم من طائرات على طيران عال لمسافة ٣٦٠ كلم ذهاباً ومثلها في العودة بأمان - الطيران الواطي باستمرار يستهلك وقود أكثر - وعندما تدخل الطائرة في مدى رادار العدو تغير من ارتفاعها وقد ذكرت ذلك كله للرئيس ناصر.

ولتغطية أرض العدو يمكن استخدام طائرات TU 16 لديكم ١٦ طقم جاهز للعمل عليها ولديكم الآن ٦ طائرات منها فإذا أضفتم عليها ١٠ طائرات يكون كفاية.

نظام الدفاع م/ ط يجب أن يكون في يد واحدة ومنفصل عن القوات الجوية. يجب أن تكون هناك قوة جوية تابعة للجبهة ولا تتبع القوات الجوية. إن الدفاع م/ ط يجب أن يستهدف القاهرة وأسوان والاسكندرية وبور سعيد المهم أن يكون لديكم طائرات اعتراض قوية بالاشتراك مع الصواريخ في الدفاع م/ ط.

لقد نصحت الجنرال فوزي أن ينشىء نظام دفاع جوي رئيسي في الجبهة لأن الدفاع م/ ط عن الدولة عندكم لا يحمي قوات القناة.

المهم أن يكون لقوات القناة دفاعها الجوي المستقل ويكون داخل الوحدات نظام لإدارة الدفاع الجوي فيها.

يجب أن يعلم الأفراد داخل سرايا وفصائل المشاة كيف يفتحون النار ضد الطائرات المغيرة الواطية لأن الرصاصة ترتفع إلى ٦٠٠ متر وسوف يخاف الطيارون المغيرون عند هجومهم. ماذا يحدث في فيتنام. إن الثوار بالأسلحة الصغيرة يسقطون الطائرات الأميركية وليس بالصواريخ. الرئيس ناصر ذكر أنه أعطى أوامر لتجنيد من أتموا السنة التاسعة في التعليم.

الوزير هويدي:

نفذنا ذلك فعلاً.

المارشال زخاروف:

الدبابة ت ٥٤ لديها مدفع م/ ط فإذا كان هناك ٣ دبابات عبارة عن ٢ من طراز ت٥٤ وواحدة ت ٥٥ فسيكون الدفاع م/ ط قوياً، المهم أيضاً هو كيف تتم السيطرة على القوات ويجب أن يتعلم الجميع كيف يتعاملون مع المعدات. المعدات وحدها لا تفعل شيئاً والمهم هو التدريب الحقيقي. وبالنسبة للإشارة لديها ٧٠٪ من الأفراد والمهندسين أتموا قوتهم إلى ٦٠٪ فإذا كانت المعدات الموجودة كافية لهؤلاء الأفراد فمن يدير المعدات الزيادة. كذلك فإن المدفعية لها ٥٠٪ من الأفراد. أرى أنه ينبغي مناقشة خطة الأفراد وبرنامج التدريب مع الجنرال لاشنكو بحيث يمكن معرفة متى يمكن إعداد أطقم محددة في كل نوع.

إن طلب المعدات الجديدة يتوقف أولاً على إعداد الأطقم.

اقتراحي الأخير هو الحسابات الدقيقة وأسلوب مسك المخازن. كم دبابة لديكم؟ لقد سألت قائد المدرعات كم دبابة ت ٣٤ في المخازن فلم أجد حساباً دقيقاً، ثم أرسلت مندوباً لعدّها فوجدها ٨٠ دبابة فلّما راجعتهم بعد ذلك ذكروا أنهم لم يضمنوا الدبابات التي كانت قد وصلت من تشيكوسلوفاكيا وذلك لأنها لم تصل من روسيا . . .

كذلك المخازن بها أجهزة لاسلكية منذ سنوات.

المهم مسك الحسابات الدقيقة ومعرفة ما يرد وما يصرف في كل لحظة، لقد طلبتم

أصناف مختلفة ظهر فيما بعد أنكم تملكونها في المخازن. إن نظام توزيع وتسجيل وحسابات الذخيرة عندكم تحتاج لإعادة نظر. لقد طلبتم مرة كاوتشوك لعجلات الطائرات فوراً ولقد أرسلناها فوراً أيضاً بالرغم من ثقتي أنها متوفرة لديكم.

مهم أيضاً موضوع الطعام والمطابخ. إن الجندي الروسي يحصل على ٣٨٠٠ كالوري يومياً من طعامه منها ٤٠٠ غرام عيش أبيض و٤٠٠ غرام عيش أسمر ـ إننا نعطي طيارينا شوكولاته لزيادة السعر الحراري في المجهود الزائد.

لقد رأيت من واجبي أن أعرض كل شيء بصراحة.

إن ضباطكم يريدون أن يتركوا القناة للقاهرة ـ النصيحة هي ابعدوا القاهرة عن ضباط القوات. لقد أمضيت ٥٠ سنة في الخدمة وأعجب كيف يترك الضابط الجنود ويعود للقاهرة.

جاء في إحدى المجلات أن جيش ج.م.ع. يتمركز بالقاهرة لأن كل الضباط يعيشون بالقاهرة، نصحت الجنرال فوزي والجنرال رياض أن هيئة أركان حرب يجب أن تمسك بيدها كل شيء. الرئيس وافق على هذا الاقتراح.

كل قيادة لديكم كانت على هواها . . . الفريق صدقي وسليمان عزت كل واحد يعمل لوحده. إن البناء السليم للقوات يتطلب سنة أو سنتين وقد ذكرت ذلك للرئيس، المهم البناء المعنوي للقوات. الضباط والجنود ينبغي أن يكونوا في الصورة الحقيقية وتقدير خطورة الموقف. موضوع تدمير المدمرة الإسرائيلية كان شيئاً رائعاً ليشعر كل فرد باحترامه. يجب النظر في ضباط الجيش وحساب كل شيء.

الوزير هويدي:

أشكر المارشال على صراحته واهتمامه ولا سيما فيما يختص بالدفاع م/ ط ـ كل ما ذكره المارشال له اعتباره.

المارشال زخاروف:

أتكلم من قلبي.

الوزير هويدي:

عندما كنت قائد فصيلة أو سرية كنت أنفذ ذلك كله. إن ما ذكره المارشال سمعته

من رئيسنا ولكني أؤكد أن هناك تقدم كبير حدث عن الصورة التي شاهدها المارشال عند وجوده بالقاهرة الصيف الماضي ـ لقد قمنا بخطوات كبيرة فمثلاً جندنا فعلاً مستوى أعلى من الجنود ولا سيما أطقم الدبابات واللاسلكي . . . كلهم من خريجي المدارس الثانوية .

المارشال زخاروف :

خريجي أي فصل تعليم .

الوزير هويدي :

الفصل العاشر

كما أن المهندسين قاموا بأعمال جيدة في المطارات والطرق، أنا معكم في أن التسليح فعلاً ليس المهم ولكن الرجل وراء السلاح هو الأهم وهذا معنى التدريب بقوة ومعرفة تامة بالمعدة والسلاح .

لقد حضر الجنرال لاشنكو بنفسه مشروعاً حرك فيه قوة مدرعة بدون إنذار، تم تحركها في وقت معين وكان مسروراً أن كل شيء تم في موعده .

بالنسبة للمدفعية فبالرغم مما سمعته من الجنرال لاشنكو فقد روى أنها في تقدم مستمر. أنا لا أقول ذلك وحدي ولكني أترك الحكم للعدو نفسه فبعد أن كان يستحم في القناة أحجم عن ذلك الآن وكانت فتياته تظهر بالبكيني على الشاطىء الشرقي.

المارشال زخاروف :

حتى يحجم الجنود عن الضرب .

الوزير هويدي :

إن العدو الآن أصبح يحفر بعمق ليتقي ضربنا ولقد فر قائد إسرائيلي هارباً بطائرة هليكوبتر وعزل من منصبه وعلمنا ذلك من الإشارات الملتقطة، لقد خسرنا في آخر معركة ٣، أما هم فقد خسروا ١٠٢ بالإضافة إلى خسائرهم في المعدات وما خسروه بعد إغراق إيلات . بخصوص ترك الضباط لوحداتهم في القناة فلا أسمع الآن ذلك.

المارشال زخاروف :

هذا ليس الآن وإنما ذلك عقب أحداث الأزمة .

الوزير هويدي :

الصورة الآن متغيرة تماماً عما سبق . كل ما ذكره المارشال كان بسبب الهزيمة ويجب مواجهة الحقائق لأنها طريقة التصحيح .

لقد غيرنا قيادة الطيران وأحيل للتقاعد ١٦ جنرالاً وهناك تغييرات أخرى في القيادات حتى الفرق واللواءات والكتائب، وضباط آخرون سيبدلون أماكنهم، سيتم ذلك بعد عودتي .

وبهذه المناسبة هل من الممكن إنهاء أو تقليل فترة بقاء ضباط فرقة فرونز هنا ـ إنهم ينتهون في مارس ٦٨ إذا كان من الممكن إنهاء فرقتهم قبل ٣ شهور يكون أفضل لنا .

الغرض هو ملء الأماكن الشاغرة. إننا سنخرج حوالي ٢٥٠ ضابط يجب ملء محلاتهم بضباط متمرنين .

المارشال زخاروف :

سنرى وندرس. المهم هو ألا يحرموا من معلومات تزيد كفاءتهم وذلك سأدرسه بنفسي باكر.

الوزير هويدي :

المطالب التي سلمناها للسلطات هي من ٣ أنواع

١ ـ عقود قديمة لم تصل بعض أصنافها .

٢ ـ أصناف نرجو التعجيل بوصولها .

٣ ـ أصناف جديدة مطلوبة .

المارشال زخاروف :

سنرى وسأدرس بنفسي .

الوزير هويدي :

يهمنا موضوع الطيران .

المارشال زخاروف :

عندما يتوفر لديكم طيارين سنعطيكم طائرات لأن عندكم طائرات بدون طيارين .

الوزير هويدي :

لقد قمنا بتعديلات في السوخوي لزيادة المدى ونرجو موافاتنا بالمعدات اللازمة وإذا جهزت فسنرسل طائرة لنقلها .

المارشال زخاروف :

أي نوع من الطائرات ترسلون لذلك .

اللواء رفعت :

انتينوف ١٢

الوزير هويدي :

بخصوص الطيران، ينقصنا ما يوصلنا للعدو، حيث لا يتعدى مدى السوخوي حالياً إيلات .

المارشال زخاروف :

الحسابات تقول خلاف ذلك ولو نفذتم المطارات المقترحة بالقرب من القناة ولو اتفقتم مع سوريا ستصلوا إلى إسرائيل .

الوزير هويدي :

في طلباتنا تكلمنا عن رخص لصناعة بعض الأسلحة مثل القاذف م/ د RPJ 10 صواريخ لونا B11 .

المارشال زخاروف :

هل تصنعون الدبابات .

الوزير هويدي :

لا.

المارشال زخاروف :

إذن كيف تريدون صناعة الصواريخ .

الوزير هويدي :

لدينا مصنع صواريخ منذ عدة سنوات والمصنع قائم فعلاً ونريد استغلاله لإنتاج مثل ذلك .

المارشال زخاروف :

هذا ليس سهلاً هل لديكم مقذوفات ذرية ـ على كل حال سندرس .

الوزير هويدي :

المهم المبدأ وسوف يجلس ضباطنا مع ضباطكم للمناقشة في التفاصيل .

المارشال زخاروف :

سندرس والممكن سنفعله .

الوزير هويدي :

تكلمت صباح اليوم عن ماكينات الطائرات . نطلب أن نأخذ منكم ٢٠ ماكينة طائرات تستعوض من ماكينات طائراتنا الـ ٤٥ الموجودة بالعمرة لديكم .

المارشال زخاروف :

سندرس ذلك .

الوزير هويدي :

عندما كنتم بالقاهرة أخذتم تنك إحتياط لطائرة ميراج إسرائيلية كان قد سقط عندنا وذلك لعمل تجارب عليه لزيادة مدى طائراتنا .

المارشال زخاروف :

للآن لم نستلم تقريراً عن ذلك .

الوزير هويدي :

على كل حال الصورة التي سبق أن شاهدها المارشال تغيرت عن ذلك وندعوه

ليشاهد بنفسه ما يجري الآن بإخلاص.

المارشال زخاروف:

شكراً جزيلاً وأرجو إبلاغ احترامي الكامل وتمنياتي الطيبة للسيد الرئيس ناصر، وسلامي للجنرال فوزي والجنرال رياض وأرجو لكم دائماً التوفيق.

عقد شراء المنزل الخاص بالمشير عامر فى إيكنجى مريوط.

عقد بيع ابتدائى

فيما بين : -

اولا) السيده/ انطوانيت جريك بنت انطوان جريك حفيدة اونو ريه جريك وزوجة السيد/ جان تاكشيان من رعايا الجمهورية العربية المتحدة مولوده ومقيمه بالاسكندرية بشارع الاستقيه رقم ٢ - طرف اول

ثانيا) السيد/ محمد عبد الحكيم على بن على حفيد عامر من رعايا الجمهوريه العربيه المتحده مولود ومقيم بالقاهره بشارع اسماعيل بك رقم ١ بكوبرى القبه والان موجود بالاسكندرية : طرف ثان

حصل الاتفاق على ما ياتى : -

البند الاول

تبيع الطرف الاول السيده/ انطوانيت جريك مع كافة الضمانات الفعليه والقانونيه الى الطرف الثانى السيد/ محمد عبد الحكيم على القابل بذلك جميع ارض ومبانى الفيلا الكائنه بناحية ايكنجى مريوط مركز القسم الشرقى بالعامريه محافظة الصحراء الغربيه بحوض برنجى وايكنجى مريوط رقم ٣ ضمن القطعه رقم ٢٠٩ والجميع محاط بسور من البناء - اما الارض فسطحها ٧٦٠٠ مترا مربعا وهى عباره عن القطعتين رقم ٤ و ٥ من خريطة التقسيم المسجله بقلم رهون محكمة الاسكندرية المختلطه السابقه بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٣٨ رقم ٢٠٩٥ - واما مبانى الفيلا فهى مقامه على جزء من الارض وتكونه من دور واحد مموله باسم البائعه (ايصال وزارة الشئون البلديه والقرويه رقم ١٠٨٩٥٩ بتاريخ ١٩٦١/١١/١٩ - وباقى الارض مستعمل جنينه وفيها جراج وحجره للخدم وغرفه لموتور الكهرباء والجميع محدود .

من بحرى شارع ١٥ مترا يفصل من القطعه رقم ٣ من ذات الخريطه . -

ومن قبلى القطعه رقم ٦ من ذات الخريطه .

ومن شرقى شارع ٢٠ مترا يفصل عن القطعتين ١١ و ١٢ من نفس الخريطه .

ومن غربى شارع ٢٠ مترا يفصل عن ملك شركة اراضى وفيلات ايكنجى مريوط سابقا .

(٢)

وهذا البيع يشمل المفروشات التى بداخل الفيلا والمبينه تفصيلها بكشف الجرد الموقع عليه من الطرفين والمرافق لهذا العقد .

ما يتبع هذا العقار من الملحقات بدون اى استثناء .

البند الثانى

حصل هذا البيع بثمن اجمالى جزافى متفق عليه بين الطرفين قدره اربعة الاف وستمائة وخمسون جنيها مصريا (٤٦٥٠ ج) دفع منه نقدا عند التوقيع على هذا العقد من يد المشترى ليد البائعه مبلغ ثلاثة الاف وستمائه وخمسون جنيها مصريا (٣٦٥٠ ج) وتعطى هذه الاخيره بموجبه هذا العقد الى المشترى ايصالا بالمبلغ المذكور .

اما باقى الثمن وقدره الف جنيها فيصير دفعه نقدا عند تحرير عقد البيع الرسمى النهائى الذى تحدد للتوقيع عليه مدة ثلاثين يوما من بعد التاشير على العقد من مأمورية الشهر العقارى بدمنهور بصلاحيته للشهر ومن بعد اتمام الاجراءات الاتية :ـ

(١) شهر عقد البيع من الحارس على السيد/ اميل دياب الخاضع للامر رقم ١٣٨ سنة ١٩٦١ الى ورثة المرحوم ميشيل خلاط .

(٢) شهر عقد البيع من ورثة ميشيل خلاط الى البائعه الحاليه من القطعه رقم ٤ من اصل القطعتين المبيعتين بهذا العقد .

(٣) شهر حق الارث لصالح الانسه الدكتوره زين نجار بالنسبة للقطعه الثانية رقم ٥ من هذا العقد ميراثا عن والدها المرحوم عبد الله نجار .

(٤) شهر عقد البيع من الانسه زين نجار السابق ذكرها الى البائعه الحاليه .

البند الثالث

يستلم المشترى العقار المبيع مع المفروشات عقب التوقيع على هذا العقد .

البند الرابع

اذا امتنع المشترى بعد اتمام الاجراءات السابق ذكرها فى البند الثانى وبعد مضى ثلاثين يوما من تاريخ التاشير على عقد البيع الرسمى النهائى لهذا البيع عن سداد رسوم هذا العقد الاخير وعن تكليف البائعه للحضور الى مكتب توثيق

(٣)

الاسكندرية للتوقيع على عقد البيع النهائى واستلام الالف جنيها باقى الثمن فبعد التنبيه عليه بخطاب موصى عليه واعطائه مهلة ثلاثة ايام يصبح هذا العقد لاغيا وكانه لم يكن ويكون المبلغ الذى دفعه المشترى اليوم الى البائعه بموجب هذا العقد حقا مكتسبا لها على سبيل التعويض كما انه فى هذه الحاله يكون المشترى ملزما فى الحال بتسليم العقار المبيع مع المفروشات الى البائعه وفى حالة التاخير يكون للبائعه الحق بطلب طرده من العقار وتسليمه لها مع المفروشات وذلك بواسطة محكمة الاسكندرية للامور المستعجله الذى يقر المشترى بقبوله باختصاصها .

اما اذا كان الامتناع عن التوقيع على عقد البيع الرسمى النهائى من جانب البائعه فتكون ملزمه ان ترد الى المشترى المبلغ الذى استلمته منه اليوم نقدا ويعتبر سكن المشترى فى الفيلا من اليوم لغاية التسليم بمثابة تعويض كاف عن امتناع البائعه من اتمام البيع .

البند الخامس

تقر البائعه انها اقامت بناء الفيلا المبيعه من مالها الخاص اما الارض فلشرائها القطعه رقم ٤ من ورثة المرحوم ميشيل خلاط الذى كان اشتراها من السيد/ اميل دياب وهذا الاخير كان يمتلكها مع قطع اخرى ضمن حكم قسمه من محكمة الرمل الجزئية بينه وبين اخيه المرحوم جورج دياب وبين المرحوم عبد الله نجار وشهر مع تقرير الخبير المعين من المحكمة بمكتب الشهر العقارى بدمنهور بتاريخ ١٨/١١/٥٤ رقم ٨٦ صحراء ـ

وبموجب هذا الحكم انفرد المرحوم عبد الله نجار ببعض القطع ومن ضمنها القطعه رقم ٥ المباعه حاليا وبقى اميل دياب واخيه جورج دياب شركاء على الشيوع بباقى القطع .

وقد ترك المرحوم جورج دياب من الورثه زوجته اليس دياب وولديه نقولا والفريد دياب فاما الزوجه فقد تخارجت بعقد شهر فى ذات المكتب بدمنهور بتاريخ ٥/٦/٥٨ رقم ٢٥ ثم تمت القسمه بين اميل دياب وولدى اخيه جورج هما نقولا والفريد دياب وشهر عقد القسمه فى ذات المكتب بدمنهور بتاريخ ٢٠/٨/١٩٦٠ رقم ١٦ صحراء

(٤)

غربيه ودخلت القطعه رقم ٤ المبيعه بهذا العقد فى نصيب اميل دياب .

البند السادس

تقر البائعه ان العقار المبيع خالى من جميع الحقوق العينيه من اى نوع كانت .

البند السابع

جميع المنازعات التى يمكن ان تنشا عن هذا العقد تكون من اختصاص محكمة اسكندرية الابتدائية بقبول الطرفين والمحاكم الجزئية التابعه لها .

ويقر المشترى انه اتخذ موطنا له بالنسبة لاى اعلان بخصوص هذا العقد فى ذات الفيلا المبيعه حيث تعلن له كافة الاعلانات القضائية .

البند الثامن

اتعاب هذا العقد هى على عاتق الطرفين مناصفة .

اما مصاريف واتعاب عقد البيع الرسمى النهائى فهى على عاتق المشترى لوحده .

تحرر هذا العقد من نسختين بيد كل طرف نسخه للعمل بموجبه .

الاسكندرية فى ٧ اغسطس ١٩٦٢

البائعه المشترى

شاهد

محضر مقابلة بين السيد أمين هويدى وزير الحربية والمشرف على المخابرات العامة، وبين المستر أندروبوف رئيس هيئة الأمن القومي للاتحاد السوفييتى

محضر مقابلة

وزارة الحربية

مكتب الوزير

الوثيقة رقم (٨)

بين السيد / أمين هويدي — وزير الحربية والمشرف على المخابرات العامة

بين المستر/ أندروبوف — رئيس هيئة الامن القومي للاتحاد السوفييتي

مكان ووقت المقابلة

مكتب رئيس هيئة الامن القومي بموسكو ساعة ١,٠٠٠ يوم ١٠/١١/١٩٦٧

الحضور

من الجانب السوفييتي

المستر أندروبوف — رئيس هيئة الامن القومي للاتحاد السوفييتي.

المستر سخاروفسكي — رئيس مكتب مخابرات الخدمة السياسية والمسؤول عن التعاون بين المخابرات الروسية والدول الأخرى.

المترجم جورج — مندوب بالقاهرة.

من الجانب العربي

السيد الوزير أمين هويدي — وزير الحربية والمشرف على المخابرات العامة

لواء محمد رفعت حسنين — مدير مكتب وزير الحربية

المستر أندروبوف: يسرني الترحيب بالسيد هويدي هنا في موسكو لمناقشة المسائل التي ترغبون فيها ويسرني الاستماع اليكم.

الوزير هويدي: لقد انتهزت فرصة حضوري إلى موسكو لزيارتكم وللتعرف بكم وتقديم التهاني بعيد الثورة الخمسيني ونحن جاهزون للمناقشة.

المستر أندروبوف: من يبدأ؟

الوزير هويدي: فليبدأ الاكبر سناً.

المستر أندروبوف: فليبدأ الضيف أولاً.

الوزير هويدي: سأعطي تحليلاً للموقف في منطقتنا من وجهة نظرنا، أعني موقفنا. لقد حدثت منذ بدأت الازمة تطورات كثيرة في السياسة العالمية. فهناك محاولات كثيرة بذلت للوصول إلى حل سلمي، ونحن بالطبع نعزز أي جهود تبذل في هذا المجال.. هذا هو ما نعتقده ويعتقده اصدقاؤنا.. وسوف يكون ذلك عملا بنّاءاً لو تم الحصول على حل سلمي يحقق العدل.

وقد حدثت تغييرات كثيرة بالنسبة لموقف كثير من دول العالم.. وقد ثبت اصدقاؤنا على موقفهم بالرغم من الضغط الأمريكي الكبير، كما أن فرنسا عند موقفها بعدم تسليح إسرائيل حتى الآن وهم قد رفضوا تزويدهم اخيراً بخمسين طائرة ميراج، ولكن الضغط الصهيوني على الفرنسيين ما زال قائماً وكان من آثار الضغط الأمريكي أيضاً أن انجلترا غيرت موقفها منا في الأمم المتحدة وكانوا قد اتصلوا بنا في القاهرة وهم يسألون إعادة العلاقات الدبلوماسية بيننا وبينهم، وتوجد علاقات معروفة بين السيد رئيسنا ووزير خارجية انجلترا المستر براون ولقد ارسلوا اخيراً السير هارولدبيلي سفيرهم السابق عندنا لتحري إمكانية عودة العلاقات، وقد قلّت الصعوبات بيننا وبين الانجليز لخروجهم من عدن والجنوب ونحن نترك اليمن ونرجو أن تستمر الحكومات الوطنية هناك. لقد غير الانجليز موقفهم المعادي لنا في الامم المتحدة غير أن الامريكان يمارسون الضغط عليهم، والدليل على ذلك أن المستر براون ألقى خطابا متقارباً إلى حد كبير مع وجهة نظرنا في الامم المتحدة إلا أن رئيس وفدهم غير من هذا الموقف بعد سفره نتيجة للضغط الامريكي، كما يضغطون على دول البنلوكس في غرب أوروبا وهي التي بدأت تتفهم الموقف نوعاً. إني اعتقد أن الأميركان لا يرغبون في الوصول إلى حل سلمي حتى الآن لماذا ـ السبب في ذلك رغبتهم في التخلص من النظم التقدمية في المنطقة مثل النظم في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليمن وسوريا ـ علاوة على ذلك فإنهم غير سعداء بالتطور الاشتراكي والتاريخي في بلدنا ـ فإذا تخلصوا من النظام التحرري في القاهرة فسوف تكون الفرصة مواتية لعودة النفوذ الامريكي إلى المنطقة ـ وهذا سيؤثر

بالتالي ولا شك على النظم التقدمية في افريقيا والشرق الاوسط ـ لقد حاولوا ومازالوا يحاولون عرقلة القوى التحررية في افريقيا.

لقد اعتقدوا يوم ٩/٦/٦٧ حين تنحى رئيسنا أن كل شيء انتهى، ولكن عندما ضغطت الجماهير مرغمين الرئيس للتراجع عن قراره فوجيء الاميركان بالموقف الجديد إلا أنهم لم يغيروا من غرضهم واصبحوا يعتقدون أن الوقت ما زال في صالحهم لتغيير النظام وذلك باحدى طريقتين: ـ

١ ـ الاعتقاد بأن موقفنا الاقتصادي يسوء مع احتمال انهيار جبهتنا الداخلية وأن الشعب المصري سوف ينفذ صبره عندما يطول بقاء الوجود الإسرائيلي في جزء من أرضنا.

٢ ـ إنهم يرغبون في استسلام وليس في حل سلمي وإذا وافق نظامنا على الاستسلام فهذا معناه انتهاؤه، وغرضهم مازال كما بدا هو استمرار الضغط لينهار النظام كله.

لا شك انكم عرفتم بتصريح أبا ايبان وزير خارجية إسرائيل الذي أعلن فيه أن جمال عبد الناصر هو سبب إثارة المتاعب في المنطقة. وإننا نقرأ ذلك دائماً في صحافة ووسائل اعلام أميركا. إنهم يتكلمون بطريقة ويفكرون بعكسها فهم حين يتحدثون على الحل السلمي لا يعنون ذلك بل يعنون الاستسلام إذ أن قرارهم هو التخلص من النظام الحالي عندنا وعلينا أن نرفض محاولاتهم، إن صراعنا ضد الاستعمار طويل ولقد قابلنا عدة ازمات وقد تغلبنا عليها ومازلنا على قرارنا في مواجهة الازمة الحالية ولكنها ليست سهلة ونحن نقدر موقفنا بأنفسنا ونرى أن نواجه ذلك بالاتي: ـ

١ ـ تعزيز قواتنا المسلحة لأن دبلوماسيتنا ستقوى إذا قويت قواتنا.

٢ ـ صمود الجبهة الداخلية وتنظيمنا الداخلي.

٣ ـ الموقف الصلب لاصدقائنا.

وإذا رأى عدونا إننا لن ننكمش وستزيد قواتنا وإننا نستغل عامل الوقت جيداً فسوف يكون ذلك وسيلة الحصول على حل سلمي عاجل.

توجد محاولة الآن في نيويورك لمحاولة الحل السلمي ولكنها لن تصل لحل لأن

الأميركان غيروا موقفهم واصبحوا الآن ينكرون ماسبق قوله ـ لماذا؟ لاستغلال عامل الوقت في احتمال انهيار النظام.

إسرائيل تتحدث عن الاتصال المباشر مع العرب والسبب في ذلك أن هذا يعني انتهاء النظام لأن مشكلة فلسطين ليست مشكلتنا وهم يريدون أن يضعونا في ركن. حتى الملك السابق فاروق لم يتصل بإسرائيل فكيف يمكن للثورة المصرية أن تفعل ذلك وكيف يتم هذا الموضوع وقواتهم لا تزال تحتل جزءاً من أراضينا ـ إنهم يطلبون منا ما يعلمون مسبقاً إننا نرفضه.

المستر أندروبوف:

لقد كان مهماً جداً لنا أن استمعنا لموقف بلدكم حالياً ولا أجد فرقاً في تقديركم للموقف عن تقديرنا له ولا سيما فيما يختص بالولايات المتحدة الأميركية. إن الاتحاد السوفييتي يحيي ثورتكم وتقدمكم، وثورتكم مهمة جداً للشرق الاوسط وافريقيا كلها ويجب أن يستمر ازدهارها، لقد نجحتم وبدأتم تبنون الاشتراكية.. واضح أن الأميركان يعتبرون أن الثورات التقدمية مضاده لصالحهم، وإننا نفهم موقف الأميركان في ذلك وهم يعتبرون أن الاتحاد السوفييتي هو العدو رقم (١).

إنهم يرغبون التخلص من النظم الاشتراكية في بلدكم وبلدنا أيضاً، وقد قال ماركس سابقاً أن استمرار الصراع مهم وهكذا فإن ثورة فرنسا وثورات اوروبا وافريقيا كلها مكملة لبعضها. إن الازمات بين ج. م. ع. وإسرائيل من شأنها عرقلة الثورات بالمنطقة وبالتالي خدمة اغراض أميركا. لقد شرحتم ان سياسة أميركا هي التخلص من نظامكم وهذا هو العامل الاول فعلاً. ليس سراً أن الرفيق برجنيف ذكر أننا نقف للسلام وذلك لنمنع الحرب الذرية ـ ليس لأننا نخاف الحرب ـ ولكن لتجنب نتائج مثل تلك الحرب التي سوف تحطم المدنية كلها. إن رفض الحرب لا يعني عدم مقاتلة الاستعمار ومكافحته ـ إننا شرحنا موقفنا لكم مباشرة. ونحاول معاونتكم في موقفكم. ضد إسرائيل. إنكم على حق في تقديركم أن أميركا ترفض الحلول السلمية للمشكلة كسباً للوقت، أننا نفهم أن الامم المتحدة غير قادرة على حل المشكلة ولكننا ندفع بها لحلها ـ إننا نرى أنه يجب استخدام الامم المتحدة في ذلك.

الوزير هويدي:

كيف يكون ذلك وهي لا تستطيع حلها كما ذكرتم.

المستر أندروبوف:

لقد أكد لينين أهمية الصراع السلمي بين الدول. إن كثيراً من دول الامم المتحدة هم أصدقاء ولكنهم لا يستطيعون الكلام بصوت عال لخوفهم من أميركا ولكنهم يستطيعون المعاونة. إنه يمكن استخدام الاصدقاء في هذه المحاولات ولا شك لدينا في أنه يمكن حل المشكلة في الامم المتحدة كما ترغبون، ولذلك فنحن نرى التمسك بحل سلمي للمشكلة.

إن تنفيذ حل سلمي يتطلب جيشا قوياً يثبت ويقوي من التفاوض. نفهم أنه يمكنكم تقوية نظامكم وقواتكم المسلحة وتحلوا المشكلة سلمياً. ولقد فهمت أنكم ستناقشون مع المارشال جرتشكو نقطاً عسكرية ولكني أحب أن اتكلم عن التعاون بيننا. لقد نشأ التعاون بيننا في مجال المخابرات منذ حوالي سنة نصفها كان فاتراً، وقد شعرت بذلك آخر مرة وأن الاتصال لم يكن وثيقاً كما يجب ـ للأسف أثناء أزمة شهر يونيو لم تصلنا معلومات وهذا كان مهماً لدينا ـ كما لم يكن لدينا معلومات عن موقف صلاح نصر المضاد للنظام.

الوزير هويدي:

إنه لم يعرفنا بذلك أيضاً.

المستر أندروبوف:

أريد أن اتحدث عن التعاون بيننا وهذه هي مقترحاتنا: ـ

١ ـ تعيين شخص للاتصال معنا لسهولة التعاون تبعاً لمسؤولياتكم الكثيرة.

٢ ـ تبادل المعلومات بيننا وبينكم عن الأميركان ونشاطهم. إنكم تتابعون نشاط الأميركيين في بلدكم ونحن نتابعهم أيضاً.

٣ ـ تنفيذ عمليات مشتركة ضد أميركا في بلدكم أو في بلاد أخرى وليس فقط ضد أميركا بل ضد إسرائيل لأننا نعتقد أنها مثل أميركا.

إننا نعتقد أنه يمكننا معاونتكم في مجال المعلومات عن إسرائيل.

٤ ـ إننا نخطركم بأن أميركا تقرأ اشاراتكم الشفرية كلها وبالتالي فإن إسرائيل

تعلمها ـ فإذا تراءى لكم الافادة بمعلوماتنا في هذا المجال فنحن على استعداد لذلك حتى لا يمكن لأميركا قراءة اشارتكم.

المستر سخاروفسكي:

ينبغي أن نوحد جهودنا للعمل ضد إسرائيل والاميركان كما يجب تأمين الاتصالات باستمرار.

الوزير هويدي:

قبل أن أعلق على مجال التعاون بيننا لي كلمة عن الازمة الحالية، فبالرغم من ازمتنا الحالية فقد كان هناك اعتقاد بأننا لن نستمر في اتجاهنا الاشتراكي بنفس القوة التي كانت من قبل. لقد اعتقدوا أن ذلك نهاية التطور الاشتراكي إلا أننا أممنا التجارة الداخلية رغماً عن الصعوبات الكبيرة في هذا المجال وقد اتخذنا كافة الاجراءات لنجاح هذا الاجراء وللتأكيد على أننا ماضون في الخط الاشتراكي.

واحب أن اوضح أن الموضوع يتعلق أيضاً بقوة ثالثة بخلاف أميركا وإسرائيل وهي قوة تحتاج لحذر كبير منا وهي قوة الصهيونية وهي قوة لها شأنها في وسائل الاعلام والمجال الاقتصادي، وإن المستر جونسون نفسه يخشاها. أما بخصوص التعاون بيننا فلقد تسلمت أعمال المخابرات قريباً جداً ولكنني لست جديداً عليها حيث سبق لي أن عملت بها قبل ذلك.

لقد زارني سفيركم بالقاهرة وحضر معه صديقنا جورج واخطرته برغبتنا في التعاون المخلص حالياً وفي المستقبل لأن غرضنا هو نفس الغرض.

العلاقة يجب أن تكون واضحة وصريحة. أنا سعيد لأن صديقي أندروبوف قد تكلم بصراحة عن العلاقة التي شعر بها ايام صلاح نصر، قد يكون ذلك لأنه كان مريضاً في ذلك الوقت، ولكن شعوري هو باستمرار الاحتفاظ لعلاقات مثمرة جداً. إننا لا نواجه مشكلتنا وحدنا وقد نكون نحن الآن نحارب المعركة في الصف الامامي ولكن هي معركة الجميع في واقع الامر، منذ الوهلة الاولى أرى الاحتفاظ لنفسي بالاتصال بيننا مباشرة في المرحلة الاولى بدلاً من تعيين مندوب لي ليباشر ذلك نيابة عني.

لقد تقابلت مع مندوبكم جورج عدة مرات في الفترة الاخيرة وارى الاستمرار في الاتصال بي، ثم اعين بعد ذلك احد المختصين بهذا العمل ولكن هذا لا يمنع بالطبع استمرار اتصالي بمندوبكم بالقاهرة.

إننا طبعاً يمكننا التعاون في المجالات التي ذكرتموها مثل نشاط الأميركان في بلدنا أو في أي بلد آخر وفي افريقيا، والشيء المهم لنا هو المعلومات عن إسرائيل لأن ذلك سيساعدنا فعلاً في تقدير الموقف. لقد احضروا مثلاً اسلحة جديدة وصرح زعماء إسرائيل أن لديهم اسلحة سرية وهم يظهرون شرق القناة صواريخ حديثة مجهزة بالاشعة تحت الحمراء، وعلى كل حال يهمنا معرفة ماذا يجري في إسرائيل سياساً وعسكرياً وكذلك فيما يختص بالصراع بين السياسيين والعسكريين والقوة الحقيقية المحركة فيها وكذلك شحن الاسلحة من الموانىء اليهم وموضوع المتطوعين وتخصصهم، ومثلاً وصول طائرات السكاي هوك اليهم معناه أن اراضينا كلها سوف تصبح في متناول اسلحتهم.

المستر أندروبوف:

هل انتم متأكدون من موضوع المتطوعين.

الوزير هويدي:

نعم بالتأكيد وليس فقط في السكاي هوك وإنما في غير ذلك كثير.

إن التعاون بيننا مهم ويجب أن يكون التعاون مؤمناً تماماً وسرياً جداً.

نقطة أخرى في مجال التعاون هي التدريب لبعض افرادنا هنا ولنبدأ مثلاً بأفلام سينمائية فنية لتدريب المخابرات. وبخصوص العمل ضد الأميركان ما هي متطلباتكم.

المستر أندروبوف:

أرى متابعة الآتي على سبيل المثال: ـ

١ ـ نشاط أميركا في الخطط والنوايا داخل الشعب العربي.

٢ ـ امكانية التدخل في العملاء الأميركان في أي دولة أو في بلدكم.

الاتصال مع ناحوم جولدمان

الوثيقة رقم ٩

السيد الوزير أمين هويدي

تحية طيبة وبعد

سافرت إلى فرنسا لتنفيذ تعليمات السيد الرئيس المبلغة لي منكم، والخاصة بمقابلة دكتور ناحوم جولدمان ومحاولة الحصول على أكبر قسط من المعلومات السياسية والاقتصادية وبحث الوضع في الحكومة الإسرائيلية، ومعرفة الآراء المختلفة، ومن هم المتشددون، ومناصرو رأي كل منهم، وبيانات [illegible] على أن يتم كل ذلك دون أن يشعر بوجود تكليف خاص.

كان من المفروض يوم السبت ٩ مايو ٧٠ بواسطة إيريك رولو الذي أبلغته عن طريق المندوب الفرنسي الذي كان قد حضر لتبليغ رسالة [illegible] وزير الاستعلامات والمندوب الشخصي لرئيس الحكومة الفرنسية ... ولكن الموعد لم يتم لحوالي [illegible] بسبب تأخر الطائرة العربية بمطار روما أثناء سفرنا إلى باريس حوالي خمس ساعات، واضطرار دكتور جولدمان للسفر إلى بلجيكا في نفس اليوم لحضور جلسات المؤتمر اليهودي.

تمت المقابلة يوم الخميس ١٤ مايو في منزل إيريك رولو بعد عودة دكتور جولدمان من لندن التي قام بزيارتها بعد انتهاء

يتبع للخلف

رقم الإيداع ٢٠٣٠٨ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977-320-022-2

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

سري للغاية

- ٣ -

[illegible] الى علاقة اسرائيل مع أخطار تقترب من اوربا [illegible]

ان الصلة مع جولدمان تدفعه الى مواصلة السعي والنضال

من أجل تنفيذ هدفه ، اما غير ذلك فانه نشاطه سوف

يبدأ حتى يتوقف ، وتضيع فرصة استغلال تناقضه واضح

[illegible] العدو

واخيرا

فان جولدمان ينتظر رد الرئيس قبل ٢٢ مايو او بعد

عودته من [illegible] يوم ٦ يونيو

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

[illegible]

١٦/٥/٧٠